

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صالح بونيدر - قسنطينة 3-



كلية علوم الإعلام والاتصال والسهمي البصري

قسم الصحافة المكتوبة

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية بعد أحداث شارلي ابيدو

دراسة تحليلية مقارنة بين صحيفتي - LE MONDE و LE FIGARO -

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم الإعلام والاتصال

تخصص : صحافة مكتوبة

إشراف:

أ/د: فضيل دليو

إعداد:

أسهاء بوعنان

أعضاء لجنة المناقشة

أ/د. جهال العيفة أستاذ التعليم العالي جامعة عنابة رئيسا

أ/د فضيل دليو أستاذ التعليم العالي جامعة صالح بونيدر مشرفا ومقررا

أ/د أحمد العبدلي أستاذ التعليم العالي جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة عضوا

د. محمد البشير بن طبة أستاذ محاضر - جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة عضوا

د. السعيد دراجي أستاذ محاضر - جامعة صالح بونيدر عضوا

د. حويد بوشوشة. أستاذ محاضر - جامعة صالح بونيدر عضوا

السنة الجامعية: 2018-2019

~~ حهد وشكر ~~

الحهد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم
يعلم.

الحهد لله وحده، والصلاة والسلام
على من لا نبي بعده.

~شكر و عرفان~

أتقدم بأجزل وأسمى عبارات الشكر والامتنان، والتقدير والعرفان للإنسان الفاضل والأستاذ القدير الأستاذ الدكتور فضيل دليو على تكرمه بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وعلى حسن توجيهه وخاصة على جهيل صبره ورعاية صدقه، مع ما تحمله من عناء، وعلى تواضعه مع بلغه الله من درجات علا علمها وعملها، وأسأل الله أن يزيده رفعة ويبلغه الدرجات العلا من الجنة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة ومناقشة هذا العمل المتواضع.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتذكر، وأصل الشكر إلى كل من علمني حرفاً، ابتداءً من معلمتي في القسم التحضيري، كقول معلّمي في المراحل الابتدائية، الالكهالية، الثانوية والجامعية، وإلى غاية كتابة هذه الأسطر.. فليجازيهم الله عنا خير الجزاء على ما بذلوه من خير وعطاء.

فهرس المحتويات

- حمد وشكر
- شكر وعران
- فهرس المحتويات
- فهرس الجداول
- مقدمة.....أ ب ج

الفصل الأول: موضوع الدراسة وإجراءاتها المنهجية

- 1-1- موضوع الدراسة
- 1-1-1 تحديد المشكلة.....13
- 2-1-1 أسباب اختيار الموضوع.....16
- 3-1-1 أهمية الدراسة.....16
- 4-1-1 أهداف الدراسة.....17
- 5-1-1 الدراسات السابقة.....31
- 6-1-1 المدخل النظري للدراسة.....32
- 7-1-1 مفاهيم الدراسة.....33
- 2-1- الإجراءات المنهجية للدراسة
- 1-2-1 مجتمع وعينة الدراسة.....40
- 1-2-1 منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات.....50

الفصل الثاني: مراحل، مصادر، وعوامل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام في

الفكر والثقافة الفرنسية

- تمهيد.....63
- 1-2- مراحل ومصادر تشكيل صورة الإسلام
- 1-1-2 المرحلة القرن أوسطية (الكتابات البيزنطية واللاهوتية، الثقافة الشعبية).....64

- 2-1-2 مرحلة عصر التنوير (فلسفة الأنوار، الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية).....80
- 3-1-2 المرحلة الراهنة (الاستشراق الجديد، المناهج الدراسية، وسائل الإعلام).....100

2-2- عوامل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام

- 1-2-2 العامل التاريخي.....177
- 2-2-2 العامل الديني.....179
- 3-2-2 العامل الجيوسياسي.....182
- 4-2-2 العامل الثقافي والحضاري.....184
- 5-2-2 العامل الاجتماعي والديمقراطي.....186
- 6-2-2 العامل الإعلامي (دور الإعلام الصهيوني).....189
- الخلاصة.....194

الفصل الثالث: عرض وتحليل بيانات الدراسة ونتائجها

- تمهيد.....196
- 1-3- التحليل المقارن لصورة الإسلام في Le Monde و Le Figaro من حيث المضمون....197
- 2-3- التحليل المقارن لصورة الإسلام في Le Monde و Le Figaro من حيث الشكل.....327
- نتائج الدراسة.....342
- خاتمة.....354
- قائمة المراجع.....357
- الملاحق.....371
- ملخصات الدراسة.....404

فهرس الجداول

الصفحة	العنوان	رقم الجدول
48	توزيع مفردات العينة	01
197	درجة بروز موضوع الإسلام	02
199	توزيع فئة المواضيع	03
201	توزيع فئة المواضيع الدينية	04
213	توزيع فئة أركان الإسلام	05
215	توزيع فئة المواضيع الثقافية والحضارية	06
222	توزيع فئة المواضيع السياسية والايديولوجية	07
230	توزيع فئة الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية	08
236	توزيع فئة الإسلام والإرهاب	09
247	توزيع فئة الإسلام السياسي	10
252	توزيع فئة المواضيع الاقتصادية	11
255	توزيع فئة المواضيع الأمنية والقانونية	12
262	توزيع فئة فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي	13
269	توزيع فئة المواضيع الاجتماعية والديمغرافية	14
274	توزيع فئة مأسسة الإسلام في فرنسا	15
284	توزيع فئة الإسلام فوبيا	16
293	توزيع فئة صورة المرأة	17

301	توزيع فئة المواضيع التربوية والتعليمية	18
306	توزيع فئة الإسلام والمدرسة الفرنسية	19
311	توزيع فئة القوى الفاعلة	20
316	توزيع فئة المصادر	21
317	توزيع فئة المصادر الداخلية	22
319	توزيع فئة المصادر الخارجية	23
323	توزيع فئة الاتجاه	24
327	توزيع فئة النوع الصحفي	25
330	توزيع فئة موقع النشر	26
331	توزيع فئة وسائل إبراز المضامين	27
332	توزيع فئة العناوين	28
334	توزيع فئة الصور	29
336	توزيع فئة الأساليب الإقناعية	30

مقدمة

مقدمة:

تلعب الصور الذهنية والنمطية التي يشكلها الأفراد والشعوب عن بعضهم البعض دورا هاما في التأثير على الاتجاهات والسلوكيات وتحديد طبيعة العلاقات بين الأفراد والمجتمعات بل وحتى تحديد مكانتها. ولهذا بات الاهتمام بتكوين صور إيجابية لدى الآخر يعرف تزايدا مطردا ارتبط أساسا بتزايد أهمية وقوة ودور وسائل الإعلام (سمعية، بصرية، صحافة مكتوبة) في تشكيل هذه الصور باعتبارها طرفا فعالا له مفاهيمه وتصوراتهِ عن مختلف المواضيع و الأحداث.

وتقف الصحافة في طبيعة الوسائل المطبوعة في التأثير، ولها كذلك دور مهم في تكوين الصور؛ لأنها تتميز بالعمق في التفكير والصبر على البحث، وتحمل في طبيعتها الرأي المدروس، وتتيح للقارئ فرصة للتأمل والتمعن في المطبوع الذي بين يديه أكثر من مرة، وهو في كل مرة يزداد من الفكرة، ويتمكن من تقليب وجوه الرأي فيها (شعيب الغباشي، 2010، 130).

وللصحافة قدرة كبيرة على إثارة الاهتمام والتركيز على مواضيع وقضايا معينة، في مقابل تجاهل واستبعاد مواضيع وقضايا أخرى، ويعد الإسلام من أكثر المواضيع التي لاقت اهتماما وتركيزا ملحوظا في الإعلام والصحافة الغربية، وذلك من خلال التغطيات الإعلامية المستفيضة عن هذا الدين ومعتقديه وبشكل خاص منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يعرف الحديث عن الإسلام والمسلمين متابعات مستمرة وبات يشغل حيزا مهما من تغطيتها.

والصحافة الفرنسية، التي تعد جزءاً لا يتجزأ من منظومة الصحافة الغربية، لم تخرج عن هذا التوجه، بحيث عملت هي الأخرى على تخصيص العديد من التغطيات لموضوع الإسلام، كلما شهدت دول غربية وأوربية هذا النوع من الأحداث، والتي تزداد حدة إذا كانت فرنسا مسرحا لها، مما جعلها تسهم في تشكيل صورة الإسلام وفقا لأهدافها وتوجهاتها. فمن المعروف أن الصحف لا تعمل بمعزل عن تأثير البيئة التي توجد فيها، وهذا قد ينتج عنه تقديم صور مغلوطة أو غير موضوعية.

وبناء على ما سبق فقد بات من الضروري العمل على التعرف على طبيعة الصورة التي تسهم الصحافة الفرنسية في تشكيلها عن الإسلام، لا سيما في ظل العديد من الأحداث والأعمال العنفية التي يتم ربطها بالإسلام، خاصة وأن لفرنسا تاريخ حافل من المواجهات مع هذا الدين؛ نظرا لدورها التاريخي كأحد رعاة الديانة المسيحية في مواجهة الإسلام، حيث كان اللجوء إلى تشكيل صور نمطية عن الإسلام جنبا إلى جنب مع الجهود الحربية، ولهذا لم تدخر جهدا من أجل تحقيق هذا الهدف منذ انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية وحتى المرحلة الراهنة، وسخرت لذلك الكتابات اللاهوتية والكنسية، ومن بعدها الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية منها والجديدة، إلى جانب دور الفلاسفة والإنتاج الأدبي الفني والمناهج الدراسية، ووسائل الإعلام وخاصة الصحف الفرنسية بمختلف أنواعها.

وجدير بالذكر هنا أن الصحافة الفرنسية لم تكن السبقة لتشكيل الصور النمطية عن الإسلام، لكن اليوم أصبح لها الدور الرئيس في تشكيل هذه الصورة من خلال ما تنشره من أخبار ومعلومات ومعالجات وتغطيات، تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في الآونة الأخيرة، ارتبط معظمها بالأحداث الإرهابية من بينها أحداث شارلي إيبدو.

وبما أن طبيعة المعلومات التي راحت تسوقها الصحافة الفرنسية عن الإسلام بعد هذه الأحداث، ستسهم في تحديد صورته، وبما أن مضمون هذه الصورة هو الذي سيحدد نوعية وطبيعة الاتجاهات وردود الأفعال اتجاهه، جاءت هذه الدراسة من أجل التعرف على صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية ممثلة في صحيفتي لوموند ولوفيغارو بعد أحداث شارلي إيبدو، وفي ظل صورته في الفكر والثقافة الفرنسية قبل هذه الأحداث.

وطالما أن صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية لم تكن وليدة الأحداث الراهنة فقط، ارتأينا العودة للبحث عن مختلف المصادر والعوامل التي شكلت هذه الصورة في الفكر والثقافة والفرنسية خلال مختلف مراحل تشكيلها.

ولتغطية الخلفية النظرية والتاريخية لهذا الموضوع ولتحديد مختلف إجراءاته التنفيذية تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي:

- الفصل الأول:

تناول موضوع الدراسة وإجراءاتها المنهجية، وتضمن في القسم الأول منه: عرض مشكلة الدراسة وتساؤلاتها، إضافة إلى تقديم أسباب اختيار الموضوع، وتوضيح أهمية وأهداف الدراسة، كما تضمن الفصل التعريف بمنظور الدراسة وتحديد مفاهيمها، والدراسات السابقة، وخصص القسم الثاني من هذا الفصل للإجراءات المنهجية وتضمنت: مجالات وعينة الدراسة والمنهج المتبع وأدوات جمع البيانات.

- الفصل الثاني:

وقد تم تخصيصه للإطار النظري للدراسة، وتضمن: مراحل، مصادر، وعوامل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية، بداية من المرحلة القرن أوسطية (الكتابات اللاهوتية وأدب العصور الوسطى)، مرحلة عصر الأنوار (فلسفة الأنوار والدراسات الاستشراقية الكلاسيكية)، المرحلة الراهنة (الاستشراق الجديد، المناهج الدراسية، وسائل الإعلام)، إلى جانب اشتماله على العوامل التي ساهمت في تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام متمثلة في: العامل الديني، العامل التاريخي، العامل الثقافي والحضاري، العامل الجيوسياسي، العامل الديمغرافي، العامل الإعلامي (دور الاعلام الصهيوني).

- الفصل الثالث:

وهو الفصل الخاص بالدراسة التحليلية، وتم فيه عرض وتحليل بيانات الدراسة، من حيث المضمون (طبيعة المواضيع، مصادر المادة الإعلامية، القوى الفاعلة، والاتجاه)، ومن ناحية الشكل (الأنواع الصحفية، موقع النشر، وسائل إبراز المضامين والأساليب الإقناعية)، كما تضمن الفصل النتائج العامة للدراسة.

وانتهت الدراسة بالخاتمة وأفاق الدراسة.

الفصل الأول: موضوع الدراسة وإجراءاتها المنهجية

1-1- موضوع الدراسة

- 1-1-1 - تحديد المشكلة
- 2-1-1 - أسباب اختيار الموضوع
- 3-1-1 - أهمية الدراسة
- 4-1-1 - أهداف الدراسة
- 5-1-1 - الدراسات السابقة
- 6-1-1 - المدخل النظري للدراسة
- 7-1-1 - مفاهيم الدراسة

1-2- الإجراءات المنهجية للدراسة

- 1-1-2 - مجالات الدراسة
- 2-1-2 - عينة الدراسة
- 3-1-2 - منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات

1-1- موضوع الدراسة

1-1-1- تحديد المشكلة

يعد موضوع الصورة من بين المواضيع البحثية التي تلقى اهتماما متزايدا في العديد من المجالات يتقدمها مجال الإعلام والاتصال، ويرجع ذلك للدور الهام لوسائل الإعلام في تشكيل الصور؛ نظرا لما تتوفر عليه من قدرة على الحصول على كم هائل من المعلومات ناهيك عن السيطرة عليها والتحكم في طريقة معالجتها ونشرها، ونقل وتبادل الآراء والأفكار مما يمكنها من العمل على تشكيل صور جديدة وأثبتات وإعادة إنتاج صور نمطية موجودة مسبقا عن مختلف القضايا والمواضيع والأفراد والجماعات.

كما تقوم وسائل الإعلام المختلفة بعكس مختلف الصور الذهنية والنمطية السائدة في أي مجتمع، يؤكد هذا المعنى (أوتو كلينيري)، حيث يرى: "أن وسائل الاتصال تلعب دورا مهما في تشكيل الصورة النمطية وعرضها كما هي في المجتمع، بالإضافة إلى أنها تقوم بدور أساسي في نشرها (سلافة الزعبي، 2006، 43).

ونشير هنا أن مسألة تكوين الصور النمطية في حد ذاتها ليست بالجديدة؛ ففي عصور سابقة وقبل ظهور وسائل الإعلام الحديثة كانت الخبرة الشخصية والاتصال المباشر يمكن أن يقوموا بدور مهم في عملية ثبات الصور النمطية أو تغييرها، ولذلك كانت الصور النمطية يمكن أن تكون أكثر مرونة حيث أن الخبرات الشخصية للإنسان يمكن أن تثبت عدم صحة هذه الصور، لكن منذ القرن الثامن عشر تزايدت أهمية الصحافة ثم الوسائل الإعلامية الأخرى كمصدر للمعرفة حتى أصبحت في العصر الحديث المصدر الرئيس الذي يحصل من خلاله الناس على المعلومات (سليمان صالح، 2005، 183-184).

وبحكم عملية التعرض الكثيفة للمتلقين في الدول الغربية للوسائل الإعلامية ومنها الصحافة المكتوبة، أضحت هذه الأخيرة من أهم المصادر في تكوين الصورة عن الآخرين عند الفرد الغربي، وما يلاحظ في هذا الإطار أن معظم الصور التي يشكلها الإعلام الغربي عن الأمم والشعوب الأخرى إنما يرتبط بالأساس بانتمائهم العرقي والديني، ويعد الإسلام من بين

أكثر الأديان التي تناولتها الصحافة الغربية بالأخبار والتحليلات التي أسهمت في تشكيل العديد من الصور جاءت في معظمها سلبية ومشوهة للإسلام والمسلمين.

وعلى غرار الصحافة الغربية انخرطت الصحافة الفرنسية في تغطية الإسلام وفي ترويح الصور الذهنية والنمطية عنه، وذلك منذ أن فتح النقاش والجدل بشأن الإسلام في فرنسا مع نهاية سبعينيات القرن الماضي، حيث تم طرح العديد من المواضيع تمحورت خاصة حول القضايا ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، من قبيل قضايا الهجرة، الهوية، الاندماج، التغذية الحلال، وقضية الحجاب التي فجرت النقاش حول متطلبات احترام عقائد وشعائر الدين الإسلامي من جهة واحترام قيم الجمهورية العلمانية الفرنسية من جهة أخرى، ولهذا شكل إثارة هذه القضية نقطة تحول مفصلية في تناول الإسلام في المشهد السياسي والإعلامي الفرنسي في دولة ترفع شعار العلمانية وفصل الدين عن الدولة منذ 1905 بعد تاريخ حافل بالصراع بين السلطة ورجال الدين.

ومنذ منتصف القرن العشرين وعلى أعتاب الألفية الثالثة راحت الصحافة الفرنسية تربط بين الإسلام والتطرف والأصولية والإرهاب بسبب العديد من الأحداث على الساحة الدولية والأوروبية وفي الداخل الفرنسي، ولا سيما تلك الأحداث المرتبطة بأعمال العنف والقتل والهجمات الإرهابية التي أضحت تقرن مباشرة بالإسلام والمسلمين، كان من أحدثها هجمات شارلي إيبدو بتاريخ 07 جانفي 2015.

ولقد استأثرت الأحداث باهتمام الصحافة الفرنسية، وأثرت على نظرة الفرنسيين إلى الإسلام والمسلمين، من مختلف النواحي السياسية منها، والاجتماعية وخاصة الإعلامية، ومع أن الأحداث لم تكن العملية "الإرهابية" الأولى التي يتهم فيها الإسلام في فرنسا ولم تكن أيضا الأخيرة، أمكن القول أن أحداث شارلي إيبدو شكلت الفرصة المناسبة للصحافة الفرنسية - تتقدمها كبريات الصحف اليومية- في تغطيتها لهذه الأحداث لإعادة طرح موضوع الإسلام في المشهد السياسي والإعلامي الفرنسي، وأعدت التغطية الإعلامية لهذه الأحداث إلى الأذهان علاقة الإسلام بالتطرف والإرهاب.

وعليه أمكن القول أن ما أضحى يشكل صورة الإسلام في فرنسا اليوم ليس الإسلام كما هو في الواقع، ولكن الإسلام الذي يتم تقديمه وتأطيره عبر التغطيات الصحفية، سواء كان ذلك

في الحالات العادية أو في ظل الأحداث المفاجئة والآنية، فوسائل الإعلام وهي تمارس وظيفة الإخبار لا تكتفي بمجرد الإشارة إلى الحدث بل تعتمد إلى تفسيره وبلورته في صورة معينة (شعيب الغباشي، 2010، 116).

وتأسيسا على ما سبق فقد تحددت مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على صورة الإسلام بعد أحداث شارلي إيبدو في الصحافة الفرنسية التي تعد مدرسة قائمة بذاتها سواء في أسلوب عرض الأخبار، أو توجهات المحللين وكتاب الرأي، بل حتى في شكل منبرها وطريقة إخراجها الفني، بالإضافة إلى خصوصية القضايا التي يمكن أن تحتل الصفحة الأولى تبعاً لخصوصية القارئ الفرنسي والثقافة الفرنسية وطبيعة المشهد السياسي (المصطفى مراد، 2011).

وقد تم تمثيل الصحافة الفرنسية في صحيفتي **لوموند** و**لوفيغارو** باعتبارهما من كبريات الصحف اليومية الفرنسية المتفردة بالقيام بدور أساسي في تشكيل اتجاهات صناع القرار، والرأي العام الفرنسي والأوروبي والغربي ولاسيما فئة النخبة، نظراً لعراقتهما وإمكاناتهما التأثيرية القوية، سواء تعلق الأمر بمعالجتهما للقضايا الخارجية أو الداخلية على حد سواء، ونظراً لما تتوفران عليه من إمكانات بشرية ومادية تؤهلها للقيام بالعديد من التغطيات الإخبارية التحليلية والتفسيرية، للمواضيع والأحداث والقضايا المتعلقة بالإسلام، وقد تم الأخذ بعين الاعتبار اختلافهما في الخط التحريري، وتمثيلهما لأبرز اتجاهيين سياسيين متعارضين في فرنسا (اليسار و اليمين).

وتسعى الدراسة للإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

- ما صورة الإسلام في صحيفتي **لوموند** و**لوفيغارو** بعد أحداث تشارلي إيبدو؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بينهما في تكوين هذه الصورة؟

ويندرج تحت التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية التالية:

- 1- ما هي أهم المصادر، والعوامل التي أسهمت في تشكيل صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية عبر مختلف المراحل الزمنية لتشكيلها؟
- 2- ما المكون المعرفي لصورة الإسلام في **لوموند** و**لوفيغارو**؟ ومؤشراته:

✓ طبيعة المواضيع والقضايا المثارة

✓ المصادر الصحفية

✓ القوى الإسلامية الفاعلة

✓ الأنواع الصحفية

✓ آليات وأدوات التأطير الإخبارية

3- ما المكون الوجداني لصورة الإسلام في لوموند ولوفيغارو؟ ومؤشره:

✓ اتجاهات مضامين لوموند ولوفيغارو حيال الإسلام (إيجابيا، سلبا، حيادا).

4- ما المكون السلوكي لصورة الإسلام في لوموند ولوفيغارو؟ ومؤشره:

✓ الانعكاسات، والإجراءات، وردود الأفعال تجاه الإسلام على المستويين الرسمي والشعبي؟

1-1-2-أسباب إختيار الموضوع:

تنوعت أسباب إختيار الموضوع بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية تمثلت في:

- التوجه الشخصي للبحث في هذا المجال.

- المكانة الهامة التي يحتلها الإسلام في فرنسا، والتحديات التي يطرحها وتلك التي

يواجهها.

- ملاحظة الموقع الهام الذي يحتله موضوع الإسلام في الصحافة الغربية عامة

والصحافة الفرنسية خاصة.

- يعد مجال البحث في صورة الإسلام في الإعلام والصحافة الفرنسية بشكل خاص،

مجالا بحثيا خصبا ومتنوعا ويحتاج دوما للمتابعة والإثراء.

1-1-3- أهمية الدراسة:

يمكن إيجاز أهمية الدراسة من الناحيتين الأكاديمية والمجتمعية في:

● الأهمية الأكاديمية:

- أهمية موضوع الإسلام.

- أهمية بحوث الصورة في مجال الإعلام والاتصال.

- أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والصحف خاصة في تشكيل الصور عن الدول و

الشعوب والديانات.

- أهمية لوموند ولوفيغارو باعتبارهما من ركائز الصحافة الفرنسية، الأوروبية و الغربية.

- أهمية طبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه لوموند ولوفيغارو داخل وخارج فرنسا.

• الأهمية المجتمعية:

يكتسي الموضوع أهميته المجتمعية انطلاقاً من اعتبار الإسلام موضوع الساعة في المنابر الأكاديمية الإعلامية والسياسية الغربية والفرنسية، وذلك على المستويات المحلية الإقليمية والدولية، مما جعل من موضوع الإسلام وصورته في الصحافة الغربية - خصوصاً الفرنسية- بمثابة القضية الجوهرية للمجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء والكشف والتعرف على هذه طبيعة الصورة من شأنه أن يحدد مكانة الإسلام والمسلمين في المجتمع الفرنسي حيث أكبر عدد من المسلمين في أوروبا، وحيث يعد الإسلام قضية دولة ومجتمع، كما يمكن من التعرف على الجوانب السلبية فيها ومن ثم العمل على تصحيحها.

1-1-4- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على صورة الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيغارو، بعد أحداث شارلي إيبدو والمقارنة بينهما وذلك من خلال التعرف على:

- المكون المعرفي:

يبرز من خلال التعرف على طبيعة المواضيع والقضايا المثارة عن الإسلام، كما تناولتها لوموند ولوفيغارو ودرجة بروزها إلى جانب التعرف على المصادر، القوى الإسلامية الفاعلة، الأنواع الصحفية، وآليات وأدوات الأطر الإخبارية التي وظفتها صحيفتي الدراسة.

- المكون الوجداني:

يتشكل جنباً إلى جنب مع المكون المعرفي، وينعكس من خلال ما حملته مضامين لوموند ولوفيغارو من ميول واتجاهات نحو الإسلام سلبياً أو إيجابياً أو حياداً.

- المكون السلوكي:

يمكن التعرف عليه من خلال مختلف ردود الأفعال والسلوكيات العننية والإجراءات المتخذة حيال الإسلام والمسلمين في ظل صورته معرفياً ووجدانياً، باعتبار أن هذه السلوكيات والإجراءات ما هي إلا انعكاس لصورة الإسلام في بعدها المعرفي والوجداني.

1-1-5- الدراسات السابقة

تعد الدراسات السابقة التي تناولت صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية بشكل خاص قليلة نسبيًا، إذا ما قورنت بالدراسات التي تناولت صورة الإسلام في الإعلام والصحافة الغربية بشكل عام، ومن الدراسات التي تسنى لنا الاطلاع عليها:

1- دراسة د. مَنِيَّة عبيدي، تمثلات الإعلام الفرنسي لهجمات باريس: تمجيد الأنا والتخويف من الآخر، (<http://studies.aljazeera.net/>), 2016.

تمثلت المشكلة الأساسية للدراسة في رصد وتحديد تداعيات الهجمات؛ التي وقعت في باريس بتاريخ 13 نوفمبر 2015 في الخطاب الإعلامي الفرنسي ومعرفة مضمراته، وما تبعه وسائل الإعلام من أيديولوجيا كامنة في ثنايا هذا الخطاب، ومحاولة التعرف على مدى تشابه أو اختلاف ضروب الخطاب وأصنافه وتشكيلاته باختلاف التوجه السياسي للوسيلة الإعلامية، وحاولت الدراسة الاجابة على التساؤلات الآتية:

- 1- كيف صوّرت الصحافة الفرنسية هجمات باريس؟
- 2- ما الذي تغيّر في الخطاب الإعلامي بعد هذه الهجمات؟
- 3- هل تمّ توظيف الهجمات لغايات سياسية ودينية وثقافية أخرى؟
- 4- هل يتفق الإعلام الفرنسي على نظرة موحّدة للهجمات؟

وقد هدفت الدراسة إلى:

- تسليط الضوء على ما قيل في الصحافة الفرنسية بعد هجمات باريس.
- محاولة ربط ما قيل في الصحافة بالجهة السياسية التي تتحكم في وسيلة الإعلام.
- الوقوف على تداعيات ما يقال في الصحافة عن السياسة الفرنسية تجاه المسلمين.
- الكشف عن الأيديولوجي المضمّن في هذه الخطابات.

واشتملت العينة القصدية للدراسة على تقارير ومقالات رأي صادرة في الصحافة الفرنسية، ومقابلات (تسجيلات فيديو) لمفكرين وصحافيين حول هجمات باريس، وما أثارته من ردود أفعال مختلفة في الوسط الاجتماعي والسياسي في الفترة من 14 نوفمبر 2015 إلى 10 جانفي 2016، بالإضافة إلى بعض ما كتبه المدوّنون وسجّلوه في فيديوهات أو حوارات

تُعبر عن آرائهم ومواقفهم بشأن هذه الهجمات، منهم: "ميشال كولون" ومن بين الصحف و
المجلات التي اعتمدها الباحثة: "لوموند"، الأعداد 25، 26، 28 نوفمبر 2015، "لكسبريس"
عدد 14 نوفمبر 2015، والعديد من 9 و10 يناير 2016، و"لوبوان" عدديها 19 و20 نوفمبر 2015،
"ليبراسيون" في عددها بتاريخ 14 نوفمبر 2015، و"باري ماتش" في عددها 3477 و"ماريان"
في عددها 989، واعتمدت الباحثة على دراسة المتن دراسة نقدية في ضوء التحليل النقدي
للخطاب الإعلامي، أو ما كان يُسمى "اللسانيات النقدية".

وتوصلت الدراسة إلى:

- تتفق أغلب المقالات على أن ما حدث في 7 جانفي و13 نوفمبر 2015 أمر رهيب
جعل فرنسا تدخل مرحلة جديدة من تاريخها وهي الحرب على الإرهاب.

- تصدّر الحدث غلاف بعض المجلات والصفحات الرئيسية، مع صور من مواقع
الهجمات أو رسومات حملها أصحابها انطباعاتهم، وركزت جلّ المقالات والصور والرسوم
على وحدة الشعب الفرنسي بقطع النظر عن الانتماءات الحزبية كما ركز على بشاعة ما
حدث، بينما اعتبرت بعض وسائل الإعلام ما حدث أبعد من كونه حربًا عسكرية تنتهي بالربح
أو الخسارة، وإنما هو "تحذّر ثقافي".

- بعد هجمات بروكسل 22 مارس 2016، تغيّر الخطاب الإعلامي الفرنسي، وبدأت
تظهر عليه علامات الهلع والخوف من المستقبل وبدأ يسوده التشكيك في قدرات الدولة وفي
استعداد المنظومة الأمنية لمواجهة الإرهاب.

- مرّ الخطاب الإعلامي الفرنسي بثلاث مراحل مهمّة منذ 2015؛ أي: تاريخ أول
عملية إرهابية في فرنسا، وقسمتها الباحثة إلى:

- مرحلة الصدمة التي تعمّقت في نوفمبر من نفس العام

- مرحلة الاستفاقة من الصدمة والدعوة إلى توحيد جهود مختلف التوجّهات السياسية

في مواجهة الإرهاب، مع التركيز على إبراز روح المواطنة لدى الفرنسيين وتجذّر فرنسا في
معاني الديمقراطية، والتشديد على الجانب الثقافي الفرنسي ووجوب المحافظة عليه.

- مرحلة الشكّ في قدرات الأجهزة الأمنية والاستخباراتية، وقد تعمّقت هذه المرحلة خاصة بعد هجمات بروكسل آنفة الذكر. وأشارت الباحثة إلى أن هذه المراحل ليست مسترسلة زمنياً وإنما تتداخل في كثير من الأحيان في الخطاب الإعلامي الفرنسي.

- تبنّى الإعلام عبارة "تحدّ ثقافي" وأبرزها.

- تسود المعجم الذي استعمل لتعيين منفذي العملية سمتان أساسيتان، هما: الإرهاب والإسلام، إلى جانب عدة سمات أخرى فرعية ولكنها مرتبطة بهما وناجئة عنهما في نظر الصحافة الفرنسية. فإذا كانت السلطة قد أعلنت الحرب فإنه من المنطقي أن يكون العدو هو من بدأ بالهجوم، ولكن من خلال المعجم المستعمل لوصف منفذي العملية فالحرب ستكون على الإرهاب وبالتحديد على الإسلام.

- أسند الخطاب الإعلامي الفرنسي عبارات جديدة ومتنوعة للتعبير عن الذات (الفرنسيون، فرنسا) أو الغير (منقذو العملية ومن يقفون وراءهم حسب رأيهم) واتسمت هذه التعبيرات بالمقابلة بين الذات والغير، مقابلة يفهم منها أن هذا الغير غير مرغوب فيه، وبالتالي يُمدّل وجوده في فرنسا خطراً على الشعب وعلى الدولة ولذا يجب محاربتة بكل الوسائل والحرب الفعلية تبدأ من وسائل الإعلام التي نادى بعضها بنفيهم خارج فرنسا وإخراجهم من صلب الأمة الفرنسية حتى وإن كانوا يتمتعون بالجنسية الفرنسية فهم-حسب رأيهم- ليسوا فرنسيين.

- بعد مضي مدة على هذه الهجمات تمكّن الإعلام الفرنسي من تعديل موقفه من منفذي العملية بعد التأكد من جنسيتهم الفرنسية، فاعترف بأن الإرهاب نابع من فرنسا وهم (الإرهابيون) فرنسيون، بل إن البعض يتحدث عن إرهابيين فرنسيين ينتمون إلى الجيل الثالث من المهاجرين المسلمين.

- التجأت بعض الخطابات للموروث الثقافي والفلسفي الفرنسي لإثبات الهوية الفرنسية، بما يعدّ قصداً إعادة إحياء للسياق الاجتماعي الثقافي الذي ترعرعت فرنسا في حضنه، وهي دعوة إلى التثبيت للهوية الفرنسية المهددة؛ إنها كذلك دعوة إلى ملاحظة ما يطرأ على المجتمع الفرنسي من تغيرات، والسعي إلى مواجهتها، وكانت الهجمات على باريس باباً دخل منه أصحاب هذا الفكر من سياسيين و مثقفين وإعلاميين.

- إن الخطاب الإعلامي الفرنسي بكل اتجاهاته وأنواعه دون استثناء، قد تناول مسألة الهجمات على باريس؛ وأبسط درجة لهذا التناول كانت نقل الحدث صوتًا أو صوتًا وصورة. واتفقت كل وسائل الإعلام على بشاعة ما حصل، وهذا ما تقاسمته مع وسائل الإعلام العالمية. لكن يمكن أن نلاحظ أن هذه الوسائل لم تقدّم الحدث بنفس الكيفية، فضلًا عن إبداء الرأي والبحث في الأسباب والحلول.

- ما قدّمه "ميشال كولون" اختلف جذريًا عمّا هو سائد في خطاب الإعلام بصفة عامة، وذلك في تسجيل فيديو على يوتيوب ضمن برنامج يُسمّى تحقيقات، وجّه فيه الاتهام إلى مجموعة من الأشخاص والمؤسسات والدول واعتبرها مسؤولة عن الإرهاب وسبب مباشر في حدوثه وهذه الأطراف والدول هي:

- "لوران فابيوس" لأنه قال: "جبهة النصرة في ليبيا قامت بعمل جيد".
- التحالف مع بعض دول الخليج؛ لأنها مولت نظامًا لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة.
- التعاون بين تركيا ودول الاتحاد الأوروبي التي تساعد على تسويق النفط الداعشي والذي من شأنه أن يمكن الدولة الإسلامية من التسلح.
- التحالف مع أ ميركا؛ لأنها شجّعت الإرهاب واستعملته سلاحًا في الأماكن التي ترغب في غرض حرب فيها.
- التحالف مع إسرائيل التي نشرت ثقافة الحرب وعدم القبول بالحوار.

ويتهم كولون داخليًا أربع ظواهر تلخصت في:

- التصرفات العنصرية مع المهاجرين واحتقار أعوان الأمن لهم.
- المدرسة التي لا تلعب دورها الطبيعي وذلك بتشجيع من وزيرة التربية التي استتكرت إبداء الرأي في الإرهاب بالفضاء المدرسي.
- الخلط: يخلطون بين المهاجرين واللاجئين والمسلمين والإرهابيين.
- نشر الخوف من الإسلام والمسلمين سواء أكانوا أفرادًا أم مؤسسات إعلامية مكتوبة أو مسموعة، وخاصة بعض القنوات التلفزيونية التي تسعى إلى نشر الإسلاموفوبيا.

2- دراسة محمد البشير بن طبة، اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(2001) بالولايات المتحدة الأمريكية دراسة تحليلية لصحيفة "لوموند" الفرنسية غداة الأحداث(2001) وبعد ثماني سنوات من الأحداث أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2014.

تناولت الدراسة اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، واستند الباحث في بلورة إشكالية الدراسة على مقاربة اتجاه معالجة الإعلام الغربي- الفرنسي على وجه التحديد- نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 من سبتمبر في ظل التراكم العدائي المغلوط، وهيمنة الإيديولوجيا المتصهينة على طبيعة العلاقات الدولية، أو ما عبر عنه الباحث بالرؤية الأمريكية حيث عمدت الإدارة الأمريكية الجمهورية إلى رد فعل عنيف وقوي عقب الأحداث مباشرة، منتهجة في ذلك استراتيجية أكثر عنفا وترهيبا ضد المسلمين شعوبا وحكومات وتنظيمات ومؤسسات وهو موقف رأت فيه بعض دول أوروبا- ومنها فرنسا- موقفا عن الشرعية الدولية، بل ولا يساير استراتيجيتها المتمسكة بالطرق السلمية والحوار في حل الأزمات الدولية؛ وعند هذا المستوى من التفاوت الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا جاءت إشكالية الدراسة لبحث اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مستندة في ذلك إلى مقاربة نظرية للمؤرخ الفرنسي(فرديناند بروديل) القائمة على افتراض التمييز بين "التاريخ الحدثي" "الأنبي ذى الإيقاع السريع، زمن الأحداث اليومية المتتالية و"التاريخ اللاحدي" "ذى الإيقاع البطيء، أي زمن البنيات العميقة والتحويلات الهيكلية غير الظاهرة.

وفي ضوء هذا السياق النظري تم ضبط إشكالية الدراسة وفق التساؤل الرئيس الآتي: ما هي اتجاهات صحيفة " لوموند Le Monde "تجاه الإسلام والمسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر(2001) بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات عن الحدث؟

وتم تفريع التساؤل الرئيس إلى التساؤلات الفرعية الآتية:

1- ما هي الموضوعات التي أثارها صحيفة "لوموند Le Monde "عند تغطيتها مضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك؟

2- ما القيم التي أثارها لوموند Le Monde في معالجتها الإعلامية لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك؟

3- ما أساليب الإقناع التي وظفتها صحيفة "لوموند Le Monde" لمعالجة موضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي الدراسة؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك؟

4- ما هي المصادر التي اعتمدها صحيفة "لوموند Le Monde" الفرنسية في معالجة موضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترة الدراسة؟ وهل ثمة فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى ذلك؟

كما وضع الباحث مجموعة من الفروض انطلاقاً من الفرضية الرئيسية التالية :

- ليست هنالك فروق في اتجاهات لوموند تجاه الإسلام وقضايا المسلمين عادة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات من الحدث.

وتتبعاً لمسار التساؤلات فرعت الفرضية الرئيسية إلى الفرضيات الآتية:

- 1- يغلب موضوعاً "علاقة الإسلام بظاهرة الإرهاب" و"قضايا الإسلام السياسي" على تغطية صحيفة "لوموند لمضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.
- 2- تغلب القيم السلبية على القيم الإيجابية في المعالجة الصحافية لموضوعات الإسلام والمسلمين في صحيفة لوموند Le Monde "خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.
- 3- تبرز الصحيفة موضوعات الإسلام والمسلمين على "صفحاتها الأولى والأخيرة" تمييزاً لهم، خلال فترتي التحليل، وخاصة فترة التحليل من سنة 2001.
- 4- تركز صحيفة "لوموند" على اعتماد أسلوب الاستمالات العاطفية، والإحصاءات والأرقام في الإقناع عند موضوعات الإسلام والمسلمين فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

5- تغلب صحيفة " لوموند" المصادر الذاتية على المصادر الخارجية أثناء المعالجة الصحفية لموضوعات الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل من الدراسة، مع عدم وجود فروق دال إحصائياً.

وتصنف الدراسة ضمن حقل الدراسات الوصفية، واعتمد الباحث على منهج المسح الإعلامي، وعلى استمارة استبيان خاصة بدراسة اتجاهات المضامين للتعرف على اتجاهات Le Monde نحو الإسلام والمسلمين بعد الأحداث؛ وتمثل مجتمع الدراسة في كل أعداد صحيفة لوموند الصادرة منذ تاريخ الحادي عشر من سبتمبر، وتم تحديد عينة الدراسة باختيار مفردات العينة على مستوى اول وهو مستوى التوزيع أي أكثر الصحف توزيعاً وسحباً ومقروئية في فرنسا ومستوى ثاني وهو إطار المعاينة حيث تم اللجوء قصراً إلى استخدام أسلوب ما يعرف في أدبيات المنهجية، بالعينة المتاحة.

تمثلت أبرز نتائج الدراسة في الآتي:

- غداة الأحداث ترحلت الصحيفة من اليسار الوسط إلى أقصى اليمين المتطرف، في التعامل مع مضامين الإسلام والمسلمين، لترجع إلى خطها اليساري الوسطي بعد مرور ثماني سنوات من الأحداث مرشدة بعضاً من تحليلاتها ومواقفها تجاه الإسلام والمسلمين.

- ثوابت الصحيفة تجاه الإسلام في الغالب ثابتة، خاصة تجاه الإسلام السياسي والعمل التنظيمي الإسلامي ومظاهر الالتزام وعلاقة المسلمين بالجهاد، وبعض التصورات الدينية التي تعتقدها الصحيفة مخالفة ولإنسانية أو تقاليد موروثة عن عصور بائدة بقيت على حالها، ولكن قلت حدة التحامل والتشويه والتعميم على ما كانت من قبل من حيث الشكل العام.

- تنتهج صحيفة لوموند اتجاهها ثابتاً سالبا في الغالب عند تغطية مضامين وأخبار الإسلام والمسلمين في فرنسا وأخبارها، وهذا التوجه يزداد حدة ويتناقص من دون أن ينعدم كلما تداعت في السياق مشكلة أو برز متغير داخلي أو خارجي له علاقة بالإسلام والمسلمين.

- سعت الصحيفة من خلال بعض أساليب التغطية إلى محاولة إرجاع أسباب ما سمته بالإرهاب الإسلامي إلى مصادر التنشئة الدينية: (مدارس، مناهج دراسية، جامعات، مؤسسات وجمعيات وجماعات في العالم الإسلامي والعالم الغربي... التي توظف فهم الإسلام وحيوة

المسلمين وركزت الصحيفة في هذه الفترة بصفة كبيرة جدا على المدارس الإسلامية في باكستان والمملكة العربية السعودية التي عدتها الصحيفة المصدر الأول للإرهاب في العالم، ثم المناهج الدراسية في العالم الإسلامي.

- تميزت التغطية الصحافية لوموند بالخلط والافتقار إلى الدقة والتأصيل عند توظيف مصطلحات مثل "الإرهاب، الجهاد، الأصولية والإسلام" سواء مجتمعة أو منفردة، وهذا الخلط قائم وثابت خلال فترتي الدراسة، لعدم وجود فارق تذكر بدلالاتها الإحصائية.

- ترى الصحيفة في مصادر الإسلام الأصلية القرآن والسنة، مرجعا لنشوء الفكر المتطرف والإرهابي خاصة أما يقصدان الجهاد ويضيقان فضاء الحرية ويطعنان في الليبرالية والعلمانية وحرية المرأة.

- قدمت لوموند تغطيتها لمضامين الإسلام والمسلمين في قالب "صدام الحضارات".

- كثيرا ما تربط لوموند في تغطيتها مضامين الإسلام والمسلمين الإسلام بالرجعية والتخلف، خاصة في الصور والكاريكاتوريات، أين نجد المسلم تقابله للحية الطويلة والأنف العريض، أو اللباس العربي والعمامة أو الطربوش، وكومة من السواد إلى جانبه تجسد المرأة، وصورة البداوة والخيام والجمال، والجهل والصحراء والغباء، وإلى جنبه أوراق الدولارات.

- ركزت لوموند من خلال التغطيات الصحافية على فكرة معارضة الإسلام للحريات العامة وحقوق الإنسان، كما تروج لفكرة رفض الدين أصلا، وخطر المتدينين، وبالأخص عند التطرق إلى قضايا وموضوعات بالغة الحساسية في التصور الغربي- على غرار دور الدين والعادات والتقاليد والأعراف في تأطير المفاهيم والقيم الاجتماعية، ومكانة المرأة في المجتمع المسلم، ومجال الحريات.

- وقعت لوموند في مغبة الدعاية ضد رسول الإسلام بعد أن نشرت الصور الدانمركية المسيئة للإسلام، والإسلام في تصور الصحيفة، يظل حقيقة ينبغي التعامل معها واستيعابها بروية علمانية تحايد السياسة وأعمال الجهاد والتخريب، والمسلمون بشر يمكن التعايش معهم ودمجهم في سياق المواطنة، بل وينبغي دعم قضاياهم الداخلية والخارجية، من دون اعتبارهم مصدرا للتهديد والقلق، لان ذلك من شأنه أن يعمق الهوية ويؤجج الصراع.

بالنسبة لتحقيق الفرضيات:

- تحققت الفرضية الرئيسية تماما إذ ليست هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في طبيعة معالجة واتجاهات صحيفة لوموند تجاه الإسلام وقضايا المسلمين غداة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مرور ثماني سنوات من الحدث.

- تحققت الفرضية الفرعية الأولى إذ بينت نتائج الدراسة أن موضوعا "علاقة الإسلام بظاهرة الإرهاب" و"قضايا الإسلام السياسي"، قد غلبا على تغطية صحيفة " لوموند " لمضامين الإسلام والمسلمين خلال فترتي التحليل مع عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل.

- تحققت الفرضية الفرعية الثانية، وبينت نتائج الدراسة التحليلية غلبة القيم السلبية في تغطية الصحيفة لمضامين الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكشفت المعالجة الإحصائية المعالجة الإحصائية المتعلقة بفئة " القيم السلبية أن ليست هنالك فروق ذات دلالة إحصائية في المعالجة تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل.

- تتحقق الفرضية الفرعية الثالثة فغالب المعالجات لموضوعات الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ورد في الصفحات الداخلية، وكشفت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل في ذلك.

- لم تتحقق الفرضية الفرعية الرابعة، وبينت نتائج الدراسة التحليلية أن لوموند" تركز بدرجة أولى في مصادرهما عند تغطية موضوعات الإسلام والمسلمين على" التصريحات المباشرة" كما تستخدم " أسلوب" الإحصاءات والأرقام "زيادة على" المصادر والمراجع العلمية أكثر من اعتمادها على الاستمالات العاطفية، وأشارت نتائج المعالجة الإحصائية إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية تعزى إلى اختلاف فترتي التحليل في ذلك.

3- دراسة د. محمد الشرقاوي، الإسلام والمسلمون في الإعلام الأميركي: الصورة النمطية

والمُتخيلُ الراهن، الاثنين، 22 فبراير 2016 (<http://studies.aljazeera.net/>).

رصدت الدراسة التفاعل بين الخطاب الإعلامي والسياسي الأمريكي، ومدى تداخلهما في إعادة تركيب صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الأميركيين خلال عام 2015؛ وتنطلق

الدراسة من مفهوم البنائية كإطار نظري، ونظرية الدّحْجَم الإعلامي كخلاصة تلاقح بين مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع والمدرستين الألمانية والإسكندينية في علم الاتصال؛ وذلك لتفكيك مقولة "استعمار" الفضاء العام من قبل الإعلام، وتعتمد الدراسة -أيضا- مفهوم الغرّال السياسي الذي أصبح يُعمّق الهوية بشكل متزايد بين صحافة الوقائع وصحافة الرأي.

وتبلورت تساؤلات الدراسة في:

1- كيف أسهمت وسائل الإعلام الأميركية في تغيّر الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين خلال 2015؟

2- ما قوة الدفع الرئيسة وراء تنامي الخوف من المسلمين والإسلام، أو ما يُعرف "الإسلاموفوبيا"، إلى مستوى أعلى مما كان عليه الحال عقب هجمات سبتمبر/أيلول 2001؟

3- كيف تَعَزَّز الخطاب الإعلامي الأميركي بالأبعاد السياسية والأيدولوجية في تعميق الهوية بين "الأنا" الجماعية الأميركية، و"الأخر" المسلم الذي "ينحرف" عن مسار الهوية والقيم الأميركية المعاصرة؟

وتمثل الهدف الرئيسي في سعي الدراسة لتفكيك المُتخيل الأميركي الراهن عن المسلمين بدلا من اجترار الصورة النمطية التقليدية؛ التي نسجتها هوليوود، وبالنظر إلى التقاطع بين الإعلامي والسياسي ضمن مجازاة الخط التحريري لدى وسائل الإعلام الأميركية، ورصد الباحث عدداً من السرديات الإعلامية، وما تنطوي عليه من حمولة سياسية تبلور التصوّر الذهني والنتائج المعرفي عن الإسلام والمسلمين. وتُفكك الدراسة عينات من التغطية لحوادث تتباين بين المسلم المهاجم والمسلم الضحية، وبين السردية الإنسانية مقابل السردية الأمنية في التعامل مع تفاصيل كل حادث على حدة.

وتشكل مجتمع البحث من ثلاث قنوات تلفزيونية: "CNN" و "FoxNews" و "MSNBC"؛ وبلغ عدد مفردات العينة القصديّة 64 تقريراً ومقابلة إخبارية ومقالاً؛ بثتها أو نشرتها مؤسسات إعلامية أميركية في ذروة السّجال السياسي حول المسلمين خلال الفترة الممتدة من الأول جوان إلى 31 ديسمبر 2015، فضلا عن 20 مقالا منشورا على المنصات الإلكترونية المتخصصة في تقييم أداء الإعلام الأميركي؛ منها مركز "بيو لاستطلاع الرأي

العام"PewResearch Center) ومؤسسة "أهمية الإعلام بالنسبة إلى أميركا" (Media Matters For America) مؤسسة السبق الصحفي السليم" (The Right Scoop) ومجلة جامعة كولومبيا للصحافة (Columbia JournalismReview) وصحيفة نيويورك تايمز؟

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- تظل صورة الإسلام والمسلمين في المُتخيل الأميركي رهينة التفاعل بين سرديات الاتهام؛ التي تتردد في فوكس نيوز وغيرها من القنوات اليمينية، والسرديات المعيارية من خلال إم إس إن بي، ثم السرديات الوصفية في سي إن إن؛ وهي بالتالي تتأثر سلبيًا وإيجابيًا بمستوى تغيير الصورة الذهنية؛ التي يتبناها الفرد الأميركي تبعًا لمدى اقتناعه أو رفضه لما تقدّمه تلك القنوات، وفي ضوء هذا التنافس بدأ تقلص إعلام السرديات الوصفية المحايدة لصالح إعلام الرأي والغزل السياسي.

- تراجع تأثير المؤسسات التي تتمسك بالخط الاحترافي المتوازن تحت وطأة المنافسة التي ابتدعتها فوكس نيوز كمعقل تعزيز الخطاب المحافظ اليميني مقابل (إم إس إن بي سي) التي ترفع راية الفلسفة الليبرالية، باعتبارهما قطبي الرحي في المشهد الإعلامي الأمريكي.

- أسهمت وسائل الإعلام اليمينية بسرديات الاتهام في تعزيز الانشطارية بين الـ"نحن" الأميركيين والـ"هم" المسلمون، وتعرّز هذا المتخيل القائم على تكريس ميزان الضدية.

- أصبحت وسائل الإعلام اليمينية في عصر صحافة الرأي في الولايات المتحدة تعمل أسوة بكُتاب الاستشراق في نهاية القرن التاسع عشر؛ عندما حوّلوا العربي أو المسلم إلى خانة الآخر الصامت؛ بل تسعى -أيضًا- لتكريس هيمنة الخطاب اليميني المتشدّد بين الأميركيين؛ وذلك أملا في أن يصبح العربي أو المسلم متوقعًا ضمن خانة الآخر المغيب.

- ثمة ازدواجية في الطرح الإعلامي خلال 2015 ومنذ 2001؛ في "استخلاص" بعض المذيعين والمحللين الأسباب الكامنة خلف الهجمات المسلحة بالنظر إلى اسم المهاجم وأصله العرقي؛ وكما لاحظنا لوحت فوكس نيوز بورقة الخلل العقلي إذا كان اسم المهاجم أميركيًا أبيض؛ وفي المقابل، يكون تغليب احتمال النوايا الإرهابية إذا كان الاسم عربيًا أو مسلمًا.

4- دراسة حسن نيازي الصيفي، صورة الإسلام والمسلمين في المجلات الأمريكية الصادرة بالعربية، (http://studies.aljazeera.net).

تبلورت المشكلة البحثية للدراسة في رصد معالجة المجلات الأمريكية الصادرة بالعربية لصورة الإسلام والمسلمين، وتحديد طبيعة الصور التي تقوم المجلات برسمها وتشكيلها على صفحاتها، وتحديد اتجاهات تلك المجلات نحو الإسلام والمسلمين، للكشف في النهاية عن أوجه القصور في التغطية الصحفية المصاغة، من خلال الدراسة التحليلية لمجلتي "النيوزويك" و"فورن بولسي" الصادرتين بالعربية في المدة من بداية 2003 إلى نهاية 2004، وظف الباحث منهج المسح الإعلامي "الشامل" وأداة تحليل المضمون بشقيه الكمي والكيفي، إضافة إلى تحليل القوى الفاعلة وتحليل الخطاب في إطار مسارات البرهنة، واستندت الدراسة إلى نظرية تحليل الإطار الإعلامي، ونظرية ترتيب الأولويات.

وقد أسفرت الدراسة عن عدد كبير من النتائج أبرزها:

- تتكون صورة الإسلام والمسلمين من جوانب سلبية، وإيجابية، وتميل التغطية للتركيز على السمات السلبية، استناداً إلى الصور النمطية الشائعة بنسبة 71.62%، والإيجابية 28.38%.

- لم تقتصر الصورة السلبية في المجلتين على الإسلام كدين وفكر، وامتدت لتقديم صورة مشوهة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، القرآن الكريم، رموز وشعائر الدينية.
- الصورة المقدمة عن المسلمين تتسم بالسلبية، استناداً إلى الصور النمطية الشائعة والقليل منها يتسم بالإيجابية.

- نسب المضمون سمات سلبية لحكام الدول الإسلامية، كما ظهرت الصورة السلبية لرجال الدين، ووصفوا، إرهابيون، متطرفون متشددون، متخلفون، شهوانيون، يلغون الخطب حول الكفار، يقومون بغسل أدمغة الانتحاريين ويتكلمون بلهجة ازدرائية عن غير المسلمين.

- قدمت المجلتان صورة سلبية للمرأة المسلمة فصورت على أنها مهمشة، داعرة، راقصة، إرهابية، أمية، مضطهدة، مغيبة، مخفية عن العيون، أسيرة الرجل المسلم.

- أبرز المنظمون اهتماما بالقوى الفاعلة المسلمة، ونسبتها المجلتان إلى: الدول الإسلامية، حركات المقاومة، حكام الدول الإسلامية، تنظيم القاعدة ونظام طالبان، الأنظمة الحاكمة الشعوب الإسلامية، الإسلاميون، المنظمات الإسلامية والاقليات المسلمة.
 - تركز اهتمام المجلتين على القضايا السياسية والعسكرية، إضافة إلى الموضوعات الاقتصادية والدينية والثقافية والإعلامية والتعليمية، وقد جاء اهتمامهما متفقا مع تراه المجلتان عن الدول الإسلامية ومن خلال نبذة ناقدة معارضة للممارسات الإسلامية في أغلبها.
 - احتلت قضية الجهاد ترتيبا متقدما بين أولويات القضايا، حيث جاءت في الترتيب السادس بنسبة 6.17%، وأبرزت مفهوم الجهاد متأثرة بوجهة النظر الغربية فقدمته مرادف للإرهاب وأنه الحرب المقدسة لدى المسلمين وأنه يستخدم كنواة لضرب الغرب المتقدم.
 - توصلت الدراسة إلى اعتماد المجلتين على المحررين، وأوضحت النتائج اشتراك عدد كبير من المراسلين في كتابة بعض التقارير المطولة بمجلة النيوزويك، وارتفعت نسبة اعتماد المجلتين على المتخصصين ليصبحوا المصدر الثاني.
 - أثبتت نتائج الدراسة غلبة المعالجة السلبية والمتحيزة على طبيعية المضامين المثارة عن الإسلام والمسلمين حيث بلغت نسبة المعالجة المتحيزة 72.53%، مقابل نسبة المعالجة المحايدة والموضوعية بنسبة 23.19% بينما تراجعت المعالجة الإيجابية إلى أقصى حد.
 - تنوعت المواد المنشورة وشملت كافة الأشكال الصحفية، وأظهر التحليل غلبة التقرير، بأكثر نسبة من عينة الدراسة بلغت 34.22% تلاه الخبر بنسبة 28.23%.
 - خصصت المجلتان مساحة كبيرة لتغطية شئون العالم الإسلامي.
 - توصلت نتائج الدراسة إلى زيادة الاعتماد على وسائل الإبراز المصاحبة للموضوعات المثارة عن الإسلام والمسلمين وجاءت العناوين في المقدمة، ثم الصور الشخصية والموضوعية تلاها على التوالي الرسوم التعبيرية الخرائط، الجداول الرسوم البيانية.
- لقد أفادتنا هذه الدراسات في مختلف مراحل البحث وخاصة في بلورة المشكلة البحثية والإجراءات المنهجية، وفي تصميم استمارة التحليل حيث استعنا بها في تحديد فئات التحليل.

1-1-6- المدخل النظري للدراسة (نظرية الإطار الإعلامي):

تعد نظرية تحليل الإطار الإعلامي من الروافد الحديثة في دراسات الاتصال، وتقدم هذه النظرية تفسيراً منتظماً لدور وسائل الإعلام في تشكيل الآراء، والاتجاهات حيال القضايا البارزة، وعلاقة ذلك باستجابات الجمهور المعرفية والوجدانية لتلك القضايا، وتفترض هذه النظرية أن الأحداث لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاهاً من خلال وضعها في إطار يحددها وينظمها ويضفي عليها قدراً من الاتساق، من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع وإغفال جوانب أخرى (حسن مكاوي وليلى السيد، 2006، 348).

ويعرف الإطار من المنظور الإعلامي بأنه: "الحديث عن موضوع أو قضية ما من خلال طرق وأساليب تحدد أو تبرز مجالاً معيناً، أو أفكاراً بعينها في هذا الموضوع، وفي الوقت ذاته تتجاهل مجالات وأفكار أخرى (نسرين حسونة، 2015، 23).

ويؤكد "Entman" على أن تأثير الأطر لا يتحقق فقط من خلال إبراز بعض الجوانب في الأحداث أو الوقائع، ولكن أيضاً من خلال الحذف أو الإغفال لجوانب أخرى، أو تقديم توصيات خاصة من جانب القائم بالاتصال (محمد عبد الحميد، 2004، 404).

كما تركز دراسات الأطر الإعلامية على سياق تقديم هذه القضايا، مما يمثل عمقا أكبر في دارستها، وهذا ما يبينه بوضوح تعريف "Robert Entman 1993" للإطار بأنه: "اختيار بعض الجوانب من الواقع دون غيرها، وجعلها أكثر بروزاً في النص الإعلامي"، ويركز هذا المفهوم على الجانب الإعلامي للتأطير أكثر من الجوانب السيكولوجية والسوسولوجية والسياسية، كما يركز على آليات وأدوات التأطير وأهمها: الانتقاء، والبروز، والاستبعاد.

وينظر إلى الإطار الإعلامي الخاص في النص الصحفي من خلال عناصره البنائية التي تتكون من: (العناوين الرئيسية والفرعية واستخدام الصور والتعليق عليها، والأدلة المقدمة، واختيار المصدر، والاقتباسات والشعارات والإحصاءات والبيانات والفقرات الختامية)، وهذه الأطر تنظم الألفاظ والنصوص والمعاني، وتستخدم الخبرات والقيم الاجتماعية التي يمكن من خلالها النفاذ إلى المحتوى الضمني للنص ودلالاته، الأمر الذي تتكامل معه الرؤية التحليلية تجاه القضايا باختلاف أنواعها، ودرجة أهميتها كما تبرز العلاقة بين وضع الأطر الإيديولوجية

المسيطرة ومحتوى الوسيلة، وذلك بتوضيح تأثير الإيديولوجية على تشكيل منتجات الوسيلة الاتصالية من خلال استراتيجيات عمليات التأطير التي يتم من خلالها نقل الفكر الإيديولوجي بواسطة وسائل الاتصال (عبد الكريم علي الدبيسي، 2017، 81-82).

وقد وظفت الدراسة نظرية التأطير الإعلامي (الإخباري)، لما لها من أهمية في مجال الدراسات الإعلامية رغم حداثة ظهورها، وأيضاً لكونها تستخدم في الدراسات الإعلامية التي تعتمد على تحليل المضمون، وكذا الدراسات التي تتناول القضايا الدولية. وهذا يجعلها تعد مدخلا مناسباً لدراسة التغطية الصحفية للقضايا التي يهتم بها الجمهور على اختلاف طبيعة مضامينها.

كما أن توظيفها يساعدنا على تحقيق أهداف الدراسة من خلال التعرف على آليات التأطير التي وظفتها كل من لوموند ولوفيغارو في صياغة مضامينها عن الإسلام (الانتقاء والإبراز، التجاهل والإغفال)، وذلك من خلال التعرف على طبيعة المواضيع والقضايا التي لقيت تركيزاً أكبر، وطبيعة المصادر التي اعتمدها، والتعرف على طبيعة القوى الإسلامية الفاعلة التي أبرزتها وركزت عليها صحيفتي الدراسة والأنواع الصحفية، ومن الناحية الشكلية التعرف على أدوات الأطر (موقع النشر، وسائل إبراز المضامين، الأساليب الإقناعية)، إلى جانب محاولة الكشف عن الإيديولوجيا المعلنة والخفية في مضامين الصحيفتين فنظرية الإطار الإعلامي تعد إحدى النظريات المهمة التي تسمح للباحث بقياس المحتوى غير الصريح للتغطية الخبرية بوسائل الإعلام للقضايا المثارة خلال فترة زمنية معينة، وتعتمد في إجراءاتها المنهجية على تحليل المحتوى غير الصريح للرسالة الإعلامية، وذلك من خلال دراسة السياق الفكري الذي يندرج المضمون الإعلامي في طياته، فضلاً عن تحديد الإيديولوجية التي يستند إليها القائمون بالاتصال في تناولهم للأحداث والقضايا المختلفة (طه عبد العاطي مصطفى نجم، 2006).

7-1-1- مفاهيم الدراسة

تعتبر مسألة تحديد ووضع التعريفات للمفاهيم والمصطلحات، وما يتصل بذلك من توضيح لأبعادها من المسائل الجوهرية التي وجدت اهتماماً كبيراً من الباحثين في ميادين

العلوم المختلفة وبصفة خاصة في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية(السيد أحمد مصطفى عمر،2008،37).

والمصطلحات الأساسية للدراسة هي: الصورة، الإسلام ، والصحافة.

• مفهوم الصورة:

- الصورة لغة واصطلاحاً:

ورد تعريف الصورة في المعجم الوسيط، هي "الشكل والتمثال المجسم"، ويرى ابن منظور أن: "الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء، وهيئته، وعلى معنى صفته، وفي أسماء الله تعالى: المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها" (ابن منظور،1977،483).

ومعنى الصورة في معجم المعاني الجامع، هي الشكل، والتمثال المجسم...وصورة الشيء هي ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل(<http://www.almaany.comr>).

كما تأتي الصورة بمعنى الصفة، فصورة الشيء هي صفة الشيء أي يقصد بها صفته وشكله الخارجي(المنجد،1997،440).

وعرف قاموس "المورد" الصورة بأنها "صنم، أو فكرة أو مفهوم أو تمثال صورة أو انطباع ذهني، أو وصف، أو تصوير حي(منير البعلبكي،1983،449).

وورد في الصحاح: والصور بكسر الصاد لغة، جمع صورة، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاوير التماثيل(انتصار إبراهيم عبد الرزاق ،صفد حسام الساموك،2011،66).

وعرفها "كرم شلبي" في "معجم المصطلحات الإعلامية" بأنها "صورة وانطباع وفكرة ذهنية، وقد تكون صورة ملتقطة بإحدى آلات التصوير، أو مرسومة، وقد تكون صورة لشيء أو لشخص في ذهن إنسان ما، أي فكرته التي كونها عن ذلك الشخص، وصورته التي رسمها في ذهنه أي انطباعه عنها(كرم شلبي،1994،481).

وتعددت التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الصورة، واختلفت باختلاف تخصصات الباحثين؛ فلا يوجد تعريف جامع ومحدد للصورة، بل يتم تعريفها وفقا لمجال الباحث في موضوع الصورة، كما أن ترجمة المصطلح من اللغات الأجنبية أعطاه معاني عديدة وفقا لمقتضيات واختلاف الترجمة، ووفقا لاختلاف الدراسة والبحث الذي يوظف فيه المفهوم، لذلك يعد مصطلح الصورة من أكثر المفاهيم صعوبة في تحديده، نظرا لحمل المفهوم دلالات عديدة ومتداخلة، إلى جانب تداخله مع العديد من المفاهيم و المصطلحات.

وفي مجال الدراسات الإعلامية والاتصالية تعددت المعاني الاصطلاحية للصورة ويتداول الباحثون بشكل عام مصطلحي الصورة الذهنية والصورة النمطية، وفيما يلي تعريف لكل منهما مع توضيح لبعض الفوارق التي لم تمنع من التشابك والتداخل بين المفهومين.

- الصورة الذهنية:

عرف "أيمن منصور ندا" الصورة الذهنية بأنها "عملية معرفية نفسية ذات أصول ثقافية، تقوم على إدراك الأفراد الانتقائي المباشر وغير المباشر لخصائص وسمات موضوع ما، وتكوين اتجاهات عاطفية إيجابية أو سلبية عنه، وما ينتج عن ذلك من توجهات سلوكية في إطار مجتمع معين، وقد تأخذ هذه المدركات، والاتجاهات، والتوجيهات شكلا ثابتا أو غير ثابت، دقيقا أو غير دقيق." (أيمن منصور ندا، 2004، 29).

ويعادل مصطلح الصورة الذهنية مصطلح الصورة النمطية، ويقابل الأولى في اللغة الانجليزية كلمة Image وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية imago التي تعني صورة Picture أو شبيه likeness وهي أيضا شكل form وكذلك تعني تمثيل الشيء في العقل.

وعرف قاموس "أكسفورد" كلمة image بأنها تقليد بارع للشكل الخارجي للشيء مثل التمثال... ويعرف معجم "وبستر" كلمة image بأنها تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء بعينه.

ويعرف "هولستي" الصورة بأنها: مجموعة معارف الفرد ومعتقداته في الماضي والحاضر والمستقبل التي يحتفظ بها الفرد وفقا لنظام معين عن ذاته وعن العالم الذي يعيش فيه وهو يعني كل المعلومات التي يختزنها الفرد في ذاكرته ولكنها مرتبة وفقا لبعض الأسس مثل

التفضيل والتمييز وذلك لأن الصورة الذهنية تعني تحديد بعض معالم الشيء المراد صنع صورة له في الذهن وهو ما يعني تفضيل وتمييز جوانب بعينها للاحتفاظ بها في الذاكرة ويرتبط بهذا المصطلح صورة من الذاكرة، ويعني إحياء أو بعث التجربة السابقة عن شيء ما في غياب هذا الشيء بالذات بحيث تأتي صورته من الذاكرة وعن طريق التذكر (سلافة الزعبي، 2006، 22-23).

ويرى "كينيث بولدنك" أن الصورة الذهنية نتيجة لكل تجارب الماضي لمالك الصورة منذ لحظة الميلاد، ونتيجة لخبرات الفرد واطلاعه، تكون هناك صور ذهنية مخزنة، تتضمن معارف ومعلومات، بانتظار صور وافدة جديدة يمكن أن تؤثر في الصورة المخزنة، وتقرر نوعية معلوماتنا عن الآخرين صورهم في عقولنا، فإذا كانت المعلومات عن شخص أو جماعة أو دولة إيجابية تكون الصورة إيجابية والعكس... وهذا لا يعني أن كل الصور هي صور ذهنية إيجابية أو سلبية فأحيانا تكون الصورة غامضة وغير واضحة، بناء على معلومات غامضة تلقاها الفرد أو معلومات بسيطة وقليلة لا تكفي لتكوين صورة واضحة، لذا فإن تعقيد الصورة الذهنية يعتمد على مستوى معلومات الفرد (المرجع نفسه، 24-25).

وجمع "أديب خضور" بين الصورة الذهنية والصورة النمطية في تعريفه اعتبر فيه أن الصورة الذهنية هي: "مجموعة من الأحكام والتصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة، الإيجابية منها والسلبية، التي يأخذها شخص أو جماعة أو مجتمع عن آخر، ويستخدمها منطلقا وأساسا لتقييمه لهذا الشخص ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه (أديب خضور، 2009، 12).

- الصورة النمطية:

جاءت كلمة نمطي في معجم المعاني هو اسم منسوب إلى نمط، وصورة نمطية هي ما يعد تمثيلا أو تطبيقا لصورة أو نوع تقليدي على طريقة واحدة لا تغيير ولا جديد ولا إبداع فيه، والنمط هو: الجماعة من الناس أمرهم وهم على نمط واحد أي متشابهون (/www.almaany.com).

وجاءت كلمة stereo من اليونانية وتعني الصلب أما كلمة type وهي مستخدمة منذ منتصف القرن الخامس عشر، جاءت من الكلمة اللاتينية typos وقبلها كانت الكلمة الإغريقية اليونانية typos وتعني ضربة أو انطباع، وتعني كلمة type حرفاً، صورة، نموذج، نوعاً، سمة، علامة، مميزة، وتكون Stereotype بهذا المعنى هي: صورة ثابتة وأنموذج ثابتاً أو سمة ثابتة... وحسب تعريف "غوردن" هي اعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة وظيفته تبرير السلوك إزاء تلك الفئة... وتتأثر الصورة النمطية بالمعلومات سواء كانت صادقة أو كاذبة التي يكتسبها الفرد من خلال خبراته وتجاربه المباشرة وغير المباشرة (سلافة الزعبي، 2006، 11).

ويقول الدكتور "جاك شاهين" أن الصورة النمطية في أصلها اللغوي هي صورة ثابتة مترسخة في العقل الانساني ترفض التغيير وتجاوز هذه الصورة وإقصاءها من مساحة الوجدان يعد من أعقد وأصعب الإجراءات (المرجع نفسه، 20).

وتبين "الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية"، و"قاموس أكسفورد العالمي" مصطلح (stereotype) بأنها الطريقة أو العملية التي يتم عن طريقها الطبع، ويستخدم منها سطح طابع لإنتاج آلاف النسخ المتطابقة من الرسالة دون الحاجة إلى تغيير هذا السطح، ومن ثم أصبح معنى stereotype هو الشيء الذي يتكرر بشكل ميكانيكي (حميدة مهدي سميسم، 2009، 21).

وعرفها الدكتور "محمد جمال الفار" بأنها استخدام الأنماط الفكرية السائدة، أو الصور الذهنية السائدة عن فرد أو جماعة أو شعب، وإصاق مبادئ ونظم وأفكار بشكل يسهل قبولها لدى عامة الناس... والهدف الرئيسي من تسليط الأضواء على هذه الصورة النمطية الجامدة السلبية هو إثارة الضغائن والأحقاد والكراهية ضد صاحبها (علي خليل شقرة، 2015، 11).

وعرف "جودي دويزمسكي" الصورة النمطية على أنها "شيء ينطبق على نمط ثابت أو عام، وخصوصاً صورة عقلية قياسية يحتفظ بها جميع أفراد المجموعة، وتمثل رأياً مبسطاً أو موقفاً وجدانياً قابلاً للنقد، و"تايلور" و"ويليس" يريان أن الصورة النمطية تشير دائماً إلى السمات المتميزة في الجماعات لكن هذه السمات تعكس علاقات السيطرة والتبعية و الصراعات الاجتماعية وتركيب القوة، فالجماعات التي تم تصويرها بصورة نمطية لم تقم هي نفسها بتحديد هذه السمات التي تتضمنها الصورة، ولكن من قام بتحديد هذه السمات هم الذين يمتلكون درجات أكبر من السيطرة أو القوة الاجتماعية، علاوة على ذلك فإن تكرار الصورة

النمطية، والتي تشكل نوع المعرفة عن جماعة معينة يتم تحويلها إلى أيديولوجيا أو إلى إحساس عام (حميدة مهدي سميسم، 2009، 21).

وطبقا لما جاء في قاموس "هاربر للأفكار الحديثة" فإن المصطلح يعرف على أنه "صورة مبسطة جدا لبعض الفئات من الأشخاص أو المؤسسات، أو الأحداث التي تشترك في الخصائص الأساسية من قبل مجموعة كبيرة من الناس، وإن هذه الصورة غالبا ما تكون مصحوبة بالتحيز والإجفاف، كما أن هذا المصطلح هو تعميم لخصائص مجموعات اجتماعية، تعزى لصفات أفراد مجموعة معينة دون الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات بين أعضاء تلك الجماعة، وإن هذا التغافل عن تلك الاختلافات يجعل تلك التعميمات مشوهة ومرببة (سلافة الزعبي، 2006، 17).

ويعد "ليمان Lippman" أول من قدم مصطلح الصورة النمطية Stereotype، حيث عرفها بأنها "صورة في رؤوسنا يكونها أفراد جماعة معينة تجاه الجماعات الأخرى، وفي تعريف آخر له الصورة النمطية تعني: "الصورة الذهنية المشتركة التي يحملها مجموعة من الأفراد، والتي تتكون غالبا من رأي مبسط أو ناقص أو مشوه، وقد تتمثل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضية أو حدث ما" (إرادة زيدان الجبوري، 2010، 162).

والدراسات التي تناولت مفهوم الصورة النمطية تعاملت على أنها صورة سلبية تتشكل من التعميمات، وتقوم على مجموعة من السمات التي تثير مشاعر الخوف والكرهية والنفور والاشمئزاز والاحقار ويكون ذلك بتصوير العنف والبطش والقسوة وسفك الدماء والإرهاب والهزائم والجريمة والفقر. وتتصف الصورة النمطية قبل تكوينها بثلاثة عناصر مميزة:

- مجموعة الصفات المعرفية التي يستطيع الإنسان أن يدرك بها ذلك الشيء بطريقة عقلية.

- العنصر الوجداني، ويرتبط بمدى الميل أو الكره لموضوع معين، فمدى الميل أو الكره يحدد الرفض أو القبول لسمات المدرك.

- العنصر السلوكي أو الإجرائي، ويتمثل في مجموعة الاستجابات للموضوع الذي يراه الشخص مناسباً في ضوء السمات المدركية (حميدة مهدي سميسم، 2009، 21).

وهناك من يرى كل من الصورة الذهنية والصورة النمطية، يشتركان في دلالتهما، ولكن المصطلح الأول يعني مطلق الصورة عن الأشياء، فهو أعم وأشمل من المصطلح الثاني، وعلى هذا فمصطلح الصورة النمطية ليس هو الصورة الذهنية ولكنه أحد أنواعها، أو صفة لإحدى حالاتها ومع ذلك فهو أكثر قوة وارتباطاً بمصطلح الصورة الذهنية والخلط بينهما وارد بنسبة كبيرة (شعيب الغباشي، 2010، 128).

وبالرغم من التشابه الكبير الذي يراه "روبنسون وبارلو" بين الصورة الذهنية و الصورة النمطية لارتباطهما بالتحيز الذي يعني الحكم المسبق أو التسرع في الحكم قبل توفر الأدلة إلا أن ثمة فرقا جوهريا بينهما (سلافة الزعبي، 2006، 27-29):

- الصورة الذهنية تمثيل عقلي مجرد لموضوع أو فئة معينة من الموضوعات تقوم على الإدراك السابق دون أن يكون لها انعكاسات كبيرة ذلك أنه من الممكن أن يستبعد الانسان أو ينسى جوانب أخرى كما أنه قد يعيد تفسير بعض الجوانب عند تنظيم الصورة الذهنية، بينما تشكل الصورة النمطية المعتقدات التي تراكت وأصبحت مقبولة مقدما بحكم العادات والتوقعات المألوفة، ودون أن تكون نتاجا لتقديرات جديدة متطورة للظواهر.

ويوضح "عبد القادر طاش" الفرق بين الصورة الذهنية والصورة النمطية إذ يرى أن:

- الصورة الذهنية أعم وأشمل من الصورة النمطية، كما أنها لا تعني الثبات والجمود بحيث يمكن أن تتغير أو تتبدل. أما الصورة النمطية فهي أكثر خصوصية في دلالاتها على ثبات الصورة، وتنسم بالجمود والتبسيط المفرط، ولذلك فهو يرى أن الصورة النمطية مرحلة لاحقة من مراحل تكون الصورة الذهنية لدى الإنسان اتجاه الأشخاص والأقوام والأشياء.

- الصورة الذهنية تبنى على الحقائق الموضوعية والمعلومات الصادقة بينما الصورة النمطية تبنى على حقائق مبالغ فيها ومعلومات مشوهة.

- إن الصورة الذهنية ليست بالضرورة مشحونة عاطفيا بخلاف الصورة النمطية التي تكون محملة محملة بالمشاعر الذاتية و مشحونة بالعواطف الشخصية.

- كلما زادت المعلومات في الصورة الذهنية فإن الصورة تزداد وضوحاً بينما المعلومات في الصورة النمطية في اتجاه الموضوع الواحد نفسه تؤدي إلى التعصب وفي مراحل أعلى تؤدي إلى التمييز العنصري.

- إن صانعي الصورة الذهنية للأشياء والأشخاص والدول والجماعات في أذهان الأفراد يسعون إلى تقديم المعلومات و الحقائق والمعارف من أجل توسيع مدارك الناس و معرفتهم بالحياة بعكس الصورة النمطية التي غالباً ما تقف خلفها جهات جماعات أو مؤسسات ذات مصالح اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية.

- إن الصورة الذهنية هي صورة مفتوحة أي أنها تستقبل كل الصور ثم تقوم بترتيب هذه الصور من جديد وقد تتغير هذه الصور أو تتوسع تدريجياً وتنمو وتتطور أو تتوضح زوايا في موضوع ما كانت باهتة فهي صورة قابلة للتغير باستمرار عكس الصورة النمطية التي تتسم بالثبات النسبي و الجمود وترفض استقبال رسائل معاكسة لها عدا تلك التي تنسجم وتتناسق مع اتجاهاتها(حميدة مهدي سميّسم،2009،23).

- التعريف الإجرائي:

يقصد بالصورة في الدراسة مجموع المعلومات والأفكار والمعاني والآراء والاتجاهات التي حوتها مضامين لوموند ولوفيغارو عن الإسلام؛ وما نتج عن تسويق هذه المضامين من سلوكيات اتجاه الإسلام والمسلمين سلبياً أو ايجابياً، وذلك استناداً على التصورات التي تشكلت عنهم في الماضي والحاضر ومن مختلف المصادر وبفعل العديد من العوامل.

2-1- الإجراءات المنهجية للدراسة**1-2-1- مجتمع وعينة الدراسة**

يتمثل المجتمع الكلي في بحوث التحليل في مجموع المصادر التي نشر أو أذيع فيها المحتوى المراد دراسته خلال الإطار الزمني للحدث، وتتكون من مادة الاتصال التي تشتمل عليها الصحف أو المجلات أو الكتب أو الوثائق أو خطب السياسة والزعماء أو البرامج المذاعة والمتلفزة (روجر وويمر، 2013، 391).

وتمثل مجتمع البحث في الدراسة الصحافة الفرنسية.

وجاء تحديد عينة الدراسة وفق المراحل التالية:

- تحديد العينة الزمنية:

نظرا لارتباط مشكلة الدراسة بصورة الإسلام في الصحافة الفرنسية بعد أحداث شارلي إيبدو، تحددت العينة الزمنية ابتداء من اليوم الموالي للأحداث وطيلة شهرين بعدها وذلك من 08 جانفي إلى غاية 08 مارس 2015. ويعود اختيارنا لهذه الفترة الزمنية للاعتبارات التالية:

- وقوع هذه الأحداث في وقت لازلت موجة العداة تتصاعد اتجاه الإسلام والمسلمين في العالم، وفي أوروبا وفرنسا بشكل خاص.

- الوقع الذي تركته هذه الأحداث وتداعياتها داخليا وخارجيا، كما أن الهجوم على صحيفة شارلي إيبدو، تزامن وقيام من وصف بالجهادي الإسلامي "أميدي كوليبالي" بالهجوم على متجر لليهود قتل خلاله أربعة يهود وجرح العشرات، وقتلت شرطية في حادثة إطلاق النار في مونروج، ما دفع عديد التقارير الإعلامية للقول إنها أكبر حصيلة قتلى تتلقاها فرنسا منذ عقود، كما اعتبرت الأحداث بأنها أعنف هجوم تتعرض له فرنسا منذ مجزرة باريس عام 1961 أثناء ثورة التحرير الجزائرية، وأسوأ هجوم في وقت السلم، وبلغ تأثير هذا الهجوم مداه لدرجة وصف فيها الرئيس الفرنسي "فرنسوا هولاند" سنة 2015 بعام الحزن لفرنسا.

- تحديد عينة المصدر:

اعتمدت الدراسة أسلوب العينة القصدية في اختيار صحيفتي لوموند ولوفياغرو، وقمنا بمسح شامل لكل الأعداد الصادرة من الصحيفتين خلال العينة الزمنية للدراسة، ووقع اختيارنا القصدية لهاتين الصحيفتين لعدة اعتبارات نذكر من بينها:

- تعد الصحفتان من كبريات اليوميات التي تتموقع في أعلى هرم منظومة الإعلام الغربي وتتصدر أعلى أرقام التوزيع والمقروئية في الساحة الإعلامية الفرنسية والعالمية.

- تعد لوموند ولوفيغارو من الصحف النخبوية العريقة، ذات التأثير الإقليمي والدولي لدى السياسيين وصناع القرار، ولدى النخب وعامة الجمهور، وتصنف ضمن صحف الذوق العالي في المجتمع الفرنسي، كما يعرف عنها أنها مرآة عاكسة للسياسة الفرنسية العامة الداخلية منها والخارجية بما في ذلك كل ما يتعلق بسياساتها حيال الإسلام والعالم الإسلامي.

- تمثل لوموند ولوفيغارو لأهم تيارين سياسيين وأهم خطين تحريرين في الساحة الإعلامية الفرنسية وهما اليمين واليسار.

وقد أمكن الحصول على 45 عددا لكل صحيفة، وبلغ العدد الإجمالي للأعداد التي تم تحليل موادها 90 عددا، وهو عدد يعتبر كافيا لتحقيق أهداف الدراسة. حيث أشار "Stempel" إلى أن تحليل (6) أو (12) عددا، أو (24) أو (48) عددا، يؤدي إلى الحصول على نتائج مشابهة كما لو أن التحليل شمل أعداد سنة كاملة، وحسب "برلسون" في أغلب دراسات تحليل المضمون، تستطيع عينة صغيرة مختارة بعناية أن تحقق ذات النتائج التي يصل إليها الباحثون بتحليل مواد أكثر ولكن بجهد وزمن أقل (ريتشارد بن لويس دانهيو وروبرت تورب ، 1992).

- تعريف بصحيفة Le Figaro

هي صحيفة يومية فرنسية ليبيرالية محافظة من أقدم صحف العالم، وتعتبر إلى جانب صحيفة «لوموند» إحدى أهم صحف الرأي الفرنسية، وأصل التسمية هي أن «لوفيغارو هو إسم إحدى الشخصيات الساخرة للكاتب بومارشيه (المصطفى مرادا، 2011).

صدرت لوفيغارو في باريس سنة 1825، وأسسها "لي بوات فان سانت ألم" lepoitevin saint alme، اختفت سنة 1833، وبعد ذلك بثلاث سنوات بعثها "الفونس كار"، بعد أن فنمت وازدهرت اشتراها "دوتاك" سنة 1839 ثم باعها إلى "ليون بي"، الذي جعلها صحيفة مسائية سنة 1848، ولم تكن لوفيغارو في ذلك العصر أكثر من مجرد صحيفة صغيرة مثلها مثل، "le le corsaire" pandore le miroir " وغيرها من الصحف (ابراهيم عبده، 1956، 13).

وقد دخلت لوفيغارو معترك الحياة السياسية عندما اغتالت زوجة أحد رؤساء الوزراء رئيس تحرير الصحيفة 'كالمت' عام 1914م، بعدما نشر رسالة تتهم زوجها بالفساد، واستمر

تقدم الصحيفة بين الصحف المنافسة إلى أن وصلت إلى الصحيفة الأولى في فرنسا مع بداية الحرب العالمية الثانية وأصبحت صوت الطبقة الوسطى في المجتمع الفرنسي وخاصة الشرائح العليا من هذه الطبقة وأصبحت صوتا محافظا في الحياة السياسية.

وكانت الجريدة تصدر في حجم صغير بأربع صفحات، وكانت تستهدف انتقاد بقايا الملكيين تحت إشراف "إيبوليت دي فيلمسان"، وهو مثقف بورجوازي لا يخفي طموحاته في صناعة جريدة تتخربط في النقاشات التي ظهرت عقب ثورة الأنوار، ليحولها إلى منبر للطبقة البورجوازية حيث عاشت أزهى أيامها في المرحلة التي يسميها الفرنسيون La Belle Époque، ممتدة من أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى، حين عاشت فرنسا طفرة هائلة على جميع المستويات، وتكرس التوجه الليبرالي للصحيفة مع "بيير بريسون" سنة 1946، الذي قاد حروبا فكرية وثقافية ضد الشيوعية والنازية، وكان من أشد المدافعين عن فكرة الاتحاد الأوروبي وحلف الشمال الأطلسي، الذي سيعرف فيما بعد بالناطو واستطاع أن يستقطب كبار المفكرين والكتاب في تلك المرحلة ليكتبوا في صحيفة «لوفيغارو» مثل "رايمون أرون"، و"أندريه جيد" و"فرنسوا مورياك"، لتصبح الصحيفة صحيفة النخبة المتتورة والمتحررة ونوعت «لوفيغارو» من موادها واشتهرت بتحقيقاتها التي ينجزها صحافيوها في الميدان، سواء في فرنسا أو في الخارج (المصطفى مرادا، 2011).

وتملك لوفيغارو صحف أخرى منها le figaro littéraire، وهي أسبوعية، تصدر عصر كل يوم جمعة في عشر صفحات في حجم لوفيغارو اليومية زاخرة بالموضوعات الأدبية والاجتماعية والتاريخية، وفيها من الدراسات العميقة ما يضعها في مصاف المجلات الممتازة، وهي لها ثقة في تلك البحوث عند قرائها وعند أهل الاختصاص الذين تنقل لهم أو تنقل عنهم وتؤثرها البيوت العلمية الرفيعة بأحدث اكتشافاتها العلمية أو الأدبية أو الأثرية. وصدرت منذ سنة 1942 أسبوعية، ورئيس تحرير لوفيغارو السياسية والأدبية واحد مع استقلال كل منهما في المسائل المالية وتطبع مائة ألف نسخة في الأسبوع، ويقوم على خدمة الصحفيين حوالي 490 عاملا وموظفا ومحررا وعدد المحررين 130 محررا (ابراهيم عبده، 1956، 22).

وعانت الصحيفة من مشكلات عديدة أهمها عام 1969 استمرت حتى العام 1975 مما اضطر "جان بروفنست" إلى بيعها إلى المجموعة الاحتكارية "روبرت هيرسن" وفي العام

1981 بعد الانتخابات الرئاسية وفوز الحزب الاشتراكي، دخلت الصحيفة ضمن صفوف المعارضة، حيث مارست النقد لرجال السياسة والحكومة وجميع المؤسسات، حسب الاحصائيات الأخيرة فإنها تطبع بمعدل 414792 وتقرأ من الرجال بمعدل 52 والنساء 47 وتشكل الاعلانات 70 بالمائة من عائداتها، وقد اشتراها "ميردوخ" بعد وضعها الاقتصادي المتردي ليحولها الى صحيفة إثارة (ياس خضير البياتي، 2008، 159).

وبعد شرائها من "هيرسن" أصبحت الجريدة من أشد المدافعين عن قيم الليبرالية المحافظة، وفي سنة 1984، حاولت الأغلبية اليسارية في البرلمان الفرنسي إصدار قوانين تمنع الاحتكار في الصحافة لضرب إمبراطورية "هيرسون"، ومن ثمة تصفية الحساب مع «لوفيغارو»، لكن لم يتحقق لها ذلك عندما أصدرت المحكمة الدستورية قرارا لا دستورية قوانين كهذه، وقد تعدت اهتمامات هيرسون مجال الصحافة المكتوبة فأسس القناة التلفزيونية الفرنسية الشهيرة «la cinq»، وابتداء من 2004 اشترت «مجموعة داسو» المختصة في صناعة الأسلحة والمعدات الحربية الجريدة لتدخل مرحلة أخرى، حيث غيرت حجمها وجمدت إخراجها الفني، وأصبحت تصدر كل جمعة ملحقا من ثمان صفحات، يضم نخبة من مقالات الصحيفة الأمريكية «نيويورك تايمز»، وما يميز «لوفيغارو» اليوم هو أنها «مقربة جدا» من حزب الاتحاد من أجل حركة شعبية الفرنسي الذي أنشئ عام 2002 والذي يرأسه نيكولا ساركوزي الرئيس الفرنسي المنتخب في ماي 2007 (المصطفى مراد، 2011).

- تعريف بصحيفة Le Monde

تعتبر **Le monde** من أهم وأقدم الصحف اليومية الفرنسية والعالمية، وأكثرها مهنية واحترافية فخلافا للصحف البريطانية والأمريكية الكبرى (لواشنطن بوست، نيويورك تايمز الدايلي تلغراف)، لا تعد صحيفة لوموند صحيفة الفضائح السياسية بقدر ما تصنف ضمن الصحف الأكثر رصانة، إذ تركز على التحليل والتفسير للوقائع، وتقديم المعلومات الكافية، وشرح الخبايا للقراء (محمد البشير بن طبة، 2014، 348).

وتاريخيا تعد لوموند الوريثة الشرعية لصحيفة (le temps)، أسسها في باريس "جاك كوست" عام 1829، وعاشت اثني عشرة سنة بعد ثورة 1820، واضطرت في الأخير إلى التوقف عن الصدور 1842، وطال احتجاجها حتى أذاع نابليون الثالث عفوا عاما سنة 1859،

ولما احتل الألمان اجزاء أخرى من فرنسا سنة 1942 وقعت le temps في منطقة الاحتلال غير أن الفرنسيين الأحرار أصدروا مرسوما بأن لا تتعاون أية صحيفة مع الاحتلال الألماني، وحددت موعدا معيناً لتحتجب تلك الصحف، وجاء الفرنسيون الأحرار واحتلوا بناء جريدة le temp في باريس بأدواتها وآلاتها وأصدموها باسم (لوموند)، وقد اختلفت في الشكل عن موروثتها فجاء حجمها أصغر قليلاً، ولكن طابع الصحيفة الفرنسية القديمة ظل طابع لوموند، وأهم ما في هذا الطابع التزمته في إعلان الرأي والخبر، وحتى الموضوعات الاجتماعية والأدبية تعالج بالطريقة نفسها من حيث التحرير والإخراج (ابراهيم عبده، 1956، 25-28).

ويرجع صدور أول عدد لها بصفة رسمية إلى تاريخ 18 ديسمبر 1944، وكان الدافع الرئيس لإنشائها وحصولها على الاهتمام الكبير من قبل السلطات الفرنسية، ورجال الأعمال وكبار الكتاب والصحفيين، هو قرار الجنرال "ديغول" بأن يؤسس صحيفة تكون واجهة فرنسا للعالم بدل صحيفة "Le temps"، وتشكلت أول هيئة تحريرية لها برئاسة Funck أستاذ القانون الدولي والمسيحية "Courtin René" وضمت HubertBeuve-Mery bernato Christian، مسؤول الإعلام لدى مكتب الجنرال "ديغول" وقد رسم لها رئيس التحرير نظاماً صارماً، وهيكلية إدارية تضمن استقلالية تامة للصحيفة، وكان لهذه التركيبة النوعية الأهمية البالغة في بروز صحيفة لوموند الفرنسية من أو نشأتها، وميزها وانتشارها وتصدرها الصحافة الفرنسية بداية على مستوى العاصمة للتوسع بعد ذلك عبر القطر الفرنسي، ثم تتحول في فترة وجيزة جداً نحو العالمية، وهي تعد اليوم أحد أكثر الصحف انتشاراً في خارج موطنها إذ يتجاوز توزيعها خارج فرنسا حتى سنة 2010 (40.000) نسخة يومياً.

ومع مسيرتها الناجحة أسست سنة 1954 أول فرع لها خاص بالتحليل السياسي، عبر جريدتها الأسبوعية الشهيرة "Diplomatique Le Monde"، وبداية سنة 1960 شهدت لوموند ربيع عمرها توزيعاً وانتشاراً على مستوى العالم، إذ تضاعف حجم انتشارها وتوزيعها ثلاث مرات خلال عشرين عاماً من 137.433 نسخة في عام 1960م إلى 500.000 نسخة سنة 1970م، وهي سابقة في الصحافة العالمية وتوجت هذه النجاحات بميلاد العديد من الأقسام الجديدة والجرائد المتخصصة والملاحق والمطبوعات الخاصة بالمؤسسة (محمد البشير بن طبة، 2014، 348-349).

وما ينشر في لوموند له تأثير عشرات الصحف الأخرى فخبير (لوموند) خبر صحيح و لو أخطات في راويته والمقال في (لوموند) يجب أن يدرس في وزارة الداخلية أو الخارجية، أو في الوزارة التي عناها الموضوع حتى يفيد منه المسؤولون، وهي لهذا تحتل مكانة الصدارة في فرنسا، ويحسب لكل ما تكتبه حساب خاص عند من يعينهم الأمر، وهي في ذلك ليست مبتكرة في شيء فذلك مورثها من le temps (لوموند) لايعنيها أن تكون من حيث عدد المطبوع منها في محل الثاني أو الثالث بين يوميات باريس، فهي كما يبدو أو كما يقال تخاطب الخاصة الذين في يدهم مصائر الأمور، وفي يدهم أيضا توجيه الجماعات الأخرى، فهي صحيفة الرأي العام النابه الذي يملك وسائل التوجيه والتنفيذ (إبراهيم عبده، 1956، 28).

وتتميز لوموند عن الصحف الفرنسية، وربما عن صحف العالم الأخرى بكونها تتمتع باستقلالية حيث تعود 49 بالمائة من أسهمها للمحررين العاملين بها، وقد تراوحت سياستها على مدى تاريخها بالنسبة لعلاقتها مع الحكومة بين الدعم الكامل والنقد اللاذع، كما تتميز بكونها صحيفة المثقفين ثقافة عالية أو ما يعرف بصحافة الذوق العالي، لذلك هي عادة لا تنشر الصور وتتنهج خط الموضوعية الليبيرالية.. وتعد هذه الجريدة المتميزة من أكثر الصحف الفرنسية صيتا فهي مؤسسة متنوعة المصادر، ولها أسلوب خاص في كتابة المقالات التحليلية الجديدة والتعليقات العميقة (ياس خضير البياتي، 2006، 158).

كما تميزت الصحيفة برفضها نشر التوابل الصحفية التي تسعى إلى التشويق والإثارة دون مضمون فكري جاد، فهي مثلا تنأى عن الاهتمام بباب الرياضة وتغطية المباريات ودهاليز الصفقات الرياضي، وإن كانت ترى في الألعاب بصفة عامة نشاطا بناء يجب الاهتمام به على كل المستويات الاجتماعية والتربوية والشبابية تطبيقا لمبدأ العقل السليم في الجسم السليم، وعلى الرغم من جهامة اخراجها الصحفي فان الجدية والمصداقية والعمق والشمولية جعلتها واحدة من كبريات الصحف في العالم والصحفي الذي ينجح في الالتحاق بالعمل فيها يكتسب مكانة مرموقة في الأوساط الفرنسية (نبيل راغب، 1999، 39-40).

وتتراوح صفحات لوموند حسب أهمية وكثافة الأنباء والأخبار والمقالات وتصل أحيانا إلى 48 صفحة، وتطبع حسب إحصائيات الثمانينيات بمعدل يفوق 563.558 ألف نسخة وتقرأ من قبل الرجال بنسبة 58 والنساء 41، وهي من الصحف الفرنسية الأكثر انتشارا في الخارج،

لذلك تعد صحيفة أوروبية أكثر منها فرنسية، وتجاوز توزيعها خارج فرنسا حتى سنة 2010 (40.000) نسخة يوميا (ياس خضير البياتي، 2006، 159).

وقد كان لمسيرتها التاريخية الطويلة أثرا مهما في حدوث تغيرات كبيرة لشكل ومضمون الصحيفة وحجم توزيعها، لتتحول إلى مؤسسة إعلامية ضخمة في فرنسا لها وزنها وثقلها في الواقع السياسي والاجتماعي، والثقافي، والأكاديمي الفرنسي، والعالمي أيضا. وتعد من الصحف التي يعتمد عليها في توثيق الأحداث في فرنسا، وهي صحيفة مسائية والصحيفة الوحيدة التي توزع خارج نطاق الدول الفرانكفونية (مصطفى المراد، 2011).

وفي السنوات الأخيرة دخلت لوموند سوق الصحف المجانية، وتوصلت و"فانسان بولورو" ناشر المسائية المجانية "ديركت سوار" إلى اتفاق لإصدار يومية مجانية بالاشتراك مع سلسلة الصحف المحلية (فيل بلوس)، واتضح أن دخول لوموند بالمبادرة كان لمنع لوفيفارو من المضي قدما في مشروع كانت ألمحت له بعد طول ترقب بالاشتراك مع القناة التلفزيونية الفرنسية أم 6، وأرجعت التقارير حماس فيل بلوس للاستثمار مع لوموند على حساب لوفيفارو إلى أن الأخيرة -التي يمتلكها الملياردير سيرج داسو صاحب النصيب الأكبر من مصانع داسو للطيران الحربي- باعت مؤخرا العصب الرئيسي لما كانت تمتلكه من صحف محلية آلت إليها من مجموعة إيرز، كما عزز اتجاهها نحو لوموند امتلاكها صحيفة ميدي المحلية وهي في سبيلها لشراء صحف محلية أخرى مثل لا بروفانس ونيس ماتان عبر شركة تأسسها لهذا الغرض مع مؤسسة هاشيت (سيد حمدي، 2006).

وقد عانت الجريدة من أزمة حقيقية بسبب صعوبات مالية متزايدة وفراغ إداري بعد استقالة جماعية لمجلس إدارتها، وخاصة أنها فقدت نسبة من قرائها منذ العام 2003، واعتبرت أزمة مجموعة «لوموند» التي تضم: «لوموند» اليومية، موقع «لوموند» الإلكتروني، مجلات La Vie و«تيليراما» و«لو كوربيه إنترناسيونال» و«لوموند ديبلوماتيك» ومطبعة «لوموند» من أكبر الاهتزازات التي عرفتتها الساحة الإعلامية الفرنسية، فبعد 66 عاما من النشر تقف «لوموند» اليوم أمام خيارات حاسمة مالية وسياسية ومهنية ستمثل نقطة محورية في تاريخها، الذي وضعها في مرتبة متقدمة بين الصحف العالمية، حيث تعتمد في 52% من تمويلها على أسهم موظفيها والصحافيين العاملين لديها، وعائلة مؤسسها "هوبير بوف" ميري إضافة إلى

مجموعة «لاغاردير» المساهمة بنسبة 27,17% ومجموعة «بريسا» الإسبانية المساهمة بـ15%. ودفع العجز المالي المؤسسة إلى إدخال «شريك» جديد في التمويل، وبالتالي في القرار والتوجّهات السياسية، والجهات التي أعلنت رغبتها في المساهمة في تمويل «لوموند» هي: رجل الأعمال "بيار بيرجيه" (مساهم في «ليبراسيون»)، و"كزافييه نبال" صاحب Free إحدى شركات توزيع الإنترنت والقنوات التلفزيونية وخطوط الهاتف في فرنسا، و المصرفي "ماتيو بيغاس" وكان "كلود بيردريال" صاحب مجموعة «نوفيل أوبسيرفاتور» أوّل من أعلن نيّته المساهمة في الجزء الأكبر من التمويل أي بـ60 أو 70 في المئة، على أن يحظى بشريك مساند يستدّ 40 أو 30% الباقية، وعندما أعلنت شركة الاتصالات «أورانج» التي تملك الدولة الفرنسية الحصة الأكبر فيها عن «اهتمامها» بالمساهمة في «لوموند» رأت الصحف الفرنسية أنّ «أورانج» ليست سوى الشريك «الصغير» الذي يبحث عنه "بيردريال"، واستنتج مراقبون في الصحافة الفرنسية أنّ دخول «أورانج» على خط تمويل «لوموند» لا قيمة اقتصادية له، بل هو مجرد إبراز وجود سياسي وعامل ضغط إضافي من جانب ساركوزي على إحدى أبرز الصحف المكتوبة في أوروبا (www.al-akhbar.com/2010).

ورغم مشكلاتها الاقتصادية، لازلت مجموعة لوموند تعد من أهم المجموعات الصحفية بفضل أهمية مطبوعاتها المتخصصة والمتعمقة في مجالات السياسة، والاقتصاد، والتعليم، والنجاح التجاري لمطبعتها الحديثة، وشروعها في مد أنشطتها إلى الانتاج السمعي البصري، وحرصها على دعم مشروعاتها المشتركة مع صحف يومية خارج فرنسا في: بريطانيا وبلجيكا، وألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا (panarabmedia.net/2008).

- تحديد عينة التحليل (المواضيع):

وشملت تحليل كل المواد الإعلامية التي تناولت الإسلام في لوموند ولوفيجارو خلال العينة الزمنية للدراسة، وذلك في مختلف المواضيع (دينية، سياسية، ثقافية، تعليمية، أمنية...)، وفي كل الأنواع الصحفية (خبر، مقال، تقارير...).

جدول رقم (1) يبين توزيع مفردات العينة

Le monde		Le figaro	
التاريخ	الرقم	التاريخ	الرقم
08 جانفي 2015	01	8 جانفي 2015	01
09 جانفي 2015	02	9 جانفي 2015	02
10 جانفي 2015	03	10 و 11 جانفي 2015	03
11-12 جانفي 2015	04	12 جانفي 2015	04
13 جانفي 2015	05	13 جانفي 2015	05
14 جانفي 2015	06	14 جانفي 2015	06
15 جانفي 2015	07	15 جانفي 2015	07
16 جانفي 2015	08	16 جانفي 2015	08
17 جانفي 2015	09	17 و 18 جانفي 2015	09
18-19 جانفي 2015	10	19 جانفي 2015	10
20 جانفي 2015	11	20 جانفي 2015	11
21 جانفي 2015	12	21 جانفي 2015	12
22 جانفي 2015	13	22 جانفي 2015	13
23 جانفي 2015	14	23 جانفي 2015	14
24 جانفي 2015	15	24 و 25 جانفي 2015	15
25-26 جانفي 2015	16	26 جانفي 2015	16
27 جانفي 2015	17	27 جانفي 2015	17
28 جانفي 2015	18	28 جانفي 2015	18
29 جانفي 2015	19	29 جانفي 2015	19
30 جانفي 2015	20	30 جانفي 2015	20
31 جانفي 2015	21	31 جانفي و 1 فيفري 2015	21

01،02 فيفري 2015	22	02 فيفري 2015	22
03 فيفري 2015	23	3 فيفري 2015	23
04 فيفري 2015	24	04 فيفري 2015	24
05 فيفري 2015	25	05 فيفري 2015	25
06 فيفري 2015	26	06 فيفري 2015	26
07 فيفري 2015	27	7، 8 فيفري 2015	27
08-09 فيفري 2015	28	09 فيفري 2015	28
10 فيفري 2015	29	10 فيفري 2015	29
11 فيفري 2015	30	11 فيفري 2015	30
12 فيفري 2015	31	12 فيفري 2015	31
13 فيفري 2015	32	13 فيفري 2015	32
14 فيفري 2015	33	14 و15 فيفري 2015	33
15-16 فيفري 2015	34	16 فيفري 2015	34
17 فيفري 2015	35	17 فيفري 2015	35
18 فيفري 2015	36	18 فيفري 2015	36
19 فيفري 2015	37	19 فيفري 2015	37
20 فيفري 2015	38	20 فيفري 2015	38
21 فيفري 2015	39	21 و22 فيفري 2015	39
22، 23 فيفري 2015	40	23 فيفري 2015	40
24 فيفري 2015	41	24 فيفري 2015	41
25 فيفري 2015	42	25 فيفري 2015	42
26 فيفري 2015	43	26 فيفري 2015	43
27 فيفري 2015	44	27 فيفري 2015	44
28 فيفري 2015	45	28 فيفري، 1 مارس 2015	45

1-2-2- منهج الدراسة وأدوات جمع البيانات

- منهج الدراسة:

بما أن الهدف من الدراسة يتمحور حول وصف صورة الإسلام في مضامين لوموند ولوفيفارو وتحليل أبعادها المختلفة، من خلال التعرف على عناصرها ومكوناتها في الوقت الحاضر وخلال العينة الزمنية للدراسة، إلى جانب العودة إلى مصادر وعوامل تشكيلها عبر مراحل زمنية مختلفة حتى الوقت الحالي، فهي تنتمي لمجال الدراسات الوصفية التحليلية؛ فمفهوم البحوث الوصفية بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها و تفسيرها؛ بغرض الوصول إلى استنتاجات مفيدة، إما لتصحيح هذا الواقع أو تحديثه أو استكمالته أو تطويره، وهذه الاستنتاجات تمثل فهما للحاضر يستهدف توجيه المستقبل.

وحسب "هويتتي" فإن البحث الوصفي يستهدف دراسة الحقائق الراهنة، المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع، ويتجه البحث الوصفي إلى وصف ما هو كائن وتفسيره، ويهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة، والاتجاهات عند الأفراد والجماعات عن طريق جمع المعلومات والبيانات، والتعبير عنها كما وكيفا بما يوضح خصائصها وسماتها (السيد مصطفى عمر، 2008، 210).

وتتيح الدراسات الوصفية العديد من المناهج التي تساعد الباحث على تحقيق أهداف الدراسة، ويعرف عبد الباسط عبد المعطي المنهج بأنه خطة منتظمة تسير في مجموعة من الخطوات، بقصد تحقيق هدف البحث سواء كان نظريا أو تطبيقيا (السيد أحمد مصطفى عمر، 2008، 166). ووظفت الدراسة عدد من المناهج تمثلت في:

• منهج المسح:

يعد من أنسب المناهج ملائمة للدراسات الوصفية، وقد أثبت المنهج المسحي فاعليته في الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المعاصرة (عامر قنديلجي و إيمان السامرائي، 2009، 187-188).

كما أنه يعد جهداً علمياً منظماً يهدف للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة أو مجموعة الظواهر موضوع البحث، ويستهدف تسجيل وتحليل وتفسير الظاهرة في وضعها الراهن، بعد جمع البيانات اللازمة والكافية عنها وعن عناصرها، من خلال مجموعة من الإجراءات المنظمة التي تحدد نوع البيانات ومصدرها وطرق الحصول عليها، واعتمدت الدراسة منهج المسح الإعلامي، حيث قمنا بمسح شامل لكل المواد الصادرة في صحيفتي الدراسة، والتي تناولت موضوع الإسلام خلال العينة الزمنية الممتدة من 8 جانفي 2015 إلى غاية 8 مارس 2015.

• منهج تحليل المحتوى:

عرفه "سمير محمد حسن" بأنه أسلوب أو أداة للبحث العلمي، يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة، لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة المراد تحليلها من حيث الشكل والمحتوى، وذلك بهدف استخدام هذه البيانات إما في وصف هذه المادة العلمية التي تعكس السلوك الاتصالي العلني للقائمين بالاتصال، أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تتبع منها المادة، أو للتعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات، والجمل والرموز والصور والأساليب التعبيرية شكلاً ومضموناً التي يعبر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم (سمير محمد حسن، 1983، 63).

ويعد منهج تحليل المحتوى بشقيه الكمي والكيفي، المنهج الأنسب والأكثر نجاعة في الدراسات التي تحاول التعرف على الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام عن أقلية معينة أو جماعات بارزة، لا سيما العرقية والدينية منها، كما هو الحال في الدراسة الحالية، وبناء عليه تسعى الدراسة من خلال توظيف هذا المنهج إلى وصف مضمون لوموند ولوفيغارو عن الإسلام من حيث الشكل والمضمون الظاهر والمستتر، فعملية تحليل المضمون تحقق وصف طبيعة المضمون الصريح وكشف النوايا الخفية للمضمون معاً، وذلك على مستويين وهما:

- **المستوى الوصفي:** الذي يحقق الهدف الأول من حيث وصف المضمون الظاهر الصريح للمادة الإعلامية موضع التحليل وفقاً لفئات التحليل ووحداته النابعة من الاحتياجات البحثية.

- **المستوى التحليلي:** الذي يحقق الهدف الثاني عن طريق استخدام المعلومات التحليلية الوصفية، أي استخدام نتائج تحليل المضمون بعد ربطها بالبيانات والمعلومات والمتغيرات البحثية الأخرى في كشف النوايا الخفية للمضمون، والتنبؤ بالاستجابات المستهدفة من وراء عمليات النشر أو العرض أو الإذاعة (روجر وويمر ووجوزيف دومينيك، 2013، 282).

وكل خطوة من هذه الخطوات تتطلب قراءة وتفحصا دقيقا متتاليا للنص أو المنجز المراد تحليله، بحيث يشكل حوارا صامتا بين الباحث والرسالة، فبالقراءة الكشفية المتأنية يتضح للباحث الكثير من الارتباطات والرموز التي كانت غافلة أو غير محسوبة، وقد أشار إلى ذلك قديما فلاسفة اليونان بالقول إن فهم أي نص يفترض قراءات ثلاث: الأولى لفهم ذلك الذي قاله الكاتب، والثانية لتخيل ذلك الذي لم يقله، والثالثة لاكتشاف ذلك الذي أراد أن يقوله ولم يعلن عنه (المرجع نفسه، 285).

وكما يرى "موريس أنجرس" أن تحليل المحتوى يقوم على دراسة المحتوى الظاهري للوثيقة والمحتوى المستتر، أي ما هو كامن ومضمر... والمحتوى المستتر لا يقل أهمية عن المحتوى الظاهري للوثيقة إن لم نقل إنه يفوقه (موريس أنجرس، 2004، 218).

• المنهج المقارن:

كثيرا ما يرتبط استخدامه بالمنهج العلمي، ويستعمل المعنى الأول للمقارنة في الحياة العامة، كما في بعض الأعمال الأكاديمية على اعتبار أن المقارنة كتحليل تقييمي متأصلة في أي إجراء علمي... أما المقارنة بمعناها المنهجي الصريح، والتي تسمى أيضا التحليل المقارن، فهي تتطلب استخدام منهج، أو مناهج خاصة يلجأ إليها عادة في العلوم الاجتماعية المقارنة ويمكن القول بصفة عامة أن هذا النوع من التحليل يتمثل في الاستخدام المنهج للملاحظات المستخرجة من إثنين أو أكثر من الوحدات الكلية للبلدان والمجتمعات، والأنظمة السياسية والمنظمات والثقافات (فضيل دليو، 2015، 52).

وفي دراستنا نوظف المقارنة بين الشكل والمضمون الذي بلورت فيه كل من لوموند ولوفيغارو موضوع الإسلام بعد الأحداث وخلال العينة الزمنية للدراسة.

- أدوات جمع البيانات:

تبعاً لمنهج الدراسة، تساؤلاتها، وأهدافها، فقد اعتمدت من بين أدوات جمع البيانات كل من الملاحظة واستمارة تحليل المضمون.

• الملاحظة:

تعتبر الملاحظة من أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان، واستخدمها في جمع المعلومات عما يحيط به من مظاهر... فالناس عادة ما يحصلون على معظم ما لديهم من معلومات عن طريق الملاحظة، وهم أيضاً يكونون آرائهم واتجاهاتهم عن طريق الملاحظة... وفي مجال البحث العلمي فقد أثبت واقع الممارسة استخدام الملاحظة بفعالية في جمع البيانات والمعلومات لمختلف أنواع الدراسات وفي مجال الدراسات والبحوث الإعلامية احتلت الملاحظة مكانة هامة (السيد أحمد مصطفى عمر، 2008، 60-61).

وقد بينت القراءة الأولى لمضامين لوموند ولوفيغارو حول الإسلام بعض سمات وعناصر الصورة وأبعادها، كما أعطتنا فكرة عن طبيعة اتجاه المعالجة الصحفية لها.

• استمارة تحليل المضمون

تم توظيف استمارة تحليل المحتوى كأداة لجمع البيانات، باعتبارها من أهم أدوات جمع البيانات، وحسب "موريس أنجرس" تحليل المحتوى هو تقنية غير مباشرة تطبق على مادة مكتوبة مسموعة، أو سمعية بصرية، تصدر عن أفراد أو جماعات أو تتناولهم وتسمح بسحب كمي أو كيفي... وهي أفضل تقنية لتحليل ليس فقط المواد المنتجة حالياً، بل محتوى المواد التي أنتجت في الماضي، وهو الأداة الأكثر استعمالاً بالنسبة إلى المؤرخين والمؤرخات، وعلماء الاجتماع، وعلماء السياسة، وعلماء النفس المهتمين بدراسة الثقافات الأجنبية ووسائل الإعلام بصفة عامة (موريس أنجرس، 2004، 218).

ويصف "كير لينغر" تحليل المحتوى بأنه وسيلة للتحليل إلا أنه أكثر من ذلك، فهو وسيلة ملاحظة فبدلاً من ملاحظة سلوك البشر بشكل مباشر أو الطلب إليهم الخضوع للقياسات وإجراء الاستقصاءات عليهم يتناول الباحث المادة الاتصالية التي أنتجها هؤلاء وي طرح تساؤلاته عليها (ريتشارد بن لويس دانهيو وروبرت تورب، 1992، 10).

وبناء على ما سبق، تم توظيف استمارة تحليل المحتوى لجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالدراسة التحليلية، وقد اشتملت الاستمارة على الفئات والوحدات التالية:

- فئات التحليل:

وظفت الدراسة الفئتين الرئيسيتين في التحليل وهما فئة المضمون (ماذا قيل؟) وفئة الشكل (كيف قيل؟)، والتي تم استخراجها من مادة التحليل، إلى جانب الاستعانة بما جاء في الجانب النظري للدراسة والدراسات السابقة بما يتلاءم مع تساؤلات وأهداف الدراسة.

• فئات المضمون (ما ذا قيل)؟

- فئة طبيعة الموضوع:

تستهدف هذه الفئة التعرف على طبيعة المواضيع والقضايا ومختلف الجوانب التي يدور حولها مضمون لوموند ولوفيغارو عن الإسلام، وتحديد ما تم إبرازه والتركيز عليه من القضايا والمواضيع المثارة، وجاء تقسيم فئات الموضوع إلى فئات رئيسية وأخرى فرعية.

ونشير هنا إلى أن التصنيف كان بناء على ما جاء في مضمون الصحيفتين، حيث واجهتنا بعض الصعوبات بسبب الخلط الوارد بين العديد من المفاهيم والمصطلحات وتعدد السياقات التي وردت فيها، وأيضاً الصعوبة التي واجهتنا أثناء الترجمة (للمصطلحات والمعاني) نظراً للطابع النخبوي للغة صحيفتي الدراسة وخاصة في مواد الرأي. وتم تصنيف المواضيع إلى:

المواضيع الدينية:

- الله ورسوله

- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

-الصراعات السنية الشيعية

- أركان الإسلام وعناصرها:

✓ الصلاة

✓ الزكاة

✓ الصيام

✓ الحج

- الخلافة الإسلامية
- الخلط بين العروبة والإسلام
- الخلط بين الجهاد والإرهاب

المواضيع الثقافية والحضارية:

- الإسلام العدو
- الإسلام يكرس صراع الحضارات
- الحرب الصليبية الجديدة
- الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية

المواضيع السياسية والايديولوجية:

- الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية وعناصرها:
 - ✓ الإسلام مناقض للائكية الجمهورية
 - ✓ الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات
 - ✓ الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة
- الإسلام والإرهاب وعناصرها:
 - ✓ فرنسا تحت التهديد الإرهابي
 - ✓ نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام
 - ✓ التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا
 - ✓ الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط
- الإسلام السياسي وعناصرها:
 - ✓ التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي
 - ✓ الإسلام الوهابي
 - ✓ الخلط بين الإسلام والإسلاموية، والأصولية
- الإسلام ومعاداة السامية
- الإسلام والصراعات السياسية الداخلية

المواضيع الاقتصادية:

- النفط ودوره الاستراتيجي
- التنمية في الدول الإسلامية
- المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي

المواضيع الأمنية والقانونية:

- تعزيز المواجهة الأمنية والقانونية في مواجهة التهديد الإرهابي.
- فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي وعناصرها:

✓ المساجد وقاعات الصلاة

✓ السجون

✓ وسائل الإعلام الدعوية

✓ الفضاء الافتراضي

✓ مناطق الضواحي

- الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة
- التنظيمات الإرهابية تتلقى التمويل من دول الخليج

المواضيع الاجتماعية والديمغرافية:

- مأسسة الإسلام وعناصرها:

✓ دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام

✓ مهنة الإمامة وإدارة المساجد

✓ المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام

✓ إسلام فرنسا

- المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج

- الإسلاموفوبيا وعناصرها:

✓ الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب

✓ تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية

✓ التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا

✓ الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا

- صورة المرأة وعناصرها:
- ✓ الإسلام يظلم للمرأة
- ✓ تجنيد المسلمات للجهاد
- ✓ الحجاب والنقاب

المواضيع التربوية والتعليمية:

- الإسلام والمدرسة الفرنسية وعناصرها:
- ✓ الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية
- ✓ المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي
- ✓ التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصريون
- ✓ مناهج التعليم والمدارس في الدول الإسلامية منبع للتطرف
- تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام تسهم في التطرف

- فئة القوى الإسلامية الفاعلة: واشتملت على:

- دول إسلامية
- حكام الدول الإسلامية
- القاعدة
- تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)
- الجماعة الإسلامية بوكو حرام
- تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى
- الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأروبا
- الإخوة كواشي
- أبو بكر البغدادي (زعيم الخلافة الإسلامية)
- الأئمة في فرنسا

- فئة المصدر: وتشمل:

- مصادر داخلية: وعناصرها:
- ✓ صحفيون ومحررون

- ✓ مراسلون ومندوبون
- ✓ مبعوث خاص
- مصادر خارجية وعناصرها:
- AFP ✓
- AP REUTERS ✓
- ✓ كتاب متعاونون
- ✓ شبكة الانترنت

- فئة الاتجاه وتنقسم إلى ثلاث فئات:

- إيجابي
- سلبي
- محايد

• **فئات الشكل (كيف قيل؟):** هي التي نوظفها للتعرف على أدوات الأطر الإخبارية التي

وظفتها كل من لوموند ولوفيغارو وشملت الفئات التالية:

- فئة المساحة

- فئة النوع الصحفي: وتشمل

- أنواع إخبارية

- أنواع استقصائية

- أنواع الرأي

- فئة موقع النشر: وتشمل

- الصفحة الأولى

- الصفحات الداخلية

- الصفحة الأخيرة

- فئة وسائل إبراز المضامين: وتضمنت الفئات التالية:

- العناوين وعناصرها:

✓ مانشيت

- ✓ عنوان رئيسي
- ✓ عنوان فرعي
- الصور: وعناصرها:
- ✓ شخصية
- ✓ موضوعية
- الخرائط والأشكال التوضيحية
- فئة الأساليب الإقناعية: وشملت
- الاستمالات العقلية
- لاستمالات العاطفية

• وحدات التحليل

يقصد بوحدة التحليل، الشيء الذي نقوم حقيقة باحتسابه وهي أصغر عنصر في تحليل المضمون ولكنها أيضا من أكثرها أهمية (روجر ويمر وجوزيف دومنيك، 2013، 216).

وتبعا لأهداف الدراسة وتساؤلاتها تم اعتماد الوحدات التالية:

- وحدة اللغة:

إن المحتوى في إطار عملية التحليل هو عبارة عن مجموعة من الوحدات اللغوية يختارها المصدر أو الكاتب أو المرسل بعناية بالغة للتعبير عن الأفكار والمعاني التي يستهدف توصيلها إلى الجمهور لتحقيق أهداف معينة (محمد عبد الحميد، 2010، 134).

وتعد وحدة اللغة بشكل عام أهم وحدة في تحليل مضمون التغطية الصحفية، وعليه فقد ركزت الدراسة على عناصر التركيب والبناء اللغوي للمادة التحليلية بغية التعرف على الأفكار والمعاني الواردة في المضمون باعتماد الوحدات التالية:

- وحدة الفكرة:

تعد من أهم وحدات تحليل المضمون، وإحدى الدعائم الأساسية في تحليل المواد الدعائية والاتجاهات والقيم والمعتقدات، وهي من أكثر الوحدات شيوعا واستخداما في بحوث الإعلام، ويفيد تناول الفكرة كوحدة تحليل في تحديد الاتجاهات والأحكام التي تقع على محتوى

الإعلام، وهي الوحدة التي تحكم تناول الكاتب للوحدات الأخرى (الكلمة، الجملة، الفقرة)، حيث يتم اختيارها وبنائها بدقة وموضوعية لتخدم المعنى الذي يهدف الكاتب إلى توصيله إلى القارئ، فيتحدد في ضوء تكرار هذه الأفكار والمعاني اتجاه الكاتب أو المضمون أو الوسيلة (محمد عبد الحميد، 2010، 139).

وتم توظيف وحدة الفكرة في تصنيف المواضيع وفي التعرف على دلالات اتجاه مضمون صحيفتي الدراسة نحو الإسلام، هذا إلى جانب توظيف وحدة الكلمة، حيث ساعدنا توظيف هذه الوحدة في تصنيف المواضيع انطلاقاً من المصطلحات والكلمات والألفاظ التي تكرر استخدامها في مضامين الصحيفتين وعبرت عن معاني أو أفكار واتجاهات كان لها دلالات في مجالات متعددة (سياسية، دينية، اجتماعية، تربوية..).

- وحدة السياق:

إلى جانب وحدات التسجيل اعتمدت الدراسة وحدة السياق، حيث تم الأخذ بعين الاعتبار السياقات التي وردت فيها وحدات التسجيل، لأن تنوع السياق الذي وردت فيه أعطى معاني ودلالات متنوعة وأتاح تفسيرات وقرارات متعددة.

- وحدة المادة الإعلامية (وحدة مفردات النشر أو الإذاعة):

وهي الوحدة التي يستخدمها المصدر في نقل المعاني والأفكار وتضم الموضوع أو المادة موضع التحليل (محمد عبد الحميد، 2010، 147).

وتمثلت في الدراسة في كافة الأنواع الصحفية (الإخبارية، الاستقصائية أنواع الرأي)، التي وظفتها لوموند ولوفيغارو، لنقل المعاني والأفكار حول موضوع الإسلام، وذلك من أجل تحليل كل ما تعلق بصورة الإسلام في الصحيفتين من حيث الشكل.

وقد تم التوصل إلى الصورة النهائية لاستمارة التحليل بعد الخطوات التالية:

- تصميم الاستمارة والتأكد من أنها تضمنت الفئات والوحدات التي ستساعدنا في تصنيف وقياس مضامين لوموند ولوفيغارو عن الإسلام، بما يتناسب مع مشكلة الدراسة تساؤلاتها، وأهدافها.

- القيام بتطبيق الاستمارة على مجموعة من الأعداد في عملية تحليل مبدئي للوقوف على مدى صلاحيتها.

- القيام بإجراءات الصدق، حيث تم عرض استمارة التحليل على الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور فضيل دليو، ثم عرضها للتحكيم من أجل التأكد من الصدق الظاهري من قبل أساتذة متخصصين في الإعلام والاتصال والتالية أسمائهم:

- د. زينب خلافة أستاذة محاضرة جامعة أم البواقي

- أ. سمية ثيو أستاذة مساعدة جامعة أم البواقي.

- د. شهيناز العيدلي أستاذة محاضرة جامعة بجاية.

- القيام بإجراءات الثبات، الذي يعني من الناحية النظرية ضرورة الوصول إلى اتفاق كامل في النتائج بين الباحثين الذين يستخدمون نفس الأسس، والأساليب على نفس المادة العلمية، وإن يصعب تحقيق هذا الاتفاق الكامل من الناحية العملية لاحتمالات تسرب الخطأ إلى أي مرحلة من المراحل، أو تدخل قدر من الذاتية فيها (محمد عبد الحميد، 2010، 267).

وفي حال تعذر هذا الخيار يقوم الباحث بنفسه بالقيام بهذا الإجراء، وهو الإجراء الذي قمنا بإتباعه، حيث قمنا بتحليل مجموعة من الأعداد خلال فترة زمنية سابقة، ثم أعدنا تحليل الأعداد نفسها بعد مدة زمنية، دون العودة إلى ما توصلنا إليه في التحليل الأول، وبتطبيق معادلة "هولستي" كانت النتائج كالتالي:

$$\text{معامل الثبات} = 2\text{ن} / 1\text{ن} + 2\text{ن}$$

- ن = عدد حالات اتفاق الباحث والمحكم الخارجي. أو الباحث نفسه في مرتي التحليل

- 1ن = عدد الحالات التي رمزها الباحث.

- 2ن = عدد الحالات التي قام بترميزها المحكم الخارجي. أو الباحث نفسه (السيد مصطفى

عمر، 2008، 240).

$$\text{ن} = 2 \times 100 / 117 + 117 = 0.85 = 85\%.$$

وعليه أمكن القول أن الاستمارة توفرت على عامل الثبات لأن النتيجة جاءت بين 75%

و90% بالمائة، وهي النسبة التي حددها الباحثون كمجال لتحقيق الثبات.

الفصل الثاني: مراحل، مصادر، وعوامل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية

- تمهيد

1-2-1- مراحل ومصادر تشكيل صورة الإسلام

1-1-2 المرحلة القرن أوسطية (الكتابات البيزنطية واللاهوتية، الثقافة الشعبية)

2-1-2 مرحلة عصر التنوير (فلسفة الأنوار، الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية)

3-1-2 المرحلة الراهنة (الاستشراق الجديد، المناهج الدراسية، وسائل الإعلام)

2-2 عوامل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام

1-2-2 العامل التاريخي

2-2-2 العامل الديني

3-2-2 العامل الجيو سياسي

4-2-2 العامل الثقافي والحضاري

5-2-2 العامل الاجتماعي والديمغرافي

6-2-2 العامل الإعلامي (دور الإعلام الصهيوني)

- الخلاصة

تهديد:

تسعى الدراسة من خلال هذا الفصل إلى التعرف على صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية؛ وذلك من خلال العودة إلى أهم المصادر والعوامل التي أسهمت في تشكيلها عبر مختلف المراحل للوقوف على ما إذا كانت الصورة وليدة الأحداث الراهنة، أم هي مجرد امتداد وإعادة إنتاج لما تم تكوينه من صور نمطية عن الإسلام في مراحل زمنية سابقة، وعلى الرغم من صعوبة التطرق لكل ما قيل وكتب عن الإسلام في هذه المرحلة وغيرها، إلا أنه من الأهمية بما كان العودة إليها نظرا لأهميتها في تشكيل صورة الإسلام.

2-1- مراحل ومصادر تشكيل صورة الإسلام

2-1-1- المرحلة القرن أوسطية(الكتابات البيزنطية واللاهوتية، الثقافة الشعبية)

إن الحديث عن مصادر تشكيل صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية، يرتبط أساساً بالحديث عن بدايات تشكيل صورة الإسلام في الفكر الغربي الأوربي منذ العصور الوسطى. وكما يرى "سودرن" فإن هذه الصورة لم تتشكل في مخيال المجتمعات المسيحية دفعة واحدة، بل عبر مراحل تاريخية وكل مرحلة تضيف معلماً إلى الشكل الأولي لها حتى صارت كما هي عليه(محمد سعدون المطيري،2016،144).

وإذا أمكن القول أن صورة الإسلام تشكلت أساساً في إطار العلاقة بين الإسلام والغرب التي تراوحت دوماً بين حالات السلم والحرب، فهناك من المفكرين المعاصرين من يرجع العلاقة بين الإسلام والغرب إلى تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب والتي كانت سائدة قبل الإسلام بقرون طويلة(عبد الرزاق وورقية،2007،18).

وقبل ظهور الإسلام كانت الصدامات بين الفرس واليونان، ولما نجح "الإسكندر الأكبر 252- 323 ق م" في توحيد اليونان، قام بحملته الشهيرة إلى الشرق بعد أن قضى على الدولة الفارسية ووصل حتى حدود الهند، ولما ورث الرومان اليونان انتقل الصراع بين الشرق والغرب ليصبح صراعاً فارسياً - رومانياً؛ ممثلاً في دولة الفرس الأكاسرة في الشرق والدولة الرومانية الشرقية "البيزنطية" في الغرب، واعتبر الغرب الأوربي حينها الإمبراطورية البيزنطية" المدافعة عن أوروبا بأسرها، والحامية لشعوبها، والتي تتولى رفع لواء عقيدتها المسيحية.

وبظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة العربية وخروجه منها عن طريق الفتوحات، والتي نجم عنها سقوط الدولة الفارسية ودخول شعبيها في الإسلام، واحتلال بلاد الشام ومصر، وجميعها أقطار كانت خاضعة لسيطرة الإمبراطورية البيزنطية، اتخذ الصراع بين الشرق والغرب منحى جديداً وشكلاً مختلفاً(محمد علي عمر الفراء،2002،16-17).

وهنا تجدر الإشارة أنه عند تحول العرب من الوثنية إلى الإسلام في القرن السابع الميلادي لم تكن أوروبا في بادئ الأمر تلاحظ ذلك التحول، ويبدو أنه لم تطرح إلا أسئلة قليلة

عن هذا الدين الجديد وأتباعه الذين اعتبرتهم المسيحية غير مختلفين عن بقية الشعوب البربرية الأخرى، وأن دينهم لا يتجاوز كونه تعبيراً عن "هرطقة" مسيحية جديدة، ولذلك فليس ثمة حاجة تدعو إلى المزيد من المعلومات عنهم في هذا الوقت المبكر (بدر الدين هوشاتي، 2017، 6).

ولقد بدأت النظرة تتغير منذ هزيمة البيزنطيين في بلاد الشام إثر موقعة اليرموك سنة 634م (13هـ)، وسقوط بيت المقدس 637م (16هـ) ثم مصر، فلم يعد للدولة البيزنطية وجود في المشرق العربي الإسلامي وتراجعت إمبراطورتها، ووقف العرب المسلمون أمام أبواب القسطنطينية التي كادت تسقط لولا دفاع الإمبراطور البيزنطي "ليوالا يسوري" عنها سنتي 717، 718م (99، 100هـ)، وبمتابعة الفتح العربي الإسلامي في بلاد شمال إفريقيا، وصقلية وجنوب إيطاليا، ثم نقل المواجهة العسكرية إلى داخل الأراضي الأوروبية بعد عبور مضيق جبل طارق نحو إسبانيا (الأندلس) ونحو جنوب فرنسا، توقف الفتح العربي الإسلامي نهائياً في غرب أوروبا بعد هزيمة والي الأندلس عبد الرحمن الغافقي على يد زعيم الفرنجة شارل مارتل في موقعة تور أو بوايه سنة 732 م (114هـ). أما في غرب أوروبا، فقد اصطدم العرب المسلمون بقوة مسيحية منظمة، وحتى لو تم لهم النصر في بواتيه لظلّ بينهم وبين فتح فرنسا وتحويلها إلى الإسلام عقبات كثيرة، نظراً لما كان بها من قوة الكنيسة والملكية الفرنجية، عكس حال شرق أوروبا حيث كانت مراكز المقاومة الروحية والسياسية شبه معدومة بين الروس والمجريين أو بين البلغاريين وصقالبة شبه جزيرة البلقان (محمد قطيش، 2013).

واعتبرت المقاومة التي واجهت بها القسطنطينية التمدد الإسلامي ومعركة بواتيه من الوجهة الغربية بمثابة حدثين تاريخيين حاسمين أنقذا أوروبا من الإسلام (محمد نور الدين أفاية، 2009، 107). وعلى الرغم من إيقاف الفتح الإسلامي، فقد كان لعبور المسلمين جبال البرانس ودخولهم الأراضي الفرنسية الأثر الكبير على أوروبا المسيحية، فأدرك الأوروبيون أنه لا بد من توحيد جهودهم وتنظيم صفوفهم لمواجهة ما أسموه بالخطر الإسلامي الزاحف نحوهم.

ودفع استشعار الخطر القادم من الشرق مؤرخي الغرب الأوروبي إلى الترويج لفكرة تقوم على اعتبار ظهور الإسلام غضبا إلهياً مستظاً على عالم مسيحي لم يعد متمسكاً بدينه، و نهض المؤرخون البيزنطيون بالخصوص بمهمة التسويق لهذه الفكرة (بدر الدين هوشاتي، 2017، 5). وكان ذلك عبر اللجوء إلى تشكيل وترويج صورة مشوهة وشيطانية عن الإسلام

والمسلمين، وجيشت أوروبا ما لديها من أدوات ومصادر في مواجهتها ضد الإسلام في هذه المرحلة، وتمثلت خاصة في:

• الكتابات البيزنطية، واللاهوتية:

يشير "أليكسي جورافسكي" إلى أن تعرف أوروبا على الكتابات الدينية والجدلية المناهضة للإسلام قد مر عبر النموذج البيزنطي بالدرجة الأولى، أي أنه مهما كان دور المسيحيين الشرقيين في التمهيد لعناصر الصورة المسيحية عن الإسلام فإن الوساطة البيزنطية أعطت الكثير من هذه العناصر بعدا ينشط المخيلة ويحرك الوهم أكثر مما يستدعي النظر العقلي الهادئ (بدرالدين هوشاتي، 2017، 9).

وتثبت المصادر التاريخية أنّ بدايات الحديث عن الإسلام كان مرتبطاً فقط بشخص النبي محمد. ففي الحوليات التاريخية البيزنطية التي تعود إلى القرن السابع ميلادي تم ذكر النبي محمد للمرة الأولى في نصوص المؤرخ "توماس الراهب"، شارحاً عن العرب، ومن هو النبي محمد؛ على أنهم شعوب قادمة من الجنوب وتجتاح الشرق البيزنطي. وذكر "يوحنا بن الغنكي" في حولياته التاريخية (أنّ محمد ملك العرب، جلب لهم شريعة على مذاقهم، وأجبرهم مقابل ذلك على عبادة إله واحد، ووعدهم بالنصر على الممالك لذلك يسمونه بالنبي وشريعته بالرسالة، إلا أنه النبي الكذاب بالنسبة للعقيدة اليهودية والمسيحية) (عبد الله الدماغ، 2015).

إلى جانب التهجم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والعمل على تشويه صورته، اتجهت الكتابات البيزنطية للتهجم على القرآن الكريم، وكان "يوحنا الدمشقي" المتوفى 749م، أول من تولى هذه المهمة بشراسة في كتابه المعنون "نبع المعرفة"، ضمنه فصلاً عن القرآن والإسلام والمسلمين تحت باب الهرطقة، وتبعه "نيسفور" (758، 829)، بطريارك القسطنطينية في نفس خط الدم الجارح والتسفيه وتواصلت المسيرة التي لم تتوقف حتى يومنا هذا (زينب عبد العزيز، 2010، 2).

وشكك يوحنا بكون الإسلام دين إبراهيم عليه السلام من خلال وصفه المسلمين بـ "السراقنة"، وهو أول كاتب بيزنطي استخدم هذا التشويه كما وصفهم بـ "المفسدين" وصور النبي محمداً على أنه واحد من "أتباع بدعة أريان" وبأنه استقى من الآريانية العقيدة التي تفيد بأن "الكلمة" و"الروح" لا يعدوان كونهما مخلوقين لله، وأنه اقتبس من النسطورية ما يتعلق

بعدم تأليه الابن المتجسد، كما اعتبر يوحنا القرآن نتاجاً "لأحلام اليقظة" والنبي محمداً "شخصاً مضللاً" وينتقد بقوة ما يعتبره "معاملة لا تليق بالنساء من قبل المسلمين" ثم ينتهي معدداً أهم الممارسات والمحظورات في الإسلام في: (الختان، عدم اتخاذ يوم السبت للراحة والعبادة، إلغاء المعمودية، إحداث تغيير في محرّمات الطعام ومنع شرب الخمر)، وهذا الرجل في نظر بعض الباحثين قد ناقش الإسلام "باعتباره بدعة"، بل إن "التصورات المتكونة عن الإسلام كبدعة مسيحية مرتدة ومنشقة، وعن محمد كذبيّ مزيف انتقلت من سوريا إلى البيزنطيين ومنهم إلى الأوروبيين عبر شخصه (بدر الدين هوشاتي، 2017، 10).

واستمرت مدرسة يوحنا في تخريج رهبان وقساوسة على قدر كبير من المعرفة بتاريخ الأديان وأساليب الرد على عقائدها ومن أبرز هؤلاء "عبد المسيح أبا نوح بن السلط الأنباري" الذي ألف كتاباً بعنوان (تفنيد القرآن) ومعاصره "أبو الفضل بن الريان النصراني" الذي وضع كتاباً بعنوان (كتاب البرهان) ينتقد فيه النبي (ص) والقرآن الكريم، وفي القرن الرابع الهجري ظهر كتاب بعنوان (كتاب الرد) للراهب النسطوري "قرياقوس بن زكريا الحراني"، وكتاب (الإقناع) و(كتاب البرهان)، "ليوحنا بن أبي السلط" الذي رد في الأول على اليهود، ورد في الثاني على الإسلام، وجهود يوحنا ومدرسته تحاول أن تثبت عدم مشروعية الإسلام، وأنه دين افتراء وتزوير لحقائق المسيحية، بل هو دين لم يأت إلا للقضاء على المسيحية ومحو وجودها (محمد سعدون المطوري، 2016، 143).

وعليه أمكن القول إن كتابات "يوحنا الدمشقي" - أشهر لاهوتيي عصره وآخر آباء الكنيسة - عن الإسلام والقرآن وعن نبي الإسلام، هي التي وضعت الأساس اللاهوتي للنقاش الذي ما يزال صداه مستمرا حتى الآن بين اللاهوتيين المسيحيين وممثلي الفكر الإسلامي (نصر زيد أبو حامد، 2002).

ومع طول مدة الصراع المسيحي الإسلامي واشتداده، كثرت الأسئلة في أوروبا حول أصول الإسلام؛ لذلك قام المؤلفون اللاتينيون - كما أشار سودرن - بإزاحة الستار عن حقيقة المسلمين، وقد اعتمدوا على الكتاب المقدس الذي يملك تاريخاً لمستقبل تلك الأحداث فالقائمون بها، هم السارازان Sarazens أبناء هاجر زوج إبراهيم، المصرية التي طردت إلى الصحراء مع ابنها إسماعيل (محمد سعدون المطوري، 2016، 145).

وبدأت تتشكل تصورات عن الإسلام تكونت في الكثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي القروسطي للعقيدة الإسلامية، وهو ما يسميه البعض "الوعي اللاهوتي بالإسلام"؛ وذلك بعد انتشار الكتابات البيزنطية وتداولها بين علماء ومؤرخين متخصصين في الكتاب المقدس أمثال "بيد المبجل" (283-835م)، الذي يصف محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رجل من الصحراء ويشبهه جده إسماعيل الذي كانت يده ضد كل إنسان، ويقول بأن إسماعيل لا يشملُه وعد الرب الذي وعد به إبراهيم ومن بعده إسحاق ويعقوب؛ ويصف "السراسنة" بالوقاحة والبربرية وحب الحرب، وعلاوة على ذلك قال بأن محمداً أمي وإن وضعه الاجتماعي كان وضعياً، وكان جاهلاً بالعقيدة المسيحية ويتعطش للسلطة المطلقة مما ساعده ليصبح حاكماً ادعى النبوة (محمد عمر علي الفراء، 2002، 55).

وبعد تولي الرهبان ورجال الدين مهمة التهجم على الإسلام، وإثارة الأوربيين ضد هذا الدين وأتباعه كللت جهودهم بشن الحروب الصليبية التي أعلنها البابا "أوربان الثاني" في مجمع كليرمونت سنة 1095 باسم الرب وطالب "جنود المسيح" - كما أطلق عليهم - بحياكة علامة الصليب على صدور ثيابهم وعلى ظهورهم وعتادهم، وامتدت هذه الحروب شرقاً وغرباً لنشر مسيحيتها بالسيف والمذابح وبمحاكم التفتيش (زينب عبد العزيز، 2010، 3).

ولقد اختزلت خطبة البابا "أوربانوس الثاني" الصورة التي يحملها المخيال المسيحي عن الإسلام والمسلمين، وقد كان من الضروري تبسيطها وإعطائها طابعاً نمطياً عدائياً مع تنامي الحاجة إلى إشباع نفسي لدى الشارع الغربي الذي وقعت تعبئته بشكل أصبح معها رغبة في صورة تبيّن الصفة الكريهة للإسلام، وهكذا حدث أن الكتاب اللاتينيين الذين أخذوا على عاتقهم بين العام 1100 والعام 1140م إشباع هذه الحاجة لدى الإنسان الغربي قد عمدوا إلى توجيه اهتماماتهم نحو إطلاق أوصاف عدائية على المسلمين، تنتمي كلها إلى معجم القذف والشتم والسخرية مثل: "السراقنة" Saracens و"الوثنيين" Pagans و"الكفار" Infidels و"المحمديين" Mouhammadans ، إلى غير ذلك من النعوت والأوصاف التي لم يرد ضمنها على الإطلاق لفظ "المسلمين" Musulman (بدرالدين هوشاتي، 2017، 6).

وإذا كان الهدف المعلن للصليبيين تجلّي في الدعوة إلى استعادة الأماكن المقدسة بالطرق العسكرية، فإنهم من أجل ذلك، استثمروا كل الوسائل الكفيلة بتكوين متخيل جمعي

يعلي من شأن الذات ويقدم الآخر في أشكال انتقاصية، شيطانية، لدرجة يصل فيها المحارب إلى خلق شعور لديه بأنه حين " يحارب ضد المسلمين، فإنه يحارب الظلام قصد إشاعة الأنوار" (محمد نور الدين أفاية، 2009، 109).

و اتخذ الصراع في هذه المرحلة طابعاً جديداً لم يعرفه من قبل وهو "الطابع الدولي"، إذ اشترك في الحروب الصليبية معظم الشعوب الأوروبية الغربية التابعة للكنيسة الكاثوليكية التي تتزعمها البابوية (محمد قطيش، 2013). كما كشفت هذه الحروب عن البعد الديني والحضاري للصراع إلى جانب البعد الحربي، و عدت من بين الأحداث المفصلية التي كونت صورة الإسلام في هذه الفترة.

إن رؤية الصليبيين للإسلام والعرب في هذه المرحلة قد اتسمت بالرؤية الشعبية المشبعة بالخيالات، فكانوا يعتبرون المسلمين وثنيين، ومحمد ساحر لا بل هو مصاب بالصرع وأنه شرع للمسلمين حرية جنسية واسعة، وعليه فإن الحروب الصليبية ساعدت في تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل الإسلامية العليا تفسيراً خاطئاً ومتعمداً، فمحمد عدو للمسيح ودينه ينبوع للفسق والفجور والانحراف، وراجت لدى الغربيين الفكرة العامة عن الإسلام بأنه يدعو إلى عبادة الشهوة والوحشية.

وفي وصف معبر عن رؤية المصادر الغربية عموماً في ذلك الوقت المبكر من أدوار الصراع الصليبي الإسلامي، كتب المؤرخ الصليبي "قوشيه دي شارتر" (1060/1055-1127)، والذي كان شاهد عيان لمعظم أحداث الحملة الصليبية الأولى يقول: "كانوا (ويقصد المسلمين) يبجلون معبد الرب تبجيلاً عظيماً، ويفضلون تلاوة الصلوات فيه، غير أن هذه الصلوات كانت تضيع سدى لأنها تقدم إلى صنم أقيم هناك"، كما يستحضر قوله في حيز آخر "يا له من عار إذ قام جنس خسيس مثل هذا الجنس جنس منحل، تستعبده الشياطين بهزيمة شعب يتحلى بإيمان عظيم"، وهذه القسوة التي تميز بها المسيحيون في الأدوار الأولى من الحروب الصليبية تعبير عن المستوى الحضاري المتعصب الذي عاشه مجتمع أوروبا في تلك المرحلة (بدر الدين هوشاتي، 2017، 7-8).

واستمر رجال الدين والكنيسة في تشويه وشيطنة الإسلام والمسلمين عبر استغلال الكتب المقدسة. وفسر هؤلاء العلماء أحداث زمانهم طبقاً لإشارات وردت في الكتاب المقدس،

ففسروا على سبيل المثال ظهور الإسلام بأنه ظهور نقيض المسيح وعدوه ووجدوا ما يثبت زعمهم هذا في "سفر دانيال الإصحاح السابع" والذي جاء فيه: "أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدرسها وتسحقها، والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين، ويذل ثلاثة ملوك ويتكلم بكلام ضد العلي ويبلي قديسي العلي، ويظن أنه يغير الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان؛ وبموجب فكر العصر الوسيط فإن الحيوان الرابع يتمثل في الإمبراطورية الرومانية التي جاءت بعد امبراطوريات: الأشوريين والفرس واليونان، وأن القرون العشرة للمملكة هم البرابرة الذين غزوا أوروبا ومن بعدهم جاء أتباع محمد صلى الله عليه وسلم" الذين اكتسحوا اليونان والفرنجة والقوط وأنهم مختلفون عن البقية وأنهم غيروا الأوقات والقوانين (محمد علي عمر الفراء، 2002، 52-53).

وراح السجال الديني واللاهوتي يأخذ شكلا منظما مع بدايات القرن الثاني عشر، حيث تمت ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية لأول مرة في طليطلة سنة 1143، وكان الهدف من الترجمة هو إتاحة معرفة بالقرآن تمكن رجال اللاهوت من الدحض والرفض وهي الحاجة التي تزايدت مع خطر التوسع العثماني رغم انحسار الرقعة الجغرافية للإسلام بسقوط غرناطة (ناصر زيد ابو حامد، 2002).

وخلال هذه الفترة تزعم جهود المواجهة الفكرية والثقافية للإسلام ووضع أسسها "بطرس المبجل" (1092-1157م) الراهب اللاهوتي الفرنسي رئيس دير كلوني الذي شكل فريق ترجمة لنقل أعمال من العربية إلى اللاتينية، ويمكن إجمال تصديه الثقافي للإسلام في سعيه لإثبات أن الدين الإسلامي هرطقة، وأن التصدي للإسلام ونبيه (ص) لا يكون بسلاح أعمى، بل بسلاح المعرفة وأول تلك المعارف ترجمة القرآن الكريم وترجمة نصوص عن السيرة النبوية ولكن برواية كعب الأحبار المشكوك فيها عند المسلمين. وقد غطت اهتمامات بطرس المرحلة التاريخية من عصر الرسول (ص) إلى استشهاد الإمام الحسين (ع). وعلى الرغم من أن بطرس قد اختار موضوعات محدودة إلا أن تلك الموضوعات التي قدمها لقومه كانت كافية لتحريك الواقع الثقافي المسيحي ضد الإسلام وتكفي في صناعة الصورة التي أرادها بطرس له (محمد سعدون المطوري، 2016، 147).

ويذكر المستشرق الفرنسي رجب بلشير R. Blachère في كتابه المعنون: القرآن الصادر سنة 1969 أن: " بطرس المبجل رئيس دير كلوني (Cluny)، طلب من المترجم أن تتم ترجمته بحيث من يقرأها من المسلمين، الذين تم تنصيرهم حديثاً أن تمحو أي أثر للإسلام من ذهنهم "الأمر الذي نجم عنه سلاح ذي حدّين : فهو من جهة يمثل تشويهاً متعمداً للقرآن وللإسلام ، ومن جهة أخرى فإن هذه الكتابات المغرضة والمعادية تمثل أساس المراجع التي تتم دراستها في المدارس والجامعات الغربية، مما أدى إلى تكوين نوع من الطبيعة التلقائية المعادية للقرآن وللإسلام والمسلمين.

وحتى القرن الثالث عشر كانت معظم الوثائق المكتوبة عن الإسلام والمسلمين والتي حددت صورته في نظر الغرب، بأقلام رجال كنسيين، يقول فيليب سيناك (Ph. Sénac) في كتابه المعنون: صورة الآخر أنه: " حتى القرن الثالث عشر كانت معظم الوثائق المكتوبة عن الإسلام والمسلمين والتي حددت صورته في نظر الغرب، بأقلام رجال كنسيين – وهي كتابات مغرضة يدفعهم وضعهم اللاهوتي إلى نقد و تحريف ديانة ليست ديانتهم "، ثم يوضح المؤلف كيف كانت الكتابة آنذاك حكرًا على هؤلاء الكنسيين، وكيف تصدّت الكنيسة في بادئ الأمر للإسلام على أنه انشقاق من الانشقاقات أو هرطقة من الهرطقات التي عليها القيام بقمعها أو اقتلاعها لأنها تخالف ما فرضته من تعاليم (زينب عبد العزيز، 2010، 2).

وكان القديس "توما الأكويني" 1235-1284 " أهم شخصية مسيحية تهاجم الإسلام في العصور الوسطى وكان حجة في اللاهوت والفلسفة والتعليم الكاثوليكي. وعلى الرغم من اطلاعه على أعمال الفلاسفة المسلمين وبخاصة كتابات "ابن سينا" و"الغزالي" إلا أنه عد المسلمين وثنيين، يجب مناظرتهم ومحاورتهم بالبراهين العقلية وليس وفق الكتاب المقدس، ويفسر انتشار الإسلام بأن "الذين آمنوا به هم الجهلة البدائيون فقط، وأولئك الذين يعيشون في الصحراء ولم يسبق لهم أن عرفوا أي تعليم أو عقيدة إلهية. وعن طريق هؤلاء البدو الصعاليك أجبر محمد بقوة السيف بقية الناس في المنطقة على الامتثال إلى شريعته، ولا يستخدم كلمة القرآن وإنما يحل محلها عبارة "قوانين محمد" (محمد علي عمر الفراء، 2002، 57).

ومن أخطر ما يؤكد "توما الأكويني"، المزاعم القائلة أن محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته من خلال تشجيعه إياهم الحصول على الملذات والشهوات الحسية

وعن طريق الوعود التي قطعها لهم ضمن هذا التوجه الغرائزي، ويؤكد الاكوييني أن محمدا أسس قواعده وأحكامه التشريعية التي تتناسب وامكانات العقل المتوسط وحسب، وهكذا كان يقدم الإسلام لأبناء أوروبا في القرون الوسطى (باسم خفاجي، 2006، 31).

وكان هناك محور آخر عمل عليه بعض الرهبان وهو إشاعة نتائج نصرهم في معركة الجدل العقائدي ضد المسلمين في العالم المسيحي، فالراهب الفرنسي "ريكولدو دي مونتي كروسي" (1243-1320م) قام بجولات واسعة في العالم الإسلامي من فلسطين إلى أرمينية الصغرى ثم العراق، داعيا اليعاقبة في الموصل والنساطرة في بغداد إلى للانضمام إلى كنيسة روما في حربها الثقافية ضد الإسلام، ووضع كتابا بعنوان «الجدال ضد المسلمين»، كما في مخطوط باريس أو بعنوان «ضد قرآن محمد» كما في مخطوط المتحف البريطاني، وطبع كتاب "ريكولدو" في فرنسا وإسبانيا، وإيطاليا واليونان، ليأخذ بعدا مهما في رؤية المجتمع المسيحي للإسلام بوصفه ديانة باطلة ومفتعلة لا يمكنها أن تصمد أمام الحجج والبراهين التي يقدمها الرهبان المسيحي (محمد سعدون المطوري، 2016، 148).

وبجهود رجال الدين. تم إدخال المسلمين في تفسير العهد القديم، وهي خطوة اتخذت منحى سيئا ومؤثرا في الرؤية والأحكام المسيحية حول الإسلام، ويكمن سئها في اكتسابها القوة والشرعية بعد مرورها بالكتاب المقدس مما جعل خطوط الرجعة عن تلك الأحكام عسيرة ومستحيلة على الأقل في ذلك الوقت (محمد سعدون المطوري، 2016، 145).

• الثقافة الشعبية

بعد الحروب الصليبية وما ارتكبه جيوش الصليبيين من مذابح ومجازر ضد المسلمين بحجة تحرير الأرض المقدسة، وقبر المسيح من أيدي المسلمين صدرت الكثير من القصص والروايات والمسرحيات التي كانت مكملة لهذه المجازر ومبررة لها، بما ألصقته بالمسلمين من افتراءات وأكاذيب (خليل شقرة، 2015، 44).

وانتشرت العديد من الملاحم والأغاني الشعبية الممجدة للمسيحية وزعمائها في مقابل الحط من قيمة الإسلام والمسلمين، وقد اعتبرت هذه الأخيرة مكونا أساسيا من مكونات الصورة النمطية السيئة عن الإسلام خلال العصور الوسطى، ومن بينها أناشيد البطولة، "غورمون" و"إيزومبار" و"تتويج لويس"... إلخ، وجميعها ستقدم الآخر المسلم باعتباره تجسيدا

لما هو أجنبي، غريب، وسلبى يستحق الإدانة، ستختزل صورة المسلم في كونه ساحرا له قدرة خاصة على استدعاء قوى الشر... وقد تمكنت بفعل التواتر من الاستمرار أكثر من أربعة قرون وعبرت بشكل واضح عن إرادة مقصودة لتثويته الإسلام وذلك بجعله غير مقبول ومنفر وممقوت (محمد نور الدين أفاية، 2009، 116).

ومن أشهر وأهم الأناشيد الشعبية التي طبعت الثقافة الشفوية في العصور الوسطى، أنشودة "رولان" "La Chanson de Roland" التي تعتبر إحدى "معلقات" الأدب الفرنسي إلى حد الساعة، وهي مثنولوجيا تمجد المسيحية والمقاتلين المسيحيين وتصور بطولاتهم وانتصاراتهم وهم يردون العدو الإسلامي (الصادق رايح، 2009، 8).

تقول الأنشودة:

استولى الإمبراطور على سرقسطة، وجعل ألفا من الفرنجة الموالين له يفتشونها
وفي معابد محمد، وبالهرافات والحديد والبلط

هشوا صنم محمد، وغيره من الأصنام حتى لا يبقى أي شر أو خرافة

والملك "شارلمان" مؤمن حقا، يخدم الرب

وأساقفته بياركون المياه، ويقودون الوثنيين إلى التعميد

وإذا ما عارض أحدهم إرادة "شارلمان"، فإنه كان يأمر بسجنه أو حرقه أو ذبحه.

وهكذا تم تعמיד أكثر من مئة ألف وحولوا إلى مسحيين حقيقيين (خليل شقرة، 2015، 55)

وتتلخص فكرة هذه الأنشودة في أن الكفار على خطأ والمسيحيين على صواب، وتشكل هذه الضدية قاعدة ثابتة في كتابات القرون الوسطى، حيث تقسم العالم وفق منطق ميثافيزيقي إلى قسمين متقابلين، أحدهما يمثل عالم الخير والآخر عالم الشر، والصراع بينهما هو صراع "بين عالم الظلمة وعالم النور، عالم الحقيقة وعالم الضلال، عالم الإيمان وعالم الكفر". وتلصق الأنشودة وأغنيات المآثر الأخرى التي تلتها كل الصفات السلبية بالسرزانيين، حتى ليبدو العربي فيها وكأنه وحش كاسر ليس لديه قيم إنسانية، فالمسلمون في الأنشودة هم عبدة أصنام، "يوزعون أدعيتهم على آلهة ثلاثة: "محمد" و"أبولان" و"ترفاغان"، إضافة إلى أنهم يتفنون أعمال السحر والشعوذة" وتمثل هذه الأنشودة نموذجا للجهل الناجم عن الوهم والتخيل، إذ تقترح "العماد" كحل تبسيطي لإخضاع الآخر واحتوائه، و" هو توجه سوف يترسخ في الوعي الأوروبي في العصر الوسيط (Omar Kush، 2005).

كما تزعم "ملحمة رولاند" بأن المسلمين يُعظمون يوم الجمعة؛ لأنه يوم إلهة الحب فينوس، بينما يعظم النصارى يوم الأحد؛ لأنه يوم الله؛... ففي هذه الملحمة ينادي الإمبراطور جنوده كي يذبخوا المسلمين، فيقول: "انظروا إلى هذا الشعب... سوف يمحي اسمهم من فوق الأرض الزاخرة بالحياة؛ لأنهم يعبدون الأصنام، لا يمكن أن يكون لهم خلاص، لقد حكم عليهم، فلنبدأ إذا تنفيذ الحكم، باسم الله"، ثم تبدأ المذبحة (محمد يسري إبراهيم، 2014).

وقد عاودت الأساطير والخيالات المتضمنة في الأنشودة الظهور مرة أخرى عام 1130 مع نشيد الضعفاء *chanson des chétifs*، وفي نشيد أنطاكية *chanson d'antioche* 1180، يقول "أليسكي جورافسكي" وهو يمتعض من هذه الترهات الواردة في الملاحم المشهورة: " للحقيقة يجب القول إن تلك الأساطير المختلفة تمثل سخرية مأساوية، لأن النبي محمد حارب أكثر من أي مخلوق آخر عبادة الأوثان، والذي حطم جميع أصنام الكعبة يتحول في نظر المسيحية إلى صنم يؤلهه أتباعه الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقارا لقب عبيد سارة أو أبناء الجارية." (حسن عزوزي، 2012، 275).

وجاء في أنشودة ملحمة للشاعر "غاقودان" :
يا إلهي إنه بسبب خطايانا زادت قوة المسلمين
استولى على القدس صلاح الدين ولسنا لها بمسترجعين
وها هو ملك المغرب في كلام صريح يقول إنه ضد كل ملوك المسيح
وأنت يا ملك فرنسا ابن العم يا ملك الانجليز وكونت بواتتي، هبوا مسرعين لنجدة ملك
إسبانيا فلن يجد أحد منكم فرصة أجمل من هذه لخدمة الرب
وبمعونته ستغلبون هذه الكلاب التي أضلها محمد هؤلاء المرتدون السفهاء.

وقصيدة الشاعر الفرنسي روتيفيف التي تمجد قادة الحروب الصليبية وتطلق أوصافا
ذميمة على المسلمين، ومما قال فيها:

إن الموت قد سبب لي خسارة كبيرة فقد انتزع أناسا صالحين مني
كما فعل الحج الى تونس البعيدة ، وهو مكان همجي
وكذلك فعل الأشرار الذين لا رب لهم (خليل شقرة، 2015، 53).

وكتب الشاعر الفرنسي "أميروداي ايفرو" قصيدة طويلة بعنوان "تاريخ الحرب المقدسة" تتألف من حوالي 12 ألف بيت، صور فيها سوء المعاملة التي يتلقاها الحجاج والزوار النصارى للأراضي المقدسة من قبل المسلمين حسب ادعائه، وهو يرى أن العرب والمسلمين أمة من الهمج الذين لا يعرفون المظاهر الحضارية والأخلاقية والإنسانية... وفي قصيدة "الشرق والحلم المكسور" لـ "فكتور هيغو" صور الإنسان الشرقي بأنه متوحش وقاسي القلب (المرجع نفسه، 45).

ويعتبر "دانتي" من أسوأ من كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم من مشاهير الفكر الأوربي في ملحمة الشعرية "الكوميديا الإلهية"... وما كتبه عن خير خلق الله، فهو من أسوأ ما كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم (باسم خفاجي، 2006، 29).

ولقد عبر دانتي عن كامل حقه وبغضه للرسول عليه الصلاة والسلام من خلال الكوميديا الإلهية التي غدت معلما من معالم ثقافة أوربا منذ عصر النهضة وحتى هذه اللحظات ونصا يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات، ومما جاء فيها:

عندما أردت ان أتأمله بدقة

نظرا إلي ثم مزق صدره بيديه قائلا "أنظر كيف أمزق جسدي في جهنم

تعال وتأمل كيف يتألم محمد

وترى أمامي علي بن ابي طالب باكيا

وقد شقت رأسه من الذقن حتى شعر الرأس

وجميع من نشاهدهم هنا في هذا الجزاء من جهنم

كانوا في الحياة الدنيا شجار شقاق

لذلك فقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسادهم هنا في دار السعير (خليل شقرة، 52).

وبما أن تصورات ومعتقدات الأفراد تتأثر عادة بالأسطورة التي يصعب أو يستحيل تنفيذها لأنها تترسخ وتتوارث جيلا عن جيل، فقد كان للأسطورة دور هام وفعال في تشكيل الصور عن الإسلام في هذه المرحلة.

ومن بين هذه الأساطير، زعمهم بأن محمدا "صلى الله عليه وسلم" لم يمتهن في 232م كما هو معروف، وإنما في عام 222م حتى ينطبق هذا الرقم على عدد الوحش في سفر رؤيا

يوحنا اللاهوتي الإصحاح الثالث عشر، والذي يقول في أوله: "ثم وقفت على رمل البحر فرأيت وحشا طلعا من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون، وعلى قرونه عشرة تيجان وعلى رؤوسهم اسم تجديف"، وقد حرفوا اسم الوحش واطلقوا عليه "ماهاوند" حتى يصبح محمد "صلى الله عليه وسلم" في نظرهم تجسيدا للشيطان فاسم "ماهاوند" أو "ماهون" و"ماهن" و "ماهمت" بالانجليزية و "ماهون" بالفرنسية و "ماتشميت بالألمانية كانت جميعها مرادفة لكلمة عفريت وشيطان وصنم، وربما كان من أطراف الأساطير وأغربها أن من حيل محمد والأعيبه أنه درب جملا على تناول العلف من يده فقط، وقد علق القرآن حول رقبة الجمل وحينما اقترب الجمل من محمد وهو يعظ الناس برك أمامه، وقام محمد وأخذ القرآن من رقبة الجمل وأعلن أنه رسالة سماوية كتبت بأيدي الملائكة، وذكرت هذه المزاعم والأساطير في كتب تاريخية كان من أكثرها شهرة كتاب لمؤلفه "رانولف هيدن" وهو راهب بندكني، كتب تاريخ العالم حتى القرن الرابع عشر بما في ذلك تاريخ الإسلام وسيرة نبيه، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات (محمد علي عمر الفراء، 2002، 62).

كما انتشرت على نطاق واسع في أوروبا الحكاية الأسطورية القائلة بأن محمدا قد درب الحمامة لتتقر حبوب القمح من أذنه وبذلك أقنع العرب أن تلك الحمامة هي رسول الروح القدس الذي كان يبلغه الوحي الإلهي، كما ردد هذه القصة المضحكة مؤرخون أوروبيون، بل إننا نقرأ عن (شكسبير) ذاته في (هندي الرابع، الفصل الأول، المشهد الثاني) كيف أن الملك (كارل الثاني) يتوجه إلى (جان دارك) صارخا: " ألم تلهم الحمامة محمدا؟ أما أنت فإن النسر ربما ألهمك" (باسم خفاجي، 2006، 30).

وذكر السير "جون مانديفيل" مؤلف أشهر كتاب عن رحلات العصور الوسطى وأكثرها شعبية "رحلات ما نديفيل"، بأن محمد صلى الله عليه وسلم كان يتردد باستمرار على صومعة الراهب "بحيرة"، وحينما اكتفى بإشباع فضوله عن المسيحية وأظهر مقدرته على كتابة القرآن، قام رجاله بذبح بحيرة بسيف محمد الذي كان آنذاك نائما من تأثير شرب الخمر، وحينما أفاق من نومه واسترد وعيه أخبروه بأنه هو الذي ارتكب الجريمة ولذلك- كما زعم مانديفيل- حرم محمد شرب الخمر، وأصبحت بعد ذلك محرمة في الإسلام بسبب نتائجها السيئة، وظهر كتاب رحلات مانديفيل في نهاية القرن الرابع عشر، وأصبح الأساس والمرجع لما كتب عن محمد صلى الله عليه وسلم في عصر النهضة، وطبع أولا بالفرنسية وسرعان ما

ترجم إلى الإنجليزية واللاتينية والألمانية ولغات أخرى وأصبح الدليل لحجاج الأراضي المقدسة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر (محمد علي الفراء، 2002، 61).

ويمكن إجمال مصادر صورة الإسلام في هذه المرحلة في الكتابات البيزنطية والكتاب المقدس، وترجمات القرآن الكريم، بجهود الكنيسة ورجال الدين المسيحي، والثقافة الشعبي، وأيا كان مصدر هذه الصورة المشوهة والسيئة، فقد أجمل معظم دارسي وباحثي صورة الإسلام في القرون الوسطى في أنها تشكلت من خلال ثلاث مكونات كبرى وهي:

- الإسلام دين الوثنية:

فقد نسج الغرب المسيحي في الزمن الوسيط خطابا حول الإسلام تداخلت فيه المعلومة المنتزعة من سياقها وواقعها، بالخيال المتدفق وبالميل المقصود إلى التشويه وتقديم الإسلام بكل الأشكال المتناقضة مع ماهيته وأصوله، ففي الوقت الذي نجد فيه الإسلام يتأسس على التوحيد كقاعدة دينية وأنتولوجية، يعمل الخطاب المسيحي على الترويج لما هو مناقض لهذه القاعدة مدعيا أن الإسلام ديانة وثنية، تدعو إلى التعدد، ومؤسسها دجال وساحر ومنشق وفي كل الأحوال لا يمكن أن تنطبق عليه صفات النبوة.

وقد اعتبر رجال الكنيسة أنه يستحيل البرهنة عن حقيقة القرآن أو عن نبوءة محمد، لأن سورا كثيرة في القرآن تتعارض مع نصوص التوراة والإنجيل التي يدعي استكمالها وتصحيحها، والقصد من التشكيك في نبوة النبي ونعت الديانة الإسلامية وكل من يعتنقها بالشرك والوثنية يتمثل في الانتقاص من صورة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقدوا أنهم بذلك يطعنون ويحطمون كل البناء الإسلامي... فالجمع بين الإسلام والوثنية يحرك في الوعي المسيحي الجمعي الخوف من انتعاش جديد للوثنية التي هددت المسيحية غير مرة، كما ينشط صور شهداء الإيمان الذين سقطوا ضحية الفتح الإسلامي للمناطق المسيحية من خطر ديانة مأكرة وتحرير الأماكن المقدسة من برائتها. من هنا تكرست الصورة النمطية الثانية عن الإسلام من حيث كونه دينا عنيفا (محمد نور الدين أفاية، 2009، 115-117).

- الإسلام دين الغف:

فهو دين شعاره السيف والحرب والقتال، وهي صفات تمثل النقيض المباشر للمسيحية إذ يقدم المسلم إلى مساحة الإدراك المسيحي الأوروبي باعتباره رجلا محاربا، شرسا متوحشا،

يقوم بكل أنواع النهب والتنكيل خالقا بذلك وراءه تعاسة وشقاء لا يوصفان، فيصبح المسلم ممثلا لكل التعبيرات العدوانية، يحركه ميل قوي للقتل حتى أصبحت القوة عنده وعلى نطاق عام تقريبا عنصرا مؤسسا للديانة الإسلامية وعلامة بديهية على الضلال(بدرالدين هوشاتي، 2017، 12).

وفي معرض تساؤله عن الأسباب الحقيقية التي دفعت المسيحيين إلى تحديد الإسلام بوصفه ديانة عنيفة، يلاحظ "جون فلوري" أن ذلك تم في وقت بدأت تظهر به المسيحية بوجه جديد للعدوان والغزو من خلال الظاهرة الصليبية، إذ في فترة كانت فيه على أرض الإسلام ولاسيما في إسبانيا وفي الأراضي المقدسة نسبة عالية من التسامح النموذجي في زمنه بين الديانات الثلاث، عملت المؤسسة على اختيار نهج العنف بتقديم صور شيطانية عن الإسلام قصد تحطيمه والحد من انتشاره لدرجة أنه مع الزمن نمت نوع من البارانويا من الخطر الذي يمثله المسلمون(محمد نور الدين أفاية، 2009، 117-118).

- الإسلام دين الشبقية:

هي الصورة النمطية الثالثة التي صاغتها المخيلة المسيحية الغربية عن الإسلام، وتتعلق بحياة النبي وبعلاقاته بالمرأة وبموقفه من المسألة الجنسية، فالنبي عندهم رجل "شبعي" يقول بتعدد النساء وبالتمتع بالحياة معهن، وفي عرف المسيحي الداعي إلى الورع والنقشف والتعالى عن اللذة والامتناع عن الزواج، يمثل هذا السلوك قمة التفسخ والانحلال الخلقي، وما هو ما استغلوه في كتاباتهم للتشكيك في نبوة الرسول مدركين أن الهجوم عليه وعلى المسلمين الذي اتبعوه يمثل أحسن وسيلة لتقديم صورة شائنة عنه ولتدمير صدقية رسالته(بدرالدين هوشاتي، 2017، 12).

كما نعت المسلمون بكونهم يمارسون الشذوذ الجنسي ولا يتورعون في جعل الجنس مسألة حيوية في علاقاتهم ووجودهم، وهذا ما يعبر عن ضعفهم وعجزهم عن التحكم في غرائزهم وأهوائهم، فكيف لنبي ولمن اتبعه أن يدعي الإتيان بمشروع إلهي وهو غير قادر على الترفع عن غرائزه البسيطة والتحرر من إغراءات اللذة والحياة العابرة(محمد نور الدين أفاية، 2009، 119).

وركزت هذه الصور على القيم المضادة الموازية التي مثلها الإسلام؛ وللاستجابة إلى هذه الحاجة ركزت الدعاية المسيحية على حياة محمد صلى الله عليه وسلم دون الاهتمام بمدى دقة ما يقولون عنه تاركين المجال حراً لما أسماه "سودرن" بجهل المخيلة المنتصرة فمحمد كان ساحراً عمل على تدمير الكنيسة في إفريقيا والشرق بواسطة السحر والخداع، واثبت انتصاره بالسماح للتعدد والاختلاط الجنسي، فكل الوسائل جائزة بالنسبة إلى الآلة الخيالية الهائلة لإنتاج الصور والحقائق المشوهة عن الإسلام والمسلمين (المرجع نفسه، 120-122).

ويرى "جون فلوري" بأنهم حتى لو اطلعوا بالفعل على السلوك الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم لأصدروا في حقه الأحكام نفسها وانتقصوا من صورته وحياته ورسالته، لأن المسألة تدخل في الأول والأخير ضمن صراع شامل كان يتعلق بالوجود المسيحي نفسه في البحر المتوسط وجنوب أوروبا؛ لأن الصور النمطية الانتقاصية والقذحية التي اتخذت من الإسلام موضوعاً لها، حركتها الرغبة العارمة في خلق رأي عام مسيحي ينفرد من الإسلام ويشتمن من المسلمين وهي صورة دعائية سلبية استخفاوية هدفها جمع المسيحيين حول القيم وتبرير الكفاح من أجلها.

ويذهب "إدوارد سعيد" إلى أنه في معظم مراحل العصور الوسطى وبواكير عصر النهضة الأوروبية كان يعتقد بأن الإسلام ديانة شيطانية تخفي في اعطافها ردة وتجديفاً وإبهاماً ولم يبد هماً للأوروبيين أن المسلمين يعتبرون محمداً نبياً وليس إلهاً فما كان يعني المسيحيين هو أن محمد نبي زائف، بارز للشقاق، وشهواني ومناقق ووسيط للشيطان، وأن هذه النظرة لمحمد لم تكن نظرة عقديّة صارمة تماماً؛ فثمة أحداث حقيقية في العالم جعلت من الإسلام قوة سياسية هائلة إذ هدّدت الجيوش والأساطيل الإسلامية العظيمة أوروبا، ودمرت قواعدها وحصونها الأمامية واستعمرت أراضيها لمئات من السنين. (إدوارد سعيد، 2011، 39).

إن أهمية وخطورة هذه المرحلة على حد سواء، تكمن في كون الموقف الكنسي واللاهوتي وتصوره المتخيل عن الإسلام، سيكون المحدد الأساسي لصورته في أسوأ أشكالها وأكثرها تشويهاً وعلى مدى قرون ممتدة، ولا سيما فيما يتعلق بصورة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام.

2-1-2- مرحلة عصر التنوير (فلسفة الأنوار، الدراسات الاستثنائية الكلاسيكية)

● فلسفة الأنوار:

شهد العالم الغربي منذ القرن الخامس عشر كما شهد العالم الإسلامي تحولات كبرى أفرزت تغييرًا شاملًا في الفلسفة التي تتحكم في العلاقات بينهما، وقد لعب التأثير الحضاري الكبير الذي صادف ضعفًا كنسيًا عامًا دورًا بالغًا في ظهور بوادر فلسفة وميول عصر التنوير.

كما شهد القرن السادس عشر نشأة قوة دينية جديدة - أي البروتستانتية - كانت نتيجة للعاملين السابقين. وعرفت هذه المرحلة انتشار الفكر الليبرالي العلماني، الذي بدأ يكتسب شعبية كبيرة خصوصًا مع نجاح هذا التيار في تقليص دور الكنيسة في أوروبا في الحياة بوجه عام، وفي مجالات التأثير الفكري بوجه خاص، لكن العداء للدين جعل رواد حركة التنوير الأوروبية يميلون أيضًا إلى التهجم على نبي الإسلام وعلى الإسلام، بوصفهما يمثلان دينًا وهم يحاربون الأديان برمتها، ولذلك استمرت حملة الاستهزاء بنبي الإسلام والسخرية من دعوته بين رموز هذا التيار التنويري - الليبرالي - كما يجب أن يسمى نفسه (اسم خفاجي، 2006، 49).

ومن بين رواد هذا التيار الفيلسوف والكاتب الفرنسي "فولتير" الذي ألف كتاب "محمد" أو "التعصب"، وأهداه إلى البابا - وحول إلى مسرحية تم عرضها في الكوميديا الفرنسية المشهورة - قد وصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خائن ومتمرد، مجرم ودجال ولم يكون أمة إلا من أجل الصلاة والتكاثر والقتال، بالمقابل نجده في كتابه "التربية المسيحية للرجل الصادق" عام 1763 قد كتب أن الإسلام أروع دين جاء من الإله، ويدفع فكرة انتشار الإسلام بالسيف، وفي كتابه الآداب العامة امتدح النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره أحد المشرعين الثلاثة العظام في تاريخ العالم (حسن عزوزي، 2012، 279).

وهناك أيضًا الإنجليزي "جورج سيل" الذي قام بترجمة للقرآن الكريم ونشرها سنة 1734 م، وألحق بمقدمة تلك الترجمة شيئًا عن السيرة وأصول الإسلام، ومع جودة ترجمته آنذاك، إلا أنه حشد في مقدمته كل ما تناقله المسيحيون من اتهامات وافتراعات عن الإسلام، ومن ذلك قوله: "إن القرآن ليس وحيدًا، وإنه ليس معجزًا، وإنه مملوء بالتكرار والتناقض

وينسب "سيل" تأليف القرآن إلى النبي محمد؛ حيث ادعى أنه: "احتال به على قومه بمساعدة آخرين انصب عملهم على التخطيط له."

أما الشاعر الألماني "غوته" 1749-1832 فقد عرف عنه مدحه للإسلام وإعجابه بالثقافة العربية، وتزداد الدهشة عند قراءة كتابه "الديوان الشرقي" الذي عبر فيه عن إعجابه الشديد بالإسلام، لكن والمقابل لم يتورع عن ترجمة مسرحية "فولتير" القادحة والمسيئة لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اللغة الألمانية... وإقدام "غوته" على ترجمة مسرحية "فولتير"، وتعريف الشعوب الجرمانية بمضامينها المتهكمة والساخرة بالإسلام ونبيه و حضارته كاف للقول بأن الرجل أسهم في تكريس الصورة النمطية وترسيخها في الأذهان خاصة وأن المسرحية لا تزال فصولها محل بحث ودراسة من طرف المهتمين والمتخصصين الذين يسهمون بدورهم في نشر وإذاعة تلك الصور بشكل واسع. وهناك "توماس كاريل" 1795-1880 المعروف بإشادته الرائعة بالرسول صلى الله عليه وسلم، الذي وضعه على رأس لائحة الأبطال وكبار المصلحين الدينيين في كتابه "البطولة وعبادة الأبطال"، ولكنه القائل أيضا إن محمدا شيء والقرآن شيء آخر، فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش جاف و غليظ باختصار هو غباء لا يحتمل (حسن عزوزي، 2012، 280).

وقد فسر التناقض الحاصل في كتابات كثير من فلاسفة عصر الأنوار بكون هؤلاء كانوا يوظفون الإسلام لخدمة أفكارهم في مرحلة كانت تحت قبضة الفكر الكنسي التسلطي فكلما توافق الإسلام مع أفكارهم وتعارض مع أفكار الكنيسة مدحوه وزايدوا في المدح، وفي غير ذلك هاجموا ووصفوه بأقبح الأوصاف والتهم والافتراءات (المرجع نفسه، 281).

ويرى الباحث الصادق رابح أن فلسفة الأنوار كركن أساسي مؤسس للفكر الغربي ومرجعية يعتز بها الفرنسيون خاصة، ورغم أسبقيتها وفضلها في إخراج الغرب من قبضة اللاهوت وتحجره، لم تستطع التخلص تماما من العقلية اللاهوتية الإقصائية، خاصة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وتم تصويرهم في لغة قروسطية غلبت عليها القوالب الجاهزة والكليشيهات المشوهة، وفي عبارات قادحة، مثل "أمة قطاع طرق"، "أمة تقدر الحرب"، "أمة لصوص"... وكتاب مثل فولتير وديدرو ومننسكريو ولمرتتار وكوندياك وجاك كزوت لم يهتموا بما أنتجته الحضارة الإسلامية والعربية ولم يرو في الحواضر الإسلامية، مثل بغداد

وقرطبة والحمراء، التي كانت مراكز للعلم والمعرفة، إلا مراكز غير متحضرة تسكنها شعوب اتكالية وخاملة، لا هم لها إلا القيام بالحرب المقدسة وتحطيم كل المعالم الحضارية للشعوب المغلوبة(الصادق رابح، 2009، 8-10).

والعقلية اللاهوتية نفسها توجد عند باقي فلاسفة الأنوار "فهلفتيس" ركز ذمه على القرآن واصفا إياه بأنه "مبهم وغير مفهوم"، ووصل به الأمر الى المساس بالذات الإلهية، كما اعتبر أن الإسلام قد انتشر بحد السيف قائلا "إن محمدا قد نشر حقيقة عقيدته والسيف بيده"، ووصف "مونتسكيو" ميلاد الرسول بلهجة كلها سخرية وازدراء، فلم ير في القرآن "إلا مجموعة من الأشياء الصغيرة، حيث نجد لغة ربانية وأفكارا بشرية"، وكتب "كندورسي" واصفا الإسلام: "بالنظر إلى كل الأنظمة السياسية والدينية التي يرزخ تحتها الجنس البشري، فإن النظام الإسلامي هو أكثر هذه النظم التي لا تترك مجالاً للحرية".

لقد قام هؤلاء المفكرون باتهام الإسلام بالرجعية والتخلف، ومعاداته للتقدم في المجالات الفكرية والاجتماعية والثقافية، وأصبحت هذا الفكرة منذ نهايات القرن الثامن عشر، تمثل الفكرة السائدة والقلب النمطي عن الإسلام بين أنصار الفكر العلماني، كما كانت فترة ظهور البروتستانتية هي فترة ازدهار لمن اهتموا بالهجوم على الإسلام وعلى نبي الإسلام وأصبح الإسلام هو السببة أو الإهانة التي يمكن أن يوصف بها كل مخالف(باسم خفاجي، 2006، 50).

وكان لا بقاء الكنيسة جراً لا توصف في استخدام الكلمات الجارحة والفظة للنيل من شخصية الرسول الكريم(ص)، لتصل ذروتها مع المؤرخ وعالم الإنسانيات الفرنسي "دومينييك بوديه" الذي وضع كتاب بعنوان(التاريخ العام للأتراك 1632م) يتهم الرسول(ص) فيه بأنه ماجن، ولا يخجل من الإعلان عن ميوله الجنسية، وأنه لم يكتفِ بإقامة مبعي في الأرض فأقام مبعي آخر في السماء(محمد سعدون المطيري، 2016، 149).

وعرفت هذه المرحلة أيضا تناول الإسلام والمسلمين في العديد من الأعمال الفنية والأدبية، وفق الصور السائدة عنهم في مخيلة الكتاب والشعراء والفنانين، قول إدوارد سعيد: "برغم العنصرية والقمع الدائمين للعالم الإسلامي عبر الأوروبين عمليا عن إحساس فعال نوعا ما بما كان يعنيه الإسلام لهم، ومن هنا نجد تصوير الإسلام في البحوث والفنون والآداب

والموسيقى، والنقاشات العامة تعج في الثقافة الأوروبية منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا. "(ادوارد سعيد، 2011، 50).

ويعد المسرح من بين أكثر الفنون التي ازدهرت، ولاقت اقبالا جماهيريا خلال هذه العصر، خاصة لدى الطبقات المتعلمة والمتقفة، وقدمت العديد من المسرحيات التي راحت تجسد الإسلام والمسلمين في أبشع الصور.

ومن بين هذه المسرحيات، مسرحية "بايزيد" "جان راسين" عام 1672، وقال كاتب المسرحية أنه استقى معلوماته من السفير الفرنسي في اسطنبول "دوسيزي" ومن الفارس "دونا نتويه" الذي سجن في تركيا ومن السيد "دولاهيه" الذي خلف "دوسيزي"، ومن كتاب المؤرخ الإنجليزي "ريكو"، "التاريخ الحديث للسلطنة العثمانية" "وقصة "فلوريدون" للكاتب "سوغريه"، وتحدثت المسرحية عن العبيد، والجواري الذين يعج بهم بلاط الحكام في الشرق، وعن المؤامرات والخianات، ويصف الشعب بالغباء والأنانية، والعواطف الهوجاء والسادية، كما تحدثت عن الحسد والحقد والخبث والمكائد في مجتمع الشرق، ومسرحية "السلطنات الثلاث"، حول قصة سلطان تركي أحاط نفسه بخمسمائة امرأة بينهن امرأة فرنسية جميلة، استطاعت ترويض السلطان وإرغامه على ترك النساء الأخريات والزواج بها، وتحدثت المسرحية عن الإسراف، والبذخ والعبث في حياة السلطان التركي وعن غرامه بالنساء، والمسرحية تركز على تفوق قيم الحضارة الغربية على قيم الحضارة الشرقية، فتظهر البطلة وهي تقول: "يا للقرف يا للضجر، ألا تلاحظ الفرق بين هذا البلد اللعين وبين بلدي، ففي فرنسا لا استعباد هناك، لا نستنشق إلا الفرح والحرية والحبوحة، والملك ليس سوى مواطن وكل مواطن هو ملك، وتصور السلطان وهو ينحني عندما يودع البطلة الأجنبية في حين تظهر هي متعالية يغلب عليها السخرية والاستهزاء (خليل شقرة، 2015، 50).

وفي عام 1704 قام المستشرق الفرنسي "أنطوان غالان" بترجمة "ألف ليلة وليلة" إلى الفرنسية ومنها انتقلت إلى كافة اللغات الأوروبية، ومن خلال هذه الترجمة أدخل "غالان" الشرق عن طريق أدب التسلية إلى الوعي الأوروبي؛ حتى أنه في القرن 18 وفي فرنسا لوحدها تم نشر ما يقارب سبع مائة أقصوصة، تعتمد في حبكةها وعناصرها المكانية والزمانية وحتى الشخصيات على ما يحمله شرق "ألف ليلة وليلة" من تصورات مرتبطة بالشهوة الجنسية

مفعمة بشبق ذكوري، ونساء لعوبات حسناوات، وغلماں يتراقصون إضافة إلى سحر، شعوذة وأساطير، وعوالم غريبة مليئة بالجن والعفاريت، وشخصيات عجيبة كعلاء الدين، وعلي بابا والسندباد، كلها جعلت من الشرق مادة للأدب الغربي وحديث لصالونات عصر التنوير، وتطورت بذلك أسطورة الشرق على أنه مكان الشهوانية والانحطاط الخلقي، فكان تمثيل مشهد الحريم موضوعاً محورياً في الفن اللوحي الغربي خلال القرن التاسع عشر، ومن أشهر الأعمال المرتبطة بالموضوع، عمل الفنان الفرنسي ومدير الأكاديمية الفرنسية للفن الزيتي "جان دومينيك انغريس" 1867، والمسّمى "بالحمام التركي"، والتي قام برسمها في عام 1863، واضعاً بذلك التصور الغربي عن الشرقيات العاريات المتراقصات والعازفات للموسيقى، ومكتنرات الصدور في حريم السلاطين العثمانيين، أمام أعين المتلقين الغربيين، مُدخلًا بذلك في وعيهم صورة المرأة المسلمة (عبد الله الدماغ، 2015).

وتوجد في العديد من الكنائس الأوروبية المعروفة رسومات ولوحات على أسقف هذه الكنائس وتمثال في أفنيته، تهزأ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أو تصوره وكأنه يعذب في نار جهنم أو ما شابه ذلك، ومن الأمثلة المخزية في هذا الشأن لوحة توجد بكنيسة (سان بيرونيو) في وسط إيطاليا، وهي عبارة عن رسم لشخص عار ممدد أرضاً وهو يعذب في جهنم بشكل بشع، وقد كتب على جانبها بحروف واضحة اسم النبي - صلوات الله وسلامه عليه - والرسم يرجع إلى عام 1415م للرسم المعروف في ذلك الوقت، (جيو فاني دو مودينا)، كما يوجد تمثال في محراب أحد الكنائس الهامة وهي كنيسة (سيدتنا العزيزة) في مدينة (دينردموند) في بلجيكا منحوت من الخشب في القرن السابع عشر بواسطة النحات الأوروبي (ماتيويس فان بيفرن) يظهر في أسفله صورة رسول الله ملقى على الأرض على وجهه وهو يحتضن القرآن، وتدوسه أقدام ملائكة يعبرون عن هزيمة وانكسار النبي وعن انتصار المسيحية على الإسلام (باسم خفاجي، 2006، 33-34).

• الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية

تزامن مع ازدهار أدب وفكر عصر الأنوار، انتعاش الدراسات الاستشراقية الرامية لدعم الحركة الاستعمارية للعالم العربي والإسلامي، واعتبرت هذه الدراسات مصدراً أساسياً من مصادر تشكيل صورة الإسلام، بل هناك من يعتبرها من أخطر المصادر التي أسهمت في تشويه الصورة العربية الإسلامية وترسيخها في الذهن الأوربية.

وقد نشأت حركة الاستشراق كظاهرة ثقافية بعد ذلك الصدام بين الحضارة الإسلامية المتوثبة والحضارة الغربية المسيحية المتخاذلة في عصر النهضة الإسلامية. ولما بدأت الحضارة الإسلامية بالتراجع في المجال الثقافي والسياسي والعسكري قامت الحروب الصليبية، واستعاد الغرب ثقته بنفسه، وبدأت مرحلة المواجهة والتصدي للعالم الإسلامي، وأخذ الاستشراق يؤدي دوره الثقافي والنفسي متأثراً بالموروث التاريخي للشخصية الغربية في نظرتها للحضارة العربية والإسلامية (محمد فاروق النبهان، 2013).

في هذا الإطار يرى "إدوارد سعيد" أن: " البروز المفاجئ للاهتمام الأوروبي الحديث بالإسلام كان جزءاً مما دعي "بعنصر النهضة الاستشراقي"، وهي فترة تمتد بين أواخر القرن الثامن عشر وبواكير التاسع عشر، عندما اكتشف المستشرقون الفرنسيون والبريطانيون "الشرق من جديد الهند والصين واليابان وبلاد ما بين النهرين والأرض المقدسة، وكان ينظر للإسلام في مختلف الأحوال والظروف بوصفه جزءاً من الشرق يشاركه غموضه وغرائبيته وفساده وقوته الكامنة المستترة." (إدوارد سعيد، 2011، 48-49).

ويذهب أغلب الباحثين إلى أن نشأة الاستشراق كمؤسسة تسعى لمعرفة الشرق والتعريف به عند الأوروبي لم تنفصل عن الكنيسة بل تأسست بقرار منها خاضعة لتوجهاتها، ومن المعلوم أن الصورة التي سوف يصنعها الاستشراق عن الإسلام سوف تعكس بالدرجة الأولى الموقف الكنسي التقليدي وتصوره المتخيل عن الإسلام وهذا يظهر جلياً في مواقف المستشرقين الأوائل (عبد الرزاق وورقية، 2007، 22).

وبعد أن بدأ الاستشراق يخرج عن سيطرة الكنيسة ويخضع لسلطة الحكومات، تحول إلى مؤسسة في حد ذاته، تسيّر كل أنواع المؤسسات الاستعمارية الأخرى، وامتلك المصادر التمويلية والأدوات التحليلية والأجهزة التنفيذية، وأذرعاً نافذة ومؤثرة داخل أجهزة الدولة التشريعية والتنفيذية، حتى أن جنرالات الحرب أو مسيري الاقتصاد أو رجال السياسة وأعضاء البرلمان لا يمكن أن يتخذوا أي قرار دون استشارة المستشرقين المختصين (الشيباني المنصور، 2014، 37).

وبناء على التوصيات والدراسات التي سخرها المستشرقون في خدمة حكومات بلدانهم التي دعمت بدورها الاستشراق لغرض تنفيذ مخططاتها لغزو واستعمار الدول العربية و

الإسلامية. وقد كانت الظاهرة التي لعبت الدور الأكبر في تحديد طبيعة النظرة الأوربية إلى الشرق، وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر هي صعود الإمبريالية وتوحيد القوى الأوربية في مواجهة الجزء الأكبر من العالم الإسلامي، وكان التفوق الأوربي من النواحي الاقتصادية والفنية والعسكرية والسياسية والثقافية طاغيا، في الوقت الذي كان فيه الشرق يغرق في التخلف، وأصبحت إيران والإمبراطورية العثمانية محميتين أوربيتين، بينما كان نطاق الاستعمار المباشر ينتشر في أواسط آسيا لمصلحة الروس، وفي المغرب والمشرق العثماني لمصلحة البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين (معتز الخطيب، 2008، 48).

وعليه فقد أكد عدد من الباحثين أن واقع الاستعمار الغربي للدول الإسلامية كان منبعا أصيلا لكثير من الصور الزائفة، وهي الصور النمطية التي عادت لتزكي وتبرر في المخيلة الغربية نزعة الاستعمار والاستعلاء والرغبة المستمرة في الاحتواء، وأن مرحلة الغزو الاستعماري للمنطقة الإسلامية قد تميز خلالها التحدي الغربي عن الحقبة الصليبية بالغزو الفكري الاستشراقي المصاحب لاحتلال الأرض وذلك بصناعة الصور الغربية للإسلام وحضارته، تلك الصورة التي نمت مكوناتها لتبرر للغرب نفي الآخر الإسلامي من جهة، ولتشحن الشعوب غير الإسلامية بالعداء للإسلام، وتبرر أمامها سلوكها العدواني الاستعماري ضد الشعوب المستعمرة وكي تخيف شعوبها من الإسلام فتجرها إلى التضحية في معاركها الفكرية والقتالية ضد العالم الإسلامي من جهة أخرى (حسن عزوزي، 2012، 285-286).

وكانت النساء المسلمات من الاهتمامات الرئيسية لمشروع الاستعمار الأوربي وعزا المنطق الاستعماري تخلف المجتمعات المسلمة إلى ممارستين رئيسيتين هما: تحجب النساء وعزلهن، وقد أصبحت رمزا لإلحاق الظلم بالنساء وبتخلفهن الثقافي، وكانت قيمة الثقافات العربية المسلمة مرتبطة مباشرة بالحط من قدر النساء، ونسبت الممارسات العدائية والسلطة المطلقة للرجل إلى جوهر القيم الإسلامية، واعتبر الحكام الاستعماريون تفسيرات الإسلام للسلطة المطلقة للرجل والكره للنساء المرتكز على الممارسات التمييزية حيال جنس الانسان التفسير الوحيد للإسلام، وشرح للورد كرومر الفشل الذريع للإسلام كنظام اجتماعي؛ بأنه يكمن أولا وأخيرا في المعاملة المخزية للنساء، واستثمر رفع الحجاب والعزل داخل المجتمعات المسلمة المستعمرة لإعطائها أكثر من معنى؛ فقد أصبحت وفقا للرؤية والسرود

الاستعماريين الرمز المقنع للحد الفاصل بين أوربا والمجتمعات المسلمة، والمعالم الظاهرة بين الأعراق الأفضل والأقل شأنًا (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 80-83).

وما يميز هذه المرحلة بالذات، ويعطي لها ثقلاً كبيراً في بلورة الصور النمطية عن الإسلام إعادة إنتاج خطاب الآخريّة، والنزعة المركزية الأوروبية حيال الشرق الذي تم اختزاله في العالم الإسلامي، هذا العالم الذي بات يمثل الآخر الشرقي في مقابل الأنا الغربي (الأوربي). يقول ادوارد سعيد: "منذ منعطف القرن الثامن عشر على الأقل وحتى يومنا هذا، يغلب على ردود الفعل الغربية تجاه الإسلام طابع من التفكير التبسيطي الجذري المتشدد الذي يمكن الاستمرار بدعوته بالتفكير الاستشراقي، والأساس العام لهذا التفكير يستند إلى جغرافيا متخيلة برغم استقطابيتها الهائلة المرعبة تقسم العالم إلى قسمين غير متساويين أما القسم الأكبر "المختلف" فيدعى بالشرق والآخر المعروف أيضاً بأنه عالمنا فيدعى بالمناطق الغربية أو الغرب (ادوارد سعيد، 2011، 38).

وبناء عليه هناك من يرى أن الاستشراق قد ظهر كفعالية من فعاليات التمرکز الغربي على الذات، حيث شكل الشرق في إطاره موضوعاً لتفكير نتجت عنه دراسات وأبحاث وأقوال مختلفة، بدا فيها الشرقي نمطاً ملتبساً ومفعماً بالأساطير والتصورات المغلوطة، وظهر فيه الشرق مغايراً ومفارقاً لواقع الشرق ذاته، ومع أن الشرق ليس كياناً واحداً، لكن الأبحاث والدراسات الاستشراقية صورته بناء على مسبقات وأحكام التمرکز الغربي، الذي يجد أصله النظري في التقسيم الأرسطوي للعالم القديم إلى إغريق وبرابرة، أو إلى أحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة، ثم استعاضت المسيحية في العصور الوسطى معيار الفصل التقابلي في ثنائية: إغريق/ وبرابرة بمعيار فصل ميتافيزيقي آخر يقوم على ثنائية: مؤمنون كافرون، وهو فصل يعتمد على معيار الإيمان بالمسيحية دون سواها من الأديان، ويتماشى مع الطبيعة التبشيرية للمسيحية، التي شنت الحروب الصليبية على خلفية الصور الميتافيزيقية التي بنتها متخيلات التمرکز اللاهوتي وتعاليمه الكنسية" (Omar Kush، 2005).

وجدير بالذكر أن هذا الفصل الميتافيزيقي بين "الغرب" و"الشرق" لم يأخذ باصطلاحه المكاني والجغرافي، بل في تأكيد التباين الثقافي والسياسي والإيديولوجي، حيث جرى تمثيل الشرق-الشرق الأوسط المسلم- متجانساً وساكناً، ومجتمع تقليدي وثقافي بشكل جوهري، وكان

عالمًا "مختلفًا" عن الغرب غريب، مؤنث وغير عقلاني وعاطفي، استبدادي، وبالأساس أدنى من الغرب كما كان الإسلام الثابت وغير المتغير، المحدد الأساسي لثقافة ومجتمع الشرق ولترسخه في نفسية الناس وشكل هذا الإسلام قيم المسلمين وسلوكياتهم اليومية، ضامنًا بذلك تجانسًا ثقافيًا جوهريًا واستمرارية تاريخية مثيرة في كل أرجاء العالم الإسلامي (أصف بيات، 2016).

ومن خلال مثل هذه الطروحات الشوفينية، كان الغرب لا ينيئ يعلن عن نفسه بأنه واحد ووحيد، في مواجهة الباقي اللامتيز للعالم، وراح يبلور مشروع هوية يقوم على تمجيد الذات مع استحضار للآخر لكن ليس كعامل مساهم في تأسيس هذه الذات، وإنما كأشع صورة سلبية يمكن أن يعكسها هذا الآخر بالنسبة لهذه الذات، فإذا كانت هذه الذات تنويرية فالآخر الشرقي ظلامي، وإذا كانت عقلانية فالآخر الشرقي أسطوري خرافي، وإذا كانت متقدمة فالآخر الشرقي متخلف (نصر الدين بن غنيسة، 2006، 13-14).

ويذهب الباحث صادق رابح إلى أن المشروع الاستشراقي في أغلبه لم يكن مهياً في طبيعته الأولى لأن يقارب الإسلام دينًا وحضارة مقاربة تبتعد عن الاستعلاء، ولذلك عدة عوامل: أولها أنه رأى النور مع بداية التوسع الاستعماري الغربي، مما جعله وسيلة في يد السياسيين من أجل تحكم أكبر في الشعوب الإسلامية المستعمرة، أو من كان الاستعمار يطلق عليهم مصطلح "الأهالي". فالدراسات، خاصة الأنثروبولوجية، التي قام بها المستشرقون حول ثقافة تلك الشعوب وأنماط حياتها في جميع الميادين وظفت في قمعها والسيطرة عليها. فباستثناء القليل من المستشرقين، كان أغلبهم مطبوعين بالإنثنية الغربية المتعالية التي لم تر في الشعوب الإسلامية إلا تجمعات تحتاج إلى التمدين والخروج من البربرية (الصادق رابح، 2009، 12).

وشجع الوضع المهين الذي وجد العالم الإسلامي نفسه فيه، المبشرين المسيحيين وفتح لهم طرقًا جديدة، وعزا المبشرون نجاحات الأمم الأوروبية إلى الدين المسيحي، مثلما عزوا إخفاق العالم الإسلامي إلى الإسلام فصورت المسيحية على أنها ملائمة بطبيعتها للتقدم، وقرن الإسلام بالركود الثقافي والتخلف وأصبح الهجوم على الإسلام على أشد ما يكون، وبعثت حجج العصور الوسطى بعد أن أضيف إليها زخارف عصرية (معنز الخطيب، 2008، 48).

وبدلاً من اللاهوتيين، بات أنصار الاستشراق في هذه المرحلة أشخاص مثل الرحالة، المفكرين، الروائيين الفلاسفة والإداريين المستعمرين، وبالرغم من أن بعضهم قد طوّر مشاعر عميقة تجاه الشرق وفتن بغرائبيته فإن غالبيتهم بقوا جاهلين بالتنوع الداخلي ولنسيج المجتمعات الشرقية، وكان عدد قليل منهم قد عرف اللغات المحلية، كما أنهم كانوا يملكون خبرة قليلة أو معدومة في المراقبة الميدانية، فقد لاحظ "بيير مارتينو" في كتابته عن الاستشراق الفرنسي المبكر، " ما خلا بعض الاستثناءات، فهم لم يسافروا أبداً إلى الشرق، وبشكل عام الكثيرون صدقوا كل ما قرأوه"، معتبرين "الكتب الثيولوجية (اللاهوتية) والأطروحات الفلسفية انعكاس دقيق للحياة الواقعية (أصف بيات، 2016).

ولم يمنع هذا قيام الكثير من الغربيين بجولات تنقلوا خلالها في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي، وعاشوا بين مواطنيه في الصحراء وفي المدن والأرياف واختلطوا بهم، وعرفوا عقائدهم وعاداتهم وطرق عيشتهم ووجهات نظرهم في الكثير من أمور الحياة، وذلك من أجل تحقيق أهداف عديدة جعلتهم يتجشمون متاعب السفر وخطورة دروبه وصعوبة العيش ومن هذه الأهداف:

- اكتشاف العالم الآخر وطريقة حياته، والتعرف على عقائده وعاداته وقيمه وطريقة حياته في مجتمعه وأسرته وعلاقاته بأخيه وزوجته وأبنائه.
- أهداف دينية كالتنصير حيث اتضح أن كثيرا من هؤلاء الرحالة كانوا قساوسة ومنصرين، هدفوا إلى إضعاف تمسك المسلم بعقيدته لإضعاف تأثيرها عليه ولتسهيل عملية التنصير مستغلين ظروف العيش الصعبة التي يعاني منها سكان الصحراء.
- أهداف لخدمة الاستعمار، وتمهيد الطريق أمامه لتحقيق أطماعه في السيطرة ونهب الثروات، وتعتبر مشاهداتهم وما سمعوه أثناء رحلاتهم من أساطير وحكايات شعبية، وما اختلقوه من أكاذيب أساسا للأحكام التي أطلقوها على العرب، وهي بدورها كانت مصدرا من مصادر الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين في الغرب (علي خليل شقرة، 2015، 34).

ويوجد في كتب أدب الرحلات التي كتبها بعض المستشرقين صورا سلبية وعادات تصور الإسلام على أنه يشجع التخلف والامية، ويحمي القيم الخاطئة ويرسخها في تربية الشخصية المسلمة، وينميها بقوة العقيدة، ومن اليسير أن نجد ذلك فيما كتبه الرحالة الفرنسيون

عن بلاد المغرب، وتفننوا في إبراز الجانب السلبي من عادات القبائل وقيمهم وأخلاقهم، ونجد هذا فيما كتب عن الجزيرة العربية والعادات القبلية والأعراف السائدة.

ومن خلال دراسة كتب بعض هؤلاء الرحالة ولما دونوه في مذكراتهم بعدما جابوا أرجاء الوطن العربي يمكن استخلاص الصورة التي رسمها هؤلاء للعرب والتي تظهرهم: منافقين، مرتشيين، متزلفين وكسالى، واتكاليين بسبب عقيدة القضاء والقدر التي تجعل المسلم لا إرادة له، ولا يقوم بأي محاولة للتغيير بل يستسلم بسلبية لما يحدث له من مصائب وأمراض كما أن اعتقاد المسلمين بأن القرآن الكريم يحتوي على الحقائق كلها جاهزة وكاملة كما يدعي الرحالة والمستشرقون، يجعلهم يعطلون التفكير وإشغال الذهن بكل الظواهر الكونية والحقائق العلمية، ومن الأوصاف الأخرى حوتها كتب الرحالة أنهم متسولون شحاذون قذرون، ويلحون في السؤال أثناء التسول، ويستخدمون قراءة القرآن وسيلة لذلك، وهم أمة من البدو اللصوص مهنتهم الأساسية هي السلب ووسيلتهم لها هي الغزو الذي هو أسمى غايات الحياة عندهم... كما أنهم بدائيون مخادعون غدارون ومتقلبون لا أمانة لهم ويؤمنون بالخرافات، والأشباح وبتأثير الحجب في معالجة بعض الأمراض وفي الوقاية من الشرور كما أن المسلمون متعصبون متوحشون ويكرهون غيرهم.

والإسلام كما يدعون دين السيف والقتل والحط من قيمة المرأة ووصفها بأنها جارية تباع وتشتري وتستبدل بغيرها حسب رغبات الرجال، حيث أن الزواج والطلاق سهل جدا وبكلمة واحدة يمكن للرجل أن يقذف بالمرأة للشارع، كما صور بعض الرحالة النساء العربيات بأنهن فاسقات وبائعات هوى، ومن النظر في هذه الصورة التي رسمها الرحالة للعرب والمسلمين يتضح أنها كانت لبنة رئيسية من لبنات القالب النمطي السلبي الذي صببت فيه صورة العرب والمسلمين في العصر الحديث (خليل شقرة، 2015، 36-38).

وإذا كان بعض الرحالة والمستشرقين قدموا صورة طيبة في البداية عن العرب فإن الكثير منهم لم يستطيع التخلي عن الروح التنصيرية، وتقديم صورة مشوهة للمسلمين والعرب من أمثال الرحالة: (وليام بدويل، وادوارد بوكوك، وجورج ساندى، وسلمون أوكل، وجورج سيل، وادوارد لين، ورتشارد برتون، وتشارلز دورتي، وتي ام لورنس) ومن المستشرقين: (جورج دبليو كيرتس، ومارك توين، وجيب، وجوستاف، وريتشارد لويس وغيرهم)، حيث

استطاعت كتابات الغرب استخدام مؤلفات الرحالة والمستشرقين وتفعيلها في تشويه الإسلام والعرب مما يدل على أنه ثوابت تاريخية وليست بمحض الافتراء (سيد عيسى، 2008).

وقد اعترف noigent guibert de أحد المسؤولين عن هذا الأدب بأنه لا يعتمد في كتاباته عن الإسلام على أية مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال مبرراً كتاباته غير العلمية عن الإسلام ونبه " لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء (محمود حمدي زقزوق، 1993).

ولقد أعاد هؤلاء الرحالة والمبشرين والمكتشفين "الأوائل التعامل مع الآخر وفق منطق التمرکز، وقدموا روايات وأقوالاً تقوم على معيار أفضلية الإنسان "المتمدن" على "غير المتمدن"، "وساد مصطلح الإنسان "المتوحش" ثم "البدائي" في أبحاث ودراسات التاريخ والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا... ولعبت الأنثروبولوجيا دوراً هاماً في إشاعة هذه المصطلحات وانتشارها... ويدخل في هذا الإطار أبحاث ودراسات رائدي علم الأنثروبولوجيا "مورغن" و"تايلر" فقد كتب "تايلر": "تؤيد الأدلة المتوافرة الرأي القائل إن الإنسان المتمدن بشكل عام ليس أحكم وأقدر من المتوحش فحسب، بل أفضل وأسعد، وأن البربري يقف بينهما (Omar Kush، 2005).

وتم استغلال الأبحاث العلمية في مجال الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا التي راحت تعمم على المجتمعات الإسلامية، مع أن ثقافة وتقاليد هذه المجموعات لا تنطبق على القطاعات الغالبة في المجتمعات الإسلامية، وتتم مثل هذه الدراسات عن ممارسة إثنولوجية غير علمية وغير دقيقة ويحكمها منطق استعماري، فجعل الاستشراق من الشرق ميداناً أنثروبولوجياً وإثنولوجياً مجرداً من قيمه، وتاريخه وظهر وفق توصيفاته الشرقي (العربي والتركي و الفارسي) صورة للشهواني القاسي، أو صورة البربري الفظ خاصة الشمال أفريقي ويجمع بين هذه الصور دين بسيط وبدائي ومتعصب وعدواني هو الإسلام (Omar Kuch، 2005).

واعتبر الاستشراق المصدر الأول للبدايات التأملية الأنثروبولوجية في الشرق الأوسط. في مرحلة كان المستشرقون (حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً) علماء للعهد القديم والجديد، أو مبشرين، وفي أفضل الحالات علماء بالدراسات السامية أو هواة رومانطيين.

لأجل ذلك يربط ادوارد سعيد بين الاستشراق والأنثروبولوجيا ليس في النشأة بل في المادة التي اعتمداها ثم في أنهما علمان استعماريان أو نشأ في مرحلة الاستعمار ولخدمته (رضوان السيد).

ومن بين أكبر علماء فرنسا تأثيراً وشهرة في الفكر الفرنسي في هذا المجال "رينان" و"كلود ليفي ستروس"، ف"رينان" ذهب إلى أن الإسلام لا يستحق أن نتوقف أمامه أو أن نهتم به، وأنه يجب علينا أن نقفز إلى ما قبله وما بعده، أما "ليفى ستروس" فقد وصف الإسلام بأنه دين كبير يقوم على العجز عن نسج علاقات في الخارج أكثر مما يقوم على بديهية ووحى، وقبالة العطف العالمي للبوذية، وفي الرغبة المسيحية في الحوار، يتبنى اللاتسامح الإسلامي شكلاً لا واعياً عند المسلمين، لأنهم يسعون دائماً، وبطريقة فجأة، إلى جذب الآخر لتبني حقيقتهم، فإنهم مع ذلك (وهذا أخطر) عاجزون عن تحمل وجود الآخر كآخر، وإن وسيلتهم الوحيدة للبقاء في مأمن من الشك والاحتقار هي في عملية "إلغاء" الآخر كشاهد على إيمان آخر وسلوك آخر (باسم خفاجي 2006، 51).

وتحت خيمة النظرة الغربية إلى الآخر، تتعايش النظرة الفرنسية للشرق، وبالتحديد الشرق الإسلامي، التي هي في الغالب نظرة استعلائية، وعلى سبيل المثال لا الحصر كان "فرانسوا غونيه فيكونت دي شاتوبريان" (1768-1848) ينظر بدونية إلى الشرقيين، فيراهم "يجهلون الحرية ولا يعرفون الملكية ويعبدون القوة، وعندما يمر وقت طويل دون أن يظهر ممثل عدالة السماء، فإنهم يبذون كجنود بلا قائد أو كمواطنين بلا مشروع أو كأسرة بلا عائل (قيس جواد العزاوي، 2012).

وتعد المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية، وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvester de Sacy التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية (شمس العالم بن يار، 2012، 10-11).

وبعد الاستشراق الفرنسي أكثر أنواع الاستشراق الغربي تجنيداً للغزو الثقافي والتبشير الديني، كما أن فرنسا اعتمدت عليه في جميع جبهات صراعها الرئيسي مع الشرق سواء

الجهة العسكرية أو الدينية أو الثقافية أو الاقتصادية، ووظيفته كحليف رئيسي للتصير و الاستعمار والثقافة الفرنكفونية(الطيب بن إبراهيم، عرض سكينه بوشلوح، 2005).
ومن أشهر رواد الاستشراق الفرنسي:

- سيلفستر دي ساسي (1838-1758م) Silvester de Sacy

ولد في باريس عام 1758م، وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على يد بعض القساوسة منهم القس مور والأب بارتارو، أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء القارة الأوروبية ويقول أحد الباحثين إن الاستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في عصره، عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797م.

- لوي ماسنيون 1883-1962م Louis Massignon

ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، زار الجزائر والمغرب وفي الجزائر انعقدت الصلة بينه وبين بعض كبار المستشرقين مثل جولدزيهر وآسين بلاثيوس وسنوك هورخرونيه ولي شاتيليه لقد اشتهر ماسنيون باهتمامه بالتصوف الإسلامي، وبالشيعة والتشيع وعرف عنه صلته بالحكومة الفرنسية وتقديمه المشورة لها.

- ريجيس بلاشير 1900-1973م R.L. Blacher

ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء وتخرج باللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر، تولى العديد من المناصب العلمية.

- مكسيم رودنسون 1915 Maxim Rodinson

ولد في باريس في 26 يناير 1915م، حاصل على الدكتوراه في الآداب، وعلى شهادة من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، تولى العديد من المناصب العلمية في سوريا ولبنان في المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، وهناك العديد من المستشرقين الفرنسيين البارزين مثل هنري لاوست وكلود كاهن وشارل بيلا وإميل درمنجهم والأب لويس جارديه والأب البلجيكي الأصل الفرنسي الجنسية الأب لامانس. وأندرية ريموند وروبير مانتران. وغيرهم (شمس العالم بن يار، 2012، 49-50):

ومهما تعددت المدراس الاستشراقية وأهدافها، فقد قدم أغلب المستشرقين تفسيرات عنصرية في شرحهم للأوضاع آنذاك وربطوها بعنصرين: الأول يكمن في العاهات الفطرية للشعوب التي تدين بالإسلام، والثاني متعلق بالإسلام كدين "مطبوع بطابع التخلف" و"عدم الحركية" والثنائية المعروفة "التعصب/التوكل". ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك مستوحيا ومتمثلا الصورة الكنسية النمطية للإسلام. وأشهرهم أرنست رينان، الذي لم يجد حرجا في القول "بأن أي فرد يعرف حدودا دنيا من معارف اليوم، يمكن أن يرى بوضوح دونية البلدان الإسلامية، وانحطاط البلدان التي يحكمها الإسلام، والعجز الفكري للأجناس التي تستمد من هذا الدين ثقافتها وتربيتها."؛ فلم يكن يرى في الإسلام إلا "السلسلة الأكثر ثقلا التي لم تحمل البشرية مثلها قط."، أما عنصريته فلم يتوان عن نشرها في كل المحافل. ففي محاضرة له حول "نصيب الشعوب السامية في الحضارة" اختزل الإسلام في هذه العبارات "إن الإسلام هو التعصب، إن الإسلام هو احتقار العلم، إنه إلغاء للمجتمع المدني." وقد ذهب مذهب رينان كثيرون، ولكن ليس بنفس العنف، منهم لوي ماسينيو الذي لم يكن قط متسامحا مع الرسول (ص) الذي يصفه بأنه صاحب "أفكار ضحلة، يرجع في التدبير إلى قلبه وليس إلى عقله." (الصادق رابع، 12-13).

وتمحورت أعمال المستشرقين والتصورات التي كونوها عن الإسلام خاصة حول:

- تشويه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

لقد أدرك المستشرقون أهمية السنة النبوية بالنسبة للإسلام عموما والقرآن الكريم خصوصا وأنه بالتشكيك والنيل منها نيل من القرآن الكريم بل من الإسلام نفسه، يقول المبشر الأمريكي (جب) "إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء، وصار شبه صبيحة طومسون وطومسون رجل أمريكي جاء إلى لبنان فقدمت له صبيحة فحاول أن ينقيها من البذر فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء" (www.eltwhed.com، 2005).

وكان المستشرق اليهودي "جولد تسيهر" أول من قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوي، حيث يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني، وهو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في

المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام، "وكارل بروكلمان" وهو يتحدث عن نبوة محمد يردد أكاذيب وأباطيل سلفه من اليهود والنصارى فيقول: "وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى، كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد." والمستشرق موريس بوكاي في موقفه من السنة المطهرة يردد أقوال من سبقه من المستشرقين مشككا في صحة نقلها وحجيتها قائلا "فقد كتبت أولى الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح، إذن فالأحاديث والأناجيل شهادات بأفعال مضت، ووصف كلام النبي بأنه كلام بشر قد يخطئ ويصيب." (المرجع نفسه).

كما انصبت الكثير من الدراسات الاستشراقية على إنكار ظاهرة الوحي كمنطلق لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتركيز على إبراز الطبيعة البشرية في تكوين الإسلام، وأن الإسلام دعوة إصلاحية ومحاولة لمقاومة المظاهر السلبية في المجتمع المكي، والدفاع عن الفقراء والمستضعفين، وأن محمدًا شخصية إصلاحية مبدعة تأثرت بالظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في مكة، وأنه بسبب طبيعته وتكوينه النفسي كان مؤهلا للدعوة إلى تغيير ذلك المجتمع وإصلاح أمره.

وتكاد ترجمة المستشرق الألماني "نولديكه" تأخذ مكان الصدارة بكل ما تحمله من تحريف مقنع بأعلى المستويات العلمية واللغوية، إذ يقول في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنه صانع غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب، وتلقف "بلاشير" هذه الترجمة ليقول عن القرآن أنه ذلك النص الغامض عادة، والذي يصعب فهمه في سياقه الذي لا يتفق، و نصر على ذلك مع مراحل نبوة محمد في مكة والمدينة، كما يؤكد على مسألة التحريف فيشكك في نص مصحف عثمان بقوله: «وحيال كل هذه الانتقادات نحن مساقون لأن نسأل الكتابة القديمة أن تأتينا بإجابة عن مسألة الأمانة المطلقة لنص مصحف عثمان (أحمد ادريس، 2016).

كما يزعم بأن النبي محمد استمد القرآن من مصادر يهودية ومن العهد القديم بشكل خاص، ومن مصادر نصرانية"، وزعم "جورج سيل G.Sale" في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن 1736م، أن القرآن من اختراع محمد ومن تأليفه، وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل ويقول "شيلدون أموس" "إن الشرع المحمدي، ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلا

وفق الأحوال السياسية في المملكات العربية، وأن القانون المحمدي ليس سوى قانون "جستان" في لباس عربي. " (<https://ar.islamway.net/>)".

ويعمد المستشرقون إلى تطبيق المقاييس المسيحية على الدين الإسلامي وعلى نبيه، فالمسيح - في نظر المسيحيين - هو أساس العقيدة ولهذا تنسب المسيحية إليه، واعتبروا أن محمداً يعنى بالنسبة للمسلمين ما يعنيه المسيح بالنسبة للمسيحية، ولهذا أطلقوا على الإسلام - اسم المذهب المحمدي Mohammedanism ، ولكن هناك سببا آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم ، وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى من صنع محمد وليس من عند الله أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى هذا الانطباع لديهم لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله، وتتم مقارنة أخرى بين محمد والمسيح يكون المسيح فيها هو المقياس ، فمحمد مزواج وشهواني في مقابل المسيح العفيف الذي لم يتزوج، ومحمد محارب وسياسي أما يسوع فهو مسالم مغلوب ومعذب يدعو إلى محبة الأعداء (محمد زقزوق، 1992، 20-21).

- تشويه الفتوحات الإسلامية:

حاول المستشرقون تفسير الفتوحات الإسلامية انطلاقاً من تاريخهم الأوربي ونظرتهم المادية للأمور؛ فقد كانت الفتوحات في نظرهم بحثاً عن الغنائم والمكاسب المادية، وبأنها كانت آخر موجات الهجرة من جزيرة العرب التي عرفت مثل هذه الهجرات في السابق حينما تضيق مواردها. ويرى "غولديهر" أنه: "ينبغي البحث عن نبوة محمد في عملية قلب المثل الجاهلية؛ فقد استبدل الإسلام المروءة الجاهلية بالمثل الديني بأوسع أبعاده الدينية، لكن الإسلام قام بعملية جعل الدين دنيوياً، وأراد أن يبني حكماً لهذا العالم بوسائل هذا العالم، وهكذا أدخلت السياسة في الدين وأثرت عليه، لقد كان الإسلام ثورة أخلاقية في البداية ثم أصبح ديناً محارباً في مرحلته المدنية، لكن هذا البعد القتالي الذي يحتويه ليس نتاجاً للتقلبات التاريخية التي سبقت انتصاره فقط، إنه يعكس أيضاً تأثير العقلية العدوانية التي هي العقلية العربية كذلك، إن الميزة العدوانية للدين الإسلامي الفاتح الصارم في ثقته وفي حقيفته ما هي إلا امتداد للفكر العربي.

ومن هنا يمكن فهم ما يقوله موير muir: ((إن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ضد الحضارة والحرية الحقيقية)) (محمد حمدي زقزوق ، 1992، 22).

- التركيز على الفرق المنشقة عن الإسلام

عمدت الدراسات الاستثنائية إلى التركيز على الفرق المنشقة كالبابية، والبهائية، والقاديانية، والباكشية وغيرها من فرق قديمة وحديثة، وتعميق الخلاف بين السنة والشيعية ودائماً يعتبرون المنشقين أصحاب فكر ثوري تحرري عقلي يقيسون ما يرونه في العالم الإسلامي على ما لديهم من قوالب مصبوبة جامدة، وقد أشار المستشرق رودنسون إلى ذلك حين قال: (ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيراً بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليصل إلى المرحلة التي وصلتها أوروبا، ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه) (محمد حمدي زقزوق، 1992، 21).

وكرت كتابات المستشرقين عن الفرق كالشيعية والإسماعيلية والزنج وغيرهم من الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي وأعطوها من المكانة والاهتمام أكثر مما تستحق، بل إن هناك من كتب عن المناققين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم- وأطلق عليهم لقب المعارضة لإعطاء ما قاموا به من عداوة لله ولرسوله شرعية. وحصل بعضهم على درجة الدكتوراه في بحوث حول هذه الفرق (شمس العالم، 2012، 23).

وهذا ما أدى بدوره إلى الخلط بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم، فإسلام الكتاب والسنة يعد في نظر مستشرق مثل "كيسلنج" إسلاماً ميتاً، أما الإسلام الحي الذي يجب الاهتمام به ودراسته فهو ذلك الإسلام المنتشر بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية، وهو تلك الممارسات السائدة في حياة المسلمين اليوم بصرف النظر عن اقتربها أو ابتعادها من الإسلام الأول (محمد زقزوق، 1992، 21).

- وصف الإسلام بالرجعية والجمود والدعوة إلى إصلاحه

نجم المستشرقون- منذ انتهاء الحروب الصليبية- في تصوير الإسلام باعتباره ديناً جامداً لا يصلح للتطور، بهدف خلق التخاذل الروحي والشعور بالنقص لدى المسلمين وحملهم للرضا بالمدينة الغربية والاستعمار (مصطفى الدباغ، 1998، 45).

وزعم فون جرونباوم من أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها في أي دين آخر أو حضارة أخرى، فهو دين غير إنساني، وغير قادر على التطور والمعرفة الموضوعية وهو دين غير خلاق وغير علمي واستبدادي (محمد حمدي زقزوق، 1992، 22).

إلى جانب المبالغة في تصوير الالتزام الديني على أنه تعصب ضد الأديان الأخرى ورفض مطلق لوجود ذلك الآخر وتخوف من أي مظهر حضاري ومطاردة لكل فكر وثقافة، وكلمة التعصب الديني من أبرز الكلمات وأكثرها شيوعاً في الغرب وهي تعني كل شيء سلبي فهو دليل تخلف وجهل، وهو مصدر العنف والتطرف ولفظة التعصب أصبحت اليوم تعني رفض الغرب، فكل من رفض النموذج الغربي في الفكر والثقافة فهو متعصب، وكل من دافع عن هويته الإسلامية وعن مصالح أمته فهو متعصب وأصبح التسامح مقروناً بالاعتراف بتفوق النموذج الغربي في السلوك والقيم ومحاكاة ذلك النموذج في كل مظاهره ولو كانت سلبية (علي خليل شقرة، 2015، 40).

وقد وصل تعسف المستشرقين إلى الحد الذي نسبوا جميع المشاكل التي يعاني منها الشرق إلى جوهر الدين الإسلامي، في مقابل جوهر الديانة المسيحية الذي أنتج تطوراً وحضارة في العالم الغربي (محمد سعدون المطوري، 2016، 152).

ومن هنا راح المستشرقون يوجهون الدعوات ويقدمون التوصيات بضرورة إصلاح الديانة الإسلامية، على غرار الإصلاحات التي عرفتها الديانتين اليهودية، والمسيحية. وهذا الإصلاح المزعوم يمثل محاولة من محاولات تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام، وجعل الإسلام أقرب إلى المسيحية بقدر الإمكان (محمود حمدي زقزوق، 1992، 23).

إن مثل هذه الإساءات موجودة أيضاً حتى ممن وصفوا بالمعتدلين من المستشرقين، منهم المستشرق الفرنسي "جاك بيرك" 1990 في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وهي ترجمة كشفت الازدواجية في شخصيته العلمية، حيث بث فيها أخطاء كشف عنها أحد تلاميذه في جامعة القاهرة، والذي بدوره أي بيرك تأسف لما صدر عنه عفواً وهو على استعداد لتصويب هذه الأخطاء، ولكن بعد أن وزعت من ترجمته ملايين النسخ في فرنسا وفي بلاد مستعمراتها، فبالرغم من كل المديح الشكلية الذي يكيله جاك بيرك للإعجاز الأسلوبية والبناء اللغوي في القرآن إلا أن الغوص في المضامين يكشف عما يلي (د. أحمد ادريس، 2016):

- التشكيك في نزول القرآن الكريم وترتيبه وتجميعه
- تأثر القرآن بالشعر الجاهلي والفكر اليوناني القديم حول مفهوم الله
- تأثر القرآن بمزامير دواد
- احتواء القرآن لخلط اسطوري ميثولوجي مع تحريف الأساطير
- فضاة صورة الله كما هي واردة في القرآن
- إلغاء المفسرين بعض الآيات التي كانت تخرج عن قبضتهم وتحريفهم معناها
- إقحام معان غير مقصودة إلى النص القرآن مثل ترجماته التالية: ترجم سورة الإسراء إلى المسيرة الليلية أو أبناء اسرائيل، وترجم سورة غافر إلى المؤمن أو المتسامح و ترجم سورة النصر إلى النجدة المنتصرة.
- كما بنت الدراسات الاستشراقية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة تصوراتها عن الإسلام من خلال العمل على(علي خليل شقرة، 2015، 40):
- مهاجمة اللغة العربية والادعاء بقصورها على مواكبة تطورات العصر فهي لغة أدب وشعر تصلح للصحراء والقتال، ولا شأن لها بالتفكير العلمي إضافة إلى صعوبة تعلمها وبالتالي قامت الدعوات للتخلي عن اللغة الفصحى والعودة إلى اللهجات العامية.
- الدفاع عن اليهود والادعاء بقسوة الإسلام عليهم، وبأن الظلم وقع عليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي العهود التي تلتها.
- ويرى الباحث حسن عزوزي من أبرز الأسباب التي تأصلت في الروح الاستشراقية و جعلتها لا تتوانى عن إنتاج الصور النمطية عن الإسلام(حسن عزوزي، 2012، 284-285):
- اعتبار الإسلام ديناً منافساً للتراث اليهودي المسيحي لأنه أتى من داخل دائرة التراث السماوي، وبروح نقدية تصحيحية لمعتقدات اليهودية والنصرانية، يقول جاك بيرك شهوراً قبل وفاته: "إن الإسلام الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أكثر من مليار نسمة في العالم، وهو القريب من الغرب جغرافياً وتاريخياً وحتى من ناحية القيم والمفاهيم قد ظل ويظل حتى هذه الساعة بالنسبة للغرب ابن العم المجهول والأخ المرفوض".

- نجاح الإسلام في الانتشار انطلاقاً من مبدأ العالمية، ونجاحه بالتالي في الحد من نفوذ وتوسع اليهودية والنصرانية في العالم وضم مناطق جغرافية كانت تدين إلى عهد قريب للنصرانية؛ فالإسلام في نظر المستشرقين منافس دينياً وسياسياً.

- إن الإسلام كمصدر لهذا الخطر الديني والسياسي المستمر لا يمكن مقاومته إلا من خلال تشويه صورته وتمييع حقائقه، والعمل على نسج صور نمطية و قوالب ذهنية يتم العمل على ترسيخها في الأذهان قصد الحيلولة دون الإقبال على هذا الدين.

- استشرى روح الخوف الاستشراقي من الإسلام كدين و حضارة مما لا يساعد على تقديم وصف موضوعي للإسلام وفهم صحيح له؛ ولذلك يتم الاستسلام لإنتاج الأحكام الخاطئة والمواقف المتحيزة التي يأتي الكثير منها ضمن قوالب محددة تستغلها مكونات وسائل الإعلام الغربية للترويج لصور نمطية بالغة السلبية والإساءة للإسلام والمسلمين.

وإلى جانب الاستمرار في توظيف الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية، وجدت الدول الغربية في وسائل الإعلام، والمناهج الدراسية، والبحوث والدراسات الأكاديمية الصادرة عن مؤسسات ومعاهد الدراسات الاستراتيجية ما بات يعرف بالاستشراق الجديد المصادر والأدوات الجديدة لتمرير كل ما تريد تمريره عن الإسلام من معلومات ومعارف وآراء ستسهم بدورها في تشكيل صورة الإسلام في الفكر الغربي والفرنسي المعاصر.

2-1-3- المرحلة الراهنة (الاستشراق الجديد، المناهج الدراسية، وسائل الإعلام):

• الاستشراق الجديد:

عرفت هذه المرحلة انتقال تصوير الشرق الإسلامي من أوربا إلى العالم الجديد، ولم يعد تصوير الشرق الإسلامي من الناحية الخطابية يعتمد فقط على المنتج الفكري الأوروبي، مع انتقال الهيمنة الدولية إلى القارة الأمريكية؛ وفي الخطاب الأميركي عن الشرق الإسلامي تراجعت الصورة الخيالية فلم يعد الشرق مكان المذات الحسية، وليس هناك أسواق للحريم والغلمان وإنما لأسباب مرتبطة بأزمة النفط في سبعينيات القرن الماضي، وما نتج عنها من شعور بالتهديد للمصالح الأميركية، أصبح الشرق الإسلامي يُحدّد بشيوخ العرب الأثرياء والمبشرين، أو بسبب المقاومة الفلسطينية فكان الشرق الإسلامي يُختصر بصورة العرب

الإرهابيين، أو بسبب الثورة الإيرانية وما لحقها من صدمة في الوعي الغربي تجاه العالم الثالث، وخاصة العالم الإسلامي الذي استعاض بمكوناته الإسلامية عن الغربية الدخيلة لإتمام أحداثه، وما نتج عن هذه الثورة من أزمة للرهائن التي أصابت الغرب الأمريكي، فأصبح الشرق يدور حول صورة تلك النساء الإيرانيات المتسرבלات بثيابهن السوداء. فالشرق الإسلامي حسب التصور الأميركي يندمج ذاتاً وموضوعاً مع شخصيات مقبلة في أعين الغرب، كصدام حسين والخميني ومعمر القذافي وأسامة بن لادن، وكذلك العرب الإرهابيين العنيفين مثيري الشغب، وبالتالي أصبح الإسلام نفسه مصدر قلق وخوف، لا بل رعب في الوعي الغربي (عبد الله الدماغ، 2015).

ولقد أسهم في تشكيل هذه الصور العديد من الأحداث والتطورات من داخل العالم الإسلامي، نشطت من جديد المخيلة الغربية في تشكيل الصور عن الإسلام، تماشياً مع التطورات والأحداث الطارئة التي فاجأت الغرب واستلزمت أدوات وصور جديدة وإعادة بعث الصورة النمطية السائدة عن الإسلام منذ ظهوره باعتباره دين عنف وإرهاب.

وكان من بين أهم التطورات التي عرفت المرحلة ظهور ما يسمى بالحركات الإسلامية وانخراطها في جهود مناهضة الاستعمار، مما كان له الأثر الرئيس في بلورة معالم صورة الإسلام في هذه المرحلة. وذلك منذ ثلاثينيات القرن العشرين، حيث نشأت أولى الحركات الإسلامية مع الشيخ "حسن البنا" سنة 1928 والتي قدمت الإسلام بمفهوم متجاوز لمفهوم الدين فقط، بل قدمته بوصفه «نظاماً شاملاً»، اقتصادياً سياسياً ثقافياً واجتماعياً، ولذا يرى الدارسون الغربيون أن الإسلام تم تقديمه بوصفه أيديولوجيا جديدة للمقاومة يتناول الهوية والثقافة والدين معاً، وفي هذا التصور الجديد تهديد لمصالح الغرب الذي يقدم نموذج الحضاري، ويسعى إلى تنميط العالم وفق نمودجه، بما يحقق هيمنته الكاملة على باقي العالم خاصة أن مجمل هذه الحركات يسعى إلى الوصول إلى السلطة لإقامة «الدولة الإسلامية» (معتز الخطيب، 2008، 53).

وهنا يتعيّن التنبيه إلى أن تصوّر البعض اليوم أن خوف الغرب من الإسلام إنما باعده ظاهرة "العنف" أو "التشدد" - عند بعض الجماعات الإسلامية - هو تصور لا يخلو من سذاجة

أو سطحية. ولا شك أن موقف العداء متجذر لدى مؤسسات الغرب قبل عصر اليقظة الإسلامية بقرون متطاولة (يسري ابراهيم، 2014).

والإسلام بذاته وبفروعه - الشفهي والمكتوب - لطالما شكل ظاهرة أمنية للغرب المسيحي المتقاتل كاثوليكيا وبروتستانتيا - ارتوذكسيا - ويهوديا، وهذه الظاهرة أدت إلى تحالف كل هذه القوى واحدة إثر واحدة مع الإمبراطورية العثمانية، والتزواج مع سلاطينها واستيلاء سلاطين من أمهات (أرثوذكسيات، كاثوليكيات، بروتستانتيات أو مجوسيات هندوسيات أو يهوديات) رحن يدرن الإمبراطورية من خلال أولادهن وأعوانهن، إلى وصل الأمر بهم إلى المحافظة على وجودها قرابة 500 سنة والإنفاق على إنهاء وجودها بعد انتصار البروتستانتية في الحرب العالمية الأولى (محمد قطيش، 2013).

يقول إدوارد سعيد: "حتى عندما دخل العالم الإسلامي مرحلة الانحدار، وبدأت أوروبا مرحلة الارتقاء والصعود، بقي الخوف من "المحمدية" قائما مثابرا، كونه أقرب إلى أوروبا من أية ديانة أخرى غير المسيحية، كان العالم الإسلامي بمتاخمته المباشرة يستدعي ذكريات عن انتهاكه لأوروبا، كما كان يستدعي دائما ذكريات عن قوته الكامنة التي كانت تزعج أوروبا وتقلق راحتها مرارا وتكرارا والإسلام وحده هو الذي كان يبدو غير قابل للإخضاع والتطويع الكاملين على يد الغرب (ادوارد سعيد، 2011، 39).

وأدت موجة مناهضة الاستعمار العارمة إلى إحداث تغيير في النظرة إلى العالم الإسلامي. وجاء عصر التحرر من الاستعمار وهي المرحلة التي كانت بمثابة كسر لشوكة الغرب، وتحطيم لنظراته الفوقية، وهذه الفترة بالذات قد خلفت جوا من العداء أثر بشكل فعال في الصورة القومية العربية، خاصة في مرحلة الخمسينيات والستينيات من هذا القرن، وهي المرحلة التي تنامي فيها المد القومي بشكل ملحوظ (عزة علي عزت، 1997، 311-315).

وصاحب هذه التطورات على الصعيد السياسي، اكتشاف النفط في صحراء العرب، وتحول أنظار العالم إلى منطقة الشرق الأوسط والخليج بالذات، على اعتبار أنها تملك أكبر احتياطي عالمي من النفط، ما أوجد نوع من الحقد في نفوس الغرب نظرا لاحتياجه إلى البترول كطاقة فاعلة وأساسية في تطوره الصناعي الحالي والمستقبلي، تكمن آباره واحتياطاته خارج أرضه (المرجع نفسه، 322).

ويذهب ادوارد سعيد إلى أنه مع ظهور العرب المدشدشون فاحشوا الثراء والمسلحون جيداً في كل مكان في الغرب على نحو يدعو للفضول، أصبح بالإمكان تتبع أصل التوكيد الإسلامي الجديد على الذات، وإعادته إلى ما دعاه البعض بحرب رمضان التي اندلعت في تشرين الأول عام 1973، ثم ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة عام 1974 وأصبح الشيخ اليماني شخصية نافذة لسبب لا يمكن البت فيه سوى أنه كان مسلماً من مواطني المملكة العربية السعودية الغنية بالنفط، وأصبح شاه إيران كذلك قائداً عالمياً (ادوارد سعيد، 2011، 80).

تلا ذلك الثورة الإسلامية الإيرانية 1979، والجهاد في أفغانستان 1980، وقضية سلمان رشدي 1986، ثم حرب الخليج الفارسي 1991، والحرب في يوغوسلافيا السابقة 1992م، وبروز الإسلام عاملاً سياسياً في العالم الإسلامي، وهكذا دخل الإسلام بقدر أكبر في السياسات والمجتمع الإسلامي باعتباره قوة عالمية مؤثرة ومحتملة خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين. والعنصر المهم والبارز بالإضافة إلى ما سبق هو تدفق المهاجرين المسلمين إلى بلدان الاتحاد الأوروبي منذ الستينيات الأمر الذي فرض عليها العديد من التحديات (معتز الخطيب، 2008، 40).

يقول هيثم مناع: "حتى الحرب العالمية الثانية لم تضطر الحداثة الأوروبية للمواجهة المباشرة مع الإسلام إلا في عقر داره، وحدث ذلك بأسوأ أنواع السلطة وأكثرها صفاقة أي الاستعمار المباشر، وعلينا انتظار نهاية الحرب العالمية الثانية وحقبة نزع الاستعمار والهجرة المضادة نحو المركز الأوروبي لكي تحدث المواجهة الأكثر جدية في التاريخ بين الإسلام و أوروبا (هيثم مناع، 11).

لقد فرضت الأحداث والتطورات السابقة واللاحقة في العالم العربي والإسلامي توجهات وأدوات جديدة للتعامل مع الإسلام والمسلمين. ونتيجة لذلك بدأت الدوائر الاستشرافية في أوروبا وفي أمريكا - على وجه الخصوص - تهتم بالواقع السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي للشعوب الشرقية، وقد تم بهذا التحول من الدراسات الاستشرافية التقليدية - أو ما يسمى بالكلاسيكية - إلى دراسة الواقع الشرقي، وبدأ المستشرقون يهجرون المجالات الاستشرافية التقليدية مثل: مجالات القران، والحديث، والعقيدة الإسلامية، والفقهاء، والسيرة

النبوية، والفرق الإسلامية، ومجالات التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ومجالات الأدب واللغة ويتجهون إلى دراسة الأوضاع الاجتماعية للمجتمعات المسلمة من النواحي السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

وإزداد عدد الأقسام في الجامعات الغربية التي تُدرّس المساقات الخاصة بالمنطقة، وكذلك زيادة الطلب على الخبراء القادرين على تقديم معرفة خاصة بالعالمين العربي والإسلامي لوزارات الخارجية، وأجهزة المخابرات، ومراكز البحث والاستشارات، وبيوت الخبرة، في الغرب عامّة وأميركا خاصّة (أوس داوود يعقوب، 2017).

وعمل مجموعة من المحللين الاستراتيجيين في مراكز البحوث الأمريكية والأوروبية، لمنح المصادقية للطرح الذي يعتبر أن الإسلام وامتداده الجغرافي الكبير، والذي يصورونه على شكل هلال الأزمت هو التهديد الحقيقي للغرب أمنياً وقيماً، وبالتالي فتركيز الانتباه على المجال الجغرافي للإسلام والمسيحية ليس من باب الاعتباط؛ فداخل حدود هذين المجالين الاستراتيجيين سيتحدد مستقبل التوازنات العالمية الكبرى (مجدي الداغر، 133، 2009-134).

وصرح أمين عام حلف الأطلسي أنه بعد زوال الشيوعية لم يبق هناك من خطر يهدد أوروبا سوى (الأصولية الإسلامية)، وصرح وزير الدفاع الألماني: "إن الخطر المقبل الذي يهدد ألمانيا يتمثل في (الأصولية الإسلامية) التي تتنامى على الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط" وصرح "رادفان كارازديتش" السفاح العنصري الصربي "إن الحرب التي تخوضها أوروبا هي في حقيقتها دفاع عن باريس ضد الزحف الإسلامي"، وأطروحات هذه الحملة المسعورة تركز على أن الشعوب العربية الإسلامية هي بالفطرة ولانتمائها العقائدي والحضاري بربرية، همجية متخلفة كما أنها إرهابية عدوانية شريرة، وهي دعاية موجهة للغرب خصوصاً وللعالم عموماً (مصطفى الداغ، 76-78، 1998).

يقول المفكر الغربي "إن. دانيال": "أن الوعي الاجتماعي الأوروبي للربع الأخير من القرن التاسع عشر قد تكونت لديه صورة مزدوجة عن الإسلام، فمن جهة تمّ تصويره كتهديد معادٍ للمصالح الغربية دولاً وأفراداً، بما يمثله من النزوع إلى الرابطة أو الوحدة الإسلامية، و بصفته تعصباً للبرابرة المعادين لـ (رسالة أوروبا التحضيرية) الإنسانية - الكونية، ومن جهة أخرى رأت الدوائر الاستراتيجية الغربية في الإسلام (دين استقرار) وعامل تثبيت يمكن

استخدامه في إطار (إطاعة الحكام) والمحافظة على السلطات الصديقة" (باسم خفاجي، 2006 ، 52).

ويشير صالح فخري في كتابه كراهية الغرب للإسلام إلى أن الأحداث منذ الحرب في أفغانستان ضد الوجود السوفييتي وصولاً إلى أحداث 11 سبتمبر 2001، قد برهنت على أهمية الإسلام في التفكير الغربي في نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، مينا أن تصاعد «الظاهرة الإسلامية»، بأطيافها المختلفة التي تتدرج من الإسلام الشعبي البسيط وصولاً إلى طيفها الجهادي العنيف، قد ساهم أيضاً في زيادة الاهتمام بالإسلام لا كدين أو ظاهرة سياسية وأيديولوجية، واجتماعية، واقتصادية، وكذلك كديموغرافية تهدد أوروبا بسبب تزايد أعداد المسلمين فيها بل وبصورة أساسية كظاهرة عولمية يمكن من خلالها ابتناء عدو جديد، وهكذا تم في السياسة والإعلام الغربيين، بناء كتلة سياسية أيديولوجية جديدة في مواجهة الغرب تتكون من أطياف متباينة، وربما متناحرة، من التيارات والشيع والأحزاب والدول الإسلامية لتحل محل الكتلة الشيوعية التي تفككت ولم تعد تهدد الديمقراطية الغربية، ويكشف الأخير في كتابه كيف أن خبراء في السياسة وعلماء اجتماع وعلماء نفس متخصصون في علم نفس الجماعات البشرية، ومستشرقون سابقون، ومختصون في علم (الأنثروبولوجيا)، وصحافيون انخرطوا في التنظير لظاهرة الإسلام، وكتلته الحضارية، كعدو مستقبلي للغرب وكتلته الحضارية، واضعين نصب أعينهم الهدف الأساسي للقوة الإمبريالية الأميركية، القطب الأوحده المهيمن على العالم بعد انهيار الكتلة الشرقية. ويتمثل هذا الهدف في إيجاد بديل لصيغة الحرب الباردة التي ساهمت في تكتيل الغرب، وكذلك الدول التي تدور في فلكه، حول الغرب الديمقراطي القادر على حماية البشرية من خطر الشيوعية (أوس داوود يعقوب، 2017).

وانبرى عدد من الباحثين الغربيين ومعاهد البحث، للتعبير عن آراء مفادها أن العدو المحتمل للغرب استراتيجياً وثقافياً يتمثل فيما أطلق عليه الإسلام الراديكالي أو الإسلام الأصولي كأكبر منافس للديموقراطية، وأكثر النماذج معاداة للإسلام في غمار الخطاب الغربي الحالي نجده في كتاب "نيكسون" "الفرصة السانحة"، وفيه يحذر أمريكا من الإسلام الذي ينبغي كما يقول أن تتفرغ له أمريكا بعد أن فرغت من العدو الشيوعي (ثناء فؤاد عبد الله، 1993، 59).

وصارت صورة الإسلام هي صورة ذلك الآخر المعادي للمصالح الغربية خاصة بعد انهيار الكتلة الشرقية وصارت الديمقراطية والليبرالية الغربية هي النموذج الأوحى والأصلح للحدثة الكونية على ما بين فرانسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير المنشور سنة 1992 (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 281).

ويعد المستشرق الأمريكي اليهودي الأصل برنارد لويس من بين أكثر المحللين الاستراتيجيين المختصين بشؤون العالم الإسلامي، وأخذ أخذت على عاتقه التنظير والتسويق لصورة الإسلام العدو للغرب وللحضارة والقيم الغربية. يرى الباحث المبروك الشيباني المنصور أن برنارد لويس أحد منظري العلاقة الصراعية بين الإسلام والغرب الذين ساهموا طوال القرن العشرين في صناعة آخريّة الإسلام بالنسبة إلى الفكر الغربي؛ حينما يقلب المعادلة ليصير الإسلام بصفته ديناً هو الدين الذي ينفخ في أتباعه روح الكراهية والعنف، يقول لويس: "عرف الإسلام فترات نفخ فيها روح الكراهية والعنف في أتباعه، ومن سوء حظنا فإن جزءاً من العالم الإسلامي لا يزال يرزح تحت وطأة هذا الميراث، ومن سوء حظنا أن غالبية هذه الكراهية والعنف موجهة ضدنا في الغرب"، ويفسر ذلك بأنها ظاهرة قديمة مرتبطة بجوهر العقيدة الإسلامية في حد ذاتها، ويقول أن هذه الكراهية تتجاوز أحياناً العداء الموجه ضد مصالح وأفعال وسياسات وحتى بلدان معينة، وتصيح رفضاً شاملاً للحضارة الغربية برمتها، فهذه المبادئ والقيم تبدوا لهم حقاً شراً متأصلاً وأولئك الذين يشجعونها أو يقبلون بها يعتبرون أعداء الله (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 214-216).

والنقطة الرئيسية التي يريد لويس أن يثيرها هي أن الخلاف الحضاري والثقافي يمثلان حالة الصراع الدائم، وكذلك يحملان كل مبررات التباعد وقطع الجسور، ولا توجد مصلحة في تحسين صورة العدو الثقافي أو الاعتراف به بمقدار الفائدة من تدمير تراثه وتشويش ذاكرته وسلب إحساسه بالغيرية، وخلق ضرورات التحاقه بالغرب. لذلك لم يفتر برنارد عن تذكير الغرب بشرور الإسلام وتهديداته، وقد وصفه "ادوارد سعيد" بأنه غارق لأذنيه في تقصي أثر الأصولية الإسلامية، من مساجد طهران إلى حجرات الوعظ في لوس انجلس، ومن حسينيات الجنوب في لبنان إلى طوق التتار التاريخي القديم في روسيا، مذكراً الغرب بعوارض الرعب والإرهاب التي زرعتها العثمانيون عند أسوار فيينا عام 1638م، متخذاً دور الناصح والموجه للمستشرقين، في انتقاده لمناهج بعضهم عندما استخرجوا مقارنات بين التراث اليهودي

المسيحي، والتراث الإسلامي، وبحثوا عن معنى لكلمة ثورة في الإسلام، فالثورة حسب برنارد - لا تستدعي في ذهن الإنسان الغربي إلا الثورة الأمريكية، أو الفرنسية، أو الروسية، فالثورات في الغرب تقوم على أسس اجتماعية وسياسية واقتصادية، وتضع لها خططا مستقبلية، في حين تقوم الثورات في العالم الإسلامي على أيدي أولياء الله، ضد أعداء الله (سعدون المطيري، 2016، 153-154).

أما الحل بالنسبة إليه والذي كان يدعو له منذ عام 1979 فهو تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات تضم كل دويلة فيها أقلية دينية أعرقية معينة، وذلك بغية تفتيت هذا العالم ذلك المشروع الذي رحبت به (إسرائيل)، وأخذت تدعو إلى تنفيذه، فبالنسبة إلى مصر كانت دعوتها تتجه إلى المطالبة بتقسيمها بين المسلمين والأقباط، وبالنسبة إلى دول الشمال الإفريقي تقسيم هذه الدول بين العرب والبربر، وبالنسبة إلى سوريا ولبنان تقسيم البلدين بين السنة والموارنة والشيعية والعلوية والدروز، وبالنسبة للعراق تقسيم بين السنة والشيعية، أما المملكة العربية السعودية فالدعوة فيها يخصها هي تقسيمها إلى دولتي نجد والحجاز (موفق صادق العطار، 2008، 107-108).

وفي كتابيه الأخيرين "كيف حدث الخلل؟" (2001) و "أزمة الإسلام" (2003) يقول برنارد لويس "إن العرب يعانون عقدة معالمها الأساسية هي: رؤية فشلهم في الحاضر، ومجدهم في الماضي، وحسد الغرب لنجاحاته، وبذلك فالمرض مرضهم، ولا ذنب للغرب فيه، مجددا بذلك النظرة الاستعلانية للمركزية الغربية السائدة منذ القرون الوسطى وما قبلها (رضوان السيد).

إلى جانب أطروحات برنارد لويس، لعل أبرز ما يمكن استدعاؤه هنا مقولتان ذاع صيتهما في السنوات الأخيرة، هما: أطروحة فوكوياما عن نهاية التاريخ، والتي يرى فيها أن النموذج الرأسمالي الليبرالي هو أرقى ما يمكن أن تصل إليه البشرية، وما على باقي العالم إلا الانضمام إليه، ومقولة هنتنغتون عن صدام الحضارات والتي يرى فيها أن صراع الحضارات سيكون المصدر الرئيس للنزاعات في النظام العالمي الجديد وسيكون هذا الصراع مقتصرًا على الثقافة الغربية من جهة، والثقافتين الإسلامية والكونفوشيوسية (في الصين وكوريا) من

جهة أخرى، وعلى هذا فإن تلكما الثقافتين تشكلان خطراً على الثقافة الغربية لأنهما لا ترغبان أولاً تستطيعان الانضمام إلى الغرب.

ويرى "هنتغتون أن" المشكلة في الغرب ليست الأصولية الإسلامية، المشكلة الإسلام، حضارة مختلفة وشعوبها مفتتحة بتفوقها الثقافي وواعية بدونية موقعها. والإسلام كما يصوره هنتغتون يحرض على العنف وسفك الدماء، وأن المسلمين متورطون في أعمال العنف أكثر من كل شعوب الحضارات الأخرى، والسبب كما يدعي هي صعوبة اندماجهم مع شعوب الحضارات الأخرى لهذا فالإسلام مصدر عدم الاستقرار في العالم (زبير سلطان قدوري ، 2003، 84).

وتكمن خطورة هذا النموذج في كون "هنتغتون" يقدم فكرة التحريض ضد الإسلام على شكل نظرية فكرية متكاملة، ووفق منهج التاريخ السياسي الاستراتيجي والعلاقات الدولية، يحلل بها الماضي ويستخدمها ويفسر بها الحاضر، ويستنتقه ويتنبأ بالمستقبل ويقرره، فهي نظرية تلعب دوراً تنبؤياً حول الأحداث القادمة على مستوى السياسة الاستراتيجية، ومثل هذا الطرح النظري الشمولي يترك في العادة آثاره على صعيد النخب المثقفة التي تصنع وتوجه الرأي العام، وعلى صعيد القيادات واضحة السياسات ومنفذتها مما يشكل خطورة مضاعفة لما يقوله (مصطفى الدباغ، 103، 1998-104).

إن خطورة ما يروج له هؤلاء من صور عن الإسلام تكمن في أن معظمهم هم من مفكري المؤسسات البحثية، سياسيين، صحفيين، خبراء هوليوود، مبشرين مسيحيين، والبعض منهم في الأوساط الأكاديمية وهم مشغولون بإنتاج معرفة بالمقام الأول عن الشرقيين المسلمين، ليس بشكل جزافي بل بشكل ممنهج، من خلال مؤسسات قوية تشترك مع خبراء المال، وسائل إعلام، وأماكن واسعة لنشر المعلومات، كما أن صور الشرق المهيم عليها الآن من قبل وسائل الإعلام، تصل إلى قطاعات واسعة من السكان الغربيين مشكلة أفكارهم ورؤيتهم لمنطقة الشرق المسلم، ولم يعد تأثيرهم يمتد إلى إطلاع الرأي العام بل أصبح يصل إلى مجال إستراتيجيات السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وفي هذا الخيال الحالي للمستشرقين الجدد الشرقيون المسلمون ليسوا فقط محاصرين في تقاليد قديمة، تاريخ متجمد، وتصرف أو سلوك غير عقلائي، بل هم بعيدون عن كونهم غربيين أو حميديين، إنهم خطرون، هم تهديدات على

القيم الثقافية الحضارية والرفاهية المادية للغرب، فاليوم "الاستشراق الجديد" يبدو أنه أكثر ترسخًا متعدد الأوجه، ومضر أكثر من سابقه (أصف بيات، 2016).

وأكد "ماكسيم ردونسون" أن الاستشراق الجديد لم يستطع أن يعتق نفسه كلياً من قبضة العنصرية، أو المركزية العرقية أو الاستغلال أو التحريف، أو ادعاء رؤى كونية بعد إفراغها من مضمونها مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتبين أن الحاجات التي ولدت الاستشراق الاستعماري في عهد الاستعمار المباشر، والحاجات التي ولدت الاستشراق ما بعد الاستعماري في عهد الاستعمار الثقافي غير المباشر قد تلبست لبوساً جديداً فولدت الاستشراق الجديد، فتغير الحاجات قد ولد تغير الكيفية الاستشراقية دون المساس بجوهرها وارتباطها بالمشروع الغربي، وهذا ما يبرز بشكل جلي في الدرس الاستشراقي الجديد للثقافة العربية الإسلامية في الألفية الثالثة (المبروك الشيباني، 2014، 109).

وفي الحالة الفرنسية كما في حالات بلدان غربية أخرى قريبة منها وشبيهة بها، كان المستشرقون الكبار أمثال لوي ماسينيون (1883-1962)، وريجيس بلاشير (1900-1973)، وأندري ميكال (1929-؟) وغيرهم، "يحتكرون" الحديث عن الإسلام، ولهذا السبب بالذات، ظلت المقاربة الفرنسية للإسلام مقاربة "من الخارج" لم "تعكّر صفوها" إلا أصوات عدد قليل من المنقّفين العرب الذين تكوّنوا في معقل الاستشراق ذاته، أمثال مالك بن نبي (1905-1973)، ومحمد أركون (1928-2010)، وأنور عبد الملك (1924-2012)، فقد سعى هؤلاء، كلّ على طريقته، إلى فرض أصواتهم وإلى الدفاع عن قضايا شعوبهم؛ وفي السنوات الأخيرة ظهر شكل آخر من أشكال الاهتمام بالإسلام، يمكن أن نطلق عليه تسمية "المقاربة من الداخل" والمقصود بـ"الداخل" ما صرنا نلاحظه لدى علماء الاجتماع وعلماء الاتصال والباحثين في العلوم السياسية من اهتمام متزايد بالإسلام في سياقه الفرنسي، بل في سياقه المغربي في الخصوصية الفرنسية (الصبحي العلاني، 2017).

ونتج عن هذا الاهتمام القيام بالعديد من الأبحاث والدراسات التي تنتمي إلى مجال الاستشراق الجديد، وهناك من أسماها بالإسلامولوجيا، والمقصود بهذا المصطلح ذلك التخصص العلمي والأكاديمي الذي كان من وراء انتشاره عوامل كثيرة لعل من أبرزها أن الإسلام أصبح له وجود مركزي في الثقافة الغربية، بل يشكل تحدياً كبيراً لها، ورغم أن عمل

الإسلامولوجيين أساتذة وباحثين لا يختلف من حيث الجوهر والروح عن عمل المستشرقين إلا أنهم ينفرون من مصطلح الاستشراق ويقلقون لمجرد نعتهم بالمستشرقين الجدد، يقول "أوليفيه روا"، - وهو أحد أبرز الباحثين الفرنسيين في مجال الإسلامولوجيا ومن أقطاب الإستشراق الفرنسي الجديد- انتقلت الدراسات الإسلامية، عندنا من فترة المستشرقين الكلاسيكيين، الذين كان اهتمامهم منصبا أساسا في التخصص في مجالات دراسة القرآن، والتاريخ الإسلامي، واللغات والآداب الشرقية، أمثال "مكسيم رودنسون" و"جاك بيرك" و"كلود كاهين"، إلى جيل جديد من الباحثين المتخصصين أساسا في السوسيولوجيا والعلوم السياسية... ونحن بخلاف الكلاسيكيين لا نسعى لفهم الظواهر الإسلامية المعاصرة في ضوء دراسة التاريخ أو الفقه أو الآداب القديمة، بل نتعامل مع هذه الظواهر التي ندرسها من خلال أدوات البحث العلمي التي نعتمدها لتحليل أي ظواهر اجتماعية أو سياسية... لكن هذا لا يعني أن هذا الجيل من الباحثين له نظرة واحدة وآراء متوافقة في مجال الإسلاميات والاستشراق، بل لكل واحد منهم خصوصيته وتوجهه وأفكاره (عبد الله شارف، 2014).

يرى الباحث الصادق رابح أن الكثيرين اعتقدوا أن هذا المنحى الجديد سيخلص الدراسات التي تتناول الإسلام من التصورات القديمة ويخلق "قطيعة إبستيمولوجية" مع عقلية الإقصاء. لكن الظاهر أن غالبية "المستشرقين الجدد" الذين ينتمون إلى ما يسميهم بورديو "مفكرو وسائل الإعلام"، يجذبون كغيرهم الاختصار على الجهد العلمي ذي النتائج المتوازنة. فهم كمن سبقهم يلغون تعددية الممارسات الثقافية داخل الفضاء الإسلامي، من خلال ما يمكن أن نطلق عليه "إستراتيجية التحاشي"، ويهتمون فقط بالحركات ذات الماهية السياسية، أو ما يعرف حاليا بالإسلام السياسي أو الحركة الإسلامية (الصادق رابح، 2009، 13).

وكتابات "أوليفيه روا" والمطلع على مؤلفاته المتعلقة بالإسلام السياسي، يلمس بأن هذا الإسلامولوجي يحكم على هذا المجال بالفشل الذريع؛ أي أن جميع الانتفاضات والحركات والتوجهات السياسية الإسلامية المعاصرة آيلة إلى الذبول ثم الفناء، لأنها لا تقوم على مشروع علمي وعقلاني بل مجرد مواقف وسلوكيات انفعالية واندفاعية وردود فعل إزاء الضغوط الدكتاتورية، بل إنه ذهب في كتابه "الإسلام المعولم" إلى أن ثقافة المجتمعات الإسلامية ما زالت تتأثر بالثقافة الغربية وتواصل طريقها نحو تبني تصوراتها وتمثلاتها، وبعبارة أخرى فإن هذه الثقافة ستذوب مع الأجيال القادمة في الثقافة الغربية الكونية، ومن هنا فإن الإسلام في

رأيه ثقافة ومجتمعاً، سينخرط لا محالة في تيار العولمة المعاصرة، وكان هو أول من بشر بـ "ما بعد الإسلام السياسي"، وذلك في كتابه «فشل الإسلام السياسي» الصادر في العام 1992، ثم جاء بعده زميله الفرنسي أيضاً «جيل كيبييل» فطور المفهوم في كتابه «جهاد، انتشار وانحسار الإسلام السياسي»، وقارن فيه تجربة الإسلام السياسي أو «الإسلاموية» بالتجربة الشيوعية (عبد الله شارف، 2014).

وتكمن خطورة كتابات المستشرقين الجدد في كونها توصف بأنها صادرة عن باحثين وخبراء بالظاهرة الإسلامية، فحسب رأيه أن نخبة من أساتذة الدراسات في الجامعات الغربية تعدّهم الحكومات الغربية بمثابة خبراء ومراجع في شأن الإسلام، وتطلب منهم تقديم الشهادات والتوصيات عن ذلك الشأن للمسؤولين، ويقومون بالفعل بتقديم تلك الشهادات والتوصيات، ولكنّ علم الكثيرين ممّن يسمون بخبراء الظاهرة الإسلامية علمٌ منقوص ومشكوك فيه ومعارف أكثرهم تحتاج إلى أن توازن بوجهة النظر الإسلامية؛ حتى تقترب من الصواب، وتُعطي إفادات وشهادات لا تضر بالمسلمين.

يقول ادوارد سعيد: "عندما يغامر هؤلاء الباحثون الخبراء بالظهور أمام الجمهور يتم عرضهم خبراء عارفون؛ لأن حالة طارئة كانت قد باغتت الغرب وهو غير متأهب لها، فيدلون بأرائهم التي لم تلتفتها أو تهذبها أي بقية باقية من شعور حضاري تجاه الإسلام؛ فينظر إلى هؤلاء الخبراء باعتبارهم تقنيين مجهزين بمجموعة حكيمة من الدر المنثور لحل جميع الأمور (والتعبير يعود في الأصل ل دوايت ماكدونالد)، كي يعرضونها على العامة القلقين فيولع بهم العامة بكل لطف وكياسة لأنهم يمثلون الإجابة على ما دعاه المؤلف الأمريكي كريستوفر لاسك ب: الطلب غير المسبوق على الخبراء والتقنيين" (ادوارد سعيد، 2011، 215).

والمظهر الآخر لصورة الإسلام العامة في الإطار الجديد للمفكرين الجيوسياسيين هو أنها توجد دون تغيير أو تبدل في علاقة مواجهة مع أي شيء طبيعي وغربي... ينطوي على عداة وتناقض مع عالمنا، وتفاقم هذا الشعور حينما قامت الصحفية فلورا لوييس بتصنيف انحرافات الإسلام الواضحة عن الخانة السوية بخرابة اللغة العربية وخصوصيات اللغة العربية الغربية، وخرابة معتقدات الإسلام والشمولية الجلفة لهيمنة الإسلام على أتباعه إلخ، وبذلك يمكنك أن تساوي بكل سهولة بين الإسلام وبين أي مسلم تقريباً، وآية الله الخميني هو المرشح

الأمثل لهذا الأمر، وبعد ذلك يمكنك المتابعة فتقارن الإسلام بأي شيء تكرهه بصرف النظر عن دقة ما تقوله في الواقع (المرجع نفسه، 82-83).

وقد نتج عن التداخل والتشابك بين عمل المستشرقين الجدد الاستشراق ووسائل الإعلام ما اصطلح البعض على تسميته بالإستشراق الإعلامي كأحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة، ويشغل في إطاره مجموعة من الصحفيين الكتاب الذين هم أقرب إلى العمل الاستشراقي منه إلى العمل الصحفي الخالص، أو بالأحرى هم كتاب صحفيين مالوا إلى احتراف مهنة الاستشراق... وتتسم نظرة هؤلاء المستشرقين الجدد المنتمين إلى دائرة الاستشراق الإعلامي إلى الإسلام بتنوعها وتعدد مشارب أصحابها، لكنها تختلف عن نظرة المستشرقين الأكاديميين في مصدرها وخلفياتها الفكرية فهم لا يميلون إلى الدراسات الإسلامية التقليدية والمتخصصة التي تعتمد على الكتب كمصادر ومراجع لأبحاثهم وإنما يعتمدون على الدراسات الميدانية المؤسسة على منهجية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز تخصصاتهم، فهم لا يناون عن تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها على وجه السرعة والاستعجال بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري المحض، وتعتمد على عامل الإثارة الذي يستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في الأحكام والاستنتاجات وتحريف الوقائع، هادفين من وراء ذلك إلى تحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع لأعمالهم وتحقيقاتهم وبشكل أوسع، وتميل دراسات القوم إلى كثير من السطحية والتعميم، وبالرغم من أن مستندهم الأساس في إثارة الشبهات والافتراءات وتشكيل الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون، إلا أن خلفياتهم الثقافية في ميدان الإسلاميات ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى يخولهم الحديث والنقاش حول قضايا دقيقة ترتبط بالتشريعات الإسلامية والتاريخ الإسلامي (حسن عزوزي، 2012، 329).

ويرى الباحث "الصادق رابح" أن غالبية المشتغلين به يستعملون في مقاربتهم للإسلام لغة إعلامية درامية أكثر منها أكاديمية عقلانية، ونجد هذا خاصة عند جيل كيبال، مثلاً، وهو ذائع الصيت وترجمت كتبه إلى العديد من اللغات ومنها العربية، إذ أنه يقترب أكثر في لغته وأسلوبه إلى الأسبوعيتين الفرنسيتين نوفال ابسرفتار ولكسبرس في تناولهما للإسلام منه إلى

المنهج المعرفي المحكم. "فخبراء الإسلام" كما يسميهم الإعلام في لغة تهليلية مدحية، لم يستطيعوا التخلص من ذاتية انتمائهم وتحويل "القطيعة المعرفية" المنشودة إلى ممارسة، وهم بذلك قد اختاروا أسلوب المواجهة مع الإسلام، الذي يخول لصاحبه كل الوسائل "المشروعة" لقتل الآخر والتشنيع به وقدمه والتجني عليه (الصادق رابح، 2009، 14).

وعندما نتأمل على سبيل المثال في طريقة مقاربة إسلام الهجرة الذي يعايشه هؤلاء الخبراء يوماً نجد أن دراستهم للموضوع فيها نوع من التحيز والتهويل والدرامية في التحذير من خطورة تدفق المهاجرين إلى الدول الغربية، إن هؤلاء المستشرقين الإعلاميين عندما يكتبون عن ضواحي المدن الفرنسية التي تقطنها جاليات إسلامية كبيرة لا يهتمون بتحليل ودراسة أسباب الواقع الاجتماعي والثقافي البائس الذي يعيشه كثير من أبناء الجالية الإسلامية حيث الإقصاء والعنصرية والتهميش، وإنما يسعون إلى توسيع فجوة التفاهم بين المجتمع الفرنسي والجاليات الإسلامية، ويسبغون شرعية على مطالب الأحزاب اليمينية المتطرفة الداعية إلى طرد كل المهاجرين من أصل عربي، وهكذا وبتركيزهم على مظاهر التطرف التي تجتاح الضواحي وتحويلهم المسلمين إلى مجاهدين يريدون أسلمة فرنسا، يعيدون إحياء القوالب الذهنية والصور النمطية القديمة التي تصف الآخر العربي والمسلم بأنه مخيف ومروع قد جبل على العنف والغدر والخيانة، وهكذا يبدو إنتاج المستشرقين الإعلاميين من أكبر المصادر المغذية للصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، إنه إنتاج اختصاري تبسيطي تعميمي تمويهي تحيزي الرؤية ومتأثر بعقلية الإقصاء والاستعلاء (حسن عزوزي، 2012، 331).

ولهذا أبدى الكاتب الفرنسي الجزائري الأصل، "محمد أركون" انزعاجه من انتقال دراسة الإسلام، من دوائر الاستشراق والدرس المؤسساتي الأكاديمي إلى كتاب وصحفيين غير محترفين بتاريخ الإسلام وغير متخصصين بدراسة الأديان (حكمت البخاتي، 2017).

وفي مؤلفها "الإسلام العدو بين الحقيقة والوهم"، حذرت الكاتبة الألمانية أندريا لويج من ظاهرة من تطلق عليهم "الخبراء الوهميين" أمثال جير هارد كونستلمان وبيتر شول لاتور الذين سيطروا على أجهزة الإعلام لسنوات دون منازع بوصفهما خبيرين في شؤون الشرق الأوسط... ولا تقتصر الظاهرة على ألمانيا ففي فرنسا هناك مثلاً ألكسندر دل فال الذي يعد جزءاً ممن تسميهم صحيفة "لوفيغارو" "حلقة الخبراء السحرية" المدعويين في شكل دوري

إلى شاشات التلفزة، وبخاصة منذ الحادي عشر سبتمبر، فهو كنموذج لهؤلاء الخبراء، لا يحب التعقيد، ويرى أن العالم يمكن تحليله بسهولة، ومن تحليلاته الواسعة الانتشار: "إن مبدأ رفض الحكم الكافر هو الذي يفسر غالبية النزعات بين المسلمين و" الكفار " في كشمير والسودان وأرمينيا والشيشان، وحتى في كوسوفو ومقدونيا، حيث أصبح المسلمون يشكلون الغالبية السكانية، وبطبيعة الحال تحدث مثل هذه التفسيرات أثرا خطيرا في الغرب الذي يحتفظ للحروب الدينية بأسوأ الذكريات ويربط بينها وبين مفاهيم سلبية عديدة (ممدوح الشيخ، 2010).

يضاف إلى ذلك أن التغطيات المباشرة لما تقوم به الجماعات المتطرفة والإرهابية باسم الإسلام هو ما يؤسس قاعدة لسوء الفهم، وخاصة عندما يتم عرض هذه الأحداث بدون شروحات عميقة على شاشات التلفزيون، إن ما يطلق عليه "متقفو التلفزيون" أي هؤلاء الذين يتواجدون على الشاشات في وقت الأزمات يلجؤون إلى الخطاب التلفزيوني السهل، يقول صاحب أطروحة "التعامل المباشر للإسلام في فرنسا" أن: "المفكرين السريعين أو ما يُطلق عليهم مفكرو الطوارئ الذين يعتمد عملهم على الإعلام لهم وظيفة خاصة كما يرى الفيلسوف الفرنسي المعروف بيير بورديو، هؤلاء المفكرون السريعون لديهم وجبة جاهزة من الأفكار التي تعمل ضمن القوانين التالية: إنهم يتحدثون بلغة مفهومة من قبل الجمهور وهي أفكار مألوفة ومستهلكة، ومعروفة، ومعتادة، ولدى هذا الجمهور انطباع بأنه لا يسمع أفكارا جديدة لأنه يعرف هذه اللغة واعتاد عليها في مخيلته الجماعية، ولا يحتاج إلى بذل الجهد في التفكير في الخطاب وتعميداته خطاب خاص له منطق المعاكس لأن وظيفته هو تخريب وتشطيت الأفكار، ولا يقدم فكرة جديدة بل يكرس الأفكار القديمة التي استلمها الجمهور عبر فترة زمنية طويلة" (شاكر نوري، 2018).

ويعزز كثير من المستشرقين الإعلاميين مواقعهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لا يتم ابتعائهم إلى البلد الإسلامي المحدد إلا بعد أن يلتفتوا ويشحنوا بكم هائل من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الإسلام والمسلمين، وكثيرا ما يرسل المستشرق الإعلامي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنوطة به، بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة.

والمادة الإعلامية التي يتم إنتاجها والتي هي في الغالب أبعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة، تعتبر مصدرا أساسا لوسائل الإعلام الغربية المكتوبة والمسموعة والمرئية بل حتى الرسوم الكاريكاتيرية تستمد خلفيتها من دراسات المستشرقين الإعلاميين، وجذير بالتنبيه أن وسائل الإعلام الغربية لا تتردد في أن تضيفي على الصورة القاتمة للإسلام التي أفرزها هؤلاء نوعا آخر من التضليل والتمويه، وبذلك تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه المستشرق الإعلامي من صور نمطية موهلة في التشويه والتضليل تعمل على تكريس نزعة التخويف من الإسلام و تصويره وفق قوالب محددة بالغة التعميم ثم الاعتماد في توفيرها على حفنة من الكليشيهات رائجة الانتشار والقابلة للتصديق (حسن عزوزي، 2012، 330).

• المناهج الدراسية:

تستمد المناهج التعليمية أهميتها وقوتها التأثيرية من أهمية التعليم في حد ذاته، حيث تهدف عملية التعليم إلى تكوين الإنسان تكوينا ثقافيا معتمدا على النواحي الوجدانية والقومية والعقلية والاجتماعية والسلوكية، بقصد إعداد إنسان مؤمن بوطنه وبقضاياها ومشاكله، وتحدد له الآخر المختلف عنه في طبيعة نشأته وثقافته وحدوده الجغرافية، وكيفية تفكيره ودينه وعاداته وتقاليده، وتشكل للطفل الغربي كيفية التعامل مع هذا الآخر وهل هذا الآخر صديق في الانسانية أم عدو يجب الحذر منه والخوف من أفعاله وأعماله (محمد أحمد القفاص، 2011).

وفي هذا السياق أكد عالم التربية "لوثر ايفانزا" خطورة المناهج الدراسية وتأثيرها على الطلبة والمستقبل بقوله: "إن الكتب المدرسية والمدرسين يمكن أن يكونوا بمثابة البذرة للتفاهم الدولي والصداقة الدولية من خلال عرض الحقائق عرضا صحيحا من الناحيتين الكمية والنوعية وبمنظور سليم، ولكن يمكن أيضا أن يكونوا بذرة لمحصول من سوء التفاهم والكراهية والازدراء بين وتجاه أنماط الحياة الأخرى، وذلك من خلال عرض المقولات غير الدقيقة وغير المتوازية وغير المناسبة على أنها حقائق (علي خليل شقرة، 2015، 96-97).

وتعد المناهج التعليمية الغربية في مختلف الأطوار، لاسيما مرحلتي الابتدائي والثانوي مصدرا مهما من مصادر تشكيل الصورة عن الإسلام، وذلك من خلال ما تزود به التلاميذ في سن مبكرة من معلومات ومعارف تشكل أولى ملامح هذه الصورة في أذهانهم، ترافقهم في مختلف المراحل العمرية.

وبالنسبة للقوالب النمطية في كتب التاريخ المدرسية في الولايات المتحدة الأمريكية ليس فيها تصوير لغزاة مسلمين ما دامت أمريكا لم تصلها جيوش المسلمين، لكن يتم تصوير المسلمين ضمن قوالب، العربي الشرير مقابل راعي البقر الأمريكي الصالح، ويغلب أن يصور المسلمون رمزا للشرور، وهو نعت كان له رواج إبان العصور الوسطى، ضمن الأحكام الجاهزة التي كان يسقطها رجال الدين النصارى على الإسلام، ويتم تقديم العرب المسلمين أيضا على أنهم شيوخ أثرياء، يتسببون في ارتفاع أسعار النفط والعقارات، وأنهم يشكلون خطرا على الغرب، وهم " أعداء العالم ومثيرو الحروب ويكرهون المسيحيين"، وقد خلص الباحث "سليمان قناوي" في دراسته عن صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية في أمريكا، إلى أن المعالم الرئيسية لصورة العربي المسلم هي: " الرقص، واللباس العربي والحجاب للمرأة، وآبار النفط، وسيارات الليموزين الطويلة، واللحية السوداء الضخمة، والنظارات الشمسية السوداء(حسن عزوزي، 2012، 289).

وفي كتابه "كفى صمتا" يقول "فندلي" بأنه قبل زيارته للبلاد العربية والتعرف على الإسلام والمسلمين، كان ضحية هذه الصور الزائفة التي تشكلت منذ طفولته وهو على مقاعد الدراسة ويضيف قائلاً: "قالت لنا معلمتنا إن شعبا أميا وبدائيا وميالا إلى العنف، يعيش في مناطق صحراوية في الأراضي المقدسة، ويعبد إلهها غريبا، وكانت تسميهم "محمديين" وتواظب على تكرار قولها بأنهم ليسوا مثلنا، وكنا أثناء حديثها نلهو في صندوق رمل كبير نغرس في مواقع مختلفة منه أشكالا مصغرة لأشجار النخيل والجمال والخيام والبدو ويضيف: " لقد انغرست تعليقاتها في ذاكرتي، وبقيت معظم حياتي أحمل صورة عن المحمديين كأناس غرباء جهلة، يضمرون الأذى للآخرين كانت معلمتي، مثلها مثل العديد من الأمريكيين اليوم تكرر ببراءة الأضاليل التي اكتسبتها من أناس آخرين يفتقرون إلى المعرفة الوافية"، ويذكر " فندلي" الترتيلة التي كان يترتلها مع أقرانه في المناسبات الدينية وفيها إساءة للإسلام وتستعيد مشاهد من الحروب الصليبية.

ويروي عندما طلب أحد المدرسين من أحد تلامذته كتابة موضوع تعبير عن معاملة المرأة في الشرق الأوسط ومقارنتها بعمل المرأة في أمريكا، ولما سأل الأب ابنه عما كتبه في هذا الموضوع أجاب الابن: " لقد كتبت أن المرأة تعامل سيئة في الشرق الأوسط، وأنها لا يمكنها السير مع زوجها إلا وهي متأخرة عنه، كما أنها لا يمكنها تناول الطعام معه بسبب

الدين الإسلامف وتعالفمه الفف فحف على ذك".، ومثل هفه الأكاذفب والحقائق المغلوطة تملأ الكفب والمراجع الفف فدرسها الطلاب، وتروف إحدف الطالبات قائلة: "بصفف ففهودفة طالما اهفمف بدفننا الشفق، فف الصفوف الففنفة الأولى فعلمت أن الجارفة هاجر ولدت إسماعفل من إبراهفم ومن هفه الذرفة خرج العرب، وخرج الففهود من ذرفة سارة وإبراهفم، وراففقفنن الفساطفر الففنفة طفلة ففائف، وروافف عن كفففة فحول بشرة العرب إلى اللون الداكن، وروافف عن الففة البدوفة وقصص غربفة من اللفالف العربفة، وأذكر مشاهدة أفلام عدة من مقاتلفن عرب فلوحن بسفوفهم وفقاتلون الرجل الأبيض، وأذكر الحجاب وهز البطن والخصر والجمال، ورجال بأسنان كببرة فحملون البنادق ورفردون الثفاب المفسخة." (جون كفشنلو شفافبرغ، 2005، 268).

وجاء فف دراسة ل "سوزان دوغلاس" و"روس دون" بعنوان: "فسفر الإسلام فف المدارس الأمرفكة" شملت مْفوفف سفة كفب فعلامفة فعرّضف للإسلام، ودرست للطلاب من الصف السادس إلى الففاني عشر بأن الإسلام نسخة معدلة عن الففانففن الففهودفة والنصرانفة، وقطعت الصلة بفن الإسلام والمسلمفن من جهة وبفن إبراهفم عفله السلام من جهة أخرى، ثم حملف هفه الكفب أن الإسلام لم فففففر إلا بالسفف، وأنه فضطهد غرب المسلمفن وفضار حقوق المرأة، وفف نفس الوقت، لا فذكر فلك المناهج عن حضارة الإسلام شففاً، وقد علق الباحثان على أن هفه الكفب ففن فصف الإسلام، ففنا فكففف بذكر حقائق جافة ولا فعطفها الففسفر الصحيح اللائق، فف ففنا فصور عبادات المسلمفن على أنها جزء من بقفا الوثنفة، وهو ما ففطابق مع كلام المفسفرففن القدماء... واستطلع د. ماكل سلفمان - أسفاد العلوم السفاسفة بجامعة "كنساس" بأمرفا آراء الأسافذة والطلاب فف المدارس الففانوفة فف سف ولافب أمرفكة، فجا ففرفف بعضهم للإسلام بأنه "فنه دفن زائف"، أو "فنه الإيمان الفف ففوق الففكفر الخلاق"، أو "فنه الدين الفف فسبب فخلفا فف نمو نهضة أفعاه"، أما فصور الطلاب للمسلمفن، فهو أنهم: "قوم فحبون الحروب بطفبعفهم"، أو "قوم مفدفنون مْخدوعون من رجال الدين" أو "أنهم أصحاب الدين العجفب غرب الأطوار"، وكففر من أولئك فربطون بفن الإسلام والحروب الصلففبة، ومنهم من فربط بفنه وبفن فففمافف الأمرفكان السود فف أمرفا من أفع "إلجا محمد" ظاففن أنهم فمفلون الإسلام الفف (محمد فسرف إبراهفم، 2014).

وقام بيرك بمراجعة عدد من الكتب المعتمدة في الكليات لتعليم أديان العالم في بريطانيا وبحث في الطرق المتبعة للتعريف بمحمد، القرآن، المسلمين والإسلام، وتشير نتائج تحقيقاته إلى على سبيل المثال تستخدم المحمدية للإشارة للإسلام وهذا الاستخدام ليس مهينا للمسلمين وحسب بل هو غير دقيق أيضا؛ فمحمد ليس إله والمسلمون لا يعبدون محمد ووفقا للمسلمين محمد ليس سوى رسول الله (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 256).

وتعكس كلمة للأمير "تشارلز ولي العهد البريطاني" ألقاها على مسرح شلدونيان في اكسفورد، كيف تساهم مناهج التعليم الأوروبية في تشكيل الصورة عن الإسلام والمسلمين في مراحل تعليمية مبكرة يقول: "التلاميذ في مدارس الغرب دأبوا على رؤية السنوات المنتئين للحروب الصليبية على أنها سلسلة من البطولات والانتصارات الفروسية، التي حاول من خلالها ملوك أوربا وفرسانها وأمراؤها وأبنائها تخليص القدس من المسلمين الذين عددهم الأوربيون من الأشرار الكفرة، والمحصلة النهائية من الكيفية التي ننظر بها إلى تاريخنا في الغرب هي أننا في أغلب الأحيان اعتبرنا الإسلام خطرا ماثلا يهددنا؛ ففي القرون الوسطى اعتبرناه فاتحا عسكريا، بينما اعتبرناه في العصور المتأخرة مصدرا لعدم التسامح والتطرف والإرهاب، صحيح أن أيام تلك الفتوحات قد انتهت لكن سلوكنا المشترك اتجاه الإسلام مازال يعاني حتى اليوم لأن أسلوب فهمنا الخاطئ له سطا عليه واختطفه التطرف والسطحية، إن الناس في هذا البلد بريطانيا كثيرا ما يجادلون بأن الشريعة الإسلامية تنطوي على القسوة والهمجية وعدم الإنصاف وصحفنا مشغوفة فوق كل ذلك بترويج هذه الاجحافات المغرضة دونما تفكير، والحقيقة طبعاً مختلفة ومعقدة في الغالب وهناك أيضا جهل كبير بالفضل الذي تدين به ثقافتنا بالذات والحضارة عموماً للعالم الإسلامي." (علي خليل شقرة، 2015، 27-28).

وجاء في بحث حول محتوى مناهج التعليم الإسبانية عن الإسلام، أشرف على إنجازهِ الأستاذة "خيما مارتين مونيوس" Gema Martin Munuz بتكليف من "معهد التعاون مع العالم العربي" سنة 1993، أن هذه المناهج تميز بين إله المسلمين بتسميته "الله" Alahe وإله النصرى بتسميته "ديوس" Dios، لغرس في لا وعي المتلقي أنهما إلهان مختلفان، وأن الإله الحقيقي هو الذي يعبدّه المسيحيون، أما النبي محمد، فيتم تعريفه على أنه مصلح اجتماعي ورجل دولة أكثر مما هو نبي ورسول، مع التقليل من أهمية مسيرته الدينية والتشكيك في حقيقتها، وهناك ممانعة واضحة في الاعتراف بالصفة الربانية للقرآن الكريم وللدين الإسلامي، ويركز ما

يعرض بخصوص الإسلام، بشكل أساسي على المعاني التي تصدم الثقافة الغربية، فالحيز الذي يخصص لتحريم الخمر، وتعدد الزوجات، وما يسمونه بـ"الحرب المقدسة" يفوق بكثير ما يخصص لمبادئ العدل الاجتماعي والمساواة التي تعتبر قيماً أساسية في الدين الإسلامي... ولا توجد أدنى إشارة لمبدأ "لا إكراه في الدين" أما الشيعة فينعتون بالعنف والراديكالية لارتباطهم بالثورة الإيرانية، وغالباً ما يتم الحديث عن الجزيرة العربية مهبط الوحي ضمن إطار تاريخي واجتماعي يصور المجتمع القبلي العربي بدائياً وعنيفاً وعدوانياً.

وتعتمد الكتب المدرسية الرؤية التي تتهم ما يوصف بـ "الغزو" الإسلامي بتقسيم البحر الأبيض المتوسط إلى قسمين منغلقتين لا تربطهما أية صلة تجارية، وإحداث تراجع في التمدين والبنية الإقطاعية في أوروبا، وترجع معظم النصوص أسباب التوسع الإسلامي انطلاقاً من الجزيرة العربية إلى الفقر الذي دفع العرب إلى احتلال مناطق أخرى لتأمين معيشتهم، وإلى الحافز الديني الذي يعد بالجنة كل من يموت في ما يسموه بالحرب المقدسة، وغالباً ما تحجم مضامين النصوص عن تبني القرون الثمانية من الحضارة الإسلامية في الأندلس، ويحظى البترول والدول التي تنتج بمعالجة تفوق ما يخصص لغيرها من القضايا والدول، وغالباً ما يتم الخلط عند التعريف بين العالم العربي والعالم الإسلامي، سواء تعلق الأمر بحدودهما الجغرافية أو بمكونات كل منهما فنجد: «إن الدول الإسلامية تسمى أيضاً دولا عربية» أو إن العالم الإسلامي يتميز بكونه يتشكل من مجموعة دول تجمعها لغة واحدة ألا وهي اللغة العربية وديانة واحدة ألا وهي الإيديولوجية الإسلامية islamismo، ومشاكل متشابهة»، وغالباً ما تستعمل عبارة "الإيديولوجية الإسلامية" بدلا عن الإسلام، وتتميز النصوص التي تعالج الأصولية والإسلام السياسي بخلط واضح بين حركة "الإسلام السياسي islamisme" والأصولية inegrismo التي لها حمولة سلبية في المسيحية، وتتميز النصوص بعدم التمييز بين الاتجاهات المختلفة داخل المنظومة الإسلامية، والخلاصة أنه تتم تعبئة التلاميذ بطريقة فظة لدرجة تكون لديهم موقفاً بالغ السلبية من كل ما له صلة بالبلاد الإسلامية وشعوبها، وبالنسبة للمرأة المسلمة، تكرر النصوص الصور النمطية من قبيل: بعد 14 قرناً تقرر في السعودية أنه ليس من العدل أن يتزوج المرء "على عمى" وعليه قرر العلماء أن تكشف المرأة عن وجهها لخطيبها «و» في العالم الإسلامي يجب على النساء أن يغطين جسدهن بما

في ذلك الوجه، إضافة إلى المعاني السلبية المتعددة، تتميز المقررات الدراسية بغياب مريب للمواضيع والمعاني التي تعبر عن حقيقة الحضارة الإسلامية (رشيدي ابثور).

ولعل ما يثير الاستياء والأسى في الأوساط العربية محاولات الغرب وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وضع العرب خارج التاريخ والجغرافيا، ومحوهم من الوجدان العالمي. فعلى سبيل المثال نرى في الكتب المدرسية المقررة في أوروبا وأمريكا تغييبا للعرب أو التكلم عنهم سلبية، وإنكار مالهم من إسهامات في الحضارة العالمية، ومالهم من تأثير في الحضارة الغربية، ويفسر البعض ذلك أن الغرب يهتم بحضارته فقط والمرتكزة على الخلفية الدينية اليهودية المسيحية على اعتبار أن المسيحية نشأت أول الأمر في الوسط اليهودي ولم تصبح عالمية إلا بفضل تلاميذ المسيح وحوارييه مثل بطرس "وبولس، ولذلك فهم يعتبرون الحضارة الإسلامية خارج ذلك الإطار، وقد ركزت الصهيونية العالمية على هذه النقطة مستخدمة جميع ما لديها من وسائل وامكانيات بما في ذلك الإعلام والتربية والتعليم.

ومن الاقتراءات التي تزخر بها الكتب الدراسية في مختلف المراحل في الغرب (علي

خليل شقرة، 2015، 93-96):

- المسلمون يكرهون الغربيين.
- كثرة الحديث في هذه المناهج عن الحرب المقدسة والتي يقصد بها الجهاد.
- التركيز على الروح القتالية في الإسلام وإهمال الحديث عن العقيدة الإسلامية.
- وصف القومية العربية.
- الحديث عن الأتراك المسلمين ووصفهم بالغزاة والقسوة والاستبداد.
- تكرار عبارات مثل " الغزاة المسلمين " والقراصنة المسلمين".
- الحديث عن قسوة العقوبات الإسلامية كالحودود مثل حد السرقة والزنا والخمر والحراية.
- الحديث عن انتشار الإسلام بالسيف.
- الحديث عن صعوبة اندماج المسلمين في المجتمعات الغربية لأسباب دينية وثقافية.
- إصاق إعاقة التطور والتنمية بالإسلام ويظهر ذلك من خلال:
- الادعاء بأن تمسك المسلمين الحرفي بنصوص القرآن هو سبب تعطيل العقل المسلم وتجميده عن التفكير والإبداع والتجديد.

- الحديث عن الفقر والبطالة وتفاوت الطبقات في العالم الإسلامي ومحاولة تصوير الحل لهذه المشكلات بأنه يأتي بالارتباط الكامل بعجلة الغرب.
- التركيز على البدع والممارسات الشاذة لبعض الفرق الإسلامية المنحرفة (كالصوفية) وتصويرها على أنها هي الإسلام.
- اعتبار العاطفة الدينية والصحة الإسلامية هي سبب خمول وانكفاء المسلمين على أنفسهم، وسبب خشيتهم من الغرب وتشكيكهم في نواياهم تجاه المسلمين رغم تقدمه العلمي والتكنولوجي وضرورة الاستفادة من ذلك.
- تقديم الإسلام على أنه مصدر للصراعات الاجتماعية والسياسية، وتصويره على أنه سبب الفقر والتخلف في بلاد المسلمين.
- التقليل من شأن الحضارة الإسلامية ودورها في النهضة الأوروبية.
- الادعاء بدونية المرأة في المجتمع الإسلامي.
- إنكار سماوية الدين الإسلامي وذلك من خلال الأكاذيب التالية:
- نسبة تأليف القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم.
- إظهار النبي صلى الله عليه وسلم على أنه مصلح اجتماعي ورئيس دولة.
- الحط من قيمة العرب وإصاق صفات وتهم غير صحيحة أو مبالغ فيها بهم وذلك من خلال:
- تصوير العرب جميعاً بأنهم أثرياء كبار، مبذرين ويقفون وراء ارتفاع الأسعار في الغرب
- تصوير العرب على أنهم أمة بدائية من الفلاحين والبدو الرحل يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والتنقل والهجرة... فهم غير مستقرين و كسالى و قليلي الانتاج.
- التركيز على النفط وأثره في زيادة ثقة العرب والمسلمين بأنفسهم، وفي ذلك إشارة إلى خطورة امتلاكهم وسيطرتهم على منابع النفط ، خاصة مع انتشار الأصولية الإسلامية كما يدعون وفي ظل صراع الحضارات.
- تصوير العرب على أنهم غزاة محتلون لبلاد الغير وهم برابرة متوحشون أيضاً.
- إصاق تهمة تجارة الرقيق بالعرب .
- تجاهل مصطلح العالم العربي والتركيز على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا " الصحراء الكبرى" و"الجزيرة العربية".

وإجمالاً فإنه يغلب أن يصور المسلمون في كتب التاريخ المدرسية على أنهم كانوا غزاة، معتدين، وأشرار غلاظاً، يسرقون وينهبون وينشرون الفساد، ويصور انتشار الإسلام على أنه كان مخيفاً وسريعاً وكاسحاً، ويتم الوقوف عند زحف المسلمين على أوروبا سواء من بوابة الأندلس أو على مشارف فيينا على أنه كان استيلاء بقوة السيف، ونتيجة الدعوة إلى الجهاد الذي هو حث على القتال والقضاء على الآخر ضمن ما يعرف بالحرب المقدسة. وعليه أمكن القول أن صورة الإسلام والعرب في الكتب والمناهج الدراسية الغربية، هي امتداد للصورة التاريخية التراكمية السلبية المشوهة للدين الإسلامي وحضارته وأتباعه، إذ تتوجه إلى الأطفال والتلاميذ الذين ينشئون منذ الصغر على فكرة أن المسلم أقل شأنًا من الغربي، وبالتالي فهو لا يستحق الاهتمام مادامت حضارته ودينه أقل شأنًا من الحضارة الغربية والدين المسيحي (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 255).

ولم تخرج مناهج التعليم الفرنسية عن الإطار العام لمضامين مناهج التعليم الأمريكية والأوروبية عن الإسلام. ومع أن فرنسا من بين الدول الأوروبية الأكثر تشدداً في إبقاء المدرسة بعيدة كل البعد عن التعليم الديني، لكن هذا لم يمنع من تضمين تدريس الإسلام في كتب التاريخ والجغرافيا بالبرامج والمحتويات تخدم أهداف واضعي المواد المتعلقة بالإسلام في المناهج التعليمية الفرنسية.

ويرى الباحث "قيس جواد العزاوي" أن البحث عن صورة الإسلام السلبية لدى الفرنسيين متجذر في مصادر معرفتهم الأولى بالإسلام، وتلك لا علاقة لها بـ"الإسلام السياسي" أو "العقدي" أو "الحضاري"، فالكتب المدرسية التي تلقن الأطفال والناشئة في شتى المراحل التعليمية وتقدم لهم تاريخاً للإسلام، يتعارض مع أولى بديهيات الموضوعية، وهذا اعتراض سليم فالمدارس تغرس في النفوس مكونات الهوية وحب الوطن والحذر من الأعداء، ويفترض بها الابتعاد عن أحكام القيمة أو بث الأحقاد تجاه الأفكار والأديان والأمم، بيد أن الكتب المدرسية الفرنسية لا تراعي ذلك في تناولها لصورة العرب والمسلمين فالعلاقة بين الفرنسيين والعرب كما تصورها الكتب المدرسية علاقة عدائية (قيس جواد العزاوي، 2002).

وحسب الباحث الصادق رابح فإن صورة الإسلام وخاصة العرب في الكتب المدرسية الفرنسية هي امتداد للصورة التاريخية التراكمية السلبية لهذا الدين وحضارته وأتباعه. فإذا

عرفنا أن المصادر المعرفية لهذا الكتاب تتغذى وبطريقة غير مباشرة من الإنتاج اللاهوتي الكنسي حول الإسلام ومما خطته أيادي "خبراء الإسلام"، تصورنا بسهولة رؤيته للإسلام. إذ على الرغم من تأكيد الخطاب الرسمي والأكاديمي على لائكية (علمانية) المدرسة الفرنسية وعدم تبنيتها لأي رؤية إيديولوجية، خاصة دينية، إلا أن الواقع يُظهر أن المضامين المتعلقة بالآخر، وخاصة المسلم والعربي، ما زالت ذات طبيعة كنسية قروسطية مغالية، كما أن "اللائكية المدرسية" المتطرفة قد تحولت هي نفسها إلى إيديولوجية اقصائية تلغي كل ما لا يتفق معها (الصادق رابح، 2009، 16).

ويمكن إجمال تصورات المناهج التعليمية الفرنسية عن الإسلام في:

- تاريخ المواجهات بين فرنسا والعالم الإسلامي:

في دراسة للباحثة "مارلين نصر" حلت فيها محتوى مجموعة من الكتب الفرنسية للمرحلة الابتدائية والصادرة عن دور النشر "منيار" و"هاشيت" و"ناتنان"، خلصت إلى أن الكتب قد ركزت على ما أسمته بالمواجهات الكبرى بين الغرب والعرب والإسلام كالتالي:

- المجابهة الأولى (الإسلام والفتح العربي):

يتعرض المؤلفون في سطور قليلة للتداخل بين الإسلام وبين مولد فرنسا عن بلاد الغال وذلك بمناسبة تناولهم "أصول فرنسا" و"حلم إمبراطورية الفرنجة" في الفصول الأولى لتاريخ فرنسا في كتب سي أم، وظهر الإسلام فيها في صورة عدوان من الخارج مثله مثل الغزوات البربرية خلال الحقبة التي كان الوجود الوطني الفرنسي لا يزال في طور التكوين بعد خروجه للتو من مرحلة الطفولة الغالية، وذلك تحت عنوانين رئيسيين "عالم الفرنجة المههدد" "الغزو العربي" والتوسع الإسلامي"، وستخرج فرنسا من هذه المواجهة مع الغزو الجديد وستعزز سيادتها على أراضيها وسيكون "شارل مارتل" هو البطل الأول وصاحب هذا الانتصار الأول على العرب والإسلام، وتضع الكتب هذا البطل في مواجهة ليس مع رئيس جيش معاد، ولكن في مواجهة مع حشد مسلح يحمل اسماً عرقياً "العرب" ومع دين "الإسلام" وقد واصل "شارلمان" ملك الفرنجة تحرير الأراضي الوطنية "بصد المسلمين على الجانب الآخر من جبال البرانس" (مارلين نصر، 1995، 79).

ولاحظت الباحثة في النصوص ومرفقاتها وجود تماثل بين المفردتين "عرب" و"مسلمين"، فيستخدم المؤلفون أحدهما أو الأخرى دون تفرقة للدلالة على الفاعل نفسه، وفي

الخريطة الوحيدة حول الموضوع في الكتب المدروسة، فتستخدم مرة تعبيراً حديثاً هو "العالم العربي" للدلالة على الأراضي التي فتحها العرب في القرن الثامن، في حين يوجد في النص المصاحب تعبير "الإمبراطورية الإسلامية"، دون التمييز بين المناطق المعربة وبين التي دخلت في الإسلام ولكنها احتفظت بلغتها وثقافتها مثل فارس، وتركيا وباكستان، والمقابلة التي وردت في عنوان الخريطة بين "العالم المسيحي" و"العالم العربي" توجد تماثلاً ضمناً بين "العرب و"المسلمين" يؤكدُه عنوان الفصل "الإسلام والعالم المسيحي" (المرجع نفسه، 81).

- المواجهة الثانية (الحملة الصليبية):

تقدم الحملة الصليبية بأنها تمت من خلال حركة توسعية للغرب المسيحي نحو الشرق... وتختلف الكتب فيما بينها عند تحديدها لطبيعة الحركة الصليبية، هل كانت حجاجاً إلى القدس "لإنقاذ قبر المسيح" أم كانت "حملة عسكرية" إلى الأراضي المقدسة ضد "الكفار" أي "المسلمين"... ويعالج أنصار القراءة الدينية للحملة الصليبية من خلال عناوين دينية: من قبيل "إيمان قوي" "المعتقدات في العصور الوسطى"، وفي سياق هذا التناول يعتمد المؤلفون إلى إجراء مقابلة بين "الصليبيين" و"حجاجنا" و"الشعب المسيحي"، وبين "المسلمين و"العرب Sarrasins"، ويؤكدون أن الهدف الأول للحملة الصليبية كان هدفاً دينياً "إنقاذ قبر المسيح" و"الدفاع عنه"، ويظهرون دوافع الفاعلين في نطاق ديني في عناوين من قبيل "آلاف المسحيين مدفوعين بإيمانهم". "الصليبي حاج"، "كان المسيحيون أغنياء وفقراء يتمنون الحج إلى القدس ولو مرة واحدة في حياتهم".. وتورد إحدى الكتب "منع المسلمون في القرن الحادي عشر الوصول إلى القدس وقتلوا الحجاج لذلك نظمت عدة حملات صليبية لتخليص قبر المسيح"، وفي الحالتين لا يهتم أنصار التفسير الديني للحملة الصليبية بذكر الفشل الذي حاق بهذه الحملات وانتصار المسلمين في النهاية بعد استردادهم للقدس. كتاب واحد فقط - هو أشد الكتب انتقاداً لتجاوزات الحملة الصليبية - يشير إلى ذلك بتردد "إن هذه الحملات لم تحقق أهدافها" (مارلين نصر، 1995، 84-86).

ويتم تعزيز ما هو مكتوب أحياناً بصور مثيرة تعمل على ترسيخ الأفكار والصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الطلبة والتلاميذ، وهي صور تنقل في الغالب من قصص وكتب مغامرات دونها وتخيلها رهبان الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى ليروجوا بها للحروب الصليبية ويرسمون حسب أهوائهم تخيلاتهم عن أرض المعركة، وعلى سبيل

المثال يوجد في كتاب هاتيه للصف الأول ثانوي بالمدارس الفرنسية صورة ملونة كبيرة، نشرت تحت عنوان المواجهة الدينية وهي تمثل فريقين من المتحاربين من ناحية المسلمون يحملون السيوف الثقيلة ورؤوسهم عارية ومن الناحية الأخرى الصليبيون المدججون بالخوذات التي تخفي رؤوسهم تماما وبالدرع المعدنية التي تخفي صدورهم، بينما على الأرض رؤوس بعض القتلى من المسلمين عراة الرأس وقد كتب تحت الصورة التعليق التالي "كان الله معنا يقودنا فوصلنا أمام القدس وإذا أردتم أن تعرفوا ماذا فعلنا بالأعداء الذين وجدناهم هنا، فاعلموا أنه تحت بوابة سليمان وفي معبده، كان جنودنا يتشابكون معهم من فوق الجياد التي تسبح في دماء السارازان - المسلمين- حتى الركب(حسن عزوزي، 2012، 287-288).

- المواجهة الثالثة(الاستعمار وإزالة الاستعمار)

لاحظت الباحثة مارلين نصر الاختلاف القائم في الخطاب المدرسي حول الاستعمار، فهو إما "حركة أوروبية لغزو العالم" يبدو فيها غزو فرنسا لشمال إفريقيا كمجرد حلقة صغيرة أو على العكس يتم تركيز التاريخ الاستعماري كله في حلقة واحدة هي "غزو الجزائر"، وفي الحالتين حالة التعميم أو حالة التخصيص، ينظر إلى الاستعمار أنه مجرد لحظة غزو إمبراطورية أو لحظة مقاومة من أحد الزعماء العرب في الجزائر، ولا يشير الاتجاه الذي يعالج الاستعمار كظاهرة عامة إلى الجزائر إلا في جزء من جملة واحدة ويقوم بإرجاع الظاهرة الاستعمارية إلى أسبابها الاقتصادية التي تصفها الكتب بأنها حالة اقتصادية شاملة أو عدوى "تعم الأمم"، كما أن الإرساليات كانت تسعى إلى تنصير شعوب الأرض، ويتفق هذا الاتجاه في الخطاب حول الاستعمار مع سابقه في أنه لا يهتم بالعلاقة بين المستعمرين(بكر الميم) والمستعمرين (بفتح الميم)، فلا يتعرض لكبت الشعوب المستعمرة واضطهادها، أو إلى أشكال السيطرة السياسية والثقافية والاجتماعية، أو إلى استغلال الموارد الطبيعية، أو إلى تجريد المستعمرين من ممتلكاتهم وإفقارهم، فينظر إلى الأمور لها من وجهة نظر المستعمرين الذين يقومون بغزو "أرض" في "بلد" وكأن لم يكن فيه سكان يعيشون فيها أبدا. كما لاحظت الباحثة وجود رفض لدى بعض الكتب لتناول موضوع إزالة الاستعمار لكنها تضطر إلى ذلك بسبب التوجيهات الصريحة للمناهج، وبسبب قوة الضغط التي يمثلها حدث تاريخي لازال معاصرا وهو حرب الجزائر، ومعظم الكتب تخلص فرنسا من مسؤولية اندلاع حرب الجزائر وتصورها ك"تمرد" أو "فتنة" من المستعمرات وليس كحرب تحرير من أجل الاستقلال، مع

امتناع مؤلفي الكتب عن شرح الأسباب والاكتفاء بالتأكيد من جديد وفي صورة أعم على "رفض شعوب المستعمرات الخضوع للسيطرة الأوروبية" (مارلين نصر، 1995، 92-93).

- لله ونبيه:

في دراسة "دومنيك منجنيو" حول خطاب وإيديولوجية المدرسة في عهد الجمهورية الثالثة يذكر أن الدين الإسلامي قدم على أنه مأخوذ من الديانتين اليهودية والمسيحية، ويحمل بين ثناياه الكثير من الخرافات والممارسات العقيمة، وهو دين جنس، ومذات، وتطرف يحث أتباعه على شن الحروب المقدسة ضد الشعوب الآمنة والمسالمة، إنه دين غزوات ومذابح وهو لا يشجع على تطور الإنسانية، أما الرسول فهو "شخص يدعي أنه بعث من طرف الإله، وتتسم عقيدته بأنها تجمع بين بعض الحقائق والأكاذيب. وقد كوّن أمة من المتطرفين لا هم لهم إلا الغزو وذبح الآخرين، أما المسلمون والعرب خصوصاً فهم أناس "شبه متحضرين"، تتحكم فيهم قيم "التواكل" "كسلاء خاملين" "يحملون دائماً خنجر وسيوف"، وتتضح من خلال هذه العبارات المقتطفة من بعض النصوص أن الإسلام دين "غير رباني"، وأن رسوله رجل استهوته الأهواء، وأن أتباعه قوم يغلب عليهم الخلود إلى الأرض ولا يعرفون غير إراقة الدماء وتدمير الحضارات (الصادق رابح، 2009، 16).

وتشير معظم الكتب التي كانت محل دراسة "مارلين نصر" إلى الجانب الديني للإسلام باقتضاب فيقدمونه بكلمات قليلة، من خلال جملة مثل "دين جديد" يدعو إليه النبي محمد، وأن أتباعه هم "المسلمون"، ويتم تقديمه بصفة خاصة في سياق ذكر الحروب والفتوحات التي يخوضها المسلمون بهدف نشر الدين الجديد: "كان الهدف من فتح البلدان المجاورة بواسطة العرب هو هداية من لا يؤمن بالله واحد إلى الإسلام"، "كان العرب يخوضون الحروب من أجل الدعوة إلى دين جديد هو الإسلام"، ولا تذكر هذه الكتب شيئاً عما يميز هذا الدين الجديد، ولا عن استقبال الشعوب له بالترحاب، ولا عن نظرته إلى العالم وعن علاقة المؤمنين بالله وبكلام الله "القرآن"، وهناك كتاب واحد خصص ملفاً عن الإسلام، تضمن فقررة ورد فيها أركان الإسلام الخمسة، أما باقي الملف فيتعلق بالأحداث والمنازعات التي وافقت نشوء الإسلام في شبه الجزيرة العربية خلال حياة الرسول وتضمنت جمل مثل "في عام 233 أجبر محمد على مغادرة مكة"، "بعد عشر سنوات من النضال عاد محمد إلى مدينته منتصراً" (مارلين نصر، 1995، 82).

وتقدم المقررات والكتب المدرسية في الغرب شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في صور متعددة، فهو أحياناً (رسول شاعر ملهم يرى رؤيا خارقة)، وأحياناً (شخصية مستندة برأيها) و(فقيراً معدماً لم يشعر بالأمن إلا بعد زواجه من سيدة ثرية جداً تكبره بكثير)، كما تدعي بعض هذه الكتب أن الرسول صلى الله عليه وسلم، قد التقى باليهود والنصارى وخاصة الأقباط والرهبان فتعلم منهم وأخذ الكثير من المعلومات من التوراة والإنجيل وأدخلها في كتاب القرآن)... وتزعم كتب مدرسية فرنسية أن الرسول صلى الله عليه وسلم، رأى رؤيا جعلته بالتبشير بالرب الواحد، ولما أخرج من مكة ظل مشغولاً باسترجاعها فلجأ إلى العنف والجهاد، وتمكن بفضل فنه في قيادة الجماعات إلى توحيد الضالين الذين زرع فيهم روح التعصب ووعدهم بالجنة إذا ماتوا في سبيل الحرب المقدسة أي الجهاد، وفي كتاب للصف الأول ثانوي الصادر عن مطابع هاتيه، جاء ذكر القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم، في الفصل الخاص بعرض الحضارة الإسلامية، حيث ورد في الفقرة الأولى شرح للرسالة المحمدية على النحو التالي: "محمد بالنسبة إلى المسلمين هو الرسول الأخير والوحيد الضروري من بين كل الأنبياء." (المحجوب بن السعيد، 2010، 42-43).

وفي دراسة لـ "جمعية الإسلام والغرب" تم فيها مقارنة طبعات 1997، 2001، 2005 مجموعة من الكتب الصادرة عن دور النشر المسيطرة على نشر الكتاب المدرسي في فرنسا، يوضح كتاب Bréal 2de 2005 وجهة نظر مؤلف مسيحي في القرن الثاني عشر بالنسبة للنبي محمد قائلاً: "أن النبي محمد بعد أن سن الختان، أطلق العنان للإنسان لكل أنواع الفسق"، كما تقدم كتب التاريخ المدرسية الفرنسية الرسول محمد كرئيس ديني وسياسي وقائد حربي لفرض الإسلام بالقوة، ولا يهتم المؤلفون بالسياق التاريخي أو الجغرافي أو الحربي أو السياسي أو الثقافي أو الديني أو بشرح الآيات، وتتحدث الكتب عن غزو مكة دون الإشارة إلى الأسباب، التي تتمثل في نقض أهل مكة للمعاهدة الموقعة مع الرسول محمد وأتباعه، وتقديم المعلومات مجردة من السياق أو من الشرح يؤدي إلى فهم خاطئ، ويدعي Bordas 2005 5e أن الرسول محمداً قتل أثناء فتح مكة أهل مكة الذين رفضوا اعتناق الإسلام، ويضيف كتاب Hachette 5e 2005 أن الخليفة المسلم يجب عليه مقاتلة الذين يرفضون اعتناق الإسلام حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية (<http://mohe-casm.edu.eg>).

وجاء في كتاب التاريخ المخصص لتلاميذ الفصل الدراسي النهائي في المدارس الثانوية في كل من فرنسا وسويسرا، ويحمل عنوان "التاريخ من 1940 إلى اليوم" في شرح معنى الأحاديث النبوية أن "الحديث هو شروحات قام بتأليفها أساتذة القانون خلال الفترة ما بين القرن السابع والقرن التاسع الميلادي". وجاء في الفصل الذي يحمل عنوان "هوية الإسلام في نهاية القرن العشرين" صفحتين عن الأصولية والتعصب الديني وخطر عدم التسامح، وجاء الشرح بإسهاب باستخدام مصطلحات مغايرة لمفاهيمها الإسلامية الحقيقية، فالتطرف والأصولية والجهاد والاستشهاد تستخدم كمصطلحات تدل على منهجية الإسلام في رفض الحداثة الأوروبية والتعايش السلمي، كما أضاف الكتاب في نفس الفصل مقالة للمستشرق الفرنسي المعاصر "جاك بيرك" مستخرجة من جريدة لوموند ديبلوماتيك بعنوان "الشرق الأوسط وحرب مائة عام الإسلام ضد الإسلامية" جاء فيها كثير من الآراء السلبية.

- أركان الإسلام

تبرز بعض الكتب مثل منيار 2005، صورة تظهر مشهد صلاة المسلمين ساجدين، وبجانبا صورة لبعض اليهود واقفين أمام حائط المبكي، وصورة الشخص الجالس أو الساجد في الثقافة الفرنسية لا تعني النشاط، وقد يربط التلميذ صورة السجود بالإسلام وبالوضع المتردي للمسلمين في عالم اليوم...وقدم وقت صيام رمضان علي أنه من طلوع الشمس إلي غروبها بدلا من طلوع الفجر إلي غروب الشمس(<http://mohe-casm.edu.eg>).

وبالنسبة لفريضة الحج أورد كتاب هاشيت للتاريخ شرحا بسيطا للحج في ثلاثة أسطر في حين خصص بقية الصفحة لسرد أرقام المبالغ المالية الضخمة التي تخصصها المملكة العربية السعودية لمعدات الخيام لحجاج بيت الله الحرام، يقول الكتاب المذكور "هناك طائرات نقل ضخمة تهبط في مدينة جدة تحمل الحجاج الذين يلجؤون إلى الظل الظليل تحت خيام هائلة تستخدم محطة ركاب في الميناء، وهذه الخيام قام بتصنيعها مهندسون وخبراء ومتخصصون توجد مكاتبهم في نيويورك وشيكاغو في حين تولت شركة ألمانية تركيب هذه الخيام الضخمة في بداية الثمانينيات، وكلفت هذه المعدات المكيفة للهواء 9 مليون دولار بالإضافة إلى 250 مليون دولار لتشغيلها، وهي تسع خمسة آلاف حاج في الساعة ويمكن أن يعتمر فيها أكثر من ثمانين ألف حاج في الوقت نفسه" (المحجوب بن السعيد، 2010، 53).

وبعض الكتب تتحدث عن الحجر الأسود من خلال الأساطير وبالغت في تقديسه، و قالت أن المسلمين يعتقدون أن الحجر الأسود كان أبيضاً ثم اسود بسبب خطايا الناس، وتدعي بعض الكتب أن الملاك جبريل أعطاه لإبراهيم وأنه كان أحد أصنام الكعبة قبل الإسلام، وتقديم الحجر الأسود في الكتب علي أنه كان أحد أصنام الكعبة يجعل التلاميذ الفرنسيين يظنون أن المسلمين يعبدون صنماً، وحذف التعريف الأسطوري للحجر الأسود في كتب التاريخ المدرسية الحديثة وينص علي أن المسلمين يعتبرون الحجر الأسود يد الله اليمني علي الأرض (http://mohe-casm.edu.eg).

- مصادر الشريعة وموضوع الخلافة الإسلامية

تقدم الكتب الخلافة في الإسلام علي أنها سلطة دينية وسياسية ويقول كتاب منيار Magnard 5e 2005 أن القرآن لا يفصل بين السلطتين الدينية والسياسية دون تقديم دليل أو مرجع، ويقرأ التلاميذ في كتب التاريخ المدرسية الفرنسية طبعتي 1997 و2001 أن الشريعة الإسلامية تعتمد علي القرآن والسنة، وهذا وإن كان صحيحاً إلا أنه يعني لدي العقلية الفرنسية أن الشريعة قانون قديم لم يعد يصلح للعصر الحالي... يضاف إلي ذلك أن كتب التاريخ المدرسية الفرنسية لم تشر إلي أن المبادئ العامة للشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة لا تتعارض مع المبادئ الأساسية للقوانين الدولية، ولم تذكر الكتب أصول الفقه التي تشمل أيضاً الإجماع والقياس والاستحسان والعرف والرأي الآخر.

و في عرض موضوع نزول الوحي، تقول بعض الكتب "إن محمداً حينما رأى الملاك جبريل للمرة الأولى أصابه الجنون، وتوجه نحو قمة الجبل لكي ينتحر، ولكن جبريل أخذه بين أجنحته، ويقول Belin 5e 2005 إن المؤرخين أوضحوا أن القرآن كتب وأخذ صورته الحالية واستغرق ذلك قرنين من الزمان، وأدى قراءة الآيات القرآنية بعيداً عن سياقها وعدم الاستعانة بكتب التفسير إلى اعتقاد بعض مؤلفي كتب التاريخ أن الآيات القرآنية تناقض بعضها، فتحت عنوان "آيات قرآنية متناقضة" ذكر Magnard 5e 2005 أن المسلمين لديهم حرية اختيار الآية التي تناسبهم ثم ذكر آية الحرية الدينية "لا إكراه في الدين" (http://mohe-casm.edu.eg)..

موضوع الجهاد:

تقدم الكتب الجهاد بطريقة مشوهة؛ أي من وجهة نظر التطرف والإرهاب والحرب المقدسة، دون تمييز بين الجهاد وبين الأعمال الإرهابية أو بين المسلمين، وبين من يرتكبون

أعمالاً إرهابية باسم الإسلام، أو من يستغلون الإسلام لتحقيق أهداف سياسية... ويقراً التلميذ في كتاب Hatier 5e 2001 أن الجهاد حرب مقدسة عند المسلمين، وأما Hachette فيقول أن الجهاد كان يعني في البداية الدفاع عن الإسلام، ثم أصبح مرادفاً للحرب المقدسة، وتقدم الكتب الآية التالية بدون شرح ودون ذكر للسياق. " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" سورة التوبة: 29. وقدمت ترجمة خاطئة لكلمة صاغرون التي ترجمت بالمقابل الفرنسي humilité

بأنه يعني في العربية ذلة، وهذا المعنى يوجد في بعض الترجمات الفرنسية للقرآن، ومن من المعروف أن الكلمة القرآنية "صاغرون" تعني طائعين خاضعين، فيفهم التلميذ والمدرس أن القرآن يأمر المسلمين بقتال غير المسلمين حتى يدخلوا في الإسلام... ويقدم كل من: Nathan éd 5e 2001 comme les éditions 2001 Hatier 2de et 5e, Belin 5e éd. 2001 p.27, Magnard 5e 2005, Hatier 5e 2005K الآية القرآنية التالية المتعلقة أيضاً بالجهاد. "لا

يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً" النساء 96، 95، كما يعرض Nathan 5e 2005 في طبعة 2005 ثلاث آيات قرآنية متعلقة بالجهاد، ولكنها مذكورة دون شرح أو ذكر للسياق فيفهم التلميذ منها خطأ أن القرآن يبيح الجهاد للاعتداء (http://mohe-casm.edu.eg).

وقد ازداد التركيز على ألفاظ العنف والجهاد والإرهاب في الطبقات الجديدة لكتب التاريخ الغربية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وهذه النعوت وإن كانت قد تجاوزت الأساليب البالية من حيث الوقاحة والإسفاف والاحتقار فإنها في صورتها الحديثة تتحاشى إبراز العداوة المباشرة، لكن المتأمل في المعالجة البيداغوجية التي تضمنتها هذه الكتب المدرسية، يلاحظ أنها تحمل في طياتها مفاهيم وأحكام غير موضوعية تحط من قدر الإسلام وتقلل من شأن المسلمين، الذين يعيشون في عوالم مختلفة ويعتمدون على المساعدات الغربية لأنهم غير منتجين ولا يملكون سوى تصدير النفط واليد العاملة والتطرف والعنف (حسن عزوزي، 2012، 289).

- الحضارة العربية الإسلامية

نادرا ما تتطرق المناهج التعليمية في أوروبا وفرنسا إلى الحضارة الإسلامية وإلى شرح وتأكيدها دورها في التطور العلمي والفكري والثقافي للعالم وفي أوروبا.

وظهرت على الساحة الإعلامية شريحة من المثقفين الغربيين تدعو إلى إعادة تعريف الهوية الأوروبية – الغربية من خلال إعادة الاعتبار للعامل الثقافي الإسلامي الذي ساهم ذات يوم في بعث فكر تنويري كان المحرك الحقيقي لنهضة اليوم، فحينما يعلن Alain De Libéra في مجلة *Manière de voir* أن الغرب قد نسي إرثه العربي فإنه يعبر تعبيرا مضادا عن نظرية عزز أصحابها عن إقامة الحجة على صدقيتها لكنها صاحبة السيادة عند الرأي العام في كل من ضفتي المتوسط: إن العرب كانوا وما يزالون وسيظلون أجنبيا عن الغرب، مما يوحي أن الفكر العربي – الإسلامي هو جسم أجنبي أقبل من الخارج وعليه أن يعود من حيث أتى. ويعتبر الكاتب أن هذا الرفض الواعي لهذا المركب الثقافي قد انغرس في الذهنية الغربية بحيث أضحت إحدى السمات التي تأسست عليها الهوية الأوروبية. ويستدل على ذلك بالإقصاء الذي تمارسه المناهج العلمية في حق الإسلام المتوسطي، فجمهور الطلبة يجهل كلية الفلسفة والعلوم العربية في العصر الوسيط (د. نصر الدين بن غنيسة، 2006، 14).

ويتم عرض الحضارة العربية الإسلامية من خلال حضارة البحر الأبيض المتوسط أو من خلال عرض تأثر العلماء الأوروبيين بالعلماء العرب المسلمين في الأندلس وصقلية بأسلوب فيه نوع من الالتواء، حيث يتم التركيز والإشادة بالحضارة المتوسطية والإشادة بالعلماء المسيحيين وبال فنون المعمارية المسيحية، فيصبح المحور الأساس هو تألق الحضارة المتوسطية وليس الحضارة العربية الإسلامية، كما يتم اعتبار الحضارة الإسلامية حضارة ميتة ومندثرة... وإذا كانت صورة الحضارة الإسلامية موضوعية في الكتب المدرسية فإن صورة الإسلام علي النقيض من ذلك فهي سلبية... وكان المفاهيم أو المبادئ الإسلامية لا تتفق مع مبادئ الحضارات الكبرى (<http://mohe-casm.edu.eg>).

ويعد كتاب هاتيه للصف الأول ثانوي في فرنسا من أكثر الكتب المدرسية في أوروبا اهتماما بموضوع الحضارة الإسلامية، إذ أفرد لها فصلا من أربع صفحات بعنوان (الإسلام حضارة متألفة متعددة)، ولكن القارئ يكتشف في متن النص أن الحديث يدور حول انهيار

الحضارة الإسلامية حيث ورد أن "الإمبراطورية الإسلامية التي كانت تسيطر على أغلب مناطق البحر الأبيض المتوسط ضعفت وانقسمت في القرن الثاني عشر" وفي الكتاب المدرسي الذي خصه الناشر هاتيه للصف الثالث الإعدادي، تم عرض الحضارة الإسلامية في حيز أضيق وبأسلوب غير مباشر إذ أدمجها في الحضارة البيزنطية في الفصل المخصص لتاريخ العالم القديم تحت عنوان (بيزنطة والإسلام)، وهذا الإدماج غير الصحيح يجعل التلميذ يقتنع بأن الحضارتين البيزنطية والإسلامية كانتا متآلفتين في الماضي ولكنهما انهارتا واندثرت معالمهما (المحجوب بن السعيد، 2010، 45-46).

- صورة المرأة

بخصوص صورة المرأة المسلمة في الكتب والمقررات الدراسية، تم التركيز على قالب المرأة المسلمة المحجبة أو المنقبة الخاضعة لزوجها، وغالبا ما يتم تقديم المرأة المسلمة على أنها كائن مهضوم الحقوق في المجتمعات الإسلامية، تعامل مثل معاملة الأشياء، أو الأثاث، وأن النساء المسلمات يعملن خادمت أو مربيات مهمتهن الأساس هي إنجاب الأطفال... وفي كتب التاريخ المدرسية بفرنسا لاتزال صورة المسلمة مشوهة، وتدرج داخل الفقرات الخاصة بشرح أسس العقيدة الإسلامية؛ إذ يرى مؤلفو هذه الكتب أن دونه المرأة في الإسلام هي من العقيدة الإسلامية، ويؤكدون أنه يجب في الإسلام أن تخضع المرأة للرجل الذي يجبرها على الاختفاء وراء الحجاب والمشى خلفه في الشارع، كما يدعون أن مكانة المرأة أدنى من مكانة الرجل في المجتمع وفي الأسرة وفي الإرث والشهادة أمام المحاكم (المحجوب بن السعيد، 2010، 51).

وتذكر كتب التاريخ طبعات 1997 و2001 و2005 نصف آية تعدد الزوجات مما يؤدي إلى فهمها فهماً خاطئاً، وتعد آية تعدد الزوجات جملة نحوية شرطية لها معنى دلالي وإذا ذكرت نصف الجملة الشرطية فقط يختل المعنى، وعرضت الكتب السابقة الآية هكذا "انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا". وقراءة الآية كاملة يعطى المعنى التام الذي يبيح التعدد بشروط يصعب تحقيقها، وهذه الآية التي يردد البعض في الشرق والغرب نصفها هي "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب

لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" سورة النساء آية 3، ومن يعطي لنفسه الحق في حذف جزء من هذه الآية ويدعي أن الجزء الباقي يمثل جملة تامة فإنه يخون النص ويشوه المعنى (<http://mohe-casm.edu.eg>).

وإذا كانت الكتب الدراسية تزود التلاميذ والطلاب بما يحتاجون إليه من معلومات عن تاريخ الإسلام وحضارته، فإن المدرسين يمثلون العنصر الآخر في عملية التعليم وهم لا يقومون بتلقي المعلومات فقط بل يقدمون تفسيراً لمختلف الثقافات، ويتأثر التلاميذ والطلاب بما يختاره المدرسون من نصوص وبما يولونه من تأكيد لموضوعات معينة، كما أن مضمون المحاضرات واتجاه النقاش في قاعة الدرس كل ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً على أفكار الطلبة، وهذه التأثيرات وغيرها تتدخل في نظرة الطالب الثقافية والفكرية إلى الإسلام والمسلمين، وإذا كانت الدراسات المتعلقة بالتشكيل الاجتماعي تشير إلى أن التعليم المكتسب في المرحلتين الابتدائية والثانوية له تأثير دائم فإنه من السهل إرجاع المواقف التي يتخذها الكبار تجاه الإسلام إلى التجارب التربوية الأولى (حسن عزوزي، 2012، 290).

وبشكل عام يمكن أن نخلص إلى أن المناهج التعليمية الفرنسية - على غرار الأمريكية منها والأوروبية- قد تضمنت العديد من الأحكام القبلية الجاهزة، وتصورات المصادر والمرحلة القرن أوسطية اللاهوتية عن الإسلام والمسلمين، وفي مقابل تدريس وتلقي التلميذ كل ما من شأنه أن يشكل في ذهنه صوراً نمطية سلبية عن الإسلام، تم استبعاد وإقصاء كل ما من شأنه أن يرسخ الصورة الحقيقية للإسلام، وهؤلاء التلاميذ سيكونون معلمي، وأطباء، وصحفي وإعلامي، وساسة ومتقفي المستقبل، وهنا تكمن خطورة تسويق هذه الصور وتضمينها في المناهج الدراسية، بحيث تأخذ طابع الشمولية والترسخ والتوارث من جيل بعد جيل، وقد لا نبالغ إذا اعتبرنا ما ينتجه ويعيد إنتاجه الصحفيون والإعلاميون والمتقنون اليوم من صور نمطية عن الإسلام والمسلمين هو محصلة ما تلقوه من معلومات ومعارف في الصف المدرسي، وأن المناهج التعليمية شكلت مرجعيتهم الأساسية في تشكيل تلك الصور.

وإلى جانب ما تروجه وسائل الإعلام والمناهج الدراسية، تم تداول العديد من الروايات الشعبية المشبعة بصور سيئة عن الإسلام والمسلمين، وقد قام الدكتور أنس الشيخ علي مدير مكتب لندن للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بدراسة 300 رواية شعبية، ولاحظ أن التوجه

المعادي للإسلام في هذه الروايات بدأ بالتزايد بشكل كبير كما ونوعا منذ مطلع السبعينات، ويحتل "الأصوليون الإسلاميون" في هذه الروايات موقع المجرمين والأشرار الذين يحاول أبطال مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي أو غيرهم من الأبطال الآخرين أن ينقذوا العالم مما وصف بـ "مؤامراتهم الشيطانية".

وتعتبر رواية "الحاج" للكاتب الأمريكي ليون بوريس مقارنة أدبية لفهم الشخصية العربية تتجاوز أقصى حدود العنصرية المكشوفة، وقد أحدثت بواجها الواسع أثرا كبيرا جدا ليس في الولايات المتحدة فقط بل في العالم كله، وشوهت الإسلام والعرب بطريقة قاسية وبالغة، يقول أحد شخوص الرواية العرب: "الاستقلال هو حلم لم يراودنا على الإطلاق، ويزعم الكاتب أن العرب يبيعون أولادهم للمجاهدين الذين يقومون بتخدير هؤلاء القاصرين والقائم عبر الحدود مثل قطع اللحم للكلاب؛ لأن هؤلاء الفدائيين لا يريدون الرجوع من عملياتهم إلى بيوتهم بل يريدونهم أن يستشهدوا فقط، ولا يترك الكاتب بوريس أي كليشيه عنصرية ممكنة إلا ويستخدمها في روايته، فعرب فلسطين مجرد نفر من الفقراء الجهلة يفتقرون تماما للحياة أو لحس المبادرة الشخصية، وتغلب عليهم الطباع العنيفة والخسنة تشيع في أوساطهم الميول للتطرف والشدود الجنسي. إنهم باختصار في نظر هذا الكاتب الأمريكي: "رعاع، متفسخون، متوحشون، يستولي عليهم دين جردهم من كل طموح شخصي فيما قلة قليلة مستبدة ومتغترسة تقود بقية الرعاع كقطيع من الأغنام إنهم مجتمع مجنون" (انجلمار كارلسون، 2003، 26-27).

وهناك قصة "الفارس المسافر" للكاتب "نيكولاس لورد"، وقصة "باروخ نادل" وتحطمت الطائرة عند الفجر" وكتاب "الرحلات العرب" لـ "توماس كيرنان" الذي يدل فيه المؤلف على سفه العرب، ويحتوى أدب الأطفال والموسوعات والمعاجم الخاصة بالطفل، و المجالات المصورة أفكارا مسممة عن العرب والمسلمين، والإساءة للإسلام، ومن أمثلة ذلك سلسلة الكتب المسماة "حقيقة طبيب الغابة" تأليف "بول هوايت" بالإضافة إلى رجال الأدب والفكر مثل الشاعر "كبلنج" الذي دون أشعاره وكان منها "أن الشرق شرق والغرب غرب ولن يتلقيا" (سيد عيسى محمد، 2008).

وفي هذه الروايات يختلط العنف بالرومانسية والإسلام بالنصرانية، ويتصارعان فتكون الغلبة في أكثر الأحيان للأبطال النصارى الذين يتحملون مسؤولية احتواء التهديد الإسلامي في انتظار مجيء جيل آخر يستطيع أن يقضي بشكل نهائي على ما نعت بـ "الطفيليات العنيدة"، وتجدد الإشارة أيضاً إلى استغلال نمطين آخرين من الرواية الشعبية، وهما الرواية الرومانسية -التي تستهدف النساء من القراء - وروايات الأدب الجنسي المكشوف، والتي تستغل المرأة وتصورها بشكل رخيص، ويشكل الإسلام والمسلمون كذلك مادة لهذه الروايات حيث يوظف الشرق الإسلامي كمادة وكمسرح للخيال الجنسي والفجور (رشيد أبو ثور).

• وسائل الإعلام

إن الإعلام الغربي وعبر مختلف وسائله المكتوبة، المسموعة والمرئية، قد قام بدور كبير ومؤثر في إنتاج وإعادة إنتاج العديد من الصور النمطية التي تشكلت عن الإسلام والمسلمين منذ قرون. يقول "زكاري لوكمان" وهو أستاذ في قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة نيويورك في كتابه تاريخ الاستشراق وسياساته: "ما زالت صورة المسلم باعتباره آخرًا مختلفًا متعصبًا وعنيفًا وشهوانيًا ومهددًا، تلك الصورة التي رأيناها لها جذورًا بالغة القدم موجودة في الأفلام وبرامج التلفزيون ومقالات الصحف والمجلات، والكتب وقصص الأطفال المصورة أي بالفعل في مجمل الخيال الشعبي في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، ومزال لها صدى عاطفي عند الكثيرين، ويمكن الاعتماد عليها ونشرها لتحقيق أهداف سياسية." (علي خليل شقرة، 2015، 42).

ويرى أديب خضور أن الإعلام الغربي يقدم صورة نمطية سلبية عن العرب والمسلمين وهذه الصورة عبارة عن قالب نمطي غير منطقي ومناقض للواقع والحقيقة، ولم تتشكل هذه الصورة على أساس التجربة الصحيحة والفعالة، ولم تتكون بفعل المعرفة العلمية المجردة بل تشكلت وترسخت عبر عملية تراكمية معقدة وممتدة في التاريخ والمجتمع وأصبحت ذات تأثير قوي (أديب خضور، 2009، 7).

وتشير دراسات قام بها باحثون أمثال "كنيث ليفان" الألماني و"هدسون" و"كولي" و"كريتس" و"الين سربل ونسن" وآخرون أمريكيون أمثال "ستون" و"لينتال" و"تشومسكي" وأمريكيون من أصل عربي مثل "إدوارد سعيد" و"ادموند غريب" و"مخائيل سليمان" و"جاك

شاهين"، إلى أن مفاهيم الجمهور الغربي عامة، والأمريكي بصفة خاصة عن العرب والمسلمين، تأتي من خلال تراكم المعلومات التي تصل إليهم من خلال وسائل الإعلام على اختلافها وتخلق في عقولهم الانطباعات والصور السلبية للعرب والمسلمين (محمد معوض إبراهيم، 2002، 35).

وكما هو الحال مع الدراسات الاستثنائية والمناهج التعليمية فقد ارتبطت الصورة النمطية التي تسوقها وسائل الإعلام العالمية الغربية، ووسائل الإعلام الفرنسية عن الإسلام في كثير من جوانبها باستغلال وتضخيم وتهويل العديد من الأحداث القائمة على الساحة، والتي يكون الإسلام والمسلمين طرفاً فيها أو يتم اقحامهم كطرف فيها، سبق التطرق إليها- وكان من أهمها في التغطية الإعلامية الغربية حرب أكتوبر 1973 أو ما يعرف بحرب النفط. يقول ادوارد سعيد إن: "الإسلام لدى الرأي العام الأمريكي والأوروبي الحالي هو "خبر" وهو غير سار وكريه بشكل خاص؛ فوسائل الإعلام والحكومات والاستراتيجيون الجيوسياسيون، والخبراء الأكاديميون- رغم هامشيتهم في المشهد الثقافي عموماً- متوافقون جميعاً على أن الإسلام يمثل تهديداً وخطر على الحضارة الغربية، بيد أن هذا الأمر لا يشبه أبداً القول إنه لا يوجد في الغرب سوى تلك الصور الكاريكاتورية الازدرائية أو العنصرية عن الإسلام، أنا لا أقول هذا ولا أتفق مع أي شخص يقوله؛ ما أقوله هو أن تلك الصور السلبية عن الإسلام سائدة أكثر من أي صورة أخرى."

كما كان للصراع العربي الإسرائيلي تأثيره في تشكيل ملامح صورة العرب والمسلمين، وتم إضافة سمات جديدة للصورة النمطية بهدف إقناع المواطنين الغربيين بالتأييد المطلق لإسرائيل وإثارة الخوف والكراهية والعداء والاحتقار للعرب والمسلمين، وجاءت الثورة الإيرانية لتمثل هزيمة للولايات المتحدة الأمريكية، لذلك زادت وسائل الإعلام من التركيز على عناصر إثارة الخوف والكراهية والتأكيد على أن الإسلام يمثل تهديداً للمصالح الغربية، وقد أثر هذا القرار بشكل كبير على مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، وأدى ذلك إلى طرح فكرة احتلال الدول الإسلامية وظهرت الكثير من الكتب التي طالبت بذلك، وتبرر هذه الدعوة بالإشارة إلى بربرية الإسلام وأنه يمثل تهديداً للحضارة الغربية (سليمان سالم صالح، 2011، 112-114).

ومع أواخر الثمانينيات التي شهدت نهاية الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفييتي والعدو الأول للغرب، انتبه السياسيون ووسائل الإعلام في الغرب عادة انهيار الكتلة الشيوعية إلى القيمة التسويقية للإسلام كخطر جديد يهدد الغرب، فظهرت موجات وراء موجات من المقالات الصحافية والكتب والبرامج التلفزيونية تتخلص موضوعاتها في "الخطر الأخضر" و "الانتفاضة العالمية" (انجمار كارلسون، 2003، 26).

ولقد أسهمت الصحافة الغربية من خلال ما يكتب وينشر فيها بكل ما يرسخ الصورة المشيطنة للإسلام والمسلمين، ولتاريخهم وحضارتهم في الذهن الغربي، خاصة بعد أن تحولت الصحافة إلى مؤسسات توازي المؤسسات العلمية/الأكاديمية، نجحت في التأثير المعرفي وفي الحصول على المعلومة، ويقينية التوثيق بخصوص الشرق الإسلامي، ونجحت على طريقة الاختزال الصحفي في اختصار العالم بالغرب مضافا إلى الولايات المتحدة الأميركية، وفي قبالة ذلك تم اختصار الشرق الإسلامي - من الرومانس الذي ألهم الرحالة الأوربيين، من الحضارة التي تحدث عنها "آدم متز" وآخرين، من الفحولة الإسلامية التي تحدث عنها "نيتشه" ضمن إيمانه بفكرة السوبرمان، من التصوف والعرفان الذي تحدث عنه "ماسنيون" و"كوربان" -..تم اختصاره بإمكانية نفس العالم من حوله وثقافة الكراهية والحرب على الآخر أخيرا تم اختصاره بشكل حاسم ونهائي في الأصولية (حكمت البخاتي، 2017).

وإذا كان المبرر الذي قدمته الصحافة في القرن التاسع عشر للموجة الاستعمارية الغربية في ذلك الوقت هو رسالة الرجل الأبيض في تمدين البشرية، فإن المبررات الجديدة التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية هي حماية حقوق الإنسان، وحماية الديمقراطية وحماية العالم من الإرهاب، ومن الأصولية الإسلامية وحماية مصادر البترول، لذلك فإن الاستراتيجية الجديدة تقوم على تقديم صورة نمطية أكثر تقدما؛ وهي تجمع كل تلك السمات السلبية التي تطورت عبر التاريخ إلى جانب سمات جديدة تهدف بشكل أساسي إلى إثارة الخوف والرعب وبالتالي إثارة الكراهية والرغبة في الانتقام (سليمان سالم صالح، 2011، 116).

وأضحى قتل المعلمين والكتاب والصحفيين والفنانين أفعالا إسلامية تكتسب شرعيتها من هذا الدين، وتعبر عن الكراهية للقيم الغربية، هذا بالضبط ما يتصوره بعض محررو الصحف العالمية، وحينما يصف الصحفي الكتابة، الإبداع، التعليم، أو الفن في المجتمعات

الإسلامية فهو يصورها قيما غربية تنتمي للنظام الغربي الذي يحاربه الإسلاميون، ولا يمكن اعتبارها جزءا من الثقافة المحلية أو نظام القيم المحلي (خلود العيدان، منيرة الدهش، 2015).

وراح كثير من المعلقين والمحللين السياسيين في وسائل الإعلام الأوروبية يضعون كل المسلمين في سلة واحدة من التصورات الخاطئة، فالكلمة متطرفون والكل أصوليون، وفي تحقيق لصحيفة "الابزرفر" البريطانية تحت عنوان "من البيت الأبيض إلى هوليد" عام 1996، ذكر الكاتب أنه لا يوجد فرق بين الأصوليين والمعتدلين، لأن رسالة الإسلام العالمية هي نشر تعاليم الدين بكل الطرق بما في ذلك القوة، ولعل نظرة سريعة على بعض العناوين التي نشرتها الصحف الأوروبية في فترة سابقة تؤكد هذه الحقيقة من هذه العناوين: "المسلمون قادمون"، "الجهاد يتجه نحونا"، "الوجه القبيح للإسلام"، "الإسلام يهدد الغرب"، "انتبهوا الإرهاب الإسلامي هو فرقة انتحارية عالمية"، "الحرب المقدسة تتجه نحونا" وكتبت صحيفة التايمز في 1995 عن أن "المتعصبين المسلمين، سعداء مبتهجين عندما يقومون بالقتل لأنهم يؤمنون بأنهم ذاهبون إلى مكان بعيد أفضل يقصد الجنة" (سعيد اللاوندي، 2006، 202).

وجاء في مقال نشر في صحيفة "الصانداي تلجراف" بعنوان "هذه الحرب ليس موضوعها الإرهاب بل الإسلام" بقلم "ديفيد سيليورن" أن الاتحاد السوفياتي كان ذات مرة إمبراطورية الشر المتحدية للغرب، أما الآن فإن تمرد الإسلام أو ولادته الجديدة هي التي تلقي ظللا من الفزع على العالم غير الإسلامي، إنه يهدد بالبندق في يد والنصوص المقدسة في يد أخرى محولا أمريكا والصهيونية والمسيحية إلى شياطين (علي خليل شقرة، 2015، 107).

كما صور رسامو الكاريكاتير في أوروبا وأمريكا المسلمين بأنوف معقوفة ونظرات شرهة تطفح بالشر، وبأنهم إرهابيون جنباء، أو شيوخ نطف أثرياء، مفرطي البدانة يتلهون بالنساء، وحقروا الإسلام حيث صوروا المؤذنين للصلاة واقفين علي المآذن يتلون آخر أخبار انهيار أسعار الأسهم في البورصات العالمية بدلا من الأذان، ونشرت صحيفة 'توداي' البريطانية علي صفحتها الأولى غداة انفجار أو كلاهما صورة لرجل مطاقئ يحمل طفلا ميتا من تحت الأنقاض، وكتبت تحت الصورة 'باسم الإسلام' رغم أنه تبين أن منفذي العملية ليسوا بمسلمين، وعندما تحدث الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا حديثا طيبا عن الإسلام والمسلمين أطلقت عليه بعض الصحف اسم 'آية الله تشارلز' (إبراهيم نافع، 2004).

ومن بين ما خلصت إليه دراسة لـ "رضا شحاتة" تناولت واقع المسلمين وصورتهم في الصحافة الإلكترونية في الغرب (شعيب الغباشي، 2010، 177-178):

- الخطأ التاريخي في النظرة إلى الإسلام كمصدر خطر والربط بينه وبين الثورة في الجزائر في زمن الاستعمار الفرنسي.

- انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام في التسعينيات عقب حرب الخليج الأولى في بريطانيا خاصة.

- الخطأ الكامن في النظرة الكلية الواحدة للعقيدة الإسلامية وللعالم الإسلامي كله من المغرب حتى إندونيسيا برغم تعدد الأعراف والمذاهب والتيارات واختلاف الثقافة الوطنية.

- الخطأ الأكبر في المنظور الأوروبي المعاصر الذي يكمن في افتراض غير دقيق بوجود تناقض بين الإسلام كدين وثقافة وبين الحداثة أو المعاصرة؛ بمعنى أن الإسلام يناقض المعاصرة وأن المسلم لكونه مسلماً غير مؤهل ليكون إنساناً عصرياً بل هو أقرب بحكم ثقافته وعقيدته إلى التيار المحافظ على أحسن الفروض وإلى التطرف في أسوأ الفروض.

إلى جانب الصحافة ساهمت السينما الغربية بدور كبير وهام في تشكيل الصور النمطية السلبية عن الإسلام والمسلمين، وخاصة السينما الأمريكية التي كان لها دائماً صورة نمطية للعالم الإسلامي ولشخصه لم تحاول أن تغيرها، بل سعت عبر تاريخها الطويل لتؤكد على الصفات السلبية في الشخصية العربية والإسلامية من حيث طبيعة التكوين النفسي لهذه الشخصيات كما عملت عبر أكثر من قرن من الزمان على تجسيد الأحقاد والكرهية الغربية للعرب والمسلمين، وتزعم هذه العملية اليهود الذين أسسوا هوليوود وباقي الاستديوهات والشركات السينمائية العالمية الشهيرة، مثل "كولومبيا" و"بارامونت" و"وورنر برادارز" و"يونيفرسال" (المحجوب بن السعيد، 2010، 92).

ومن خلال كثير من الأفلام تم استدعاء المخزون التاريخي في العقل الغربي خلال الحروب الصليبية والفتوحات العثمانية، إضافة إلى الخطاب الاستعماري وإعادة تقديمه والإلحاح على التذكير به (سليمان سالم صالح، 2011، 111).

وتم تصوير العربي والمسلم كمخلوق متخلف فقير، معدوم يرتدي ملابس رثة، لم يلحق بركب الحضارة، شهواني متفلت جنسياً ولا تحكم علاقته بالنساء ضوابط أو قيود، إضافة إلى

إصاق صفات الجبن والجهل والإرهاب به، وصورت المرأة العربية والمسلمة كراقصة تمتهن الدعارة ومتخلفة لا تملك من أمرها شيء، كما تم السخرية من الثراء الموجود في بعض الدول العربية وتصوير شيوخ العرب يقودون سيارات فارهة يستعملونها للمباهاة وارتكاب الأعمال الخسيسة (علي خليل شقرة، 2015، 62).

وفي كتابها ثمن الشرف تقول "غودوين" أنه في الغرب اليوم تندرج العادة على تسمية المسلمين جميعهم بأنهم المنبوذون الجدد، إرهابيون، أصوليون، متعصبون، فقد تربعوا على مقر الغول تحت السرير حيث اعتاد الشيوعيون التواري والترصد، وهناك بئر نفط في كل فناء خلفي، وسيارة مرسيدس وجمل في كل مرآب وبنديقية كلاشينكوف في كل حجرة، وجناح للحريم في كل منزل (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 242).

واعتبر الناقد السينمائي الأمريكي من أصل لبناني "جاك شاهين" أنّ أساليب السينما الأمريكية والغربية في تشويه صورة العرب والمسلمين، جاءت مقصودة وممنهجة ومتواكبة مع حملات الإدارة الأمريكية ضدّ الإرهاب، وقد رصد شاهين عدّة مؤلفات لكشف تورّط هوليوود في هذا الدور، منها مؤلفه الشهير الصادر سنة 2008: مذبذب: الحكم في هوليوود على العرب بعد 9/11، 11/09، *Guilty: Hollywood's Verdict on Arabs After 9/11*، والذي أكد فيه افتراضاته السابقة لمؤلفيه الصادرين سنة 2001 و1984 والموسومين بـ *Reel Bad*: (Arabs: How Hollywood Vilifies a People / The TV Arab)، ومن هنا فقد خضع العالم برمّته لسطوة الإنتاج السينمائي الأمريكي، والصورة الأحادية للتشهير الغربي بالمسلمين (د. عصام بن الشيخ، 2017).

وعليه يمكن القول أن الشخصية العربية الإسلامية تبقى نمطية لا تكاد تتغير، سواء في الإنتاج السينمائي لهوليوود أو في أوروبا مع كل المتغيرات السياسية والثقافية، وتراجع الاستخدام السياسي المباشر لفن السينما، بل إن الكاتب والناقد السينمائي "رمضان سليم" يرى أن التغيير يسير بطيئاً في تعامل السينما الأمريكية والأوروبية مع الشخصية العربية الإسلامية، خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث أصبحت السينما الغربية تنتج أفلام تجعل من الإسلام خصماً سياسياً وثقافياً يمكن أن تستخدم معه نفس الأساليب التي استخدمتها هوليوود في عقودها السابقة (المحجوب بن السعيد، 2010، 95).

وبالانتقال إلى الأفلام التلفزيونية، هناك مئات الأفلام التي تدأب على تشويه صورة العرب والمسلمين، فهم بالضرورة إما تجار رقيق قساة مع النساء كما في فيلم أشانتي أو هم برابرة يقتلون فلذات أكبادهم كما في فيلم موت أميرة (سعيد اللاوندي، 2006، 207).

وتؤكد دراسة علمية أن المسلسلات التي يقدمها التلفزيون الأمريكي وتتناول العرب والمسلمين تعتمد على جملة من الأساطير منها: أن العرب سيقومون بشراء أمريكا بأموالهم، وأن لغتهم ليست لغة بالمعنى الحقيقي وإنما هي عبارة عن رطانة وكلام غير مفهوم، ثم إن كل العرب أغنياء بصورة فاحشة وهم قوم أميون كما أنهم متخلفون ويؤمنون بالخرافات (سعيد اللاوندي، 196، 2006).

إن صورة العرب والمسلمين في التلفزيونات الغربية لا تختلف عن صورتهم في السينما؛ فهم مضاربون يسخرون ثرواتهم لشراء العقارات في أمريكا ويتسببون في ارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة هناك، وهم غير متحضرين وبرابرة وتجار للرقيق الأبيض وهم أثرياء جمعوا ثرواتهم من بيع النفط، وإن سيطرتهم على آبار النفط والتحكم في إنتاجه هو سبب الأزمات الاقتصادية في العالم... إضافة إلى تصويرهم كأعداء للمسيحيين. وإمعاناً في الإساءة فإنه لا يتم إظهار صورتهم إلا بلباسهم التقليدي وملتحين ويحملون معم الخناجر، كما لا يتم إظهار المرأة العربية إلا بالنقاب ولا تؤدي إلا دور راقصة مأجورة للترفيه عن الرجال (علي خليل شقرة، 2015، 74).

كما تم الترويج لصور السيف والقرآن والأعلام، وذبح الأضاحي، وختان الأطفال، والازدحام في موسم الحج، والنساء المحجبات، والأثرياء من المسلمين في قصورهم داخل العالم الإسلامي، وفي المنتجعات الغربية، وغيرها من الصور التي تمارس تأثيراً في المتفرج وتدفع به إلى استخلاص استنتاجات واتخاذ مواقف شعورية وغير شعورية من الإسلام والمسلمين ذات توجه سلبي واحتقاري.

ويصل تشويه صورة العرب إلى أقصى درجاته في برامج الأطفال التي توحى بأن العرب قوم أشرار ومغفلون... وتذكر الدراسة أنه بسبب هذا الإلحاح الإعلامي على تشويه صورة العرب فإن الأطفال الأمريكيين عندما يفكرون في لفظ عربي فإنهم يربطونه بتعبيرات

ومعان معينة مثل بترول، بنزين، شيوخ طماعين، إرهابيين أو غاد بدو، سيارات كاديلاك، نساء، جمال(المرجع نفسه،197).

ومن بين الأفلام الموجهة للأطفال والتي تضمنت تشويها لصورة الإسلام والمسلمين فيلم "والد العروس رقم 2" 1995 الذي يصور العرب أنهم أقل إنسانية من الغربيين واصفا الرجال العرب بأنهم أثرياء جدا، فاسدون، وذوو أخلاق حادة، والنساء صامتات مذعنات وضعيفات، ويسخر الفيلم من اللغة العربية من خلال جعلها تبدو وكأنها ثرثرة هزلية وما يدعو لقلق أكبر من هذا النوع من الأفلام هو أن مشاهديها المؤلفين أولاد صغار لا معرفة مباشرة لهم بالموضوع ومن غير الممكن لهم معرفة أن معظم العرب لا يتكلمون ولا يتصرفون كما بدو في الأفلام(جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ،2005،248).

ووجد منتجو أفلام الكرتون في كتاب ألف ليلة وليلة مادة دسمة وغنية لإنتاج أفلام للأطفال تؤكد على الصورة الشنيعة للعرب، ففي فيلم "علاء الدين والمصباح السحري" يتم تصويره على أنه لص يعتمد في حياته على السرقة والكسل، ويبدأ الفيلم بأغنية تسيء للعرب تقول: "أنا من بلاد يقطعون فيها أذنك إذا لم يعجبهم وجهك، وهذه همجية ولكن هذا وطني، وفي فيلم "القط الطائر" يظهر سكان كوكب متطور جميعهم من القطط، وسكان الأرض من البشر يظهرون أمامهم متخلفين جدا، وفي إحدى الزيارات التي يقوم بها مجموعة من القطط إلى الأرض يتخلف قط بسبب تعطل مركبته، وهذا القط يملك إسواره إلكترونية يستطيع بها تحقيق المعجزات، فيستعين بعالم أمريكي لمساعدته في تصليح المركبة المعطلة ويوافق العالم على أن يمكنه القط من حل معادلات علمية للقضاء على الفقر والجوع في العالم الثالث، ولكن تظهر فجأة عصابة عربية تحمل أسماء: محمد، أحمد، زكريا، علي ويتحدثون بلهجة بدوية يحاولون الاستلاء على هذه الأسورة صانعة المعجزات وبعد مغامرات قوية يتدخل الجيش الأمريكي ويلقي القبض على هؤلاء العرب وينتصر القط، ويصور فيلم "رامبو يقام الإرهاب" مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين يقودهم مجرم مجهول الهوية اسمه "ورهاوك"، تتخذ من العالم العربي وبعض الدول الأخرى مراكز لممارسة نشاطها وتقوم باختطاف الأطفال وتطالب بدفع فدية لإطلاق سراحهم، كما تقوم بتلغيم الآثار والمعالم الحضارية مثل تمثال الحرية وإيفل، ويبين الفيلم أن هذه المجموعة تستخدم الأموال التي تحصل عليها من الابتزاز والإرهاب في إقامة معسكرات لتدريب الإرهابيين وتجنيدهم للقيام بمزيد من أعمال الخطف والابتزاز،

ويظهر الفيلم رامبو الذي وضع نفسه في خدمة البيت الأبيض في أمريكا وهو يقوم بتخليص الأطفال المخطوفين وهزيمة هذه العصابة الخطرة (علي خليل شقرة، 2015، 81-83).

كما تم استغلال ألعاب الفيديو وما لها من دور كبير في تشكيل عقل ووجدان الطفل، وبما ترسخ في ذهنه من قيم ومفاهيم سلبية وإيجابية، وصمم "دغاركيون" لعبة فيديو باسم "resident evil"، "الشيطان المقيم" وقد أنتجتها شركة ألعاب يابانية، تبدأ بتفجير أحد المساجد، معا يدفع الطفل بشكل لا إرادي ليقوم بهذه اللعبة، ومما يغرس في ذهنه أن التخلص من رموز الإسلام وعبادته شرط ضروري للتقدم، ثم إلقاء القرآن الكريم على الأرض وإطلاق النار عليه والمرور فوقه للانتقال من مرحلة إلى أخرى، ووجود مبنى يشبه الكعبة في هذه اللعبة، ومحاولة الشخصية الرئيسية في اللعبة الدخول للمبنى ويقتل من بداخله لأنهم شياطين هو ما يشعر الطفل أن الكعبة قبلة المسلمين ماهي إلا ملجأ ومسكن للشياطين، بالتالي لا بد من التخلص منهم بأي ثمن، وهي في ذلك تكرر صورة المسلم كمتطرف وإرهابي لا يجيد إلا القتال والغزو وبث الرعب في نفوس الناس (المرجع نفسه، 84-85).

وفي تحليل مضمون بعض المواد التلفزيونية في أوروبا، وجد أن التلفزيون الفرنسي ثم الألماني من أكثر تلفزيونات أوروبا تشويها لصورة الإسلام والمسلمين (سعيد اللاوندي، 2006، 207). وخلص كل من الدكتور "محمد بشاري" والدكتور "صادق رابح" إلى أن محتوى الأفلام الأوروبية التي تناولت موضوع الإسلام والعرب والمسلمين ومضمونها، يظهر العرب بشكل ثابت ونمطي في صورة الجبناء، والكسالى والسذج، كما توصلنا إلى أن أغلب الأفلام الأوروبية سواء في السينما أو في التلفاز تروج صورة نمطية عن الشخصية المسلمة على النحو التالي: (المحجوب بن السعيد، 2010، 93-94).

- شخصية داعرة تعمل على إفساد السياسات الحكيمة للدولة الغربية.
- شخصية شهوانية تعشق الشبق الجنسي وتعدد الزوجات وكثرة الأطفال.
- شخصية سطحية، تؤمن بالخرافات ولا تقوى على التفكير العقلاني العلمي.
- شخصية عنيفة تقتل بلا رحمة، وتحمل معها دائما الخنجر أو المسدس.

ومن خلال تحليل نتائج أهم الدراسات التي أجريت حول تحليل المضمون لموقف وسائل الإعلام في أوروبا من قضايا الإسلام والمسلمين، وكيفية تناول ومعالجة هذه القضايا

الهامة والحساسة توصل محمد بشاري إلى مجموعة من الخلاصات الهامة يمكن إجمالها في (محمد بشاري، 2004، 153-155):

- جاءت صورة الإسلام بصفة عامة في وسائل الإعلام الأوربية المختلفة، سواء الصحف أو المجالات والإذاعات والتلفزيون سلبية وسيئة ومشوهة في الغالب ومنفرة، ولقد وصف المسلمون بأوصاف بدائية وهمجية، إلا في القليل جدا من المعالجات الإعلامية، والتي تبقى غير ذات تأثير مقارنة مع السائد، إضافة إلى كونها مرتبطة بصاحب التغطية الذي يكون موضوعيا في كل ما يقدمه وليس بالنسبة للقضايا الإسلامية فقط.

- كان هناك نزوع نحو ما يطلق عليه في لغة الإعلام "بشيطنة العدو"، والعدو هنا في العديد من الحالات يتمثل في الإسلام والمسلمين، ويقوم هذا المبدأ على التحويل المعنوي لهذا "العدو" إلى شيطان، أي شر مستطير ومتجسد، أو نزع الصفة الإنسانية عن العدو، بحيث يستحق عقابا صارما يسمح للمضطهد أن يمارس اضطهاده على المضطهد، دون أن يكون مطالبا بتطبيق الشرائع وموathيق حقوق الإنسان المعروفة في التعامل مع البشر.

- ربط الإعلام الأوروبي بشكل كبير بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض الحركات الإسلامية المتشددة، وفي كثير من الأحيان لم يفرق هذا الإعلام بين المسلم المعتدل في ممارسته الدينية، وبين المسلمين المنتمين لجماعات إسلامية تختلف في أطروحاتها وفي حركيتها، ويتأرجح هذا الاختلاف ما بين الاعتدال والتشدد.

- تم استغلال أحداث تورط فيها بعض الإسلاميين المتشددين من أجل إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

- استخدمت وسائل الإعلام الأوربية عدة وسائل لإبراز الصورة السيئة للإسلام والمسلمين، من قبيل العناوين المثيرة التي تبعث الخوف والقلق لدى الرأي العام الأوروبي، والتكرار، والاجترار المستمر خاصة في أحداث العنف والربط بين الإسلام والإرهاب، والضرب على وتر المشاعر والأحاسيس الإنسانية، باستخدام صور وعبارات مؤثرة نفسيا، وموحية بالمعنى الذي تسعى هذه الوسائل لإيصاله وبتخاذ الموقف الذي تطمح إليه، ثم التأثير على المنتبغ مستغلة جهله بالإسلام، واعتماده على ما تقدمه له من معلومات وأحكام جاهزة، ومستغلة المصلحة الشخصية والقومية بتصوير المسلمين والإسلام على أنهم الخطر والعدو.

- ركزت وسائل الإعلام الأوروبية على بعض الأفكار الحديثة في الجوانب الخاصة بالإسلام والمسلمين، مثل فكرة "صدام الحضارات" والترويج الإعلامي على أن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية، إلى جانب قضية الأصولية والجماعات الإسلامية وأيديولوجياتها، باعتبارها موضوعات مرتبطة بالإسلام والمسلمين.

- لم تستطع احتجاجات قادة وزعماء الأقليات المسلمة في أوروبا على الخصوص، ردا على المعالجات الإعلامية الخاطئة للإسلام والمسلمين (والتي نتج عنها أحيانا تقديم اعتذارات رسمية من كبار المسؤولين في أجهزة الدول ببعض الدول الأوروبية) من إيقاف هذه الحملات الإعلامية المسمومة ضد الإسلام والمسلمين.

ولخص جوهر الصور المغلوطة عن الإسلام تمثل في (محمد بشاري، 2004، 146-157):

- الإسلام دين العنف والإرهاب.
- الإسلام يضطهد المرأة (وهنا يتم التركيز كثيرا على قضية الولاية، والزواج، والعصمة والقوامة).

- المسلمون يعبدون إلهها مختلف.

- الإسلام انتشر بالسيف.

- المسلمون هم العرب.

- الأمة الإسلامية هي جماعة المسلمين.

- المسلمون يتزوجون بأربع نساء.

- المسلمون أناس متخلفون بربريون.

- محمد هو مخترع الإسلام وأن المسلمين يعبدونه.

- المسلمون لا يؤمنون ببعيسى عليه السلام.

- الإسلام ضد حرية الاعتقاد.

- المسلمون لا يؤمنون ببعيسى عليه السلام.

- الإسلام ضد حرية الاعتقاد.

- لم تكن الفتوحات الإسلامية سوى توسعات استعمارية، ذات طابع اقتصادي للحصول

على الغنائم وفرض الجزية.

- الإسلام يظلم المرأة في الميراث.

- الإسلام دين وحشي في تطبيقه للحدود والعقوبات.
- الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان.
- الإسلام يحرم الفنون (الموسيقى - الرسم - النحت).
- ليس القرآن سوى تأليف بشري وليس وحي إلهي.
- الإسلام يعادي الحضارات الأخرى.
- الإسلام دين رجعي.
- كان محمد رجلا شهوانيا.
- الإسلام ضد العمل، فهو بالتالي دين تواكلي.
- الصيام يقلل حركة الإنتاج.
- الزكاة تقلل من الأموال.
- الإسلام دين ضد السامية(من خلال تحريف الآيات القرآنية التي تتحدث اليهود).

ويذهب الباحث مصطفى الدباغ أن الحملات المعادية للإسلام مرت بمراحل ثلاث :

(مصطفى الدباغ، 1998، 88-92):

- المرحلة الأولى (التصنيف):

أي تصنيف العرب والمسلمين جميعا أنهم مسلمون لمرجعيتهم العقائدية أو الحضارية والثقافية، وهي تسعى سيكولوجيا إلى ترسيخ القناعات بهذه الأطروحات؛ فقد قامت الدعاية الغربية وفق هذا المحور في عملية التشويه على تصنيف وتحديد أو عزل الضحية /الهدف والضحية الهدف هي شعوب الأمة العربية والإسلامية جميعا بغض النظر عن ألوان الطيف العرقي أو الطائفي، فهم جميعا في نظر هذه الدعاية مسلمون لأن مرجعيتهم الدينية أو الحضارية الثقافية هي الإسلام، والإسلام هو العدو الأول والعدو اللدود لهذه الدعاية المعادية.

- المرحلة الثانية (التوصيف) وذلك من خلال:

- وصف الأمة جميعها بالإرهاب

- انتزاع صفة الإنسانية عنها ووصفها بالبربرية.

وهي تسعى سيكولوجيا إلى ترسيب هذه التصورات وترسيخها، والمقصود بالتوصيف

هو تشويه صورة هذا العدو الجديد، وبعث الكراهية واثارة توازع الشر والعدوان في نفوس الآخرين في الغرب والعالم ضده؛ وذلك بإضفاء صفات البربرية والإرهاب.

- المرحلة الثالثة (التخويف):

وهي المحطة الأخيرة من رحلة التشويه البشعة والتي تمثل المحور الأهم والأعم والأعنف؛ وذلك بتكريس الشعوب العربية الإسلامية كعدو جديد للغرب، وهذا بدوره سيكرس ويفضي إلى تحريض الغرب للقيام بأعمال العنف ضد هذا العدو من خلال تعميق مشاعر الخوف والذعور من الإسلام أي تكريس (الإسلام فوبيا).

وتصور الإسلاموفوبيا في مجالها الإعلامي الإسلام بأنه دين بربري ومتوحش، حيث تحمل هذه النظرة آثار التفكير الوسيط الأوروبي، وتعيد ذكريات الحروب الصليبية والمواجهة بين عالم الإسلام والغرب، وأصبحت جزءا من الحملة الصحفية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

وظاهرة الإسلاموفوبيا ارتبطت بعملية تجهيل منظمة للشعوب الغربية بالإسلام؛ فوسائل الإعلام لا تقدم لها معرفة حقيقية بالإسلام، ولذلك نمت الإسلاموفوبيا في مناخ يسوده الجهل، وعدم القدرة على الحصول على المعرفة، وأصبح الإنسان الغربي أسيرا للصورة النمطية السلبية التي شكلتها وسائل الإعلام الغربية للإسلام والمسلمين، وأصبح يفسر كل الأحداث على أساس تلك الصورة النمطية (سليمان سالم صالح، 2011، 139).

والصورة التي شكلها الإعلام والصحافة الفرنسية عن الإسلام لم تخرج عن الإطار العام الذي شكل صورته في الإعلام الغربي والأوروبي، ولقد أجمعت العديد من الأبحاث والدراسات على أن صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي كانت سلبية من خلال طبيعة المواضيع والقضايا التي تناولها هذا الإعلام من مرحلة إلى أخرى وذلك حسب تطورات الأحداث.

يذهب الباحث الصادق رابح إلى أن الوسائط الإعلامية الفرنسية تتكئ على مجموع العناصر المشكلة للمخيل الغربي وتتغذى منها، مضفية عليها من خلال نزعتها الدرامية أبعادا أخرى خطيرة ترسخ الكراهية وعدم التسامح والإسلاموفوبيا وكل مفردات المعجم العنصري. فبالإضافة إلى القوالب التاريخية الجاهزة والوحدات الذهنية المستعصية على الطرح العقلاني، دخل هذا الفاعل الاجتماعي الحديث الأكثر حضورا حلبة "المعركة" مستغلا كل إمكانياته لإحياء الصور القديمة - الجديدة- وتفعيلها وتقديمها للمواطن الفرنسي كحقائق بديهية (الصادق رابح، 2009، 19).

وليس من شك في أن هناك أعداد غفيرة من المشاهدين لا يعرفون ولا يحكمون على الإسلام في فرنسا إلا عبر ما يتعمد المذيعون إعلانه وإبرازه عن هذه العقيدة، ويجد المذيعون أنفسهم شبه أحرار في إطلاق روى مغلوطة لا يحاسبون عليها (سعيد اللاوندي، 2006، 211).

ويمكن الوقوف على طبيعة الصورة التي شكلها الإعلام الفرنسي للإسلام من خلال بعض الكتابات والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع، ومن أبرزها كتاب "الإسلام المتخيل، التشييد الإعلامي لكره الإسلام في فرنسا بين سنوات 1975-2005" للصحفي والباحث المستقل "طوماس ديلطومب"، ويعتبر من أهم الكتب التي درست صورة الإسلام في الإعلام الفرنسي بشكل دقيق ومععمق، وقد ارتكز عمله على البرامج التلفزيونية للقائتين الوطنيتين الفرنسيتين الأولى والثانية بين 1975-2004، بالإضافة إلى حلقات النقاش والريبورتاجات، وقد بين أن الصورة المرسومة للمسلمين في الإعلام الفرنسي هي صورة تخيلية أكثر منها صورة حقيقية، أي أنها تستند إلى خيال تغديه وسائل الإعلام وتوجهه في الآن نفسه. وأهم ما يميز هذا العمل هو أنه كتب من داخل المنظومة الفكرية والثقافية الفرنسية، وعبر استقراء مباشر ودقيق للمنتج الإعلامي الفرنسي وليس مجرد اسقاط أو إيهام خارجي لا يستجيب إلى أية شروط منهجية أو موضوعية دقيقة (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 282-284).

- المرحلة الأولى (نهاية السبعينات إلى نهاية الثمانينات)

على الرغم من أن فرنسا تاريخيا كانت الأكثر اشتباكا بالعالم الإسلامي، والأكثر احتكاكا بالمسلمين بحكم المواجهات التاريخية واستعمارها للعديد من الدول الإسلامية من جهة، وهجرة سكان مستعمراتها إليها من جهة أخرى، إلا أن الإسلام في هذه الفترة ظل كيانا مجهولا بالنسبة إلى الجيل الجديد من الفرنسيين الذين ولدوا أثناء فترة موجة استقلال البلدان الإسلامية خلال سنوات 1950؛ أي أنه جيل قد بلغ من العمر حدود 25 سنة ولم يحتك بالمسلمين بشكل مباشر كما كان آباءه المستعمرون، ولم يسمع عن الإسلام إلا عبرهم، ولا شك في أن الآباء المستعمرين سينقلون صورة مشحونة بكثير من التحسر نتيجة فقدان مستعمراتهم وامتيازاتهم.

وظل حضور الإسلام إلى حدود سنة 1978 في الإعلام الفرنسي محدودا، وإذا تم عرضه فغالبا ما يكون في سياق الحديث عن البلدان الغنية بالنفط (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 278-279).

ورأى دلتومب أنه كان ينظر إلى الإسلام الفرنسي بوصفه "مادة إعلامية" من خلال أحداث غير مرتبطة بفرنسا نفسها وبقضايا لا تهم المواطن الفرنسي، ولا تتعلق بالمسلم الذي يعيش في فرنسا، ومن وجهة نظر المؤلف فإن هذه الاستراتيجية الإعلامية معروفة الأهداف؛ إذ تحاول ترويج مقولة: إن "المسلمين كلهم سواء"، سواء في فرنسا أو خارجها، وبالتالي فإن ما حصل بعيداً عن فرنسا يمكن أن يحدث فيها (إدريس الكنبوري 2012).

وعلى إثر حرب النفط، ركزت الصحافة الفرنسية على الإسلام في سياقه العربي، عكست الصحافة الفرنسية في هذه الفترة اهتمام المسؤولين الفرنسيين بالبتترول وأسعاره، وإن كان الأمر لا يخلو أحياناً من بعض التهكم في إطار السرد خاصة في مجلة "jeune Afrique" التي تعتبر من أكثر المجلات الفرنسية إساءة للعرب في أمور كثيرة شخصية وعامة، كما ذكرت مجلة "le canard enchainé" الساخرة في مقال بعنوان "بالأرقام العربية": "أن السعودية استقبلت 22 رئيس دولة و19 رئيس وزراء و20 وزير خارجية و100 وزير، وبالتأكيد فإن تلك الزيارات المتعددة للمملكة السعودية ليست فقط من أجل طلب رضا الملك خالد والإعراب عن الإعجاب بلحيته، بل إنه البترول الذي يجذب عشرات المليارات التي لم يقدر أعضاء العائلة السعودية على إنفاقها كلها على طاولات القمار."، كما جاء في المقال: "مع ظهور البترول تحول قراصنة الخليج الفارسي الذين كانوا يهاجمون السفن لسلبها إلى قراصنة من نوع آخر عن طريق الابتزاز الذي يمارسونه بواسطة البترول" (عزة علي عزت، 1997، -112-113).

كما ركزت الصحافة الفرنسية على الخلافات بين الحكام العرب وسوء توزيع الثروة في بلاد النفط من خلال الحديث عن السعودية بشكل خاص كنموذج لبلاد النفط، وكمثال عن مناقشة الأمور الشخصية المتعلقة بالنساء والقضايا الأخلاقية لأمرآء البترول ما كتبه مجلة "jeune Afrique" في تحقيق بعنوان "أمرآء حقيقيين أم مزيفون؟" يشير إلى استخدام العرب ألقاب أمير أو شيخ لشراء أنفس السلع دون دفع الثمن، وفي خضكم الحديث عما يمارسه الشيوخ العرب والأمرآء من أفعال لا أخلاقية كتبت المجلة تقول: "يقع اختيار الأمرآء الحقيقيين على أوروبا لقضاء أوقات لهوهم لأنهم يجدون هناك حريتهم الشخصية بشكل أوسع، فالكثيرون منهم تعيش عشيقاتهم في باريس أو لندن وأكثر الأماكن التي يعشقونها في أوروبا الملاهي،" وفي مقال بعنوان "من أجل حفنة من البترول دولارات تجارة النساء تجتاح المدن الإفريقية"

يصف كاتب المقال سهرات إحدى الملاهي الليلية التي يقصدها عدد من العرب كرواد جدد من السعودية والكويت قائلاً: "إن ورقة المائة دولار كانت تخرج من جيوب هؤلاء بسهولة لا يتصورها الخيال، فهم يعتقدون أن الدولارات هي التي تصنع الرجال، وعندما يبدأ الرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة، يبدأ الخليجيون ينشرون نفودهم على هؤلاء الفتيات فيضع الواحد منهم ورقة هنا وأخرى هناك"، وإن كانت هذه النغمة - وهي الإساءة للعرب من منطلق شخصي والتهكم على تصرفاتهم وعاداتهم- لم تعد ذات موضوع بالنسبة للصحافة الفرنسية (المرجع نفسه، 108-110).

وكتبت "جوزيت أليا" في "nouvelle observateur" بعنوان "الخوف المتعظم لدى الأمراء" مقالا جاء فيه: "لم يعد أغنى شخص في العالم أمريكيا إنه شخص عمره 60 عاما ذو وجه مالس وعيون سوداء لطيفة، وذو لحية صغيرة، وقلب طيب، ورأس مملوء بالفلسفة، ذلك الرجل هو حاليا ملك وأمير وشيخ أبو ظبي- إحدى إمارات البترول- وفي الإمارات ترى مسحة من الخيال وكذلك بعض المعجزات، هناك ترى سيارات الكاديلاك والقصور والمستشفيات والعمارات الفخمة، وكل هذا لم يؤد إلى حمل أهل هذا البلاد على نسيان الماضي وكما يقول الشيخ زايد: "كل شيء أعطاه الله بإمكانه أن يأخذه." (المرجع نفسه، 117-118).

وتزامنا مع التركيز على هذه المضامين، شهدت هذه المرحلة ظهور وتنامي حركة الهجرة إلى فرنسا، وأدى هذا للانتقال لتشكيل صورة الإسلام انطلاقا من تنامي ظاهرة الهجرة من بلدان المغرب العربي إلى فرنسا. وفي غفلة من الجميع، صار الإسلام، إسلام آلاف المهاجرين الذين اضطرتهم الظروف إلى العمل والإقامة في فرنسا (هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الجيل الأول، أو بالأحرى: "الجيل الصفر" إسلامًا لا مفرّ من الاعتراف به كما هو، وبما هو؛ ولا مناص من الإقرار بوجوده في صيغته تلك، ولا سيما أنه أفرز أجيالا تناسلت على أرض فرنسا وحملت جنسيّتها واستظلت برأيها واحتكمت إلى قوانينها الجمهوريّة(الصحبي العلاني، 2017).

والحالة الفرنسية لها علة أخرى في مواجهة الإسلام، تتعلق بماضيها الاستعماري وبخاصة في الجزائر، وذلك ما سماه بعض المتخصصين بعقدة "ما بعد الاستعمار"، وتفسيرها أن فرنسا تحتضن مسلمين من أصول جزائرية، يذكرونها وهم على ترابها بهزيمتها وانهايار

إمبراطوريتها الاستعمارية، ويكفي استقرار البرامج التلفزيونية الفرنسية خلال السنوات العشر السابقة لإدراك صعوبة تجاوز الذاكرة الفرنسية للهاجس الجزائري، ومن الطبيعي أن تتحفظ النفس الفرنسية وهي تستقبل الجزائريين والمغاربة القادمين من المستعمرات السابقة وتلجأ إلى الرفض بطرق ملتوية منها الحذر الشديد من الإسلام ولو كان فرنسياً (www.islamtoday.net، 2016).

ويبين دلطومب أن صورة الإسلام في فرنسا لم تكن معروفة جيداً قبل نشأة التلفاز، لكن هذا الأخير لم يصبح جزءاً من الحياة العائلية في المجتمع الفرنسي إلا في النصف الثاني من سبعينيات القرن الماضي، ففي العام 1960 كان هناك 13% من الفرنسيين فقط يملكون جهاز تلفاز، وفي العام 1975 ارتفعت هذه النسبة إلى 84%. لكن في هذه الفترة لم يتم التعرف على صورة المسلمين والإسلام وإنما بدرجة أولى على الهجرة والمهاجرين (إدريس الكنبوري، 2012).

وراح الإعلام الفرنسي يتحدث عن المهاجرين كتهديد محتمل للمجتمع الفرنسي بسبب اعتناقهم لدين، وعادات وتقاليد وثقافة جديدة مغايرة ودخيلة على المجتمع الفرنسي، ويتجاهل هذا الإعلام بالمقابل أن تواجد المسلمين في فرنسا ليس تلقائياً، بل يعود لأسباب تاريخية وسياسات استعمارية واقتصادية متعددة، فبعد الحرب العالمية الثانية انتقل الكثير من سكان شمال إفريقيا إلى فرنسا للعمل في المصانع الجديدة، واستوطن أغلبهم مناطق فقيرة في باريس وليون والشمال الصناعي، وفي الفترة ما بعد الصناعية تم إغلاق المصانع لكن ظل المستوطنون لم يغادروا أبنائهم وأحفادهم هم من انفجروا غضباً في عام 2005 بسبب عزلهم عن المجتمع الفرنسي وفيلم "La Haine" إنتاج 1995 استشرّف هذا الغضب وأوضح تماماً أن هذه الانفجارات لا علاقة لها بالدين (جون ر. بوين. ت. عمرو خيرى، 2015).

وحتى العام 1989 لم يظهر الإسلام إلا بطريقة عابرة من خلال التحقيقات المصورة، فمع حلول شهر رمضان من كل عام تركز عدسات التلفزيون الضوء على مسجد باريس ومئذنته؛ حيث يعتبر هذا المكان غريباً ومألوفاً بالنسبة للمصورين الصحفيين الذين يفضلون تصوير ذوي اللحي التي بها شعر أبيض للمصلين الساجدين للصلاة، وهكذا لا يظهرون الإسلام إلا كترات خاص بالعمال المهاجرين، وتعكس هذه التحقيقات أسلوب معيشة الجالية

ونظامها الأبوي غير أن القلق بدأ يستشف من لهجة التعليقات ابتداء من اندلاع الثورة الإيرانية في العام 1979 (سعيد اللاوندي، 2006، 211).

ودفع حادث السفارة الأمريكية في طهران المحليين الفرنسيين إلى ربط الإسلام بالحرب ضد الغربيين، حيث خصصت مجلة (nouvelle observateur) عددا خاصا في تلك السنة للحادث عنوانته بـ "الإسلام أمريكا محاصرة" أما (l'express) فخصصت غلافها للموضوع بعنوان "الإسلام الحرب." (إدريس الكنبوري، 2012).

وبداية من سنة 1979 زاد الاهتمام بالإسلام عبر التركيز على ثلاث قضايا مركزية في تلك الفترة هي: الثورة الإيرانية، وصورة الخميني، ومسألة الحجاب، وركز الإعلام الفرنسي أيضا على مواضيع تقابلية مثل: الحرية في المجتمعات الغربية مقابل سيطرة التقاليد الدينية في العالم الإسلامي، وحرية المرأة في فرنسا مقابل خضوع المرأة لزوجها في المجتمعات الإسلامية، والحدائق مقابل التخلف، والديمقراطية مقابل الاستبداد، وإن كانت هذه الصورة غير جديدة لأنها صورة نمطية مبنوثة في أغلب المتون الاستشرافية بمختلف توجهاتها حتى الفلسفية (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 279-280).

وراحت وسائل الإعلام الفرنسية تربط بين الثورة الإسلامية في إيران، وبين ثقافة وديانة المهاجرين، وحول ما إذا كانت قيم وثقافة هؤلاء تنسجم مع الثقافة الغربية، في هذا السياق يؤكد "ديلتومب" بأن الفرنسيين اكتشفوا هويتهم الخاصة والتميزة ليس بالنظر إلى تاريخهم بل بالنظر إلى المهاجرين الآخرين القادمين من بلدان العالم العربي، فقضية الهجرة فتحت نقاشا عاما حول الهوية الفرنسية والطابع المسيحي لها، ولا سيما بعدما ظهرت قضية إدماج المهاجرين في المجتمع الفرنسي، وبدأ البعض يدق ناقوس الخطر من خطورة إذابة الهوية الفرنسية في هويات المهاجرين الأجانب وتساءل أحد الكتاب ما إن كان الفرنسيون سيظلون فرنسيين خلال الثلاثين عاما المقبلة.

ونشرت مجلة "nouvelle observateur" في عدد 7 فبراير 1985 في ملف يحمل عنوان: "الإسلام في فرنسا" "هناك ثلاثة ملايين مسلم في فرنسا، والمسلمون يفتتحون في كل يوم مساجد جديدة، ولكن علينا أن نتساءل: من هو إلههم؟! هل هو إله الخميني أم إله القذافي؟ هل هو الذي يتبنى قطع يد السارق أم رجم النساء الزانيات (محمد بشاري، 2004).

ولم يجد مقدم أخبار القناة التلفزيونية الثانية ما يفتح به نشرتها الرئيسية (الثامنة مساء) وهو يتحدث عن فتوى الإمام الخميني سوى هذه العبارات: "مساء الخير هذه المرة، الإسلام كله يعيش في غليان، فلم يحتج الأمر إلا لكتاب صغير لنعي الفجوة الكبيرة التي تفصل بين عالمين: عالم الغربيين عالمنا نحن، وعالم الإسلام، حيث يوجه دين متشدد لمليار فرد" وبعد دقائق من هذه المقدمة، يظهر على شاشة التلفزيون مجموعة من الشباب القاطنين بـ فال-فوري، وصفهم الصحفي بـ "المسلمين" قبل أن يشرع في تحفيزهم على تبني موقف الخميني، وهو ما سمح لمقدم النشرة بمواصلة حديثه قائلاً: "أمام تنامي الطابع العدواني والمتعصب للإسلام، يجب على الغربيين أن يردوا.

وفي أحد البرامج التي تبثها نفس القناة لم يجد الصحفي حرجاً في القول أن "الإسلاموية" هي "جزء لا يتجزأ من الإسلام"، ويبدو أن الأمر لا يقتصر على النخب الإعلامية المحكومة بعقلية التسويق التجاري بل تعداه إلى بعض النخب الثقافية الحاضرة في الفضاء الإعلامي الفرنسي ففي سنة 1985 قام "برنار بيفو" صاحب البرامج الثقافية المعروفة على التلفزيون الفرنسي العمومي بتخصيص حلقة من حلقات برنامجه آنذاك "apostrophe" الموضوع "القرآن والعنف" ليعترف "بأنه لم يقرأ" القرآن! إلا أنه في ما يبدو كان قادراً على استخلاص الحكم بأن القرآن يدعو للعنف حتى بدون قراءته (الصادق رابح، 2009، 22-23).

وما فتئت المخاوف والنقاشات تزداد بعد أن قاد الانفتاح على الإسلام نسبياً في المجتمع الفرنسي، ورواج الحديث عنه في الإعلام والأوساط العائلية عدداً من الفرنسيين إلى اختيار الدخول في الإسلام، مثل الفيلسوف المعروف "روجيه غارودي" والكاتبة "إيفا دي فيتراي"، والفنانين "موريس بيجات" "كات استيفنس"، وهو يوسف إسلام، وقد أكدت تلك الحالات للجميع أن الإسلام لم يعد موضوعاً غريباً عن المجتمع الفرنسي بل دخل في عمقه، وأصبح جزءاً منه، إذ دخل في الإسلام حتى العام 1986 أزيد من مائة ألف فرنسي من جميع الأوساط والفئات الاجتماعية، بينما ضاعفت القناة التلفازية الفرنسية الثانية هذا الرقم عام 1988. وإثر ذلك أخذ الإعلام الفرنسي يثير المخاوف من "غزو" فرنسا من طرف المسلمين الوافدين والمسلمين الجدد (إدريس الكنبوري، 2012).

وبالرغم من التزايد الملحوظ في تعداد المسلمين في فرنسا سواء الذين يهاجرون إليها أو من أبنائها الذين دخلوا الإسلام إلا أن فرنسا كانت تتردد في الاعتراف بالإسلام كديانة محلية، ذات حق في الإقامة وترفض سياسة احتفاظ المهاجرين بثقافتهم ولغتهم الخاصة وتمنع بناء المدارس أو المعاهد الدينية وعادة ما تربط مواقفها بشروط تعجيزية يصعب على المسلمين تنفيذ بعض بنودها (مجدي الداغر، 2009، 341).

ويعتبر "ديلتومب" أن قضية الكاتب البريطاني من أصل هندي سلمان رشدي صاحب "آيات شيطانية"، كانت حادثاً فاصلاً في حياة مسلمي فرنسا وفي طريقة معالجة الإعلام الفرنسي لموضوع الإسلام، فعندما أثارت القضية عام 1989 بعد فتوى الخميني ضد الكاتب البريطاني خرج مسلمو فرنسا في تظاهرات في الشارع منددة برواية رشدي، وقد اختلفت معالجة الإعلام الفرنسي لتلك التظاهرات بعضهم اعتبرها "تظاهرة إسلامية" وبعضهم وصفها بـ"التظاهرة المتطرفة" والبعض وصفها بالإرهابية كما اختلفت طريقة تغطية صور التظاهرات من قناة لأخرى، حيث ركز بعضها على مشاهد النساء والفتيات اللواتي ترضن الحجاب، بينما ركز بعضها الآخر على جلابيب الرجال ولحاهم (إدريس الكنبوري، 2012).

كما شهد عام 1989م وقوع نزاع مدو حول "الحجاب" بعد أن جاءت ثلاث فتيات إلى المدرسة في مدينة "كربل" وهن يضعن الحجاب على رؤوسهن، واعتبرت إدارة المدرسة أن هناك انتهاك للمبدأ الفرنسي المقدس حول علمانية المدارس والتعليم، ووصول النزاع إلى القضاء لكنه حسم لصالح الفتيات واضطرت السلطات المدرسية للتراجع (انجلمار كارلسون، 2003، 127).

وأظهرت هذه الحادثة كم من الصعب على الدولة العلمانية التعامل مع النشاطات والنشطاء الإسلاميين، وأثرت هذه النزاعات تأثيراً سلبياً على نظرة الفرنسيين إلى الإسلام، وأظهر استطلاع للرأي العام أن كل ثلاثة من أربعة فرنسيين يربطون مفهوم التطرف والتعصب في أذهانهم تلقائياً بالإسلام. في حين قال اثنان من كل ثلاثة مسلمين شملهم الاستطلاع أنهم يربطون بين دينهم ومفهوم التسامح أيضاً وأجاب 41 بالمائة فقط من الفرنسيين الذين استطلعت وجهات نظرهم أنه يمكن القبول بالتوصيات التي ينص عليها الإسلام في

فرنسا، بينما رأى 76 بالمائة من المسلمين في هذا الأمر بالذات حقاً بديهيًا لهم (انجلمار كارلسون، 2003، 128).

وقامت القناة التليفزيونية الفرنسية الثالثة من خلال عدة برامج في استعادة وترديد الصور النمطية والمشوهة والتي غالباً ما تلتصق بالحجاب، من مثل "الحجاب الإسلامي يمثل رمزا يخرج المرأة من دائرة الشرعية بحيث لا تصبح كأننا بشريا؛ بل تغدو نوعاً من الكائنات الأقل بشرية وإنسانية التي يتحكم الرجل في مصيرها (الصادق رابح، 2009، 22-23).

وكتبت مجلة (nouvelle observateur) في إحدى افتتاحيات "جان دانيال" رئيس تحرير المجلة: "إن النضال ضد وجود الحجاب الإسلامي في المدارس يمثل مساهمة في المعركة العالمية ضد التزمت، ومن أجل الرقي بمستوى المرأة" مضيفاً: "أن ارتداء الحجاب هو التعبير التفاخري بهذا الوضع الرجعي الذي يمس المرأة، إنه رمز تقهقر وضعية المرأة (في الإسلام)، ورمز التفرقة الجنسية ضد المرأة"، وتعد هذه الكتابات نموذج بسيط على الاستفسارات التحريضية ومنها أيضاً: "وبما أنكم قرأتم القرآن يضيف أحدهم أبلغونا أين توجد الآيات التي لا تحرض على التفرقة ضد المرأة في إشارة واضحة إلا أن القرآن الكريم لا يضم أي آية تنصف المرأة".

وقد امتد الأمر إلى درجة الحديث عن "الحجاب الشبح الذي قد يهدد باندلاع حرب أهلية في المجتمع الفرنسي تقف من ورائها مجموعة من التنظيمات بحسب ما يروق للمسؤولين عن المجلتين (nouvelle observateur) (l'express) أن يستشهدوا به، كأن نقراً عن "الجماعات الموالية للسعودية"، أو "التنظيمات الموالية لإيران" "الحركات الشيعية"، "الزمر الأفغانية" "الشبكات الإيرانية" "الجماعات المتطرفة"، "التجمعات الأصولية"، "المحرضون المواليون للسعودية أو المواليون لإيران"، "التأثير السعودي"، وغيرها من المسميات التي يتعمد من ورائها المحررون توريط بعض الدول الإسلامية (محمد بشاري، 2004).

ويرى الباحث الصادق رابح في هذه المتابعات الصحفية، طغيان رؤية درامية تجعل من الإسلام يشكل عالماً آخر قلماً يشترك مع الغرب، في قيم أو مميزات معينة والمشكل مع قضية الاختزال هذه أنها لا تمس الإسلام الفرنسي وحسب، بل تمس مباشرة الإسلام، كدين وكحضارة، وذلك من خلال توظيف مجموعة من "المفردات الموجهة" تؤسس لهذا الاختزال،

من قبيل: (الخميني، التطرف، التشدد، الجهاد، الحرب المقدسة، تعدد النساء، الإرهاب، النفط، إيران، الجزائر، الهجرة، إعادة الأسلمة، الضواحي...)، ويتم استخدام هذه المفردات لإبعاد القارئ الغربي أي الفرنسي في هذا النموذج عن أي احتكام للعقل، وهذا يسهم في تضيق المعنى وفي تسهيل إيصال تلك التصورات والأحكام ثم هناك إشارة ثانية في مسألة الاختزال، حيث تصبح بمثابة القاعدة، ومنبعا بين أيدي القارئ، الذي يعنى نفسه من التفكير وتأسيس رؤاه الخاصة به انطلاقا من قواعد معرفية موضوعية.

كما شهدت أواخر الثمانينيات تصاعد الاتجاه المعادي للإسلام وللمسلمين وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة، وذيوع فكرة حلول الإسلام عدوا للغرب عوضا عن الشيوعية، وصعود الأحزاب اليمينية المتطرفة، فقد بنى اليمين المتطرف رصيده السياسي مع بداية الأزمة الاقتصادية في النصف الثاني من السبعينيات على قضية الهجرة واللجوء، وبالفعل نجح في تحويل هذين الموضوعين إلى قضايا قومية... لكن إفلاس خطاب الهجرة وجه أنظار الطبقة السياسية اليمينية المتطرفة نحو الإسلام والإرهاب باعتبارهما يجيبان على حاجة موضوعية خلفها سقوط اتحاد السوفييتي وحلف وارسو؛ ولم يلبث سقوط معسكر وارسو أن قفز بالإسلام، بالمعنى الرمزي على الأقل، لمرتبة العدو، بحيث حمل المسلمون الأوروبيون كل مقومات التقارب والتباعد، التجاذب والتنافر، باعتبارهم ضمن عملية إعادة البناء الدائمة للمنظومة المجتمعية الأوروبية من جهة، وخارج قواعد الطاعة التقليدية لهذه المنظومة من جهة أخرى، الأمر الذي يترجم في أزمة ثقة متبادلة تضع وجها لوجه: الخوف من الإسلام مع الخوف على الإسلام (هيثم مناع، 81-82).

- المرحلة الثانية: (بداية التسعينيات إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر)

عرفت هذه المرحلة -حسب دلتومب- تراجع صورة إيران كمثل للإسلام لتحل محلها عراق صدام حسين أثناء غزوه للكويت، والجزائر التي ظهرت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وأصبح الإسلام يجسد في الذهنية الفرنسية ووسائل الإعلام "العدو" المضاد للغرب.

ولقد كانت الحالة الجزائرية أكثر تأثيراً في فرنسا من إيران التي لم تكن العلاقات معها قوية بما يكفي، ذلك أن الجزائر ذات ارتباط كبير بماضي فرنسا الاستعماري في شمال إفريقيا، وهناك علاقات سياسية واقتصادية ولغوية متشابكة معها، جعلت التركيز يتم بشكل

أكبر عليها، وقد حاول الإعلام الفرنسي أن يصور ما حصل في الكويت وفي الجزائر بأنه انعطاف تاريخي كبير في العالم العربي، وبداية بروز الإسلام على المسرح الدولي، على الرغم من أن صدام حسين كان دائماً في نظر الفرنسيين يمثل الحاكم العربي العلماني المعادي للإسلاميين، و"صديق فرنسا" الدائم (ادريس الكنبوري، 2012).

ولقد كانت سنة 1990 حاسمة في نضج الأقليات الإسلامية ووعيها بأمور عقيدتها والحفاظ على هويتها في فرنسا، فقضية سلمان رشدي، وقضية الحجاب، وبروز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وإضراب عمال المصانع الفرنسية بسبب رفض إدارات المصانع تخصيص وقت للصلاة، شكلت منعطفات حاسمة سمحت للجاليات الإسلامية ليس فقط بتأكيد هويتها، ولكن بتحول الإسلام في فرنسا إلى إسلام فرنسا، وآخر يكتب عن الإسلام الفرنسي، وثالث يكتب الإسلام المهاجر، إسلام بن لادن، الإسلام الشرقي الإسلام الغربي الإسلام الأوربي، الإسلام الشيوعي، الإسلام الإيراني، الإسلام الخميني، ويبدو أن تفضيل تسمية على أخرى تحكمه اعتبارات أيولوجية أكثر منها أكاديمية؛ أي أن المسلمين في فرنسا أصبحوا يعتبرون أنفسهم جزء من المجتمع الفرنسي لكن بمعتقد ونظرة تختلف عن معتقدات الفئات الدينية الأخرى (مجدي الداغر، 2009، 445-446).

ومثلما كانت قضيةنا النفط ثم الثورة الإيرانية هما اللتان أدخلتا الإسلام إلى الإعلام الفرنسي بين سنوات 1970 و1980؛ فإن حرب الخليج والوضع الجزائري هما اللذان أثرا في صنع صورة الإسلام في فرنسا بين سنوات 1990 و2000 (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 281-281).

ويبدو أن خوف الفرنسيين من انتقال الموجة الأصولية التي تعم الجزائر إلى أوساط الجالية الجزائرية خصوصاً والمغربية عموماً، أسهم في تصليب مواقف الإدارة الفرنسية تجاه بعض الدعوات والنزاعات الإسلامية، وظهر ذلك بجلاء في قضية "السال" التي تشبه قضية "الحجاب" في مدينة كربل بارتداء تلميذتين "سال" يغطي جزءاً فقط من رأسيهما لكن إدارة المدرسة منعهما من الدخول، وتعددت المشكلة أكثر حين أفتى إمام مسجد محلي بأن التزام المسلمين بأوامر الله يلو ويتقدم على طاعة القوانين الفرنسية، وأدى ذلك إلى طرد الإمام إلى تركيا وطنه الأصلي (انجلمار كارلسون، 2003، 130).

وخلال هذه السنوات أصبح الإسلام فضاء أكبر للنقاش مع احتكاك فرنسا بما اصطلح عليه بالإسلام السياسي والإسلام الجهادي، أو الموجة الداخلية التي رأت فيها باريس بأنها مخالفة لمسارات الاندماج التي طالما دعت إليها الحكومات الفرنسية، وتجلت أساسا في أزمات وثورات الضواحي في باريس وعدد من المدن الكبرى... وازاد احتكاك فرنسا بالتنظيمات الإسلامية في الشرق الأوسط والمغرب الغربي بإعطاء أبعاد جديدة، خاصة بعد أولى العمليات التي مست عمق التراب الفرنسي في 1994 و1995 وتبنتها الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر.

واستغلت هذه الأحداث من أجل ترويح مصطلحات خارج سياقها الحقيقي مثل: (الأصولية، التطرف، الإرهاب الإسلامي الخطر الإسلامي، القنبلة الإسلامية، الخطر الأخضر)، حيث يتم استخدام تعابير مجازية مكررة عند الإشارة إلى المسلمين مثل: (الطابور الخامس، حصان طروادة، العدو من الداخل، وحوش، برابرة متعصبون...). والثابت أن هذه العناوين وتلك الكتابات قد آتت أكلها، يذكر مراسل صحيفة لوموند الفرنسية بالشرق الأوسط إيريك لورو أن الرأي العام الفرنسي مازال مشوشا بالنسبة لصورة العرب والمسلمين، وأشار إلى استفتاء أظهر أن واحد من بين كل شخصين فرنسيين يؤمن بوجود علاقة بين الإرهاب والإسلام... وكثير من المعلقين والمحللين السياسيين في وسائل الإعلام الأوروبية يضعون كل المسلمين في سلة واحدة من التصورات الخاطئة فالكلمة متطرفون والكل أصوليون (سعيد اللاوندي، 2006، 202).

ودفعت الأحداث السابقة إلى زيادة ضغط أجهزة المخابرات على مسلمي فرنسا خاصة ذوي الأصول المغاربية، وتدعم ذلك بضغط إعلامي على كل ما له صلة بالإسلام في اللباس والعادات والتقاليد... وقد كان المصطلح المتداول في تلك الفترة هو مصطلح الأصولية الذي يختزل أخرية الإسلام، وغالبا ما كان يستعمل مصطلح الأصوليين في مقابل المعتدلين، أما مصطلح الإرهاب فلم يصبح بعد مصطلحا فاعلا ومؤثرا في كل المنتج الإعلامي الفرنسي (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 281).

ووصف دلتومب التناول الإعلامي للإسلام في هذه المرحلة بكونه كان تناولا قاصرا ومتحيزا، ووصفها "بمرحلة التوظيف الإعلامي والخط المتعمد على جميع المستويات"،

ويرى أن الإعلام الفرنسي ومن أجل محاولة تفسير الجبهة الإسلامية للإنقاذ للفرنسيين رجع إلى التصورات الاستشراقية الأولى عن الإسلام والنبي محمد - صلى الله عليه وسلم-، وقضية المرأة، وراج في الإعلام الفرنسي أن الفجوة بين الغرب والإسلام ماضية في الاتساع أكثر فأكثر بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، وقد تجندت وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة لمتابعة هذه القضية. ويقول الكاتب بأن المسلمين في فرنسا وجدوا أنفسهم مضيقا عليهم الخناق بسبب هذه المعالجة الإعلامية التي حاصرتهم، وبعد وصول حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان عام 1996، وبروز الإسلاميين في تركيا، بدأ الإعلام الفرنسي يتجه بعيدا عن المسلمين الفرنسيين، فيخف الضغط الإعلامي عليهم لفترة معينة.

كما شهدت هذه المرحلة نوعا من الاتجاه نحو الموضوعية والصراحة في انتقاد طريقة تناول الإعلام الفرنسي للإسلام وقضايا المسلمين، وبدأ بعض الصحفيين والباحثين يستعملون عبارات "شيطنة الإسلام" و"المتخيل المعادي للمسلمين"، ووصل البعض إلى حد استعمال عبارة "الإسلاموفوبيا" أو نزعة معاداة الإسلام (إدريس الكنبوري، 2012).

- المرحلة الثالثة (ما بعد الحادي عشر سبتمبر 2001)

تعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، بمثابة الحدث العالمي المفصلي منذ سقوط الاتحاد السوفياتي بالنسبة للعالم أجمع، وبشكل خاص للعالم الإسلامي الذي وجد نفسه في قفص الاتهام بسبب عمل قام به بضعة أشخاص، لكنه كان كافيا بنظر الولايات المتحدة ومن سار في فلكتها، لاتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

وقسمت الأحداث العالم إلى ما قبل وما بعد 11 سبتمبر وإلى من مع هو مع أمريكا والغرب ومن هو ضدهم، ومن هم في محور الخير ومن هم في محور الشر، وفيما وصفت بأنها زلة لسان تحدث الرئيس الأمريكي معبرا عن توجهات الفكر الغربي بعودة الحروب الصليبية وشنت حملة إعلامية شرسة على الإسلام والمسلمين.

وكتب "دانييل بايبس"-الصهيوني المتطرف المعروف منذ الثمانينات- عن أحداث 11 أيلول، وتفكير الإسلاميين الذين هاجموا أميركا، ويصل إلى أن الإسلام كله أصولي ومتطرف، لكن بعض تياراته أكثر تطرفا من بعضها الآخر، وكما لا ينبغي من وجهة نظره تجاهل

التطرف الإسلامي الخارجي في السعودية ومصر وباكستان، لا ينبغي تجاهل التطرف المنتشر بين الجاليات الإسلامية في الولايات المتحدة وأوروبا (رضوان السيد).

ووصلت أصوات الحقد إلى دعوة كاتب يهودي قصف رموز الإسلام في السعودية وجاء على لسان أحد الحاقدين قوله: "في مكة يوجد برجان طويلان، في شكل منارتين شامتيتين تحيطان بعلبة سوداء عريضة، يعبدها المؤمنون، ويتجهون إليها في حجهم المقدس. وإلى هذا الشيء الرمزي يتجه كل المسلمين في صلواتهم: لا بد أن يعلم الجهاديون بشكل لا لبس فيه سواء بالإعلان الصريح أو من خلال القنوات الخاصة، أن أي اعتداء قادم على هدف غربي سيكون الرد عليه ضربة عسكرية مباشرة ومدمرة ضد واحد من رموز الإسلام الأساسية، لا بد من إقناع المسلمين بشكل لا لبس فيه أن المسلمين لن يجدوا أي قبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله الخراب الذي يعبدونه (محمد بشاري، 2004، 89).

وفي تعاقب سريع سلسلة من الكتب العلمية الشعبية، نشر "هانز بيتر راداتس" في عام 2001، كتب تحت عناوين: "من الرب إلى الله؟" و "من الله إلى الإرهاب" وأخيراً "الله واليهود. العودة الإسلامية إلى معادة السامية"، ويقدم راداتس نفسه باعتباره متخصصاً و "ممثلاً نبيلاً لعلم الاستشراق". وكان قد حصل بالفعل على درجة الدكتوراه عام 1967 من جامعة بون في فرع العلوم الإسلامية تحت إشراف أوتو شبيس وأنا ماري شيمل، وكان موضوع أطروحته عن التاريخ الفكري المبكر في الإسلام. بعد ذلك انتقل للعمل الحر وفي النصف الثاني من التسعينيات نشط كاتباً وناشراً لمكافحة حركة الأسلمة التي تهدد الغرب من وجهة نظره.

وراح هؤلاء الشعبيون في أوروبا يرفعون شعارات صدامية على غرار المطالبة ب "صد الغزو الإسلامي" و "منع بناء المساجد" و "حظر بناء المآذن وارتداء الحجاب"، ومن ناحية أخرى، ويعتبر كل من التشويه الإعلامي للإسلام، وصعود التيارات الشعبوية وجهان لعملة واحدة.

وعمد الكاتب الروائي والألماني الإيطالي "إيكو" في مقال نشر له في جريدة Republica إلى تصور سيناريو حرب بين الشرق الإسلامي الذي يزرع تحت نير حكم إسلامي أصولي والغرب العصراني، وبلغت انتقامية يفتتح السيناريو بمشهد باريس وقد دمرها

الشرق، ليتلوه بعد ذلك مشهد مكة وقد أتى عليها الغرب، يعقبها سلسلة من عمليات الكر والفر؛ فالشرق يسمم الغرب بتسريب بكتيريا قاتلة عبر رسائل البريد، والغرب يسمم الصحراء العربية بما فيها من جمال بفعل أسلحة الدمار الشامل لينتهي السيناريو بمشهد بدائي حيث لا يجد الطرفان ما يتراشقان به سوى الحجارة.

ويجنح الخيال بإيكو إلى تصور ما ستؤول إليه وضعية المسلمين القاطنين في الغرب، وإذا لجأ بعضهم تحت وطأة الحرب إلى تدمير بعض ناطحات السحاب، فإن مطاردة المسلمين ستكون متنفس هذا الغرب المجروح في ناطحاته، إلا أن مشكلة العدد تعترض سيناريو إيكو إذ كيف سيتم ذبح ملايين من المسلمين دفعة واحدة؟ إلا أنه لن يتأخر عن إيجاد الحل، فقد تظن لعرقية الشعوب؛ فالشعب وحده كفيل في اندفاعاته وهوسه الجماعي إلى إنجاز هذه المهمة على أحسن وجه دون الاضطرار لطلب تدخل الجيش.

وهناك مشكلة المسلمين من أصول غربية، إذ كيف يتسنى التعرف على الغربي المسلم ذي العينين الزرقاوين والشعر الأصفر والبشرة البيضاء، لكن التاريخ الكنسي في إبادة الخصم سيعفي إيكو من تحمل تبعات جرائم إضافية، فقد تذكر الشعار الذي رفع أثناء إبادة السحرة والزنادقة أو ما عرف تاريخيا بمحاكم التفتيش: " أقتلوهم جميعا فسيتعرف الله على أوليائه" (نصر الدين بن غنيسة، 2006، 6-7).

ويضاف في هذا السياق ما كتبه ميشال هولباك ما كتبه ميشال هولباك قبل أيام قليلة من هجمات 11 سبتمبر من أن الإسلام هو أكثر الأديان خداعا، وأضاف في مقابلة نشرت في نوفمبر 2001 في أسبوعية تولوز الفرنسية " أن الأصولية الإسلامية ليست انحرافا عن الإسلام القرآني بل هي نتاج له، ثم يتأسف هولباك حينما يسمع في وسائل الإعلام، أن الغالبية العظمى من الناس لا تزال تكرر أن الرسالة الأساسية للإسلام هي رسالة تسامح تحرم قتل النفس البشرية وتحترم المعتقدات الأخرى احتراما كاملا (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 287).

وليبك المتهم بإثارة الكراهية بعد تصريحات ساخرة من الإسلام والقرآن في 2002، يصور في كتابه الأخير "استسلام"، كيف ستكون فرنسا بعد أن تتحول إلى دولة إسلامية إثر انتخاب رئيس من حزب إسلامي، وتدور الرواية في العام 2022، حيث تواصل فرنسا انهيارها التدريجي البطيء، ويختتم الرئيس فرانسوا هولاند ولاية ثانية ليترك المكان للفائز

الجديد في الانتخابات، وهو زعيم حزب إسلامي، لتتحول فرنسا إلى دولة تحت حكم الإسلام، وتبدأ النساء في ترك أعمالهن، مما يؤدي إلى انخفاض معدل البطالة، والجريمة تختفي في الأحياء السكنية الفقيرة المكتظة، والحجاب يصبح الزي السائد، والحكومة تسمح بتعدد الزوجات. وتجبر الجامعات على تدريس القرآن، أما الشعب الفرنسي المخدر والفاقد، فيعود إلى طبيعته التي عودنا عليها منذ الحرب العالمية الثانية وهي التعاون مع المحتل أيا كان ويتقبل فرنسا المتأسلمة الجديدة، ورأى الكاتب الفرنسي أن التعامل الإعلامي والثقافي مع الإسلام والخوف منه في الغرب بات يتسم "بالهوس"، مقرا في الوقت نفسه أنه يشعر بالخوف من التمدد الإسلامي في أوروبا، وردا على سؤال حول ما إن كان كتابه الأخير يصب في هذا الاتجاه قال "طبعاً طبعاً، لكني لا أشعر بالحاجة إلى الاعتذار"، وأضاف "من المستحيل زيادة حجم التغطية الإخبارية عن الإسلام أكثر من ذلك، نحن أصلاً في الطاقة القصوى" (www.youm7.com).

وإلى جانب تصاعد الكتابات الشعبوية منها والأكاديمية، صار حديث الإسلام في أوروبا بصفة عامة هو العنوان المفضل في كل قنوات الإعلام المكتوب، والمسموع، والمرئي، على السواء، وليس معنى هذا أن موضوع الإسلام، كان موضوعاً هامشياً في أي وقت من الأوقات، خلال السنوات العشرين الأخيرة، لكنه كان حاضراً دائماً بدرجات ونسب متفاوتة وضوحاً وخفوتاً حسب الأحداث، أو بالأحرى الحوادث التي تتواتر أنبأؤها، قادمة من أي ركن من أركان العالم الإسلامي الفسيح، لكن الأمر في السياق الحالي جد مختلف، فالحدث الذي أعطى الإسلام مركز الصدارة بهذه الدرجة من الحدة، لم تأت أنبأؤه من داخل العالم الإسلامي، بل كان حدثاً حياً بالصورة شاهده ملايين المشاهدين يحدث في كل من نيويورك وواشنطن.

وأنشأ هذا السياق واقعا مختلفا للحديث عن الإسلام، وطرح بالتالي أسئلة مغايرة لتلك التي كانت تُطرح عادة، فبينما كانت الأسئلة قبل الحادي عشر من سبتمبر، تتعلق غالباً بهجوم غير المسلمين وبقضايا الأقليات والمرأة، وحقوق الإنسان في الإسلام، فإن هذا السياق الجديد، استعاد بأثر رجعي أسئلة القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر عن الإسلام والعنف، ومفهوم الجهاد، وانتشار الإسلام بالسيف، الإسلام والتخلف ومعاداة الحضارة والتقدم والتفكير العلمي (نصر حامد أبو زيد، 2002).

وعرفت هذه المرحلة أيضا ميلا عاما نحو تقديم صورة إسلامية أكثر عمقا ودقة مما كان يجري تقديمه من قبل، وجاء ذلك متماشيا مع تعطش الجماهير الأوروبية لمعرفة المزيد عن الإسلام والمسلمين، وعن القوى المتهمه بالإرهاب والأوساط الموصومة بالتشدد، وهو التعطش الذي يعكس جملة من الأبعاد كالشعور بالخطر والتهديد، والرغبة في التحقق من كنهه "الآخر المسلم"، وفهم خلفيات التأثير المتزايد للعامل الإسلامي على الأجندة العالمية، علاوة على ما قد يشير إليه هذا التعطش من شكوك لدى بعض القطاعات الغربية خاصة في غرب أوروبا في دقة الموروث الغربي عن المسلمين ومدى صحة الصورة الذهنية المتشكلة عبر قرون طويلة عنهم، ولكن التوسع الإعلامي الملحوظ في تقديم صورة أشمل عن الإسلام والمسلمين، لا يعني بالضرورة أن ذلك كان خاليا من ممارسة التحيز والتشويه والإساءة والعرض التعسفي للوقائع.

لقد أراد الجميع، وبعد عشر سنوات على زوال «الشیطان الأكبر» السوفياتي، أن يعرف أكثر عن هؤلاء «الأعداء الجدد للغرب». ذلك هو رأي اينياسيو رامونه مدير تحرير مجلة «منيير دو فوار *maniere de voir*» الفصلية التي تصدر عن صحيفة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية الشهيرة، في تقديمه لعدد يوليو/ تموز - أغسطس/ آب الأخير من المجلة الذي تناول الإسلام محورا له تحت عنوان «إسلام ضد إسلام» *Islam contre Islam* (<http://www.alwasatnews.com>، 2002).

واعتبر دلتومب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر حدثا فاصلا في تعاطي الفرنسيين مع الإسلام، يقول: "لقد دخلنا بعد الحادي عشر من سبتمبر في عصر جديد وغير مسبوق، أصبح الغرب فيها مستهدفا في كيانه". وبعد ظهور أسماء زكريا الموساوي والفرنسي (جيروم كورتايلي) الذي اعتقل في هولندا بتهمة علاقته بتنظيم القاعدة، والبريطاني (رتشارد ريد)، أصبح الحديث الرائج في فرنسا هو عن "المؤامرة" التي تستهدف الجاليات المسلمة في فرنسا، وخاصة أبناء الضواحي، من أجل تجنيدهم وإرسالهم إلى الحرب في أفغانستان مع تنظيم القاعدة، وهذا أدى إلى سيطرة "العقلية الأمنية" داخل الدولة في التعاطي مع المسلمين، فأصبحت المساجد والخطب ولقاءات المسلمين وجمعياتهم تخضع للرقابة الشديدة من طرف وزارة الداخلية ورجال المخابرات.

ويقول المؤلف إن هذه المرحلة كانت أخطر المراحل في المعالجة الإعلامية للإسلام وشؤون المسلمين في فرنسا؛ فأصبح الشك هو الأصل في المسلمين، ويُطلق على تلك المعالجة تسمية "المعالجة الافتراضية" التي تنحرف عن الواقع باسم تدارك الخطر قبل وقوعه، مما أدى إلى حصول "انزلاقات"، كما حصل في حادث انفجار أحد المعامل في مدينة تولوز بعد أسابيع من تفجيرات نيويورك وواشنطن، حيث اتجهت أصابع الاتهام مباشرة إلى "إسلاميين"، وكانت أول قصاصة إخبارية لوكالة الأنباء الفرنسية فور الحادث تشير إلى وجود متطرفين إسلاميين وراء الحادث، قبل أن تلحق بها كافة وسائل الإعلام والصحف الأخرى، ليتأكد في الأخير أن ذلك كان مجرد شائعات لا أساس لها من الصحة وتكررت نفس العملية مع حادث مطار (رواسي) عام 2003 (ادريس الكنبوري، 2012).

وشنت الصحافة الفرنسية حملة شرسة ضد الإسلام والمسلمين، وكتب "كلود أمبير" في افتتاحية مجلة "Le point بتاريخ : 21.11.2001 أن الإسلام لا يفصل بين الديني والدنيوي كما نفعل نحن، إنه يدفع الأفراد والشعوب إلى الصلاة والالتزام بقانون قرآني يخنق العلمانية، ثم إنه يميل إلى الدعوة بالكلمة أو السيف... فلنفكر في غرابة هؤلاء العنصريين الذين يجوبون أحيائنا الجامعية، وينتقلون من الحاسوب إلى الصلاة ويحضرون أنفسهم كطيارين مبتدئين للانتحار تعظيماً لله.

كما جاء لنفس الكاتب في افتتاحية لوبوان العدد الصادر يوم 2001/09/14 قوله: "إنه من ضمن العديد من الملاحظات التي تخرج بها من هذا الحدث، هو أن الإرهاب المستشري في العالم اليوم، يتعلق بالتطرف الإسلامي ويضيف أن الغرب يجهل القوة الصامتة للحركات الإسلامية وللمسلمين كافة لأن هناك مليارات منهم في العالم، وأنه حتى لو كان هذا المليار لا يساند الإرهابيين فإنهم لا يعارضون الانخراط في أعمال الجهاد والحرب المقدسة، لأنها تمثل إحدى أهم أركان الإسلام" (علي خليل شقرة، 2015، 104-105).

وكتب المعلق الصحفي دون فيدر "أن الإسلام كرس نفسه خلال تاريخه الممتد لأكثر من 1400 عاماً للتعصب والإرهاب والقتل الجماعي والظلم وإرغام الناس على اتباعه بحد السيف".

وركزت الصحافة اليومية والأسبوعية منها: لوموند ولوفيغارو وفرانس سوار وليبيراسيون ولوماتان، في كتاباتها عبر موضوعاتها ومقالاتها على البعد العدائي والحربي للإسلام والمسلمين الفرنسيين على وجه الخصوص، حيث تناقست عناوين الصحف ما بين الإثارة والتهويل، وخلوها من الموضوعية حتى في التناول التحليلي للأحداث فظهرت عناوين مثل: "الصدمة، الإسلام يعلن الحرب على الغرب، هل يجب الخوف من الإسلام؟، هل تصبح أوروبا قارة إسلامية على المدى البعيد؟، لماذا يظل الإسلام في أوروبا والإسلام يكرهنا؟، بعد أمريكا الدور على أوروبا، الإرهاب باسم الله، المسلمون أعلنوا الحرب المقدسة على الغرب، القنبلة الإسلامية هل تقضي على المسيحية في الغرب؟، ابن لادن هل هو الإسلام؟، أما أن الأوان لطرده كل المسلمين من أوروبا؟، ولاشك أن هذه العناوين هي مكونات أساسية في الصورة الموروثة عن الإسلام في فرنسا (مجدي الداغر، 2009، 444-445).

وفي مقال نشر في Le Courrier International صاحبه Andrew Sullivan يشير كاتبه إلى أن ما يواجهه الغرب بعد 11 أيلول أكبر خطراً وأدعى للفرع مما واجهه على يد كل من ستالين وهتلر، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك حين يرى في الإسلام اليوم دينا ينزع إلى القوة حتى يفرض سيطرته على العالم متكئاً على تاريخ حضاري حافل بالقوة والمنعة وذلك حين يجمع حوالية المجتمعات العالمتالنية التي بدل أن تقتفي خطوات الغرب نحو الحداثة، وهو عمل شاق، تلجأ إلى ترجمة إخفاقها إلى رغبة مهووسة وعارمة في التدمير (نصر الدين بن غنيسة، 2006، 3).

واعتمد خطاب كورييه على انتقاء ظاهرة العنف الملازمة لخصوصية الواقع الإسلامي لرسم صورة الإسلام والمسلمين القائمة على ترسيخ فكرة التفاضل بين الغربي المحب للسلام، المؤمن بالديموقراطية مقابل الشرقي المتخلف، العنيف الذي أضحى يشكل خطراً على نفسه وعلى الإنسانية جمعاء، وهذا من شأنه أن يأسر القارئ الغربي في أطر دلالية تجعل من فهمه للإسلام مقاربة فانتازماتية أكثر منها واقعية، وتدعوه إلى الإستسلام لمسلمات أفرزتها تجاذبات تاريخية (المرجع نفسه، 8).

ووضعت الصحافة الفرنسية على عاتق المسلمين الأزمة الاقتصادية برمتها والبطالة واختلال الأمن، كما أن المجلات الفرنسية خصصت أعداداً تدور محاورها حول الإسلام،

وارتفعت مبيعاتها، وحصل الخلط بين الإسلام والإرهاب والعنف، وصدرت عشرات المجلات الأسبوعية والشهرية بأعداد خاصة تدور محاورها حول (الإرهاب الإسلامي) أو (القرآن و العنف)، أو (الإسلام والسيف). وتم الإعلان عن هذه المجلات عبر لوحات إخبارية ضخمة في المدن الفرنسية في الأماكن العمومية، وفي حاقلات نقل الركاب ومحطات القطارات، مما ساهم في تعزيز شعور الخوف من الإسلام لدى المواطنين الفرنسيين (المحجوب بن السعيد ، 2010 ، 119).

وبين محاولة الصحفيين وبصفة دائمة إثارة نزعة الخوف من الإسلام طرح سؤال هل يجب الخوف من الإسلام ؟ الذي يتكرر دائما في اسئلتهم، ومن خلال عناوين الحصص يظهر كيف سعى الصحفيون وفي مختلف المناسبات والسنوات إلى إظهار أو الربط بين الإسلام كديانة وبين ما هو صادر من المسلمين، فربطوا بين الإسلام وما هو قبيح وعنيف ودموي حيث اعتبروا العنف والإرهاب من الإسلام، وكذا الاغتصاب والإكراه والتقاليد البالية، والتخلف وانعدام الحريات، وغيرها من الأمور السلبية والمشينة والغامضة التي زرعتها الإعلام الفرنسي في أذهان الفرنسيين، وهذا ما يعكس رأي أغلبية الصحفيين في هذه القنوات منهم كلود امبير الذي صرح في حصته الأسبوعية في قناة ليسي بتاريخ 2003/10/24 قائلا "يجب أن نكون صرحاء أنا أكره الإسلام وهذا لا يضايقتني، لدينا الحق في محاربة العنصرية ولست الوحيد في هذا البلد في الاعتقاد بأن الإسلام وليس الإسلاميون كديانة تحمل غباء (شاكر نوري، 2018).

ونشرت صحيفة (نوفال اوبسارفاتور) في ملف خاص بعنوان: (الإسلام وزمن النقد الذاتي) مقالا للكاتبة جوزيت أليا Josette Allia دعت فيه إلى تحالف دولي يضم المثقفين المسلمين المعتدلين ليقاتلوا القرآن كافة كما يقاتل العالم الأفغان كافة. ووصلت حملات التشويه حتى المجلات الشهرية والفكرية، ومنها على سبيل المثال ما جاء في مجلة التاريخ الفرنسية L'histoire تحت عنوان "محمد القرآن والطالبان وعلى الصفحة الأولى من المجلة عنوان آخر "الحقيقة حول الإسلام" في ملف ضخم ضم حوالي 50 صفحة. كما تم الإشارة في الصفحة الأولى إلى ملفات أربعة هي: محمد الرسول المحارب. العصر الذهبي للعالم الإسلامي. المرأة والقرآن، نزعة التطرف، ولسنا في حاجة للتذكير أن كل من هذه العناوين

يبقى محملاً بشحنات وإيحاءات سلبية من حيث المبدأ أو من حيث الفعل (محمد بشاري، 2004، 97-98).

كما عرفت هذه المرحلة إقدام الحكومة الفرنسية في ديسمبر 2002 على إنشاء المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وبذلك انطلقت مرحلة جديدة في تاريخ الجاليات المسلمة في فرنسا؛ إذ أصبح ينظر إليهم على أنهم (مسلمو فرنسا) وليس (المسلمين في فرنسا)، ومما لا شك فيه أن الغاية من وراء ذلك هي احتواء العمل الإسلامي في فرنسا من منظور أمني صرف.

واستمرت الصحافة الفرنسية في تحاملها على الإسلام حتى بعد مرور سنوات على الأحداث، وخلال الفترة ما بين 2003 و 2004 عادت قضية الحجاب مجدداً إلى الساحة الإعلامية خاصة بعد التظاهرات المعارضة لطرد محجبات من المدارس، وقد نتج عن ذلك أن النقاشات حول الإسلام والحجاب في وسائل الإعلام أصبحت "أكثر تطرفاً وتشدداً"، إلى درجة أن أحد البرامج التلفازية في قناة (تي إف 1) في أكتوبر 2003 صوّر مشهد لطلبات مسيحيات محجبات بلباسهم الكنسي في مدرسة كاثوليكية في مارساي، ومشهد صليب معلق على جدار مدرسة أخرى ليؤكد أن "العلمانية موجودة في فرنسا"، دون أن يسأل نفسه لماذا ترفض هذه العلمانية حق مسلمات في ارتداء الحجاب (ادريس الكنبري، 2012).

وصرح جون دانييل المؤسس المشارك في مجلة لوفال اوبسارفاتور، وأحد الأوجه المؤثرة في الصحافة الفرنسية في افتتاحية المجلة بتاريخ: 4 نوفمبر 2004، بأن سبب خيبة أمله الحالية هو أن يرى ما صارت إليه فرنسا، ويعبر عن حزنه لأنه لم يعد يعرف بلده، وإنه لم يعد يجد نفسه في قيم فرنسا، وحسب رأيه لم تعد فرنسا التي يعرفها، ولهذا كلم الرئيس الفرنسي مرتين في هذا الشأن قائلاً له: سترون ملصقاتكم الانتخابية قريباً جداً محاطة بمئذنتين (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 288).

وكان الكاتب والمحلل النفسي الفرنسي باتريك ديكليرك قد كتب في 12 أغسطس 2004 مقالة في صحيفة لوموند واسعة الانتشار وعنوانها "إنني أكره الإسلام" يذهب فيها إلى أن الإسلام دين يجلب الجنون و العته لأنه يقيم فصلاً بين الجنسين ويمارس القمع الرهيب على المرأة، كما ينعتة بأنه نسق فكري يقوم على الحرب المقدسة ومن ثم فإن الذبح و قطع الرؤوس ظاهرتان تدرجان في قلب الإسلام ذاته... ويسلك الكاتب الفرنسي المذكور بهذه المقالة النهج

الذي اتبعه في السنوات الثلاث الأخيرة عدد من الكتاب والإعلاميين الغربيين المشهورين من أوريانا فالانسي في كتابها الغضب والكبرياء الذي نعتت فيه الإسلام والمسلمين بأفطع النعوت والكسندر دوفال في كتابه حول الكليانية الإسلامية التي اعتبرها التحدي الشرس الذي يواجه الديمقراطيات الغربية ، والروائي ميشال هولبيك وجيري فالوال الذي اعتبر النبي محمد صلى الله عليه و سلم إرهابيا(السيد ولد أباه،2004،137).

كما عادت قضية الهجرة لتحتل الواجهة الاعلامية، لكن بشكل مختلف عن المرحلة السابقة إذ تداولت المنابر الإعلامية الفرنسية مصطلح (انتفاضة الضواحي) أكتوبر2005، لتوصيف حالة المهاجرين القادمين من شمال إفريقيا الذين يقيمون في أحياء شعبية تنعدم فيها شروط الحياة الكريمة، وصار الإعلام الفرنسي يسلط الضوء أكثر على هذه الأحياء واصفاً إياها بـ"الغيتوهات" و"المناطق الخارجة عن القانون"، وصار يطلق على ساكنيها كلمات مثل "المسلمون"، "الأجانب"، "المؤمنون"، "المغاربة" و"البور"(المهاجرون المغاربة المولودون في فرنسا وقد تجندت وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة لمتابعة هذه القضية، ونظمت في القنوات التلفازية جلسات حوارية بعضها كان موضوعه: هل ينبغي على المسلمين الفرنسيين التخلي عن الإسلام من أجل اندماج أفضل وضبط أحسن للإسلام في فرنسا؟.

وقد ميز الباحث "قيس جواد العزاوي" في متابعة دقيقة لما كتبه الصحافة الفرنسية في الأيام التالية بعد التفجيرات بين ثلاث مستويات من الكتابة الصحافية لخصها في:

- كتابات من المستوى الأول(الإسلام ينتج الارهاب)، ومن بين الذين كتبوا في هذا المستوى كلود أمبير في افتتاحية مجلة لوبوان (2001/11/19) بعنوان "العقاب" متسائلاً: " كيف يمكننا أن نعاقب مجانين الله دون أن نبعث الجنون بالجموع المضطربة من جراء تقديسها لله؟ إن الإسلام متحفظ على دور الفرد ويبقى رافضاً للإنتاج الرأسمالي وهو ما يؤدي إلى البؤس، والبؤس يؤدي بدوره إلى الثورة والثورة تنتج الإرهاب الذي ينشده المتعصبون طلباً للشهادة"...ويضيف: " فكروا بالغرابة المروعة التي تجري في ديارنا، من الكمبيوتر الذي ينادي للصلاة إلى تدريب الطيارين الانتحاريين أو تحضيرهم لقتال الكفار تمجيداً لله"، وتأكيداً لهذا الخط كتب "جاك روليه" أستاذ العلوم السياسية في جامعة روان في العدد نفسه من المجلة مجيباً عن سؤال: هل الإسلام ينتج العنف؟ بقوله إن الإسلام يوصي بقتل الكفار، والقرآن يأمر

المسلمين أمراً (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر) [التوبة، 29]، والمسلم ليس مثل المسيحي أو اليهودي اللذين لا يلتزمان بالنصوص، إن المسلم ملتزم كلياً بالقرآن باعتباره هو النص المقدس وبهذا يؤكد هذا "الأكاديمي" لعامة الفرنسيين على أن الإسلام يحث على القتل، وهو بالتالي منتج للإرهاب! ويتمادى "جان كلود كييفير" في افتتاحية *dernière nouvelle* "في التحريض ضد الإسلاميين، ويخلط ما بينهم وعامة المسلمين مدعياً بأن الغرب وصي على النفط، وأنه يمول من خلاله قتلة الغرب فيقول: "لم يعد هناك سوى وقت قصير جداً لاستئصال الحماسة الإجرامية التي يبديها المتطرفون الإسلاميون الذين تمولهم بشكل كبير السعودية من خلال مؤسستها الوهابية... وطالما نحن ندفع سعر النفط غالياً بعد أن اكتشفناه في رمال الصحراء فإننا ندفع حساب قتلة الغرب".

وفي مناظرة تلفزيونية جرت في الخامس من أكتوبر 2001 عن "الإسلام والعنف" تساءل الفيلسوف الفرنسي المعروف جان بيير فرايسيف عن الذين قاموا بتفجيرات سبتمبر، وإذا كانوا منافقين وخارجين عن الإسلام وتصرفوا خلافاً للتعاليم القرآنية أم أنهم من المؤمنين الصالحين الملتزمين بالتعاليم القرآنية؟ وأعاد طرح السؤال بالشكل التالي: هل القرآن يتناقض مع روح حقوق الإنسان؟ فأجاب: "نعم. فالكفار يستحقون القتل والهلاك، كما تستحق النساء الهجر والضرب، وأن هناك قرابة 700 كلمة في القرآن تدور حول العقاب والعذاب والتدمير".

وفي المستوى الثاني الربط بين الإرهاب والفلسطينيين، حاول الكتاب استغلال الأحداث لكي يدينوا الفلسطينيين بالإرهاب، منها تصريحات الخبير في العلاقات الدولية "جيرارد شايلياند" لصحيفة لوموند في 18/9/2001 حيث امتدح العدو الصهيوني قائلاً: "انظروا إلى دولة إسرائيل التي هي هدف لكل أنواع الإرهاب منذ عام 1968، ألم تعش وتقاوم إلى يومنا هذا؟! وخلص إلى القول: "إن على الولايات المتحدة الضغط على السعودية التي تقدم باسم الوهابية الأموال للدعايات التي تبثها الحركات الإسلامية..".

أما كتاب المستوى الثالث الذي عنوانه بأفضل دفاع ضد الإرهاب هو العدالة فهم فئة العقلانيين الذين نظروا للأحداث الدامية باعتبارها نتيجة لسياسات ظالمة، وكتب في هذا الاتجاه "سيرج جولي" في افتتاحية ليبراسيون بعنوان "اللانظام العالمي الجديد" 13 / 9 / 2001: "إن هذا الهجوم الإرهابي على أمريكا هو إعلان حرب، وما يليها منطقياً هو الحرب

الشاملة، ولكن الولايات المتحدة تقوم بهذه الحرب ضد عدو سيهرب منها على الأقل قسم منه، وهذا القسم يمتلك مئات، بل آلاف الانتحاريين المستعدين للموت لكي يحطموا أمريكا وإسرائيل". (قيس جواد العزاوي، 2002).

وبعد أن أعيد انتخاب الرئيس شيراك بدعم وتأييد من الجالية الإسلامية، وبعد تعيينه وزيرين مسلمين في الحكومة استمرت وسائل الإعلام الفرنسية رغم الإصلاحات المحدودة التي شهدتها مؤخراً في تحريضها على الإسلام بشكل فاقع وغير لائق. ففي برنامج في قناة التلفزيون الثانية وهي القناة الرسمية (في الثاني من ديسمبر 2002) بعنوان "هل ينبغي الخوف من الإسلام؟" أكد البرنامج الدعوات التي يريد الإعلام نشرها، وهي أن الخوف من الإسلام والمسلمين أصبح ظاهرة منتشرة لدى عامة الفرنسيين... وكانت مقدمة البرنامج تقذف التهم مجاناً على الإسلام والمسلمين... واعتبر السيد كوبي أن حكومته تهتم بالإرهاب والحجاب وبناء الجوامع في محاولتها لتنظيم الإسلام ومراقبة الأئمة، ومنع التمويل الأجنبي لبناء الجوامع، وتتجسد الصورة التي يمثلها المتحدث باسم الحكومة للإسلام في هذا الخلط اللاشعوري، أو المتعمد، ما بين الإرهاب والحجاب والجوامع... فهو يصر على ضرورة أن يقوم إسلام فرنسي خاص يفرض في مجلسه الاستشاري نسبة من النساء، وحين سأل أحد المشاركين هل تفرض الدولة الفرنسية نسبة من النساء على المجلس الكاثوليكي الأعلى أو على المجلس اليهودي؟ تهرب من السؤال (المرجع نفسه).

كما عمدت العديد من الصحف الفرنسية في هذه المرحلة لتخصيص مساحات ناقدة للإسلام قام بتحريرها كتاب من العالم الإسلامي، وحصل ذلك مع مؤلف آيات شيطانية " سلمان رشدي ومع المدعو ابن وراق الذي نشر مقالا مستقرا في مجلة "ماريان" الفرنسية، وقد قامت بتعريفه على أنه كاتب هندي من أصل باكستاني، كان ينتمي إلى عائلة مسلمة وتبرأ من الإسلام "أو ارتد عن الإسلام"، وقامت المجلة بنشر ما يسمى "ناقدة المقال، ويدور محتوى هذه الناقدة على تنبيه الكاتب (ابن وراق) إلى أن "القرآن يتبنى العنف" حيث يشير في مقدمة مقاله بكل حقد وتضليل إلى أن الإسلام هو الذي يدفع بالمتطرفين نحو ترك الحياة الدنيا من أجل نيل الشهادة، والظفر باثنتين وسبعين عذراء في الجنة لأنهم يصبحون شهداء.

ويضيف إلى أن تقسيم العالم عند المسلمين بين دار الإسلام ودار الحرب يدفع نحو الجهاد الذي يمثل فرض عين على كل مسلم، وهذا الفرض هو الذي عبر عن النزعة التوتاليتارية في الإسلام، إن الهدف من هذه الحرب المقدسة هو غزو العالم بأسره وإخضاعه لقانون الله لأن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تحمل الحقيقة ولذلك على المسلمين أن يقتلوا باسم الله، ويستشهد الكاتب ببعض الآيات القرآنية منها الآية الكريمة "وقتلوهم حيث تقتلهم" البقرة -191 (محمد بشاري، 2004، 101-102).

وفي إطار التحجج دوما بحرية الرأي والتعبير، تستمر الصحافة الفرنسية الاعتماد على الأقلام العربية والإسلامية لمهاجمة الإسلام بشكل فاق تهجم الأقلام الفرنسية في بعض الحالات وذلك بهدف إضفاء مصداقية وضمان تأثير أكبر لما يتم نشره طالما يشهد شاهد من أهلها.

وفي حوار للصحفي "غريغوار كانلورب" مع المدعو ماجد عكاشة (مسلم مرتد) وكاتب مقالات فرنسي، ومؤلف كتاب باللغة الفرنسية عنوانه الحرفي "في يوم ما كان هناك إسلام"، يكيل هذا الأخير كل أنواع الإساءات للإسلام قائلا: "إن القوانين والعقائد الإسلامية كلها تقريبا ليس لها أساس علمي أو عقلائي أو منطقي... والإسلام في ظل مؤسسه كان دينا معاديا للنساء، يدعو إلى ويفرض العبودية، وعدوا لحرية الفكر" ويضيف "ينبغي علي إقناع الحد الأقصى من المعاصرين بأن الإسلام يشكل تهديدا لحقوقنا وحرماننا الفردية... فهو تشريع عالمي لا يمكنه التعايش مع من يخالفه فكرا وأفرادا وثقافات"، ويتمادى في إساءاته حتى للذات الإلهية قائلا: "من جانبي أنا أفضل وأؤيد فردية المثل الفكرية والقيم الأخلاقية للحضارة الغربية الحديثة على النظام الإسلامي أو منظومة "الأخوة الكبرى"... ومنظرا حول الثقافة الإسلامية يضيف "أينما يهيمن الإسلام ثقافيا لن تجد سوى صراعات بين الثقافات؛ ونساء يشعرن بالذنب لأنهن جميلات وجذابات، واللاتي يتم التعامل معهن بوصفهن ناقصات عقل ودين يساء إليهن؛ وفوق كل شيء، انقراض مستمر للإبداع والخيال، لم يعد الفرنسيون، الذين يخشون من أسلمة فرنسا من خلال السياسة أو الحرب قادرون على التزام الصمت (2017)، (ar.gatestoneinstitute.org).

وتعزيزا لنفس الصورة الطاغية على الذات الإسلامية وخاصة في شقها الأنثوي، كتب عبد الرحيم لمشيبي وفي معرض تعريفه بالإسلام ديناً وجغرافياً وثقافة على مساحة صفحتين في مجلة (Sciences humaines) يقرر أن الإسلام في أصوله يعطي مكانة أدنى لنصف المجتمع (مقارنة بالرجل). وللتدليل على حكمه يستدل بما ورد في الفقه من أن كلمة المرأة تعادل نصف كلمة الرجل، وهنا يقول الباحث نصر دين بن غنيسة: " نشهد انزلاقاً دلالياً خطيراً لمفهوم الشهادة يلفه كثير من التسطيح والتعميم اللذين يخفيان عن ذهن القارئ الغربي العادي ذي الثقافة المحدودة عن الإسلام. وهكذا يجد هذا القارئ نفسه في وضعية ثقافية مريحة لأن مخاوفه من أن الإسلام كرم المرأة ليس لها ما يعضدها من واقع الإسلام، بشهادة أحدهم (نصر الدين بن غنيسة، 9، 2006).

لقد شكلت أحداث 11 سبتمبر منعطفاً بارزاً، أبانت فيها الإسلام فوبيا الإعلامية عن وجهها العدائي للإسلام والمسلمين، وتفاصيل الخارطة الذهنية التي تستند إليها الرؤية حيث أنها لا تختلف في كثير أو قليل عن لغة اللاهوت الإقصائي الاختزالي، واستبدت صورة الإسلام الإرهابي وخضع المسلمون في البلدان الغربية إلى رقابة كاملة مباشرة وغير مباشرة، وسيطرت "العقلية الأمنية" داخل الدولة في التعاطي مع المسلمين، فأصبحت المساجد والخطب ولقاءات المسلمين وجمعياتهم تخضع للرقابة الشديدة من طرف وزارة الداخلية ورجال المخابرات، ويذهب ليونال أرنو إلى أن الإعلام الفرنسي قد لعب على المصطلحات كثيراً في هذه الفترة، فكان يستعمل مصطلح الإرهاب مرادفاً لمصطلحي الإسلام والإسلامي (المبروك الشيباني المنصور، 282، 2014).

إن هذه الصورة السلبية للإسلام أو ما وصفها دلتومب بالصناعة الإعلامية الفرنسية للإسلام، لم تمنع بعض الوجوه الفكرية الفرنسية من مقاربة هذا الموضوع من منظور يتأسس على نقد ذاتي، وتعاليت أصوات فرنسيين من الوسط الإعلامي والأكاديمي راحت تنتقد المستوى غير المقبول الذي وصل إليه الإعلام والصحافة الفرنسية في التعاطي مع الإسلام والمسلمين، خاصة في مجال الإسلاموفوبيا، بعد أن أعادت الصحافة الفرنسية خلال هذه المرحلة بقوة هذا الموضوع للتداول نتيجة تغطيتها المشيطننة للإسلام.

وبعد كتاب "المتقفون المزيفون" صرخة ضمير حي وشهادة موثقة، تفتل في حبل من سبق: جوليان بندا في "خيانة المتقفين"؛ و بول نيزان في "كلاب الحراسة"؛ وجون بول سارتر

في مواقفه الداعمة للطبقات الكادحة، يكشف فيه ستائر الجريمة الجديدة والخطيرة الممثلة في تزييف الوعي والكذب المتعمد وتغيير الوقائع بهدف التأثير في الجمهور وتوجيه الرأي العام، طبقاً لأجندة يختلط فيها السياسي بالمالي والإيديولوجي بالطائفي، في بعد تام كل البعد عن منطق البحث عن الحقيقة وتمجيدها، وهو خلاصة تقص موضوعية لحالة الابتذال الفكري والتدني الثقافي والتلاعب الإعلامي الذي يعرفه المشهد الفكري والثقافي والسياسي والإعلامي الفرنسي، بعيداً عن منطق تصفية الحسابات الشخصية أو الإيديولوجية الضيقة. يتتبع فيه باسكال بونيفاس ألمع الوجوه الفكرية والثقافية المتربعة على عرش الشاشة الفرنسية بداية بظاهرة "برنار هنري ليفي" قيصر الإعلام الفرنسي، و"ألكسندر أدلر" و"فرانسوا هزبورغ" وفريدريك إنسل؛ وتيريز دبلش؛ و كارولين فوريسست مدللة وسائل الإعلام الفرنسية، وليس من الغريب أن يكون الجامع المشترك بين هذه الأيقونات الثقافية الإعلامية دعمهم المطلق واللامشروط للوبي الإسرائيلي، في مقابل إصابتهم بالإسلام فوبيا، ثم قربهم الحميم من دواليب السلطة والقرار بالإنجليزية وهو ما يفسر بالامتيازات العديدة التي يحظون بها مادياً وإعلامياً وسياسياً، لكن يبقى الأهم هو عدم ترددهم في تزييف الحقائق ونشر مغالطات لا علاقة لها بالواقع فهم لا يتورعون من أجل كسب معاركهم وسجالاتهم بالتضحية بالحقيقة من أجل الانتصار والظهور وإرضاء أصحاب القرار والنفوذ (رشيد شريت، 2015).

وفي السياق ذاته يصنف كتاب الإسلاموفوبيا الجديدة للفرنسي فانسن جيسر الباحث في معهد الأبحاث والدراسات عن العالم الإسلامي، وقد أثار الكتاب ردود فعل عديدة في الصحافة الفرنسية لأنه سعى إلى تحليل ظاهرة الإسلاموفوبيا بمنهجية تختلف عن الشكل المؤسسي للإسلاموفوبيا من المنظور الاستعماري؛ إذ ميز بدقة بين ثلاث مراحل داخل هذه الإسلاموفوبيا الجديدة التي ظهرت في بداية الثمانينيات من القرن الماضي؛ ففي هذه المرحلة كانت الإسلاموفوبيا تقوم على اعتبار أن التهديد يأتي من العمال المغاربة الذين "يروجون دعايات قريبة من الخميني ذلك تحت ستار العمل النقابي". وفي التسعينيات من القرن العشرين أضحت موضوع الإسلاموفوبيا مرتبطة "بشباب الضواحي المتعاطفين مع الحركات الأصولية التابعة للمجموعة الإسلامية المسلحة الجزائرية"، أما مع مطلع الألفية الثالثة فإن الخطر يكمن في "التهديد الداخلي النابع من الفرنسيين ذوي الأصل المغربي والمتخرجين في الجامعات الفرنسية، ومن خلال تحليل الباحث لأسباب الإسلاموفوبيا الجديدة وآلياتها ونتائجها دحض

المواقف المسبقة والمحذرة من (أسلمة) فرنسا في المدى البعيد وما أفرزته من تخوفات لدى الأحزاب والحكومات الفرنسية المتعاقبة؛ إذ أكد إن الخطأ الذي ارتكبه دعاة الإسلاموفوبيا هو تغييبهم الإسلام المعاش وتركيزهم فقط في أحاديثهم وتحليلاتهم لمشاريع القوانين والمراسيم التي يقترحونها على (إسلام متخيل) نابع من رؤية مخوفة متجاهلين الإسلام الحقيقي الذي يدين به ويمارسه ملايين المسلمين العاديين الذي يكدون في المعامل والحقول ويعيشون بسلام مع المواطنين الفرنسيين (المحجوب بن السعيد، 2010-112-113).

وتتبنى الأطروحة المركزية لهذا الكتاب كما ذهب إلى ذلك مولود حداد، على فكرة أساسية قوامها أن الإسلاموفوبيا في فرنسا تتجه إلى الإسلام بصفته ديناً وبصفته حضارة، وتسعى إلى رفض كل من يرتبط به، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد، وقد ميز قايسر بين الإسلاموفوبيا من جهة، والعنصرية اتجاه العرب واتجاه المسلمين من جهة ثانية، باعتبار هذه العنصرية شعوراً تقليدياً وقديماً عند الفرنسيين؛ أما الإسلاموفوبيا فلا تركز على الأصول الاثنية أو الوطنية ولكن على الانتماءات الدينية والثقافية والحضارية للأفراد والجماعات البشرية المرتبطة بالإسلام بكيفية أو بأخرى.

واعتمد قايسر على مرجعين مهمين رصدوا هذه الظاهرة وهما: تقرير اللجنة التشريعية الوطنية الفرنسية حول حقوق الإنسان سنة 2001، وقد بينت أنه إذا كان المهاجرون المغاربة هم أول الفئات المستهدفة من خلال عمليات العنف إلى حد الآن، فإن هذه الظاهرة قد توسعت لتشمل كل المجتمعات ذات الأصول العربية الإسلامية، ودراسة شبكة "راكسن" المرصد الأوربي للظواهر العنصرية والكراهية وقد إنجزت في 15 دولة من دول الاتحاد الأوربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وبينت أن الإسلاموفوبيا قد انتشرت في كل دول الاتحاد الأوربي، واستفادت من الظرف الحالي لتتوسع وتتخذ أشكال اعتداءات جسدية، واهانات لفظية تجاه المسلمين، ولكن ما يميز فرنسا مقارنة ببقية دول أوروبا وأمريكا الشمالية هو ما سماه الديتوفوبيا، أي كره نزع التدين نظراً إلى حدة نزع العلمنة في فرنسا وحاول المؤلف أن ينبه إلى هذا النوع من الخوف وإلى مخاطره الكبيرة على المجتمع الفرنسي. وخلص في القسم الأول من الكتاب إلى أن الإعلاميين يتحملون مسؤولية كبرى في نشر الإسلاموفوبيا في المجتمع الفرنسي، وإذا كان الإعلاميون -حسب قايسر- لم يساهموا في خلق الإسلاموفوبيا فإنهم منذ الثورة الإيرانية سنة 1979 يساهمون في نشرها عبر التحقيقات المعمقة التي

يجرونها باستعمال كليشيهات، وصور نمطية حول الظاهرة الإسلامية باعتبارها ظاهرة أصولية بامتياز. وقد بين الباحث أن المثقفين الاعلاميين مثل، ألان فنكلكورت وجون فرانسوا ريفال والكسندر ادلر، قد نجحوا في هز الثقة وتهميش خطاب الباحثين المتخصصين حول الإسلام، سواء كانوا من علماء الإسلاميات، أو علماء الاجتماع، أو علماء السياسة، وازاحة الأكاديميين والجامعيين من هذا المجال ترك الفضاء واسعا للمتخصصين في شؤون الأمن والخبراء في التحليلات الثقافية، من أمثال، أنطوان بسبوس، وأنطوان صفير، والكسندر ديلفال وفريدريك انسال، وأطلق عليهم مصطلح المختصين في الخوف ونسب إليهم اختراع مصطلح الاسلاموفوبيا، بعد أن أكد أن كثيرا منهم كانت له علاقات وطيدة مع اجهزة الاستخبارات الفرنسية(المبروك الشيباني المنصور، 2014، 289-290).

وفي كتابه "محطمو الطابوهات، مثقفون وصحفيون غير منسجمين في خدمة النظام المهيم" لسنة 2012، يبين "سيباستيان فونتنال" كيف تصور وسائل الإعلام الإسلام وتغدي الإسلاموفوبيا، ويظهر أن المسلمين هم الضحايا الرئيسيون في بداية هذا القرن لما سماه "دانيال يندنبيرغ" "رفع مجمل المحرمات"، ومن بين أهم ما اشتغل "فونتنال" على تفكيكه وتحليله من القضايا المتعلقة بالإسلاموفوبيا، هو الخلط المتعمد بين العرب والمسلمين عبر التبسيط الشعبي للمصطلحين، كما عمق "ديلطومب" هذه الأفكار في كتابه الثاني بعنوان "الحادي عشر من سبتمبر الديمقراطية في مواجهة الإرهاب المضاد"، ونشره بالاشتراك مع "ديدي بيغو" و"لوران بونيلي". وكتب "ديلطومب" في المحور الثالث للكتاب بعنوان "مناطق العتمة والاستعمالات المعاصرة للإرهاب"، مقالا بعنوان: "تسليح العقول، تجارة الخبراء في التلفزيون الفرنسي" بين فيه كيف يتحول الخبراء الأميون والاستراتيجيون إلى محللين إعلاميين، غايتهم الأساسية هي نشر أكبر قدر ممكن من الكره والبغض للإسلام والمسلمين حول العالم وتحميلهم مسؤولية كل الشرور التي وقعت وستقع في المستقبل(المرجع نفسه، 285-286).

وصدر مؤخرا كتاب بعنوان "التحوّلات الصامتة! من "الفوبيا" إلى "الذهان" "الذهان الإسلامي - لماذا تُشَيِّطُ فرنسا المسلمين؟" ل "توما غينولا" (1981)، يهدف مؤلفه لتعرية خطابات بعض السياسيين والمثقفين والإعلاميين الفرنسيين (يميناً ووسطاً ويساراً)، ويستهل عمله بتحديد مفهوميّ لما سماه "الذهان الإسلامي"، وهو يعني به "التمثل الجماعيّ الهذيانّي،

المنفصل عن الواقع، ذاك الذي يصوغه المجتمع الفرنسي حول أقلّيته المسلمة وحول الإسلام في فرنسا"، وحسب الكاتب فإن حالة فرنسا الراهنة تعكرت، وازدادت سوءاً بتفاقم خوفها المرَضِيّ من الإسلام، وتحوّله إلى حالة ذهان بما يعنيه المصطلح من بُعد عن الحقيقة وانفصام تامّ عنها.. وفي محاولة منه لتفسير هذه الحالة وتعليلها يرى الكاتب أنّ وزن فرنسا الخارجي ونفوذها الدوليّ كلّما أصيبا بشيء من الانتكاس والتراجع، ولو نسبياً، انعكس ذلك على موقفها من الأقليّات التي تشكّل جسدها الاجتماعي...متراوحة في تعاملها معها بين ثلاثة مواقف أساسية: موقف القبول، وموقف الشيطنة، وموقف الاضطهاد، وانكبّ غينيو لاي على بيان العوامل الداخليّة الخفيّة والظاهرة، وحرص على تعريفها وإبراز أثرها وتحديد مداها من خلال كشفه عن عديد "الأخطاء المتعمّدة"، التي يقع فيها عن قصد قسم هامّ من السياسيّين والمفكرين والإعلاميين بغاية توجيه الرأي العامّ و"شيطنة" صورة الفرنسيّ المسلم وجعلها منبوذة وتحويل أصحابها إلى هدف من السهل إقصاؤه وتهميشه(الصحبي العلاني،2017).

2-2- عوامل تشكيل الصورة عن الإسلام:

من خلال ما جاء في القسم الأول من هذا الفصل نستخلص أن صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية لم تتشكل نتيجة مصادفات أو نتيجة أحداث طارئة وعابرة فقط بل أسهم في تشكيلها العديد من العوامل التي انبثقت من سياق تشكيل صورة الإسلام في الفكر الأوروبي و الغربي بشكل عام. ويمكن إجمال هذه العوامل في:

2-2-1- العامل التاريخي:

إن الغرب اليوم ينظر للعالم الإسلامي وللشعوب الإسلامية من خلال المرآة التاريخية المثقلة بالانفعالات النفسية والعواطف السلبية، ولهذا فإن العقلية الغربية سرعان ما تستجيب لكل موقف سلبي يحمل في ثناياه تشويه صورة الإسلام وتكريس التصور الموروث ما يجعل صورة الإسلام في الغرب سلبية (المعالم)، قاتمة الملامح، قاسية متوترة، يطبعها الغضب والانفعال ويسيطر عليها التطرف والعنف، وبدأت الآن آثار هذا الموروث التاريخي تطفئ على سلوكيات المجتمع الأوروبي وقناعاته وأفكاره وسياسته (فاروق النبهان، 2013).

ويؤكد هذا الطرح قول "بول ماري دولا غورس" رئيس تحرير مجلة "الدفاع الوطني الفرنسية" وأحد كبار رجال السياسة في باريس عن العداء القديم بين الإسلام والغرب "ينطلق الأوروبيون في تعاملهم مع الظاهرة الإسلامية عموماً من خلفيات ثقافية وتاريخية، وفي العموم يخشى الفرنسيون بل وأروبا كلها من الظاهرة الإسلامية ويعتبرونها تمثل تهديداً خطيراً على المسيحية في الغرب (مجدي الداغر، 137، 2009).

وحسب الباحث "الصادق الرابع" فإن الرؤية الغربية للإسلام هي محصلة تراكمات تاريخية غدتها ولا زالت مجموعة من القبليات والقوالب المشوهة التي لم تفلح القطيعة الإبستمولوجية الغربية في اقتلاعها واستبدالها بثقافة عارفة، ويضيف الباحث والدارس لتاريخ العلاقة بين هذين الفضاءين الحضاريين منذ سنوات، أن مقاربة الإسلام في الغرب حالياً وبالضبط في فرنسا - التي يطلق عليها تاريخياً البنت الأكبر للكنيسة- تراوح مكانها بل إنها تتنافس مع المقاربة القروسطية اللاهوتية في لغتها ومحتوياتها (الصادق رابع، 2009، 6).

ويرى الباحث "كلود سيكار" أن الأسباب التاريخية تمثلت في انطلاق المسلمين بعد وفاة النبي محمد لمحاربة الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت من المسيحية ديناً لها منذ أكثر من ثلاثة قرون (<http://arabi21.com/story>). فالانتشار الإسلامي الكاسح شكل أكبر تهديد للوجود المسيحي في البحر المتوسط، بل إنه أحدث قطيعة حاسمة بين المرحلة الرومانية التي كانت ترى في المتوسط مركز العالم والفضاء الاستثنائي للمسيحية، وبين عهد جديد أعطى للعلاقات بين الشرق والغرب أبعاداً عميقة في العقل والوجدان جعلت المؤسسة المسيحية تشعر بحسرة لا متناهية على فقدان وحدتها الجغرافية والروحية (محمد نور الدين أفاية، 2009، 115).

وفي كتابه "محمد وشارلمان" يرى المؤرخ البلجيكي "Henri Pirenne" (1935): أن الإسلام فكك الوحدة المتوسطية التي أسستها الهجمات الجرمانية على الضفة الجنوبية من المتوسط، وأن بلدان إفريقيا وإسبانيا التي كانت تنتمي إلى الأمة الغربية، إنها الآن تدور في فلك بغداد. إنه دين آخر وثقافة أخرى التي اكتسحت كل ميادين الحياة. وبتحول البحر المتوسطي إلى بحيرة إسلامية فإنه قد توقف عن أن يكون سبيلاً إلى تبادل الأفكار " (نصر الدين بن غنيسة، 14، 2006).

وإذ يجمع كثير من المؤرخين والباحثين بأن أسباب حقد أوروبا المسيحية على العرب والمسلمين لأنهم صدوا النفوذ الغربي، واحتلوا الأراضي التي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، وأجهزوا عليها في النهاية ومحوها من الوجود، وغزوا أوروبا واحتلوا إسبانيا وأجزاء من البرتغال وقسماً من الأراضي الفرنسية، وأنهم كانوا عازمين على احتلال أوروبا بأسرها، فهذا الرأي على وجاهته، إلا أنه ليس السبب الوحيد لهذا الكره والبغض ولإثبات ذلك نقول بأن هناك أمماً وأقواماً وشعوباً وقبائل غزت أوروبا وانتصرت عليها في مواقع كثيرة، إلا أنه لم ينجم عنها حقد وكره، مثلما نجم في حالة العرب المسلمين، فعلى سبيل المثال غزا برابرة الشمال وهم القوط، والوندال، والهون، والمجبار، والفايكنج، الأراضي الرومانية وأنهوا الإمبراطورية الرومانية الغربية واحتلت روما عام 482م، وكونوا ممالك مستقلة، وكان الوضع بالنسبة للعرب والمسلمين مختلفاً، ذلك أنهم غزوا أوروبا باسم الفتح الذي كان هدفه نشر الدين الإسلامي في البلاد المفتوحة وتوسيع رقعة الإسلام... لقد رأى الأوروبيون في هذه الفتوحات خطراً يهدد عقيدتهم أكثر من تهديده لأراضيهم (محمد علي عمر الفراء، 2002، 43-44).

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السبب الفعلي للعداء والحقن الغربي على الإسلام والمسلمين والعمل على تشويهه بأبشع الطرق والأدوات إنما ينطلق وينتهي عند الدين الإسلامي.

2-2-2- العامل الديني:

لم ينفصل تشكيل صورة الإسلام في الفكر الغربي والفرنسي منذ بداياته عن العامل الديني، الذي بدأ تأثيره واضحا بشكل خاص مع الحملات الدعائية في الفترة التي مهدت للحروب للصليبية، والتي صورتها الكنيسة الغربية حروبا للدفاع عن الديانة المسيحية في مواجهة الإسلام، وذلك عن طريق تشويه صورته وصورة أتباعه، ورغم أنّ الصراع بين المشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الصليبي ولید بواعث عديدة وعوامل مختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية وتوسعية، لكنّ الكنيسة الغربية ممثلة بالبابا "الباعث الشخصي" استطاعت إخفاء هذه البواعث جميعاً وراء ستار الدين وشعار الصليب، ليظهر أمام العالم الغربي المسيحي وكأنّ الباعث الديني هو الدافع الحقيقي لهذا الصراع (محمد قطيش، 2013).

يقول "إدوارد سعيد" بأنه على الرغم من وجود وتداخل عدة عوامل وأسباب في رسم ملامح هذه الصورة، فجميع هذه الأسباب ناشئة عن شعور بأنه طالما تعلق الأمر بالغرب فإن الإسلام لا يمثل منافسا مرعبا له فحسب بل تحديا جديدا للمسيحية كذلك (إدوارد سعيد، 2011، 39).

ويذهب الكاتب "كلود سيكار" إلى أنه بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة 632؛ اندلعت الصراعات بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي؛ لأسباب مذهبية... وقال "إن الأسباب المذهبية تنبع من هدي النبي في القرآن الكريم، فقد أرسل النبي محمد حتى يفقد اعتقاد المسيحيين، ويوضح أن النبي عيسى ليس ابن الله وهو لم يمت على الصليب، وأن الإيمان بالثالوث المقدس هو شرك بالله (http://arabi21.com/story).

وحيثما بدأ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام دعوته في القرن السابع الميلادي، كانت المسيحية الكنسية تتخبط في حروبها الداخلية والخارجية، الناجمة عن أكبر عملية تحريف تمت في التاريخ وهي تأليه السيد المسيح في مجمع نيقية الأول سنة 325 م، ثم اختلاق بدعة الثالوث بتأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام 381، ومساواة الله بالابن بالروح

القدس، ثم جعل السيدة مريم "أم الله" في مجمع إفسوس عام 431، الأمر الذي أدى إلى خلافات عقائدية جذرية، لاتزال قائمة فيما بينهم، وكانت المسيحية تتصارع لكبح جماح الانشقاقات التي تعانى منها بينما كانت راية الإسلام ترفرف على مساحات شاسعة تربط آسيا بالمحيط الأطلنطي (د. زينب عبد العزيز، 2010، 1).

وبناء عليه يمكن القول أن المشكلة الرئيسة في علاقة الغرب فكراً بالعالم الإسلامي وعداء الغرب للنبي- صلى الله عليه وسلم- هي مركزية توحيد الله - تعالى- وعبادته لدى المسلمين، فالغرب ينطلق فكراً من فكرة مركزية الإنسان في الكون، وأن الفرد هو مركز الاهتمام الرئيس، وأن تطلعات الفرد وحقوقه وحرياته تُقدّم على أي أمر آخر، وحتى أمور العبادة وعلاقة الفرد بالإله. إن الغرب يرى أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد قدّم مفهوماً يمكن أن يهدم الفكر الغربي من أساسه، وهو مركزية محبة وعبادة الله - تعالى - في حياة البشرية مقابل نظريات الغرب التي تقوم على مركزية الإنسان (يسري ابراهيم، 2014).

وتضافرت عدة عوامل في تقوية هذا العداء المستحكم من الكنيسة في العصر الوسيط اتجاه الإسلام، ويعزو كثير من الباحثين تلك العوامل إلى عدو أمور منها:

- تخوف رجال الدين من فقدان امتيازاتهم وسلطتهم على شعوب أوروبا مع استمرار الفتوحات الإسلامية.

- الحروب الصليبية التي نقلت النظرة الراضة للشرق إلى عمل عسكري مبرر دينياً.
- حروب الاسترداد الإسبانية المدبرة أساساً من قبل الكنيسة التي كانت تجمع لها الدعم من كل أقطار أوروبا (عبد الرزاق، 2006، 21).

وإذا كانت أوروبا قد استطاعت أن تمحو من ذاكرتها آثار الحروب المذهبية المسيحية بواسطة العلمنة التي شملت كل مناحي الدولة في أوروبا السياسية والقانونية، فإن آثار الصراع الديني مع الشرق الإسلامي لم تتخلص منه بالكلية أو تسقطه من ذاكرتها نهائياً، بل توثقت القناعة في الخطر الإسلامي المغروس في الذهن الأوروبي منذ أن وصل الجيش العثماني إلى حدود النمسا وحاصر عاصمتها فيينا في العام 1529 والعام 1532 (حكمت البخاتي، 2017).

يؤكد على هذا المنحى الباحث "انجلمار كارلسون" قائلاً: "أن العالم المسيحي لم يستطع تجاوز الصدمة التي أصابته من أتباع الديانة التوحيدية الجديدة الذين جعلوا عقيدتهم استكمالاً

مثاليا للديانة المسيحية، والأرجح هو أننا لم نستطيع أبدا تقبل حقيقة أن الإسلام خلال القرون التالية- بعد توسعه أضحى يمثل مدينة راقية وسامية في العالم، فما زالت صورة العرب في الوعي الأوروبي باقية على حالها منذ عهد الحروب الصليبية كقوم همجيين بدائيين، ولقد ناقس الإسلام المسيحية- فيما بعد- في مجال التبشير، وأثبت أيضا نجاحه وخطورته، وعلى هذا انغرست صورة العربي كمخلوق رجعي، قاس، وتكرست في نفوس أجيال عديدة متتالية من أبناء الغرب عن طريق "مدارس الأحد" والمصادر الدينية، وأصبح رمزا لتدنيس أماكننا المقدسة واغتصابها بشكل غير مشروع على الإطلاق(انجلمار كارلسون، 2003، 17).

ورغم أن الإسلام لا يحتل الترتيب الأول وسط الأديان في أوروبا إلا أنه يتسم بمكانة عالية عند من يؤمنون به، فهو أغلبية في ألبانيا، والبوسنة والهرسك وكوسوفا، وأقليات في معظم الدول الأوروبية ولكن بنسب عالية جدا كما في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، وأروبا مع أنها ليست مسيحية إلا أنها ورغم ادعاء الحكومات الأوروبية بتطبيق العلمانية فإن المسيحية ما تزال تمثل الأغلبية في أوروبا وتتوزع ما بين الكاثوليك والبروتستانت، وتصل المسيحية الكاثوليكية إلى فرنسا لنسبة 75 بالمائة، وعلى هذا يدخل العامل الديني ضمن العوامل التي تؤدي إلى حالة من الفوران إذا ما تصادمت ديانتين في مجتمع واحد(مجدي الداغر، 2009، 355).

كما أن الفلق الأوروبي في هذه الصورة مبعثه تراجع نفوذ الكاثوليكية بعد الحرب العالمية الثانية، وانصراف الكاثوليك بنسبة كبيرة عن الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية على السواء، وبدء الاهتمام بالحياة اليومية المادية والخروج من ويلات الحرب مع مشروع مارشال لإعادة إعمار أوروبا مصحوبا بمظاهر الانحلال الأخلاقي(السينما، الثقافة الجنسية، الخليعة، الشدود الجنسي الفردية الحياتية، الانية مفهوم الأنا)، وتفكك الأسرة وانحسار سلطان الآباء على الأبناء.

ويحصل هذا في مقابل ما يراه الغربيون وساستهم ورجال دينهم -خاصة- من ازدياد مظاهر الالتزام بالدين بين المسلمين؛ فصلاة الجمعة تقام في بعض المساجد أكثر من مرة متتالية في المسجد نفسه بسبب كثرة الأعداد التي تغلق الطرقات، كما يرون الحجاب ينتشر بين النساء والفتيات المسلمات؛ بما يُثير الفضول لدى الأوروبيات لمعرفة سرّ التمسك بأحكام

الإسلام، التي يرون أنها مُضَيِّق عليهن؛ وهذا يفتح باب المناقشات مع المسلمات؛ مما يفتح الباب لمعرفة الأوربيات بالإسلام أكثر.

ومما يزيد الأمر اشتعالاً -وَيُعَدُّ مؤشراً خطيراً بالنسبة إليهم- أن كثيراً من المساجد هناك كانت في أصلها كنائس؛ اشتراها المسلمون وباعها المسيحيون نتيجة هجران المسيحيين لها (راغب السرجاني، 2014).

2-2-3- العامل الجيو سياسي:

إن عملية تشكيل الصورة النمطية السلبية والمشوهة للإسلام، ارتبطت دوماً بالأهمية الجيوسياسية للعالم الإسلامي، وبالتوظيف الاستراتيجي لهذه الصورة من أجل فرض الهيمنة والسيطرة على هذه المنطقة بفضل موقعها الجغرافي، وما تحويه أرضها من مصادر للطاقة وثروات وخيرات.

ويتعلق الأمر هنا بالبعد الاستراتيجي لعلاقة الغرب كمفهوم جيوسياسي بالإسلام من حيث هو فضاء إقليمي وبشري، له عناصر قوة كثيفة تسمح له بأن يشكل التحدي المستقبلي للريادة الغربية (السيد ولد أباه، 2004، 148).

ويذهب أرنولد توينبي أن العالم الإسلامي يمثل الموقع الجغرافي الأعظم في العالم، وأنه الممر البحري والجوي الذي يربط شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه، كما أنه يحتوي على أعظم وسائل الطاقة في باطنه، وأعظم أنواع الغذاء على سطح أرضه وبه من البحار والأنهار ذات الثروة الحيوانية، وما يجعله أعظم أمة في العالم، وأقواها لو اتحدت كلمتها من هنا كان العالم الإسلامي مهماً لكل القوى في العالم فسعت فرنسا للسيطرة عليه سنة 1798 وسعت إنجلترا 1882، وحاولت روسيا البلشفية منذ نكبة فلسطين 1984 (السيد أحمد فرج، 2004، 90).

هذا الوضع أفرز اشتداد الصراع والمنافسة على مصادر الطاقة، وكان لهذا الصراع دوراً مهماً في تشكيل الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين، وبشكل خاص باعتبارها شعوب تمتلك مصادر الطاقة والثروات، لكنها غير قادرة على استغلالها بسبب اتباعها لدين يشجع على التواكل وعدم الانتاجية، ما استدعى تدخل هذه القوى من أجل الاستغلال الأمثل لهذه

الثروات، والتي راحت تعمل على نهبها واستنزافها منذ الحركة الاستعمارية حتى الوقت الحالي.

وشكلت أعوام 1978-1982 الأساس لتحول التصورات سياسية بعيد حرب الجزائر، العدوان الثلاثي، وولادة حروب الدولة العبرية مع العرب لتنشأ صورة نمطية متميزة مؤسمة بشكل واضح، انطلاقاً من عدة عوامل جيوسياسية من جهة وسياسية اقتصادية من جهة ثانية. ومن الناحية الجيوسياسية شكلت هذه السنوات سنوات صعود لعدة حركات إسلامية سياسية، ورغم اختلاف الدوافع والأسباب بل والمقومات الإيديولوجية إلا أن هذا التمايز لم يكن يُرى بالعين المجردة في الغرب، فهناك خطر إسلامي وحمى إسلامية، هذه الحمى تهدد الحضارة الغربية... خاصة وأن هذا الوضع ترافق على الصعيد الأوروبي مع واقعتين في غاية الأهمية الأولى تزايد عدد المهاجرين المسلمين إلى أوربة، والثانية تصاعد أزمة البطالة و دخول القارة الأوروبية في فترة إعادة تكوين قدراتها الصناعية وفق معطيات الثورة التكنولوجية الجديدة (هيثم مناع، 29-30).

وهناك أيضا ضعف الوازع الديني وانتشار التحلل الأخلاقي، وتآكل دور الكنيسة في الغرب عموماً غير خاف على أحد، فلم يعد الوازع الديني يحرك أوروبا بقدر ما أصبحت تحركها خريطة الجغرافيا السياسية، والاستراتيجيات المتوسطة والبعيدة المدى.

كما أن التيارات العلمانية واللا دينية التي تحكم الكثير من دول أوروبا ولها تأثير قوي على السياسة الأمريكية أيضا لا تكثر كثيراً لمسألة انتشار الإسلام عددياً أو جغرافياً أو عقدياً في مواجهة المسيحية، أو أي ديانة أخرى، كثير من هؤلاء القادة السياسيين والإعلاميين والمفكرين ممن ينتمون إلى التيار اللاديني أو العلماني لا يهتمون لموضوع الدين من ناحية علاقة الإنسان بخالقه، أو بمعبده أو كنيسته أو مسجده، ما يشغلهم بالتأكيد هو آثار التدين على مسيرة العالم الاقتصادية والليبرالية والحضارية بمفهومهم هم لهذه الحضارة السائدة. يقول ادوارد سعيد: " إن الصورة المشوهة في الواقع تعبير عن واقع أكثر تعقيداً، وتهدف إلى تكريس نظام كامل من الإيديولوجية التي نسجت حول الإسلام لخدمة مخططات الغرب والسيطرة على الشعوب الإسلامية وخيراتها... مضيفاً لم يكن بمقدوري العثور على أي فترة

من التاريخ الأمريكي والأوروبي منذ العصور الوسطى، بحث فيها الإسلام أو فكر فيه عموماً خارج إطار الانفعال والتحامل والمصالح السياسية (ادوارد سعيد، 2011، 62).

2-2-4- العامل الثقافي والحضاري:

إن الحديث عن العامل الثقافي والحضاري وتأثيره على طبيعة الصورة التي تشكلت عن الإسلام، يأتي انطلاقاً من أهمية الثقافة والحضارة بالنسبة لأي أمة في بنائها الداخلي وفي علاقتها مع بقية الأمم والشعوب انطلاقاً من خصوصياتها الدينية والثقافية والعلمية... وقد برزت أهمية هذا العامل بشكل خاص مع أطروحات مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية في الغرب، حول صراع الحضارات التي كان من أكثرها رواجاً أطروحة "هنتغتون" الذي راح يروج لحتمية هذا الصراع انطلاقاً من تأكيده على الاختلافات الحضارية بين الغرب والعالم الإسلامي.

وكان لا بد من تشكيل العديد من التصورات السلبية لإقناع الرأي العام الغربي بتفوق الحضارة الغربية وقيمها التقدمية، والحدائية، على بربرية وهمجية ودموية الحضارة الإسلامية والمبالغة في ذلك، في إطار الجهود الرامية إلى فرض الأنموذج الحضاري الغربي وبشكل أدق الأمريكي باعتباره الأنموذج الأوحده والأصلح للبشرية جمعاً ولا تقف إلا الحضارة الإسلامية في وجه هذا المخطط بسبب ارتكازها بالدرجة الأولى على الدين الإسلامي.

يعكس هذا التوجه حرفياً العديد من التصريحات لساسة أمريكيين وأوروبيين. يقول "أيو حين روستو" - رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومُستشار الرئيس "جونسون" لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967 م: "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية، ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي؛ فلسفته وعقيدته ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية (يسري إبراهيم، 2014).

وإلى جانب الترويج لحتمية الصراع والحدود الدموية للإسلام بتعبير "هنتكتون" وإغراق العالم بكل الصور السلبية عن الإسلام والمسلمين تطلب تسويق هذه الأفكار، النفي والإنكار التام لأي دور إيجابي أو إسهامات للحضارة الإسلامية في تقدم ونهضة الحضارة الإنسانية عامة، والأوربية بشكل خاص لا في الماضي ولا في الوقت الحاضر، بل على العكس من ذلك ينسب إلى الإسلام حال الانحطاط الذي تعرفه بعض الدول والمناطق في العالم الإسلامي، وفي الدول الغربية حيث يصطدمون بقيم وثقافات لا يستطيعون التأقلم بسبب قيم دينهم الجامدة والرجعية معها فيسعون لتدميرها ومحاربتها بدلا من تبنيها والعيش بها.

وسبق أن تحدث لهذا العداء، المستشرق الفرنسي الشهير "ارنست رينان" في العام 1883 حين وضع نظريته عن التناقض والعداء الحتمي بين الشخصية الأوربية العقلانية العلمية وبين الشخصية الإسلامية الراضة للعقل والعلم، ويؤكد أن العقل الغربي يحمل آثار ذكريات الغزو الإسلامي لأروبا في القرن السابع (رجب البناء، 2005، 47).

ويقول الكاتب "جون ج. أونيل" في مقالته "الإسلام والعصر البيزنطي الأسود" إن المؤرخ البلجيكي "هنري بيرين"، كان يجادل في تفاصيل كبيرة، بأن العصور المظلمة في أوروبا بدأت فجأة في القرن السابع، وهذا الانحطاط المفاجئ والكارثي في الحضارة يعود إلى الإسلام، لأنه أدى إلى غلق البحر الأبيض المتوسط، فالمؤلف يرجع للإسلام انحطاط الحضارة الغربية، وهنا يقصد البيزنطية في عهد الرومان، ثم يضيف: "قبل الغزو الإسلامي كانت مكتبات وأكاديميات مصر، وسوريا، وبابلونيا مكتظة بالمؤلفين والمؤلفات، إن اختفاءهم واختفاء المعرفة التي احتوتها كان يعني حسب المفكرين المسيحيين الذي ناقشوا هذه المسألة لقرون عديدة، بأن المسلمين قاموا عن عمد بتحطيم كمية كبيرة من الأدب الكلاسيكي لذلك هيا الإعلام الغربي الأرضية لتقبل فكرة الصراع والصدام بين الثقافتين الإسلامية والغربية (شاكر نوري، 2018).

وفي مقال تحليلي في صحيفة لوفيغارو كتب "كلود سيكار" حول "صراع الحضارات" بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية يقول "إن تدفق المهاجرين إلى أوروبا خلال عام 2015، بالإضافة إلى الاعتداءات الجنسية التي شهدتها مدينة كولونيا خلال رأس السنة الميلادية، شكلت صدمة بالنسبة للأوروبيين، ونقل عن عالم الاجتماع "ماتيو بوك كوتي"، قوله

في هذا الصدد، إنه من الصعب أن يدخل مئات الآلاف من الناس لبلد ما؛ دون أن يتسببوا في صدمة ثقافية بينهم وبين البلد المضيف، كما أن هذا الاختلاف يمكن أن يصل إلى صدام حضارات... و "أغلب علماء الأنثروبولوجيا؛ أجمعوا على أن أساس كل حضارة هو الدين، حيث أن الحضارة الغربية أساسها الديانتان اليهودية والمسيحية، في حين أن الحضارة الإسلامية أساسها الدين الإسلامي (http://arabi21.com/story).

2-2-5- العامل الاجتماعي والديمقراطي:

لقد جعلت أطروحة صراع الحضارات من المسلمين أعداء ينبغي الحذر منهم، خاصة في ظل النمو والتكاثر السريع للمسلمين في بلادهم وفي الغرب، نتيجة لتصاعد منحى هجراتهم إلى الدول الغربية هروبا من أوضاع الفقر والتخلف والحروب والمجاعات والأمراض... إلخ. ولقد صاحب المنحى التصاعدي لتعداد المسلمين في الغرب، تصاعد منحى كراهيتهم والخوف منهم، نتيجة تصويرهم خطر و قنابل ديمغرافية موقوتة تهدد بنسف التركيبة الديمغرافية للمجتمعات الغربية بحضارتها وقيمها.

وكشف مقال نشره مؤخرا موقع "الغارديان" الإلكتروني بناء على دراسة أجراها "مركز بيو للأبحاث" الأمريكي المتخصص في الإحصائيات الديموغرافية، واعتمدت على معدل العمر لدى أتباع كل ديانة وطائفة، مشيرا إلى أن معدل العمر العالمي هو نحو 28 عاما عن وجود ديانتين لديهما متوسط عمر أدنى من المعدل العالمي، هما الإسلام مع معدل عمر 23 سنة، والهندوسية مع معدل عمر 26 سنة كما اعتبر المقال حسب نتائج المركز أن الإسلام هو الأسرع نموا في العالم من باقي الأديان، إذ أن سرعة النمو بين المسلمين هي ضعف تلك المسجلة لدى باقي الطوائف والمجموعات الاثنية. وبحسب ما كشفته توقعات عدد سكان العالم في الفترة ما بين سنتي 2015 و2060، فإن نسبة النمو الإجمالية لسكان العالم هي 32 بالمئة خلال إجمالي هذه الفترة يشكل المسلمين وحدهم من تلك نسبة النمو تلك 70 بالمئة، في المقابل وبرغم أن عدد المسيحيين في العالم يبقى الأكبر حاليا فإن نسبة النمو ستستقر لدى أتباع المسيحية عند 34 بالمئة، ما يعني أن الأخيرة ستخسر موقعها في الترتيب العالمي في منتصف القرن الحادي والعشرين لصالح الإسلام، ومع نسبة النمو المرتفعة تلك (70 بالمئة)، أشار "مركز بيو للأبحاث" إلى أن عدد المسلمين سيبلغ في سنة 2060 حوالي 3

مليارات شخص أي حوالي 31,1 بالمئة من إجمالي سكان المعمورة، ولما كانت الزيادة السكانية في العالم ستبلغ 37% في الفترة ذاتها، بحسب المركز، فمن الطبيعي أن يفوق عدد المسلمين المسيحيين عام 2070 (www.france24.com2018).

وتكشف الدراسة أن معدل انتشار الديانات مرتبط، جزئياً، باختلاف معدلات الخصوبة بين أتباعها، فالمسلمون هم الأعلى إنجاباً بمعدل 3.1 طفل لكل امرأة مقابل 2.7 طفل في المسيحية. في الوقت نفسه، يضم الإسلام شريحة واسعة من صغار السن، ف34% من المسلمين دون سن الخامسة عشرة، وهذا يفوق المعدل العالمي الذي يقف عند 27% فقط. وبالتالي، لدى المسلمين فرص أعلى وسنوات أطول للإنجاب.

وتزيد هذه الأرقام والدراسات من الخوف من أوروبا مسلمة ومستعربة بلا حرب ولا قتال. وفي مقابلة له مع صحيفة "دي فليت" الألمانية قال برنارد لويس اليهودي والصهيوني المعروف أن الأوروبيين يتزوجون متأخرين ولا ينجبون أطفالاً إلا بعد قليل، بينما يبرز النقيض المعاكس تدريجياً والذي يتجلى في حضور تركي كبير في ألمانيا، وعربي كبير في فرنسا وحضور إسلامي باكستاني في إنجلترا، وأن هؤلاء يتزوجون باكراً وينجبون أطفالاً بكثرة في هذا السياق من التطور الحالي ستتحول أوروبا في نهاية القرن الحالي الواحد والعشرين إلى قارة مسلمة وإلى جزء من المغرب العربي. وكتب بتوسع أكبر في صحيفة جيروساليم بوست عام 2007، أن أوروبا ستكون مسلمة عند نهاية هذا القرن على أبعد تقدير، وفي عام 2004 حذر فريتز بولكيشتانين من هولندا وهو المفوض السابق للاتحاد الأوروبي حذر من أن الهجرة أصبحت تحول الاتحاد الأوروبي إلى إمبراطورية نمسوية مجرية على نطاق عظيم، وأشار إلى مدن كبرى سوف تحتوي على أقلية أوربية منها مدينتان في بلاده هما: أمستردام وروتردام، وحذر من الإضافة المقدرة لثلاثة وثمانين مليون مسلم من الأتراك ستزيد في أسلمة أوروبا، وعلق بولكيشتانين أنه لا يعرف إن كانت الأمور سوف تصير إلى ما توقعه لويس ولكنه أضاف لو كان على صواب فإن تحرير فيينا من الجيوش التركية في عام 1683 كان عبثاً (جون ايسبزتو وداليا مجاهد، 2008، 170-171).

ويبلغ عدد سكان فرنسا حوالي 75 مليون نسمة يمثل المسلمون منهم حوالي 10 ملايين مسلم أي ما يعادل 7 بالمائة و 90 بالمائة مسيحيون كاثوليك وواحد بالمائة بروتستانت، وعلى

الرغم من وجود صعوبة في حصرت الأقليات الإسلامية في فرنسا إلا أن الثابت وفق البيانات الرسمية أن الإسلام هو الدين الثاني في فرنسا بعد الكاثوليكية، بنسبة 10 بالمائة يمثل دول المغرب العربي منهم حوالي 50 بالمائة و الـ 50 بالمائة الباقية من دول إسلامية عربية وغير عربية، ومن جنسيات مختلفة... والأقلية المسلمة في فرنسا هي بلغة الأرقام الرسمية السائدة في فرنسا بل وفي أوربا حالياً وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تمثل مشكلة (مجدي الداغر، 2009، 437-438).

كل ذلك يعني أن المسلمين في الغرب عموماً يتعرضون لتهميش مقصود ومخطط له من قبل جهات عديدة تلتقي جميعها عند نقطة واحدة؛ فالسلطات السياسية على اختلاف مستوياتها تعمل بهذا الاتجاه والنخب الفكرية والثقافية وشرائح واسعة من المجتمع أيضاً تسير على ذات النهج، وبإمكاننا أن نتصور ذلك بوضوح عندما نتمعن قليلاً في طبيعة القلق الغربي من عملية الهجرة والنزوح المستمرين من بلدان العام الإسلامي والإجراءات والقوانين المتخذة من أجل الحد من الآثار الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لموجات الهجرة؛ بيد أن التجارب المتلاحقة أثبتت بما لا يقبل التأويل والشك أن كل الوسائل والسبل لمنع المسلمين من الذهاب إلى الغرب لم تكن مجدية... وأن الحل يتمثل في قبولهم واستيعابهم وفقاً لمعايير وضوابط ومناهج مدروسة بدقة من هنا كان الاهتمام الغربي بأوجه مختلفة بالتواجد الإسلامي الذي غدا مفصلاً مهماً من مفاصل الكيان الاجتماعي في الغرب (عادل الجبوري، 122-123).

وبحسب دراسة مركز بيو يبلغ عدد المسلمين في فرنسا نحو 5,7 ملايين نسمة أي ما نسبته 8,8% من السكان، ويشكلون أكبر جالية مسلمة في أوروبا وسيبلغ عددهم 8,6 مليون نسمة، أي 12,7% استناداً إلى فرضية "هجرة منعقدة"، و 12,6 مليون، أي 17,4% طبقاً لفرضية "هجرة متوسطة"، أما في حالة فرضية "هجرة مرتفعة" فسيصل عددهم إلى 13,2 مليون نسمة (http://www.alquds.co.uk، 2017).

وشكك اليمين المتطرف الفرنسي في أرقام قدمها سبر آراء أنجزه المعهد الفرنسي للرأي العام، حول عدد المسلمين الذين يعيشون في فرنسا وقال إن سبر الآراء استند إلى معطيات غير صحيحة، ولقيت الدراسة التي نشرها موقع "جي ديدي"، انتقادات لاذعة من طرف تيار اليمين الفرنسي المتطرف، التي اتهمت معدي البحث بعدم تقدير جيد لعدد المسلمين

في فرنسا، وأجرى المعهد الفرنسي للرأي العام، سبراً للآراء شمل 15459 شخص تزيد أعمارهم عن 15 سنة، من مختلف المناطق، حيث أظهرت النتائج أن 874 من العينة مسلمون ما يمثل نسبة 5.6 بالمائة من العينة الكلية، وتطبيق هذه النسبة على العدد الإجمالي للسكان يظهر أن حوالي 3 ملايين منهم يتبعون الدين الإسلامي، وأثارت الأرقام التي قدمها المعهد ضجة في فرنسا، واستند البعض إلى تصريحات سابقة للسفير الفرنسي في الجزائر برنارد إيمي، في 2015 حين قال إن عدد الجزائريين فقط في فرنسا يقارب 7 ملايين شخص، مما يؤكد أن العدد الإجمالي للمسلمين في فرنسا يفوق كثيراً 3 ملايين، ورغم أن القانون الفرنسي يحظر إجراء إحصاء للسكان على أساس الديانات، إلا أن الأرقام التي تقدمها معاهد البحث وسبر الآراء غالباً ما تشير إلى ديانات العينات محل البحث، مما يؤكد القلق الفرنسي من تصاعد معتنقي الإسلام داخل البلاد (الشروق أونلاين 22/09/2016).

إن ما يعزز أكثر القلق الفرنسي والمخاوف التي تدفع بدورها لهجوم أكثر حدة على الإسلام والمسلمين في فرنسا ما جاء في التقرير عن انخفاض أعداد المسيحيين بتحول الكثير منهم للإلحاد، أو بالانضمام لديانات أخرى. ففي الوقت الذي تنبأ فيه التقرير بتحول 40 مليوناً حول العالم للمسيحية، توقع أن يقدم 106 ملايين آخرين بالتحول عنها. وعلى الرغم من أن التقرير توقع حدوث انخفاض ملحوظ في نسبة الملحدون واللادينيين حول العالم من 16.4% إلى 13.2% في 2050، فقد أشار إلى تزايد أعدادهم في أوروبا وأمريكا الشمالية، حتى إن دولة كفرنسا الكاثوليكية ذات التاريخ الصليبي العدائي ضد الإسلام والمسلمين لو ظلت نسب الزيادة بين المسلمين وغير المسلمين ثابتة؛ فإن نسبة المسلمين عام 2060م ستتجاوز 50%؛ مما يجعلهم أغلبية (د. راغب السرجاني، 2014).

2-2-6- العامل الإعلامي (دور الإعلام الصهيوني)

إن صناعة الصور النمطية السلبية والمشوهة عن الإسلام قد تشكلت نتيجة العديد من العوامل، وإن العامل الإعلامي يعد أهمها وأكثرها خطورة وتأثيراً، بسبب ما تتوفر عليه وسائل الإعلام من ميزات لا يتسع المقام في التفصيل فيها وأدنها أن هذه الصورة أصبحت أكثر وأسرع انتشاراً ومتاحة في كل وقت لكل من أرادها وحسب ما يخدم مصالح وأهداف صانعي الصورة عن الإسلام والمسلمين.

ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن تشكيل الأخبار والآراء وتكوين المواقف والتصورات في الغرب يتبع قواعد محددة ويتم ضمن أطر معينة وعبر أعراف وتقاليد وقيم خاصة ينتمي إليها الإعلاميون؛ وهكذا فإن لطبيعة عمل وسائل الإعلام الغربية وكيفية تناولها للأخبار دورا رئيسيا في صناعة الصورة المطلوبة عن الإسلام والمسلمين (حسن عزوزي، 2012، 350).

واستطاع الإعلام الغربي في العقد الأخير من القرن العشرين أن يكون العامل الرئيس في تكوين الصورة الذهنية في المتخيل الجماعي عن الإسلام والمسلمين في أمريكا وأوربا (المحجوب بن السعيد، 2010، 87).

يؤكد هذا الطرح ادوارد سعيد بقوله إنه بالنسبة لمعظم الأمريكيين (والأمر نفسه يصح على الأوروبيين عموما)، فإن فرع الجهاز الثقافي الذي ينقل الإسلام يتضمن بقسمه الأعظم شبكات التلفزة والإذاعة، والصحف اليومية ومجلات الأخبار ذات التوزيع الكثيف وتؤدي الأفلام دورا بالطبع، مضيفا: " برغم اعتماد المرء عليها اعتمادا كبيرا فإن محطات التلفزة والإذاعات والصحف والمجلات ليست مصدرنا الوحيد عن الإسلام، بل هناك أيضا الكتب والمجلات الدورية المتخصصة، وما تيسر من المحاضرين الذين تكون آراؤهم أكثر تعقيدا من المواد المجتزأة المباشرة أساسا التي تقدمها وسائل الإعلام الجماهيري، ومن الهام أيضا أن نقول بأنه حتى في الصحف والإذاعات والتلفزيونات ثمة ما لا عد له ولا حصر من التنوعات والتباينات التي ينبغي ملاحظتها كما هي حال التباينات بين اتجاه صحفي تحريري معين واتجاه آخر، أو بين وجهات نظر "افتتاحيات الصحف المختلفة أو بين الصور الذهنية البديلة أو المتناقضة ثقافيا وبين الصور التقليدية، وباختصار نحن لا نعيش تحت رحمة جهاز دعائي مركزي واحد، برغم أن الكثير جدا من الدعائية الفعلية تثيرها وسائل الإعلام، وبرغم التنوعات والتباينات فإن ما تنتجه وسائل الإعلام ليس عفويا وليس حرا بشكل كامل (ادوارد سعيد، 2011، 88-89).

وهنا يبرز دور اللوبي الصهيوني الناشط في الغرب منذ تبلور مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين في بدايات القرن الفائت... وقد تمكن هذا اللوبي من اختراق دوائر القرار

السياسي في هذه الدول كما التغلغل في وسائله الإعلامية (مي العبد الله سنو محمد الخولي، 2002، 35).

وتلك الصورة النمطية المقولبة، التي قام الإعلام الغربي برسمها وتعميمها مدفوعا بأسباب تأرية تاريخية قامت بتغديتها الحركة الصهيونية التي أرادت أن ينظر الغرب إلى العرب والمسلمين بعيون إسرائيلية، والتي كانت وماتزال من مصلحتها إصاق صفات الإرهاب والهمجية والعدوانية بالعرب والمسلمين وذلك لصرف الأذهان عن الطبيعة الإرهابية للحركة الصهيونية (تيسير أبو عرجة، 2010، 145).

وعليه يصبح مجافاة للحقيقة القول بأن الإزدرائية للعرب هي نتاج للموروثات المترسبة في العقل الجمعي، أو للتناقضات التي خلفتها الهجرات الأخيرة، أو إنها من تداعيات أحداث 11 أيلول لا غير؛ فثمة عامل آخر كان له أثر كبير في الإبقاء على تلك الصورة في الذهن الأمريكي والأوربي، ألا وهو الجهد الحثيث للصهيونية والمجموعات اليهودية المناصرة لها لغرس مفاهيم معينة في المخيلة الجماعية الغربية (عبد الله كنعان، 2003، 126).

يقول الباحث الأمريكي "نيشان لين" في كتابه "صناعة الإسلاموفوبيا، كيف صنع اليمين الخوف من الإسلام"، أن حالة (بعد أحدث 11 سبتمبر) التي هزت الرأي الأمريكي هي نتاج ظهور اتحاد متماسك ومترايط من "تجار الخوف اليمينيين؛ وجاهد أعضاء الاتحاد منذ يوم سقوط البرجين لإقناع مواطنيهم أن المسلمين يكتسبون تأثير خطير في الغرب، ومن أعضاء فريق تجار الخوف: مدمنون متعصبون وسياسيون عنصريون وزعماء دينيون أصوليون وفوكس نيوز، والصهيونية الدينية، خلقوا صناعة الكراهية وصناعة الخوف من الإسلام، وقد ساعد الصهيونية على استغلال الإعلام في الغرب وتوجيهه لصناعة الصورة النمطية المشوهة للعرب والمسلمين عدة عوامل منها:

- سيطرة اليهود والصهاينة وأنصارهم على الكثير من وسائل الإعلام في الغرب، كما يملك اليهود أكثر الصحف الأمريكية اليومية توزيعا وانتشارا، ولدى إلقاء نظرة على نشر المجالات والكتب يكتشف الكثرة الساحقة لليهود في هذا الميدان ومعظمهم يكرس نفسه للمصالح اليهودية، وكان لهذه السيطرة الطاغية دورا كبيرا في توجيه وسائل الإعلام وجهة صهيونية في خلق و ترسيخ صورة ظلمة للعرب والمسلمين في الذهن الغربي.

- قوة وسائل الإعلام الغربية وسيطرتها على الفضاء العالمي وهي قوة تابعة ومستندة إلى قوة الغرب الاقتصادية والعسكرية والصناعية والتطور التكنولوجي المذهل هناك، فالدول الغربية بما تملكه من احتكارات كبيرة وشركات عابرة القوميات، وإمبراطوريات إعلامية كبيرة يمكنها خلق وتهيئة مناخات لصناعة وتوجيه رأي عام مؤيد لسياساته في مختلف أنحاء العالم، ومن خلال هذا الإعلام بوسائله المختلفة استطاعت الصهيونية بنفوذها صناعة وترسيخ صورة قائمة للعرب المسلمين وجعلت تلك الصورة نمطية في الذهن الغربي.

- ضعف الإعلام العربي وعدم دوره الفعال في المشهد الغربي، وفقدانه التأثير والمصدقية في الغرب بل وفي عالمنا العربي أيضاً، إلى جانب عدم استقلال الإعلام واعتماده في الغالب على تلقف ما يصنع في الغرب بخيره ونشره (علي خليل شقرة، 2015، 112-114).

- تهويد المسيحية في الغرب حيث تمكنت اليهودية والحركة الصهيونية من إيقاع المسيحية الغربية في شباكها وتهويدها وتسخيرها لخدمة مخططاتها وفي تنفيذ إهدافها... وقد نتج عن هذا التهويد نشأة ما عرف بـ "الصهيونية المسيحية" التي تبنت أكاذيب اليهود وأساطيرهم، واجتهدت في خدمة اليهود ودعم دولتهم اسرائيل دون قيد أو شرط لأن هذا الدعم من وجهة نظرها استجابة لأمر وإرادة الله، فكل من يعارض اسرائيل وحققها في فلسطين ويقاوم سياستها لا يعارض اسرائيل فقط بل يحارب الله ويرفض إرادته ومشيئته، يقول الناقد والكاتب الإنجليزي ت. س. اليوت: "إن الغرب استقى ثقافته من ثلاثة مصادر رئيسية هي أثينا وروما، واسرائيل، وقد أصبحت الصهيونية المسيحية من أكبر ركائز اللوبي الصهيوني في الغرب وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص تشتغلها اسرائيل لتحقيق اهدافها وللتأثير في المواقف والسياسية لصالحها هناك.

يقول بول فندلي - وهو ممثل ولاية إلينوي في الكونغرس الأمريكي لمدة اثنتين وعشرين سنة: "هناك العديد من المسيحيين المحافظين الذين يرون في هذا التأييد (لإسرائيل) عملاً لاهوتياً في أساسه إذ ينسبون لإسرائيل دوراً بارزاً في تفسير المعتقد المسيحي فهم يعتقدون من جهة أن اسرائيل تستحق التأييد المسيحي لأن وجودها هو تحقيق لنبوءة التوراة ويستشهدون في الكثير من الأحيان بفقرات من العهد القديم دفاعاً عن هذا الرأي، ومن جهة

ثانية يدعم الكثير من المسيحيين دولة إسرائيل لاعتقادهم أن اليهود مازالوا كما كانوا زمن التوراة شعب الله المختار ومنهم من يستشهد في دعمه لإسرائيل الحجتين معا.

وبعد قيام الكيان الصهيوني عام 1948 على أرض فلسطين، واصل عملية تحريض العالم الغربي ضد العرب والمسلمين، ولعبت ماكنته الإعلامية الجبارة دوراً مهماً في نشر مشاعر الكراهية والخوف من الإسلام. كما مارست جماعات الضغط اليهودية (اللوبيات) في الولايات المتحدة وأوروبا، تحريضاً محموماً ضد العرب والمسلمين، وسعت لتعميق الهوة بينهم وبين الغرب (المرجع نفسه، 119).

والذي يمكن تأكيده بقوة في هذا السياق هو أن الإعلام الغربي في نظرته العدوانية تجاه الإسلام، قد نجح إلى حد ما في تأليب الرأي العام الغربي ضد الإسلام والمسلمين، وساهم إلى حد كبير في الترويع والتخويف من الإسلام، عن طريق تشويه صورته الناصعة واتهام المسلمين بالعنف والإرهاب ويتحمل الإعلام الغربي المعاصر مسؤولية العمل الدؤوب على تعميم هذه الصورة المنمطة واغنائها وتسويقها من خلال تعامله مع القضايا العربية بشكل متحيز ومغلوط مثبت باعتراف العديد من الصحافيين والسياسيين الغربيين أنفسهم، كما في العديد من الدراسات والأبحاث الأكاديمية وهو بالتالي يتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية سوء الفهم المتبادل ما بين الشرق والغرب (مي العبد الله سنو محمد الخولي، 37، 2002).

الخلاصة

بعد العودة للجذور التاريخية لصورة الإسلام ومصادرها، وعوامل تشكلها، ومن خلال ما تم استعراضه في هذا الفصل، يتبين لنا أنه قد تم تشكيل صورة نمطية سلبية عن الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية عبر مراحل زمنية تعود إلى بدايات الدعوة الإسلامية وهي مستمرة حتى اليوم، دون أن تكون قطيعة بين هذه المراحل بل أخذت طابع التكامل والاستمرارية وفي كل مرحلة يعاد إنتاج وتكريس ما تم تشكيله من صور نمطية في مرحلة سابقة.

وفي المرحلة الأولى شكلت الكتابات البيزنطية، اللاهوتية والثقافة الشعبية، المصادر الأساسية لتشكيل الصورة عن الإسلام، وذلك طيلة العصور الوسطى، ومن بعدها عصر التنوير حيث شكلت الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية وفلسفة عصر التنوير مصادر صورة الإسلام وذلك حتى منتصف القرن العشرين، حيث أكملت المناهج الدراسية والإعلام وما يعرف بالاستشراق الجديد العمل على تشكيل صورة الإسلام ليستأثر الإعلام والصحافة بشكل أكبر ويشكل المصدر الأهم لهذه الصورة منذ مطلع الألفية الثالثة.

وفي كل مرحلة من هذه المراحل أسهمت مصادر متعددة في تشكيل صورة الإسلام، وسيطرت موضوعات وقضايا ترتبط عادة بأحداث آنية على هذه الصورة، كما لم تنفصل صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية عن صورته في الفكر الأوربي والغربي بشكل عام. وقد تشكلت هذه الصورة نتيجة تأثير عوامل متعددة ومتداخلة في الوقت نفسه (دينية، تاريخية، حضارية، جيوسياسية، ديمغرافية...).

الفصل الثالث: عرض وتحليل بيانات الدراسة ونتائجها

- تمهيد

3-1- التحليل المقارن لصورة الإسلام في **Le Monde** و **Le Figaro** من حيث المضمون

3-2- التحليل المقارن لصورة الإسلام في **Le Monde** و **Le Figaro** من حيث الشكل

تهديد:

يتناول الفصل نتائج التحليل الكمي والكيفي المقارن لصورة الإسلام شكلا ومضمونا في صحيفتي لوموند ولوفيجار خلال العينة الزمنية للدراسة، والتعليق على النتائج ومناقشتها وتفسيرها، ومقاربتها مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من نتائج ومع افتراضات نظرية الأطر الإعلامية. من أجل التعرف على مكونات هذه الصورة في أبعادها المعرفية، الوجدانية والسلوكية، وذلك من خلال الوقوف على درجة الاهتمام التي أولتها كل من صحيفتي الدراسة لموضوع الإسلام، بالتعرف على حجم المساحة وعدد المواد والتعرف على طبيعة المواضيع، وطبيعة المصادر، والاتجاهات، والتعرف على القوى الإسلامية الفاعلة، وعلى الأنواع الصحفية التي تم فيها قولبة المادة المتعلقة بالإسلام وموقع النشر، ووسائل إبراز المضامين بالإضافة إلى الأساليب الإقناعية.

- جدول رقم (2) يبين درجة بروز موضوع الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيفارو

درجة بروز الموضوع الصحيفة	مجموع الأعداد	مجموع المواد	إجمالي المساحة
Le monde	45	864	579381.5

يبين ما هو وارد في الجدول أعلاه، أن كل من لوموند ولوفيفارو قد أبدأت درجة كبيرة جدا من الاهتمام بموضوع الإسلام، إن لم نقل أنه كان اهتماما قياسيا بالنظر إلى عدد المواد وحجم المساحة مقارنة بعدد الأعداد والعينة الزمنية للدراسة؛ حتى أن كل منهما خصصت أعدادا وملاحق كاملة للأحداث وعلاقتها بالإسلام.

ولم يمنع الإصدار اليومي لهما وطابع توزيعهما الدولي من جهة، وكونهما صحافة رأي من جهة أخرى تخصيصهما لهذه التغطية الكبيرة والمكثفة لموضوع الإسلام فالإصدار اليومي والتوزيع الدولي، يستلزم التطرق لمختلف المواضيع الداخلية والإقليمية والدولية بشكل متوازن، في حين لوحظ انتقاء وإبراز شديد لموضوع الإسلام والتركيز على جوانب متعددة وفي مختلف الأنواع الصحفية فيما يشبه الحصار الإعلامي وليس مجرد تغطية صحفية عادية، مما جعل الإسلام الموضوع الأكثر بروزا خلال العينة الزمنية للدراسة.

ويمكن تفسير ذلك بطبيعة الصورة النمطية السائدة عن الإسلام في المجتمع الفرنسي، والمتمثلة في الربط التلقائي بين الأحداث الإرهابية والإسلام والمسلمين، كما هو الحال مع أحداث شارلي ابيدو، وهي ليست المرة الأولى التي تلجأ فيها الصحافة الفرنسية لهذا الشكل من التغطية، بل تلجأ إليها كلما شهدت أحداث من هذا النوع.

كما قد يعزى هذا المستوى من الاهتمام والتركيز إلى سعي لوموند ولوفيفارو لتركيز اهتمام الرأي العام الفرنسي على هذا الموضوع، مقابل إبعاده عن الانشغال والاهتمام بقضاياها ومشاكله الفعلية، بما يصب طبعاً في مصلحة الحكومة الفرنسية ويحقق أهدافها كما هو الحال مع مختلف الأنظمة التي تستغل وسائل الإعلام من أجل إلهاء الرأي العام بقضايا مفتعلة ليبقى بعيداً عن قضاياها الجوهرية التي من شأنها أن توجد العديد من المواجهات بين الأنظمة الحاكمة

والشعوب؛ حيث تلعب الحكومات كما وسائل الإعلام- دور الوسيط بين الأحداث ومصادر تكوين الصور فكلاهما - وسائل الاعلام والحكومة - يستطيعان تحويل الأفكار عن أو تسليطها على حدث ما أو تجاهل مشكلة جديدة، أو مجموعة مشاكل (سلافة الزعبي، 2006، 47-48).

وأيضا قد يفسر هذا المستوى من الاهتمام باستغلال لوموند ولوفيغارو هذه الأحداث لتسويق ما تريده عن الإسلام من المعلومات، والآراء، والاتجاهات والتي يكون تسويقها في الأوقات العادية أصعب وأكثر تعقيدا في حين تسويقها باستغلال الأحداث المفاجئة والأزمات، يكون أسهل وأسرع وحتى أكبر تأثيرا، فمن المعروف أن اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام وخاصة الصحف اليومية، يصل إلى أعلى مستوياته أثناء الأحداث المفاجئة والمثيرة، وذلك من أجل الحصول على المعلومات والتفسيرات لما يحصل، ويصاحب هذا الاعتماد مستوى عال من المقروئية، وبالتالي المبيعات والأرباح، وعليه لا يمكن أن نغفل أيضا تأثير العامل الاقتصادي والتجاري، كما أن تغطية الأحداث المفاجئة والمثيرة توفر للصحفيين فرصا أكبر لرواج إنتاجهم، وبما يحقق لهم تمرير اتجاهاتهم وأفكارهم من جهة، والشهرة أكثر لأسمائهم من جهة أخرى، خاصة وأنهم يكتبون في صحيفتين تعدان بمثابة مصادر مرجعية للقراء، وصناع القرار وبقية الوسائل الإعلامية داخل فرنسا وخارجها.

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو على إعطاء أهمية كبيرة لموضوع الإسلام والتركيز عليه وإبرازه، مع تسجيل عدد مواد أكثر وحجم مساحة أكبر في صحيفة لوفيغارو.

➤ اتسقت نتائج الجدول مع افتراضات نظرية الإطار الإعلامي أن عملية التأطير تعني قيام وسائل الإعلام بانتقاء وإبراز قضية معينة والتركيز عليها من بين العديد من المواضيع والقضايا السياسية بشكل خاص، ولا سيما أثناء أوقات الأزمات والأحداث الطارئة، كما تعتبر هذه العملية من بين وظائف الإطار حيث أشارت دراسة Tamar إلى اعتبار ما أسماه بالأحقية الإخبارية وظيفية من وظائف الإطار ويعني بالأحقية الإخبارية استحقاق الموضوع لأن يكون خبرا حيث يتم اختيار موضوع معين وتحويله إلى موضوع إخباري وذلك عندما تقوم المؤسسات الصحفية بتحديد أحداث ومواضيع بعينها لتغطيتها خبريا في مقابل تجاهل تغطية العديد من المواضيع.

- جدول رقم (3) يبين توزيع طبيعة المواضيع في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
12.97	457	12.36	478	دينية
08.64	307	06.09	242	ثقافية وحضارية
27.99	985	24.56	976	سياسية وايدولوجية
22.07	806	26.30	1045	أمنية وقانونية
13.48	483	16.08	639	اجتماعية
03.97	142	04.02	160	اقتصادية
10.88	391	10.59	433	تربوية وتعليمية
100	3571	100	3973	المجموع

تعكس الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: المواضيع الأمنية والقانونية 26.30%، المواضيع السياسية والإيديولوجية 24.56%، المواضيع الاجتماعية 16.08%، المواضيع الدينية 12.36%، المواضيع التربوية والتعليمية 10.59%، المواضيع الثقافية والحضارية 06.09%، المواضيع الاقتصادية 04.02%.

- صحيفة لوموند: المواضيع السياسية والإيديولوجية 27.99%، المواضيع الأمنية والقانونية 22.07%، المواضيع الاجتماعية 13.48%، المواضيع الدينية 12.97%، التربوية والتعليمية 10.88%، المواضيع الثقافية والحضارية 08.64%، المواضيع الاقتصادية 03.97%.

يبين تحليل بيانات الجدول أن كل من لوموند ولوفيغارو قد تناولتا موضوع الإسلام وفي مختلف جوانبه، وتصدرت المواضيع الأمنية والقانونية الترتيب في لوفيغارو بنسبة 26.30% في حين تصدرت المواضيع السياسية والإيديولوجية الترتيب في صحيفة لوموند بنسبة 27.99% وفي كل منهما جاءت المواضيع الاجتماعية في المرتبة الثالثة.

وفيما يتعلق باحتلال المواضيع السياسية والايديولوجية، والمواضيع الأمنية والقانونية والاجتماعية للمراتب الثلاث الأولى، يمكن تفسيره بطبيعة النظرة السائدة عن الإسلام في المجتمع الفرنسي، وذلك نتيجة التسويق ومنذ سنوات للإسلام باعتباره ايديولوجيا سياسية ولخطر الإسلام السياسي والمكانة التي يحتلها، وما أصبح له من دور فاعل في فرنسا.

وأمكن تفسير تركيز لوموند ولوفيغارو، بدرجة كبيرة على المواضيع الأمنية والقانونية بحالة الهلع والرعب المثارة عن الإسلام وعلاقته بالإرهاب وباعتباره تهديدا أمنيا وخطرا وعدوا، وتدعيم مثل هذه الأفكار في ظل هذه الأحداث وغيرها، لا سيما أن المتاجرة بالإرهاب الإسلامي وقضايا الخوف والأمن، أضحت الورقة الرابحة في اللعبة السياسية الفرنسية.

وهذا الوضع بدوره أدى إلى العودة إلى إثارة قضايا الإسلام والهجرة والإرهاب، والهوية والاندماج، وكلها قضايا أقيمت الإسلام في صلب النقاشات في المجتمع الفرنسي، وهذا ما يفسر احتلال المواضيع الاجتماعية لمرتبة مهمة في سلم اهتمامات لوفيغارو بنسبة **16.08%**، وفي لوموند بنسبة **13.48%**.

وباعتبار المدرسة الفرنسية الركيزة الأساسية لحماية لائكية وقيم الجمهورية الفرنسية، فقد حازت المواضيع التربوية والتعليمية نصيبا هاما من التغطية بنسبة قدرت **10.59%** في لوفيغارو، و**10.88%** في لوموند، متنوعة بالمواضيع الدينية بنسبة **12.36%** في لوفيغارو وبنسبة **12.97%** في لوموند، وهنا يلاحظ أنه رغم كل ادعاءات الجمهورية الفرنسية بفصل الدين عن الدولة، وتغييب الدين عن الحياة المجتمعية، لا يزال الدين حاضرا بكل ثقله كل ما كان الإسلام موضوعا للنقاش، وبشكل خاص كلما شهدت فرنسا هذا النوع من الأحداث.

وجاءت المواضيع الثقافية والحضارية بنسبة **06.09%** في لوفيغارو وبنسبة **08.64%** في لوموند ويفسر تراجع الاهتمام بالمواضيع الاقتصادية التي جاءت في آخر الترتيب، بنسبة لم تتعد **04.02%** في لوفيغارو، و**03.97%** في لوموند بالتركيز على بقية المواضيع باعتبارها ذات أولوية أكبر من المواضيع الاقتصادية.

- اتفقت الصحفتان وبنسب متقاربة في ترتيب طبيعة المواضيع، مع اختلاف واحد حيث جاء في المرتبة الأولى المواضيع الأمنية والقانونية في لوفيفارو بنسبة **26.30%** في حين حاز المرتبة نفسها المواضيع السياسية والإيديولوجية في لوموند بنسبة **27.99%**.
- اتفقت نتائج الجدول مع نظرية الإطار الإعلامي بافتراضها أن تركيز التغطية الصحفية على قضايا دون غيرها من شأنه أن يوظرها ضمن المواضيع والقضايا التي لاقت تركيز واهتمام أكبر (الانتقائية)، مقابل عدم الاهتمام بالمواضيع والجوانب التي تم تغييبها واستبعادها (التجاهل)، بحيث شكلت المواضيع والقضايا التي ركزت عليها لوموند ولوفيفارو مجموع الأطر التي تحددت صورة الإسلام ضمنها في سياق تغطيتهما لأحداث شارلي ابيدو.

- جدول رقم (4) يبين توزيع المواضيع الدينية في صحيفتي لوموند ولوفيفارو:

Le monde		Le figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
08.53	39	08.99	43	الله ورسوله
11.59	53	09.98	47	القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
15.53	71	11.51	55	الصراعات السنية الشيعية
10.10	46	13.18	63	أركان الإسلام
04.59	21	06.55	31	الخلافة الإسلامية
06.78	31	05.64	27	الخلط بين العروبة والإسلام
42.88	196	44.14	212	الخلط بين الجهاد والإرهاب
100	457	100	478	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيفارو: الخلط بين الجهاد والإرهاب **44.14%**، أركان الإسلام **13.18%**، الصراعات السنية الشيعية **11.51%**، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة **09.98%**، الله ورسوله **08.99%** الخلافة الإسلامية **06.55%** الخلط بين العروبة والإسلام **05.64%**..

- صحيفة لوموند: الخلط بين الجهاد والإرهاب 42.88% الصراعات السنوية الشيعية 15.53% القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة 11.59% أركان الإسلام 10.10%، الله ورسوله 08.53%، الخلط بين العروبة والإسلام 06.78% الخلافة الإسلامية 04.59%.

بتحليل بيانات الجدول يلاحظ احتلال فئة الخلط بين الجهاد والإرهاب صدارة الترتيب وبنسبة عالية وصلت إلى 44.14% في لوفياغرو، و42.88% في لوموند، ويمكن تفسير هذا الخلط بين الجهاد والإرهاب في أكثر من موضع وسياق بأنه ورغم مرور قرون عديدة وسنوات مديدة، لازلت الصور النمطية للإسلام في الكتابات البيزنطية واللاهوتية الأولى ومن بعدها الدراسات الاستشراقية والمناهج الدراسية وتصورات الإعلام الغربي، حاضرة في الألفية الثالثة في تصورات لوموند ولوفياغرو عن الإسلام، يتقدم هذه التصورات أن الإسلام انتشر بالسيف وبالغنف وبالذعوة إلى الجهاد.

ويتضح هذا الخلط بشكل جلي من خلال وصف لوموند ولوفياغرو، وتكرار وصفهما لأحداث شارلي ابيدو بالأعمال الإرهابية، ووصف من قاموا بها بالجهاديين تارة وبالإرهابيين تارة أخرى، مع الحديث عن التدريبات التي تلقوها في اليمن وعلاقتهم بالجهاد في سوريا والعراق؛ كل هذا يفهم منه ضمناً أن أحداث شارلي ابيدو شكل من أشكال الجهاد التي تدعوا إليها نصوص القرآن، وبأن الإرهابيين والجهاديين يقومون بالتفسير والتطبيق الحرفي لنصوص القرآن، مع التزامهم بالتفسير الأولى التي جاءت لسياقات وبيئة مختلفة عن تطورات العصر حسب ما جاء في صحيفتي الدراسة.

وجاء في مقال للصحفي في لوموند Jacques Folloro يخلط فيه بين الجهاد والإرهاب وتحت عنوان "فرنسا ما بعد شارلي": "أن محاربة التهديد الجهادي يضع الدولة أمام معادلة محفوفة بالمخاطر...مضيفاً في الفقرة الأولى: "ها نحن وبعد مرور شهر ليس لدى الحكومة بعد أخبار جيدة على جبهة مكافحة الإرهاب"، ويستطرد في الفقرة الموالية ممتدحاً كيف ساعد الرقم المجاني الذي تم إنشاؤه في نوفمبر 2014، والذي يسمح للعائلات أو الأقارب بالإبلاغ عن المرشحين المحتملين للجهاد، في الإبلاغ عن قائمة بستة رجال ونساء تتراوح أعمارهم بين 23 و 28 سنة ، كانوا يخططون لمغادرة فرنسا إلى سوريا (Jacques Folloro,2015,p12).

وفي السياق ذاته كتبت لوموند في افتتاحية 6 تحت عنوان " الجهاد والأنظمة العربية وقانون الانتقام" أنه بعد اثنتي عشرة ساعة فقط من بث شريط فيديو يظهر اغتيال الطيار الأردني معاذ الكساسبة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، أعلن النظام الأردني إعدام اثنين من الجهاديين العراقيين انتقاما...مضيفاً أن هذه الأنظمة قد تجاهلت التهديد الجهادي" بما يعني قطعاً لأي قارئ أن تنظيم الدولة يقوم بالجهاد والمنتسبين إليه جهاديين، كما وصفت أحداث شارلي ابيدو و تلك التي تلتها في 8 و9 يناير بالهجمات الجهادية في افتتاحيتها بتاريخ 15جانفي الي جاءت تحت عنوان "حرية التعبير ،القانون، التكفير".

ويمكن أيضاً تفسير هذا الخلط من قبل لوموند ولوفيغارو بين الإرهاب والجهاد ومما يدعو للأسف يكون هذا الطرح يروج له العديد من الكتاب من العالمين العربي والإسلامي، ما يعطيها مصداقية أكبر لدى المتلقي الغربي، يقول الكاتب علي ميناوي: "لا يمكن التصدي للعوامل التي تقف خلف مشكلة التطرف الجهادي، إلى أن يعترف الناس بأن جميع هذه النصوص، تمثل في الواقع "الإسلام الحقيقي"، فعندما ينظر الغزاة الذين قتلوا "الكفار" كأبطال، وعندما يرى العالم بصفته منقسماً إلى "دار الإسلام" و "دار الحرب" وعندما يكون الموت لأجل الله، أفضل من العيش لأجل البشر الآخرين، وعندما تنتهي الكثير من الصلوات بالدعاء "وانصرنا على القوم الكافرين"، كيف يتسنى مع كل هذا النظر لعنف الجهاديين بصفته أي شيء، سوى أنه نتيجة منطقية لهذه الأفكار والممارسات، ما يفعله المتطرفون هو ببساطة التعامل مع هذه الأفكار بقدر أكبر من التفسير الحرفي والتصرف بناء عليها(علي ميناوي،2015).

كما تلتقي لوموند ولوفيغارو مع تفسير وسائل الإعلام الغربية الخاطيء للفظه الجهاد، حيث يغلب على كثير من وسائل الإعلام الغربية تفسير ظاهرة العنف الأصولي التي يقف ورائها منتسبون إلى الإسلام بكونها ذات جذور عقديّة وتشريعية ملازمة للدين الإسلامي، ويحتل مفهوم الجهاد فيها موقعا أساسيا، ويغلب على وسائل الإعلام الغربية أن تجعل لفظه الجهاد مرادفة للحرب المقدسة، وهو مصطلح يستعمل بقوة في الإعلام الفرنسي.

ويلخص "بروس لورانس" مفهوم الجهاد كما يراه الغربيون بقوله: "غالبا ما تترجم اللفظة إلى الإنجليزية حربا مقدسة أي الحرب التي يتم شنها على غير المسلمين أو مثل حرب صليبية معكوسة"، وإجمالا يمكن القول أن مفهوم الجهاد كما تكرسه وسائل الإعلام الغربية

يعني الكفاح الذي يرمي إلى مواجهة غير المسلمين وهو واجب ديني مقدس تم الالتزام به وتنفيذه عبر تاريخ الإسلام المديد وبذلك يبدو الفهم الخاطئ لمفهوم الجهاد واضحا وجليا (حسن عزوزي، 2012، 342-343).

وبناء عليه يمكن القول أن خلط لوموند ولوفيغارو بين المصطلحين قد يكون ناجم عن تبينها لهذه الأفكار وعن جهل تام لمعنى الجهاد في الإسلام، أو هو محاولة مقصودة لتحريف وتشويه وتزييف مفهوم الجهاد الذي هو في الأصل حرب دفاعية ورد للعدوان وليس البدء به، في حين تم تقديمه بمعنى الإرهاب والحرب المقدسة ضد الكفار أو غير المؤمنين، هذا مع إغفال أن الجهاد يعني في القرآن الكفاح أو النضال حتى يحقق الإنسان بنفسه إرادة الله، وأن يحيا حياة الفضيلة، ولا يرتبط الجهاد أو يتساوى مع كلمات الحرب المقدسة في أي موضع من القرآن الكريم (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 64).

وجاءت فئة أركان الإسلام في المرتبة الثانية في لوفيغارو بنسبة **13.18%** وبنسبة **10.10%** في لوموند، ولوحظ مستوى الاهتمام والتركيز الذي أولته كلا منهما لموضوع الصراعات السنية الشيعية ولا سيما لوموند وذلك بنسبة **15.53%**، وبنسبة **11.51%** في لوفيغارو، ويمكن تفسير إثارتهما لهذا الموضوع والتركيز عليه من أجل التأكيد على وجود الانشقاق والانقسام والاختلافات الموجودة في الإسلام وبين المسلمين، وهي الفكرة التي طالما روجت لها الدراسات الاستشراقية من قبل، مع تجاهل أن حالة الاختلاف ليست خاصة بالدين الإسلامي فقط ففي الإسلام مثل الأديان الأخرى مدارس وتيارات مختلفة.

وفسرت لوموند ولوفيغارو الصراعات بين التنظيمات الإرهابية والجهاديين في الشرق الأوسط (اليمن والعراق وسوريا، وفي منطقة الساحل)، وفي الساحة الأوربية، بأنها لا تخرج عن إطار الصراع بين السنة بدعم من السعودية التي تمول القاعدة وداعش، جبهة النصرة وغيرها من التنظيمات والجماعات، وبين الشيعة بدعم من إيران التي تمول الحوثيين، الحشد الشعبي، حزب الله... كما صورتنا الصراع والتناحر بين أنصار المذهبين وداعميهم والتنافس فيما بينهم في القتل، والقيام بالأعمال الإرهابية كشكل من أشكال الجهاد ولعا بالموت والشهادة في سبيل الله، بما يفهم منه ضمنيا أن الإسلام إن كان سنيا أو شيعيا فهو دين إرهاب، وقتل

واختلافات وصراعات، وأن ما يفرق بين السنة والشريعة أيهما الأكثر دموية ووحشية وبربرية، وما يجمعهما هو الإسلام والعداء للغرب والحضارة الغربية.

وبلغت فئة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نسبة 09.98% في لوفيفارو و 11.59% في لوموند، وعلى غرار ما جاء في الدراسات الاستشراقية والمناهج الدراسية و الإعلام الغربي راح بعض الكتاب والشخصيات التي حاورتها لوموند ولوفيفارو، والذين تم تقديمهم باعتبارهم متخصصين في الإسلام يشككون في قدسية نصوص القرآن الكريم، وفي صدق وصحة الأحاديث النبوية الشريفة وبكونها وحي إلهي، كما راحوا ينتقدون التطبيق الحرفي لنصوص أوجب إعادة النظر فيها، باعتبارها مصدرا أساسيا للإرهاب وللجهاد الموجه أساسا ضد الكفار وغير المؤمنين وبشكل خاص ضد اليهود، وكان إثارة هذا الموضوع فرصة للصحيفتين لترويج مطالب وتوصيات عدد من المستشرقين بضرورة إعادة النظر في القرآن الكريم وفي تفسيره والدعوة إلى إصلاح الإسلام.

وقد سبق دعوة الفرنسيين جهود حثيثة غربية وأمريكية على وجه التحديد، ترمي منذ سنوات لتشويه القرآن الكريم وتدعوا إلى إصلاحه وتحديثه، وهذا ما رصده الباحث "السيد زهرة"، الذي حاول أن يشرح بعضا من أبعاد الحملة في الغرب على القرآن الكريم ومحاولة التشكيك فيه، وفي كونه كلمة الله بل والمطالبة بتغييره، شارك فيها باحثون عرب، قيل أنهم يعكفون على تعديل القرآن، وهذه الحملة كان يشنها أساسا المسيحيون واليهود، ولأسباب دينية أي في إطار سعي أتباع الديانتين لإثبات أن ديانتها هي الأصح.

وتنتهي الدراسة إلى القول بأن الغرب يستهدف من وراء عملية الدعوة إلى تحديث القرآن الوصول الى تحقيق ثلاثة أمور هي:

- ترسيخ اعتقاد عام مؤداه أنه ليست هناك أي محرمات في الإسلام فوق النقد أو حتى الإساءة.

- الحلم بأن هناك قرآن جديد، وهناك كتابات في الغرب تروج لهذه الفكرة، فكما أن في المسيحية عهد جديد وعهد قديم، فلماذا لا يكون في الإسلام قرآن جديد في مقابل القرآن القديم، ولكنهم يعلمون أن أي محاولة من هذا القبيل مآلها الفشل، ولهذا فإن ما يهمهم بالأساس هو أن يترسخ لدى المسلمين وبالتدريج اعتقاد بأن القرآن ليس فوق مستوى النقد والمراجعة، وبأنه

ليس من الضروري الأخذ بكل ما جاء في القرآن أو الالتزام به فإن تحقق هذا الهدف فهو بالنسبة إليهم كاف جدا.

- تجنيد كتاب وباحثين غربيين وعرب ومسلمين للترويج لهذه الأفكار الغربية أي قيام هؤلاء جميعا بالتشكيك في القرآن الكريم وإثارة الشبهات حوله (شعيب الغباشي، 2010، 180).

وبما يعد تناغما بين مضامين لوموند ولوفيغارو، وثقافة النخبة، نشرت مؤخرا صحيفة «لوبياريزيان» بيانا طالب موقعه بحذف سور تدعو لقتل (اليهود والنصارى والكفار)، ويلعب البيان على فكرة أن الدين الإسلامي (من بين الأديان كلها)، دين دموي يندفع المؤمنون به مستندين إلى آياته للاعتداء على الآخرين، كما تضمن مطالبة "السلطات الدينية الإسلامية بأن تعلن أن آيات القرآن التي تدعو إلى قتل اليهود والمسيحيين والكفار ومعاقبتهم قد عفا عنها الزمن"... ويجمع البيان توافيق أشخاص مثل الرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي، ورئيس الوزراء الأسبق مانويل فالس، والعديد من الشخصيات الثقافية والفكرية التي تراهن على معركة تعتبرها رابحة سلفاً لأنها تستهدف ديناً تعرّضت صورته للنشوية؛ كونها ارتبطت بعمليات تنظيم «القاعدة» وتنظيم «الدولة الإسلامية» في أنحاء العالم، فيما يختفي مليارات المسلمين الذين يكافحون لتأمين لقمة العيش لأبنائهم، والحياة بسلام وطمأنينة، من دون حروب أو قتل وجرائم، ولا يحتسبون في المعادلة المبسطة لدرجة التهافت التي يقدمها ساركوزي وفالس وديبارديو وشارل أزنافور (<http://www.alquds.co.uk/> Apr 27, 2018).

كما يبين تحليل نتائج الجدول أن الجانب العقائدي لازال يشكل مكونا أساسيا لصورة الإسلام في الصحافة الفرنسية حيث بلغت فئة الله ورسوله نسبة **08.99%** في لوفيغارو، **08.53%** في لوموند، ويمكن تفسير كتابتهما عن الله ورسوله نظرا لربطهم بين تصرفات المسلمين وبين إيمانهم بالله ورسوله، كما أنه لا يغيب عن الصحيفتين أن الطعن في الألوهية والتوحيد عند المسلمين وفي نبيهم، يعني الطعن في عقيدة المسلمين والدين الإسلامي كله.

وما قد يفسر الاستمرار في مهاجمة الإسلام من خلال نبيه إدراك مكانة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في قلوب المسلمين، والخوف الذي ينتاب الغرب من استعدادهم للموت في سبيل الله ودفاعا عن نبيهم. وكتب كل من Anne jouan et Stéphane durand-souffland في لوفيغارو: "إن صحيفة شارلي ابيدو المعارضة للأديان ضربت من قبل إرهابيين يصرخون

بالله أكبر" (p14. Anne jouan et Stéphane durand-souffland janvier 2015)، وكتب Thibault de Montbrial: "من هاجموا فرنسا يهاجمون من يعتبرونهم كفار، وحرينا في التعبير، وحسب العديد من الشهود أطلق الإرهابيون عبارة الله أكبر لقد انتقمنا للنبي (Thibault de Montbrial, 12 janvier 2015.p36).

ومما يعد أيضا إساءة وإعادة إساءة للنبي محمد عليه صلوات الله وسلامه، وللعقيدة الإسلامية، استخدم بعض الكتاب تسمية "الديانة المحمدية" التي سادت خلال العصور الوسطى والمرحلة الاستشراقية، بما يؤكد تأثر الصحفيين بالثقافة السائدة في عن الإسلام في المجتمع الفرنسي، وهو أيضا التوجه الغالب في الفكر الغربي حيث تهاجم أربع فئات رئيسة في العالم الغربي نبي الإسلام بشكل متواصل، ومنظم طوال الأعوام الأخيرة، وهم رموز عدد من الكنائس الأوروبية والأمريكية الكبرى، والقادة السياسيون في الكثير من دول أوروبا الغربية، وأمريكا الشمالية والعديد من وسائل الإعلام الغربية، وأخيراً الرموز الفكرية للتيارات العلمانية، بحيث يمكن القول بالإجمال أنّ تيار الهجوم على نبي الإسلام، هو التيار الغالب في الحياة الفكرية الغربية في عالم اليوم (باسم خفاجي، 32، 2006).

وفي مقال بصحيفة لوموند للكاتب جزائري الأصل علي مالك كتب أن: "محمد نبي الإسلام هو الأقل شعبية بين مؤسسي الديانات، ومجرد ذكره أمام غير المسلمين يثير الشك لديهم وهم محقون في ذلك، نرى الكثير من الصور المخيفة على شاشة التلفاز باسمه تجذبنا إلى الرغبة في التعرف عليه"، ويضيف مستنكرا كيف يتظاهر مواطنون جزائريون للتعبير عن سخطهم على الرسوم الكاريكاتورية لشارلي ابيدو مع هتافهم بأن الإخوة كواشي شهداء، متسائلا إن يوجد آية واحدة في القرآن تدعو إلى موت من أهان النبي؟ ويجب بأنه لا توجد آية تشرع قتل مجدف أو زنديق أو مرتد...مضيفا: "هذا ليس بدين المسلمين الموجود في القرآن الذي يزعمون أنه كلمة الله التي نقلها رئيس الملائكة جبريل إلى النبي محمد...مضيفا أن النظر إلى ما يسميه المسلمون "الشريعة" - وشرحها الكاتب(القانون الإسلامي) وهو المفهوم الراجح عند المستشرقين - ودعوة البعض منهم عن جهل إلى تطبيقه غير متلائمة مع القرآن، وأنها دعوة للرجوع إلى الوراثة (Ali Malek, 2015, p11).

وفيما يبدو ظاهريا أن ما جاء في المقال هو دفاع عن الإسلام وتبرئته من الإرهاب ودفاع عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ولكنه في حقيقته تأكيد للتصورات الاستشراقية المشككة في نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة وأن الكاتب وصفه بأنه هو من أسس الديانة الإسلامية، والتشكيك أيضا في أن القرآن وحي من الله لرسوله

وإمعانا في الإساءة كررت الصحيفتان وصف منفذي الهجمات بالإرهابيين، وبالإسلاميين، الإرهابيين الإسلاميين، الجهاديين، وأكثر الأوصاف سوءا (مجانين الله)، وهو مصطلح متداول في الإعلام الفرنسي لوصف الإرهابيين ليس فقط داخل فرنسا بل حتى خارجها، حيث عنون مراسل صحيفة لوفيغارو Emmanuel Derville تقريره من بومباي بـ "الهند في مواجهة مجانين الله الجدد"، وتوظيف لوموند ولوفيغارو لهذا المصطلح وغيره من المصطلحات والعبارات من أن هؤلاء المجانين، الإرهابيين المجرمين... يقتلون باسم الله ودفاعا عنه وعن نبيهم (مهومات أو محمد)، يوحي للقارئ أن الله ورسوله يأمران ويدعوان لمثل هذه الأعمال والإرهابيون ينفذون طاعة وخضوعا وحباً، خاصة وأنهما كررتا في أكثر من موضع أن الإخوة كواشي بعد تنفيذ الهجمات صرخا بعبارة "الله أكبر انتقمنا للنبي محمد"، وأن الإرهابيين يكررون دوما هذه العبارة قبل وبعد تنفيذ هجوماتهم، ومما يزيد في ترسيخ هذه الصورة أكثر إرفاق المواضيع بصور الإرهابيين، والرأية السوداء لتنظيم داعش مكتوب عليها عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وفي سياق دفاعها وتذكيرها بما تلاقيه شارلي ابيدو من معارضة المسلمين لها كيف سبق متابعتها في 2007 من قبل العديد من المنظمات الإسلامية على خلفية إعادة نشر رسومات كاريكاتورية للنبي محمد"، ودون التطرق إلى أن الرسومات كانت مسيئة، نقلت الصحيفة التوجه ذاته لدى الساسة الفرنسيين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، يتقدمهم الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند الذي صرح قائلا أثناء تواجده في مسيرة باريس ضد الإرهاب التي نظمت بعد الأحداث: "لست هنا بصفتي يساري لمساندة صحيفة يسارية، ولكن لدعم ومساندة حرية التعبير كإحدى مبادئ الجمهورية" (Anne jouan et Stéphane durand-souffland, janvier 2015). p14.

ويتضح الجانب الآخر من الإساءة في اعتبار لوموند ولوفيغارو أن نشر شارلي ايبودو للرسوم التي كانت سببا في الهجوم عليها، وغيرها من الرسوم يدخل في خانة حرية التعبير، كما عادتنا للتذكير بالرسومات التي سبق ونشرتها الصحف الدنماركية من أجل التأكيد والدفاع على حرية التعبير التي يتمتعون بها وتكفل لهم نشر ما يريدون.

وهي ليست المرة الأولى التي تؤيد فيها الصحافة الفرنسية وتدافع عن نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة؛ فقد سبق لصحيفة لوفيغارو وصحيفة "فرانس سوار" الباريسية نشر تلك الرسوم موضحة في احدى افتتاحيتها: "لا يوجد في الرسوم موضوع الاتهام أي نية عنصرية أو رغبة في تحقير أي مجموعة، بعضها طريف وبعضها ليس كذلك، وهذا كل ما في الأمر ولهذا السبب اخترنا نشرها" ودانت "فرانس سوار" في الوقت نفسه عدم التسامح من قبل "الإخوان المسلمين وسوريا، والجهاد الإسلامي ووزراء داخلية الدول العربية، و(منظمة) المؤتمر الإسلامي الذين يدعون مواطني المجتمعات الديمقراطية والعلمانية إلى إدانة 12 رسما كاريكاتوريا اعتبرت مهينة للإسلام، "واضافت "لن نعتذر أبدا لأننا أحرار في التحدث والتفكير والاعتقاد، وبما أن هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم على أنهم أساتذة في الإيمان ويجعلون القضية مسألة مبدأ، علينا أن نكون حازمين"، وأكدت "يحق لنا رسم صور كاريكاتورية لمحمد ويسوع المسيح وبوذا ويهوذا وكل أشكال الألوهية، هذا يسمى حرية تعبير في بلد علماني (http://www.middle-east-online.com)".

وما يستوجب الوقوف عنده في مضامين لوموند ولوفيغارو إثارة موضوع الخلافة الإسلامية، وإعادة بعثه من تاريخ المواجهات الكبرى بين المسلمين وأروبا وفرنسا بشكل خاص؛ حيث بلغت فئة الخلافة الإسلامية نسبة 06.55% في لوفيغارو، و04.59% في لوموند.

ويذهب برنارد لويس بعيدا في هذا التصور فيرى أن البنية اللاهوتية للإسلام هي نفسها ذات مضمون سياسي فالصراع بين الخير والشر له بعد سياسي بل عسكري، والنبي رسول وحاكم والله حاكم أعلى للدولة له جيشه المشكل من الرسول وخلفائه ودوره هو طرد أعدائهم ومعاقبتهم انتظارا لخلودهم في نار جهنم، ومن ثم فإن التحديث المطلوب لمعالجة الداء الإسلامي يكمن في خلخلة هذه البنية الميتافيزيقية وتقويض التصورات المتولدة عنها من خلال عملية مراجعة جذرية للنسق الإسلامي كله (السيد ولد أباه، 2004، 143-144).

وجاء ذلك في سياق المضامين التي تناولت الجهاد والأعمال الإرهابية، خاصة تلك المرتكبة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية بزعامة أبو بكر البغدادي (خليفة المسمين) - بتعبير صحيفتي الدراسة- والتي يسعى من خلالها التنظيم لإقامة دولة الخلافة الإسلامية، ولم تنفرد لوموند ولوفيجارو بإثارة هذا الموضوع الذي طالما له سوق له الإعلام الغربي والفرنسي، ومن أن الحركات الإسلامية منذ بدايات ظهورها ونشاطها، تسعى لإقامة نظام الحكم الإسلامي في الدول الإسلامية، وتطبيق الشريعة في الدول الغربية، لكن المسعى توسع وتطور ليشمل إقامة دولة الخلافة الإسلامية في الديار الأوروبية وعاصمتها روما أو باريس وقد تبنت الأفكار الدعائية ذاتها التي بروج لها تنظيم داعش ولا تقبل حتى التصديق.

ومن المواضيع التي كانت سائدة أيضا في الماضي وأعيد استرجاعها في مضامين لوموند ولوفيجارو، الخلط بين العروبة والإسلام، وقد بلغت هذه الفئة نسبة 05.64% في لوفيجارو، ونسبة 06.78% في لوموند، ويمكن تفسير الاستمرار في هذا الربط في بين العرب والإسلام والمسلمين والعروبة بكونها الفكرة السائدة في الثقافة الغربية والفرنسية؛ فمذ بداية انتشار الإسلام وخروجه من شبه الجزيرة العربية يتم تصويره على أنه دين عربي وسلبيته تكمن في خروجه وانتشاره بين هؤلاء البدو في صحراء العرب. وسبق أن جاء على لسان "يوشيم واك" و"ماكس فيبر"، و"روبرتسون سميث" بأن الإسلام بعد انتشاره في الجزيرة العربية، قد تحول من دين سماوي إلى دين عربي يدعوا إلى العنف والإرهاب والقتال (إحسان محمد الحسن، 2008، 59).

كما يمكن تفسير الإصرار والاستمرار في هذا الربط، مع وصم العرب بكل ما هو سلبي بأن الغرب لا ينسى حقه على النبي العربي، ونزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وعلى جزيرة العرب فنسب الإسلام إلى العرب والعرب إلى الإسلام يعد إساءة في حد ذاته، بمعنى أن السوء يكمن في العروبة وليس في الإسلام، فربما لو نزل الإسلام على غير العرب لكانت النظرة مغايرة، وهي الفكرة ذاتها التي تجد لها رواجاً في الدراسات الاستشراقية، والمناهج الدراسية وفي الإعلام الغربي، حيث يستخدم الكتاب الغربيون ومعدو الأخبار كلمتي عربي ومسلم للتعبير عن معنى واحد، على الرغم من أنهما ليستا مماثلتين، فليس كل مسلم عربي أو كل عربي مسلم (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 249).

وهذا يبرز كيف ركزت كل من لوموند ولوفيغارو على علاقة العروبة بالإسلام، وبالمقابل تجاهلتا وأغفلتا الحقائق والمعطيات التي تشير حسب الباحث جون اسبيزتو إلى أن أكثر من 1.5 مليار مسلم يعيشون في سبع وخمسين دولة مع نسبة كبيرة أو أغلبية منهم في أوروبا وأمريكا الشمالية وسائر أنحاء العالم، وأن الإسلام يمثل الديانة الثانية العظمى في أوروبا وكندا، والديانة الثالثة العظمى في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن المجتمعات الإسلامية الكبرى اليوم لا توجد في داكار والخرطوم، والقاهرة، ودمشق والرياض، وطهران، وإسلام آباد وكوالالمبور فحسب، ولكنها توجد أيضا في باريس، ولندن، وروما ونيويورك، وواشنطن، ولا يتحدث المسلمون اللغة العربية فقط ولكنهم يتحدثون كذلك اللغات الفارسية والتركية والأردية والسواحلية والبهاسية، والإندونيسية، والصينية كما يتحدثون الإنجليزية والفرنسية والألمانية والدنماركية والإسبانية (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 52-53). كما أن البلد المسلم الأكبر في العالم هي إندونيسيا مع حوالي 95 مليون مسلم غير عربي، وإضافة إلى ذلك فإيران ليست دولة عربية كما هو شائع في الغرب والإيرانيون فرس ويتكلمون اللغة الفارسية (جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ، 2005، 249).

وتجاهل الصحيفتان - كما هو سائد في الإعلام الغربي- واقع أن العرب لا يشكلون سوى 15 بالمائة من الشعوب في العالم الإسلامي، بينما يشكل اليهود والمسيحيون جزءا مهما من العرب، تقول الكاتبة الفرنسية المسلمة لوسيا كانوفي Lucia Canovi أنّ (13 بالمائة) فقط من العرب، ينتمون إلى أمة المسلمين، الذين يبلغ عددهم مليار ونصف المليار مسلم، هم أقلية في العالم الإسلامي، ويتعمد الغرب (خلط العرق بالمعتقد) لتأثيرهم واتهامهم بالهمجية (عصام بن الشيخ، 2017).

ويؤكد الباحث انجلمار كارلسون هذا الطرح لدى الغرب قائلا: " اعتاد هؤلاء على الدوام تجاهل كثرة ووفرة التيارات والمذاهب، والاختلافات والفروقات الدينية والسياسية التي يتسم بها العالم الإسلامي وكذلك حقيقة التعدد والتمايز العرقي والثقافي للمسلمين (انجلمار كارلسون، 2003، 27).

كما تجاهلت الصحيفتان أن هناك نسبة من العرب من يعتنق ديانات أخرى غير الإسلام واليهودية والمسيحية، ومنهم حتى نسبة معتبرة من الملحدين حتى أن العديد من التقارير

الإعلامية تتحدث عن أن السعودية التي تسوق كواجهة للإسلام والمسلمين العرب تنصدر الدول العربية والإسلامية في تفشي ظاهرة الإلحاد، وأيضا تجاهلت أن نسبة كبيرة ممن تصفهم بالجهاديين والإرهابيين ليسوا كلهم بعرب، بل يشكل الفرنسيون نسبة كبيرة منهم.

➤ اتفقت قدمت لوموند ولوفيغارو في حيازة فئة خلط الإرهاب بالجهاد أعلى نسبة وقد بلغت **44.14%** في لوفيغارو وبنسبة **42.88%** في لوموند، واختلفنا في ترتيب المركز الثاني الذي عاد لفئة أركان الإسلام في لوفيغارو بنسبة **13.18%** في حين عادت للصراعات السننية الشيعية **15.53%** في لوموند ويليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بنسبة **11.59%**، وفي المرتبة نفسها في لوفيغارو كانت للصراعات السننية الشيعية بنسبة **11.51%**، وتشابهت الصحيفتان في ترتيب فئة الله ورسوله التي جاءت بنسبة **08.53%** في لوموند، وفي لوفيغارو بنسبة **08.99%**، واختلفنا في ترتيب الفئتين الأخيرتين والتي جاءت في لوفيغارو الخلافة الإسلامية بنسبة **06.55%** ثم الخلط بين العروبة والإسلام بنسبة **05.64%**، وفي لوموند الخلط بين العروبة والإسلام **06.78%** وفي الأخير الخلافة الإسلامية بنسبة **04.59%**.

➤ اتسقت نتائج الجدول مع افتراضات نظرية الأطر الإخبارية من تأثير الثقافة السائدة في المجتمع على الصحفيين، وفي تأطير المضامين الصحفية، فلم تخرج لوموند ولوفيغارو بتناولهما لمواضيع (الجهاد، الله ورسوله، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الخلافات المذهبية، الخلط بين العروبة والإسلام)، عن الإطار العام الذي يزخر به الفكر والثقافة الفرنسية عن هذا الدين، كما سبق تناوله في الفصل النظري من الدراسة في سياق الحديث عن ما تضمنته الكتابات اللاهوتية، الثقافة الشعبية، والدراسات الاستشراقية، والإنتاج الإعلامي والأكاديمي، وحتى المادة التعليمية التي درسوها في مدارسهم، كما أنهم هم قبل أن يكونوا كتابا وصحافيين، هم مستمعون ومشاهدون وقراء لمختلف أشكال الانتاج الفكري والثقافي في بيئتهم يتأثرون بها ويؤثرون فيها.

➤ اتفقت نتائج الدراسة مع نتائج دراسة "محمد البشير بن طبة" من رؤية صحيفة لوموند لمصادر الإسلام الأصلية (القرآن والسنة)، باعتبارها مرجعا لنشوء الفكر المتطرف

والإرهابي خاصة وأنها يقصدان الجهاد، كما وقعت لوموند حسب الباحث في مغبة الدعاية ضد رسول الإسلام، بعد أن نشرت الصور الدنماركية المسيئة للإسلام.

➤ اتفقت مع دراسة "حسن نيازي الصيفي"، أن الصورة السلبية التي قدمتها "النيوزويك" و"فورن بولسي"، لم تقتصر على الإسلام كدين وفكر، ولكن امتدت لتقديم صورة مشوهة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن الكريم، وللرموز والشعائر الدينية، وأيضا احتلال قضية الجهاد ترتيبا متقدما بين أولويات القضايا في المجلتين اللتان أبرزتا مفهوم الجهاد متأثرة بوجهة النظر الغربية حيث قدمته على أنه مرادف للإرهاب وأنه الحرب المقدسة ويستخدم كنواة لضرب الغرب المتقدم.

- جدول رقم (5) يبين توزيع فئة أركان الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
78.26	36	92.35	58	الصلاة
06.52	03	00	00	الزكاة
08.69	04	00	00	الصيام
06.52	03	07.65	5	الحج
100	46	100	63	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: الصلاة 92.35%، الحج 07.65%، الصوم والزكاة 00.00%.

- صحيفة لوموند: الصلاة 78.26%، الصوم 08.69%، الحج 06.52%، الزكاة 06.52%.

يشير تحليل بيانات الجدول إلى تفاوت كبير في درجة التركيز والاهتمام بأركان الإسلام؛ حيث اختزلت لوموند ولوفيغارو أركان الإسلام في الصلاة بنسبة تقريبا مطلقة، بلغت 92.35% في لوفيغارو، و78.26% في لوموند. ويمكن تفسير ذلك بأن كثرة المواضيع والقضايا، فرض على لوموند ولوفيغارو التركيز على المواضيع التي سبق الإشارة إليها، في الجدول (4) باعتبارها الأكثر إلحاحا للتناول.

وأمكن عزو تراجع الحديث عن (الحج، الصوم، الزكاة)، والتي كانت في وقت سابق وخاصة خلال فترة السبعينيات والثمانينيات محور اهتمام وتركيز الإعلام والصحافة الفرنسية إلى تراجع الحاجة التي كانت موجودة آنذاك في المجتمع الفرنسي للتعرف على الإسلام باعتباره ديانة المهاجرين الوافدين الجدد؛ وذلك بعد أن أصبحت أركان الإسلام معروفة ومألوفة لديه بغض النظر عن رفضه أو تقبله لها.

كما يمكن تفسير هذا التفاوت والتركيز الأكبر على الصلاة بكون بقية الفرائض تؤدي بشكل فردي وكشأن فردي، ولهذا لا تهم طالما أنها لا تطرح أي مشكلات في الفضاء العمومي الفرنسي، على عكس فريضة الصلاة. وهو الطرح الذي تتبناه الطبقة السياسية في فرنسا، يسارا ويمينا، وسبق أن نبهت إليه "ماري لوبان"، حين شبهت صلاة المسلمين في شوارع فرنسا في أيام الجمعة وفي الأعياد بالاحتلال، حيث قالت في تجمع حاشد في ليون عام 2010: «أنا آسفة، لكن بخصوص من يحبون الحديث عن الحرب العالمية الثانية وإذا كنا نتحدث عن الاحتلال، فبإمكاننا أن نتحدث عن هذا (الصلاة في الشوارع) لأن هذا احتلال واضح للأرض»، وأردفت: « هذا احتلال حتى ولو لم يكن هناك دبابات ولا جنود، لكنه احتلال ويؤثر على الناس (عصام الزيات، 2017).

وقد جاء حديث لوموند ولوفيغارو عن الصلاة خاصة في سياق الحديث عن الجهاديين ودرجة التزامهم، وتمسكهم بفريضة الصلاة، وأنهم يؤدون صلواتهم قبل القيام بأعمال إرهابية، بما يفهم منه ضمنا بوجود علاقة بين الالتزام بأداء الصلاة والجهاد، والإرهاب، كما لوحظ التركيز على صلاة الجمعة وأهميتها عند المسلمين، والصلاة في المساجد ودورها في نشر التطرف، بحيث يفهم ضمنا أيضا أن الإشكال ليس في الصلاة في حد ذاتها لو يقتصر أدائها على المنازل وبشكل فردي، بل في اعتبارها مجال للقاء بين المسلمين المتطرفين إلى جانب ما تطرحه من مشكلات في الأماكن العامة.

➤ تشابهت الصحيفتان في تخصيص حيز كبير لفريضة الصلاة بنسبة بلغت **92.35%** في لوفيغارو، و**78.26%** في لوموند، واختلفتا في ترتيب بقية الفئات: في لوفيغارو الحج بنسبة **07.65%**، ونسبة صفرية للصوم والزكاة، وفي لوموند: الصوم في المرتبة الثانية بنسبة **08.69%**، تلاها الحج وفريضة الزكاة بنسبة **06.52%**.

- جدول رقم (6) توزيع المواضيع الثقافية والحضارية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو:

Le monde		Le Figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
15.96	49	30.17	73	الإسلام العدو
29.96	92	26.03	63	الإسلام يكرس صراع الحضارات
19.86	61	22.73	55	الحرب الصليبية الجديدة
34.22	105	21.07	51	الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية
100	307	100	242	المجموع

تشير معطيات الجدول أعلاه:

- صحيفة لوفيغارو: الإسلام العدو **30.17%**، الإسلام يكرس صراع الحضارات **26.03%**، الحرب الصليبية الجديدة **22.73%**، الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية **21.07%**.

- صحيفة لوموند: الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية في المرتبة الأولى بنسبة **34.22%** متبوعة في المركزين الثاني والثالث بفئتي الإسلام يكرس صراع الحضارات بنسبة **29.96%**، والحرب الصليبية بنسبة **19.86%**، في الأخير الإسلام العدو بنسبة **15.96%**.

يبين تحليل بيانات الجدول أن لوموند ولوفيغارو تعيدان مجددا إنتاج الصور النمطية السائدة عن الإسلام في الفكر الغربي والفرنسي قديما وحديثا؛ وذلك من خلال استرجاعهما العديد من التصورات والمفاهيم التي كانت سائدة عن العداء بين الإسلام والغرب منذ الحقبة الصليبية ومن بعدها الاستعمارية، حيث جرى تعميم صورة الإسلام كخطر عسكري على العالم الغربي طيلة حقبة الاستعمار الأوروبي، بالاستفادة من حالة الجهل والتخلف السائد، واستعملت هذه الصورة ذريعة للعدوان الذي غالبا ما رفع شعارا باسم "الناج والصليب" وتحدث الفرنسيون عن " تفويض العناية الإلهية لهم لنشر المدنية" (مجدي الداغر، 2009، 137).

ورغم اختلاف لوموند ولوفيغارو في تقديم وتأخير بعض الفئات إلا أن كل منهما أعادت طرح فكرة الإسلام العدو بنسبة وصلت إلى **30.17%** في لوفيغارو، و **15.96%** في

لوموند، ويمكن عزو هذا الاختلاف إلى التباين في الخط التحريري بين لوفيغارو ذات التوجه اليميني المتطرف، والذي وجد أصلا لمعاداة الإسلام والمسلمين، في حين ركزت لوموند على الجانب الثقافي نظرا لطابعها اليساري الوسط الذي يفرض عليها محاولة الاعتدال في خطابها عن الإسلام من حين لآخر.

وبالتسويق للإسلام العدو تنخرط كل من الصحيفتين ومن جديد في الجهود الأميركية والأوروبية الرامية منذ سقوط الاتحاد السوفياتي لتكريس هذه الصورة، واعتبرت في العديد من مضامينهما الإسلام بمثابة العدو الداخلي والخارجي لفرنسا وللفرنسيين، في هذا السياق تساءلت الفيلسوفة والكاتبة Chantal Delsol في لوفيغارو مستنكرة "هل كان يجب أن تضرب فرنسا في عقر دارها ليتعرف الفرنسيون على حقيقة العدو، وحقيقة الحرب الممنوع الحديث عنها منذ وقت طويل؟... وإذا كان العمل إرهابي أو لا فهو عمل حربي وهي حرب غير متكافئة"، مضيفة "نحن في حالة حرب ولدينا عدو... نحن الغربيون ما بعد الحداثيين لا نعرف ما يعني العدو... نحن في سلام مع الجميع على رغم من أن العدو قد اختارنا منذ وقت طويل، ولكننا إلى هذا اليوم لم نرد أن نعرفه كما هو. لم نكن نتصور أن جماعات إسلامية تريد لنا السوء وذلك بعد قرون من الذبح، العبودية، والمجازر في العالم، في أمريكا، وفي فرنسا باسم الإسلام (Chantal Delsol, 13 janvier 2015, p.20).

إن تسويق لوموند ولوفيغارو مثل هذه الصور السائدة في الفكر والإعلام الغربي يضعنا بتعبير الباحث "انجلمار كارلسون" أمام سمة نمطية لما يسمى بـ"بتصور العدو"، هذا الأخير يرى أنه منذ ألف وأربعمائة عام والمجتمع الإعلامي المعاصر لم يقطع مع هذا التقليد، ففي الماضي سادت حكايات الرعب من "الخطر الأصفر" ثم جاءت مرحلة برز فيها "الخطر الأحمر" وحين تلاشى هذان الخطران، روج الذين ييسطون الإشكاليات العالمية لمقولة "الخطر الأخضر"، ويزعم هؤلاء أن الجماهير الإسلامية تتحفز تحت الرايات الخضراء لاجتياح قلاع الحضارة الغربية والقضاء على حياة الرفاهية ونظم الخدمات الاجتماعية، إما بهجوم يشنه العالم العربي موحدًا، وإما بواسطة الأصولية الإسلامية العالمية (انجلمار كارلسون، 2003).

وفي افتتاحية 13 janvier كتبت لوموند أن الفرنسيين هذه الأيام الأخيرة ارسلوا رسالة قوية للعالم ولمرتكبي الهجمات الإرهابية البغيضة هي رسائل عن الوحدة والتضامن، وخاصة

رسالة عن الارتباط والتمسك بالقيم التي استهدفت (الحرية، التسامح، التعددية)، هم عبروا عن ذلك بهدوء وكرامة مثيرة للإعجاب...مضيفة أن فرنسا تواجه الإرهاب الإسلامي منذ مدة طويلة...وواجهته بالعديد من الاجراءات القانونية والأمنية والتشريعية."

وفي هذا الإطار أيضا لم يخل التوظيف السياسي لصورة الإسلام العدو من الانسجام التام بين مضامين لوموند ولوفيغارو ومساعي الحكومة الفرنسية لاستتباب والحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي، باللجوء إلى ما يعرف في أدبيات الإعلام بصناعة العدو كآلية أساسية من آليات تشكيل الصور النمطية السلبية؛ حيث تعمل وسائل الإعلام على صناعة وتسويق عدو داخلي أو خارجي وتعمل على شيطنته بهدف إثارة شعور عام بكرهية العدو مقابل تقوية الشعور بحب الوطن والتماسك والتضامن في مواجهة هذا العدو حتى لو تحقق ذلك على حساب بقية احتياجات الأفراد وحقوقهم (التعليمية، اقتصادية، اجتماعية)، بحيث تصبح أولويتهم الوحيدة واهتمامهم الوحيد الحصول على الأمن والأمان، ومحاربة العدو، وهو الفكر نفسه الذي أنتجته أوروبا الوسيطية لتعبئة وتجبيش الشعوب المسيحية للقيام بالحروب الصليبية، وأوقفت التناحر والتنافس بينها واتحدت ضد عدو واحد وتهديد واحد هو الإسلام.

وفي محاولة من الكاتب الفرنسي "غينيولاي" لتفسير هذه الحالة وتعليلها، لاحظ أنّ وزن فرنسا الخارجي ونفوذها الدوليّ كلما أصيبا بشيء من الانتكاس والتراجع، ولو نسبياً، انعكس ذلك على موقفها من الأقليات التي تشكل جسدها الاجتماعي...حيث ظلت فرنسا "تضحّي" بأقليّاتها كلما مسّها ضرر من الخارج، متراوحة في تعاملها معها بين ثلاثة مواقف أساسية: موقف القبول، وموقف الشيطنة، وموقف الاضطهاد، وانكبّ غينيولاي على بيان العوامل الداخليّة الخفية والظاهرة، وحرص على تعريتها وإبراز أثرها وتحديد مداها من خلال كشفه عن عديد "الأخطاء المتعمّدة"، التي يقع فيها عن قصد قسم هامّ من السياسيين والمفكرين والإعلاميين بغاية توجيه الرأي العامّ و"شيطنة" صورة الفرنسيّ المسلم وجعلها منبوذة وتحويل أصحابها إلى هدف من السهل إقصاؤه وتهميشه (الصحبي العلاني، 2017).

وهذا ما يفسر بدوره تسجيل نسب معتبرة لفئة الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية بلغت **34.22%** في لوموند، و**21.07%** في لوفيغارو، وبهذا تسوق الصحيفتان لصورة الإسلام باعتبارها خطراً وعدواً تهديداً من كل النواحي (دينيا، سياسيا، حضاريا وثقافيا)، وهنا لا يمكن

تفسير إثارة لوموند ولوفيغارو لهذه الأفكار خارج إطار السعي لتشكيل وترويج صورة الأنا الإيجابية والحسنة في جانبها الثقافي والحضاري في مقابل تشكيل وترويج صورة سيئة وسلبية لثقافة الآخر، ومن أجل تحقيق هذه المسعى أيضا لا يوجد أفضل من الثقافة الإسلامية؛ لاسيما بالنسبة لفرنسا والفرنسيين، الذين طالما تغنوا واعتزوا وافتخروا بفرنسا وثقافتها التي أنارت أوروبا والعالم أجمع وهذه الثقافة اليوم مهددة من قبل الثقافة الإسلامية الدخيلة.

وهي أيضا الصورة التي يسوقها الإعلام والفكر الغربي والأمريكي، يقول جون اسبيزيتو: "عندما نتحدث وسائل الإعلام الغربية عن الإسلام، والثقافة الإسلامية فإن المناقشة تميل إلى التركيز على التطرف الديني والإرهاب العالمي، فيما عدا بضعة الاستثناءات(جون اسبيزيتو وداليا مجاهد، 2008، 51).

ومن أجل تعزيز هذا الطرح عاد بعض الكتاب في الصحيفتين إلى الحديث عن الصراع المزعوم والقائم بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الفرنسية المستمدة من الإرث اليوناني واللاتيني؛ حتى أن البعض من الفلاسفة والأكاديميين ممن كان لهم العديد من المقالات اعتبروا أن سبب تهديد الثقافة الإسلامية يكمن في ابتعاد أوروبا عن ثقافتها الدينية اليهودية والمسيحية وطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي في حياة الأفراد وهذه المجتمعات، وكتب الكاتب والفيلسوف Fabrice Hadjadj في حوار له مع لوفيغارو: "إن الإسلاموية تستغل ضعف أوروبا الليبرالية التي رفضت جذورها اليونانية - اللاتينية، واليهودية والمسيحية" (Fabrice Hadjadj, février, 2015,p14)، وطالبوا بضرورة عودة فرنسا وأوروبا إلى إرثها اللاتيني وثقافتها المسيحية اليهودية، لمواجهة تهديد الثقافة الإسلامية،

ولقد غيبت وتجاهلت كل من لوموند ولوفيغارو أي دور أو صورة إيجابية للثقافة الإسلامية، وأقصت دورها التاريخي والحضاري الذي لازلت معالمه حاضرة في العديد من الدول الأوروبية، وذلك على خطى المناهج الدراسية ووسائل الإعلام الغربية، وحسب جو كينشيلو فإنه من النادر جدا أن يشير الإعلام الغربي، إلى كيفية قيام الإسلام بخلق حضارة مثيرة للإعجاب في أجزاء مختلفة من العالم ولأكثر من ألف عام، وكانت الثقافة الإسلامية في أوجها أهم من ثقافة أوروبا الغربية، وكانت مساهماتها العديدة حيوية بالنسبة إلى عصر النهضة الأوربي... وخلال أيام الإمبراطورية الإسلامية 570-1400 تبنت الثقافة بصورة عامة بعض

مظاهر الحضارات التي كانت مؤثرة في ذلك الوقت، كاليونانية والرومانية والفارسية ومن هذا المنطلق شهدت الحضارة الإسلامية إنجازات فكرية وثقافية وعلمية وفنية أصبحت أساسا يقوم عليها جزء كبير من ثقافة العالم (جو كينشلو، شيرلي شتاينبرغ، 2005، 243-244).

ولقد أدت هذه الممارسات إلى ارتفاع العديد من الأصوات من الداخل الأوربي والتي راحت تدحض الأطروحات القائلة بمسيحية ويهودية القارة الأوربية، ومن بين هؤلاء تحدث البروفيسور "فريد ماهوتش" في كتابه "المكونات الإسلامية لهوية أوروبا" عن ما يعتبرها "أكبر سرديّة مخادعة في التاريخ البشري" بشأن متلازمة (أوروبا قارة مسيحية حصرا)، وحسب الكاتب فجزور هذه السردية التي تمتد عبر قرون طويلة، تقف وراءها وتغذيها مراكز وقوى اجتماعية مختلفة المشارب، وكانت حاضنتها خلال حقبة القرون الوسطى الدوائر الدينية المسيحية النافذة في أوروبا بمختلف طوائفها، ومنذ بدايات القرن التاسع عشر تصدت مجتمعات الدول الأوروبية العلمانية للعب ذلك الدور عن طريق التعمية على تلك الحقيقة إما بإنكارها أو بتجاهل حقيقة أن ثقافة أوروبا إنما هي مثال كلاسيكي لهوية ثقافية تشكلت عبر قرون طويلة من التلاقح والتمازج بين عناصر ثقافية- هوياتية مسيحية وإسلامية على حد سواء فمنذ أكثر من 1300 عام وهوية أوروبا الثقافية تتشكل بشكل حصري عن طريق تفاعل مؤثرات ثقافية متعددة ومتنوعة، هي نتاج الحضارات اليهودية-المسيحية والإسلامية، وكما هو معروف، فإن أصول هذه الديانات التوحيدية الثلاث ومهد ولادتها هو قارة آسيا، وبالتالي فكلها وافدة على القارة الأوروبية هذه الحقيقة تنزع من كل تلك الديانات حقها في ادعاء حصريّة تمثيلها لهوية أوروبا الثقافية دون غيرها (فريد موهيتش، 2016).

وطالما هناك عدو وهناك تهديد من الطبيعي أن يكون هناك صراع، وهذا ما يفسر اعتبار لوموند ولوفيجارو بأن الإسلام يكرس لصراع الحضارات بنسبة 26.03% في لوفيجارو و29.96% في لوموند، وكتب المحرر الصحفي في لوموند Arnaud Iepartmentier: "هذا الأحد 11 جانفي باريس كانت عاصمة العالم للحرية ضد البربرية"، وبعد أن قام بسرد لتاريخ أوروبا الغربية مع الانقسامات الدينية يصل للتأكيد أن المسلمين اليوم هم من يجسد الغربية الدينية، منوها أن العمود غير مخصص لتحليل الجهادية التي تدنس النبي، ولكن من أجل الكشف عن علاقة أوروبا بالإسلام، وذاكرتهم الحربية المشتركة منذ شارل مارتيل إلى مقاعد

فينا 1783، مروراً بالحروب الصليبية وحروب الاسترداد وكلها ليست إلا صدام حضارات (Arnaud leparmentier, janvier, 2015.p23).

و يمكن القول أن هؤلاء الكتاب قد انساقوا مع الأطروحات الفكرية الأمريكية التي تروج لصراع الحضارات، والتي انطلقت شرارتها بأطروحة هنتغتون الذي اعتبر الإسلام العدو الرئيس للحضارة الغربية كونه يرفض ما أسماه (بالغربنة)، وذلك لأنه لم يخضع حتى الآن لعملية تصحيح وإصلاح حقيقي يمس الجذور ويجعله متوائماً مع قيم الحضارة الغربية، كما عبر عن هذا الطرح المفكر الفرنسي جون كريستوف روفان في كتابه (الإمبراطورية الرومانية والبرابرة الجدد) قائلاً: "إن الإمبراطورية الرومانية الحديثة هي الحضارة الغربية، والبرابرة الجدد هم كل الدول التي تعيش جنوب تلك الحضارة."، ومن الخطير في هذا الكتاب أنه يدعو سياسة الغرب إلى القضاء على هؤلاء البرابرة، عن طريق ترك الأمراض الفتاكة كالإيدز تعيث في تلك البلاد مع منع العلاج والدواء عنهم، وذلك حتى لا ينفق الغرب أموالاً في هذه الحرب ويتم القضاء على المسلمين وغيرهم في الجنوب بدون كلفة اقتصادية (راغب السرجاني، 2014).

وفي كتابه المعنون بـ "قوى الجحيم" الصادر في أواخر أكتوبر 2002: يقول جان بودريار "إن ما يدور حالياً هو أكثر من عنف، أنه احتدام العنف، إنه عنف يتزايد كالعدوى في سلسلة من ردود الأفعال التي تهزم كل الحصانات وكل إمكانات المقاومة، لأن الإسلام هو النقيض الحيوي للقيم الغربية، ولذلك فهو يمثل العدو رقم واحد، وفيما يتعلق بالتعصب الديني المسيحي، فإن كل الأشكال المخالفة له تعد هرطقة، وبذلك فيتعيّن عليها إما أن تدخل النظام العالمي الجديد طواعية أو قهراً، أو عليها أن تختفي، فالهدف هو التقليل من المناطق المنشقة واستبعاد كل المساحات المعترضة، سواء أكانت مساحات جغرافية أم مساحات في المجال العقائدي (د. زينب عبد العزيز، 2005، 10).

ومن خلال هذه المضامين تعمل الصحيفتان على الترويج لضرورة أن تسود حضارة واحدة غالبية وقائدة وحضارات مغلوبة لا بد أن تنقاد للنموذج الحضاري الغربي؛ انطلاقاً من الادعاء بأن الإسلام كدين يعادي ويرفض قيم الغرب ولا بد أن يخضع لها باعتبار فرنسا مكوناً وجزءاً أساسياً لا يتجزأ من هذا الغرب وقيمه.

واستعادت لوموند ولوفيغارو ذكريات الحرب الصليبية التي اعتبرت دوما صراعا حضاريا أكثر منها مجرد حرب عسكرية، وجاءت هذه الفئة بنسبة **22.73%** في لوفيغارو، و**19.86%** في لوموند، وذلك من خلال عديد الكتابات وبشكل خاص من خلال كتاب المقالات الذين اعتبروا الأحداث وما شابهها بمثابة دليل قاطع على وجود صراع حضاري بطابع ديني بين الإسلام والغرب، لكن هذه المرة الصراع في الساحة الفرنسية.

وبناء على ما سبق أمكن القول أن الصحيفتان لازلتا تنهلان وتستدعيان في تصوراتهما عن الإسلام من التراكمات والموروث التاريخي الكامن في الفكر والثقافة الفرنسية الذي لا يزال يسيطر بحمولاته وتصوراته السلبية التي ترى في الإسلام الآخر، العدو، والخطر الذي يهدد فرنسا والغرب (سياسيا، دينيا وثقافيا وحضاريا).

➤ تشابهت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول، فيما يتعلق بالمركزين الثاني والثالث على التوالي: الإسلام يكرس صراع الحضارات بنسبة **26.03%** في لوفيغارو و**29.96%**، في لوموند، ثم الحرب الصليبية الجديدة بنسبة **22.73%** في لوفيغارو، و**19.86%** في لوموند، واختلفتا في ترتيب المركز الأول حيث حازتها الإسلام العدو الداخلي والخارجي لفرنسا، وبنسبة **30.17%**، في لوفيغارو، في حين جاء في المركز نفسه في لوموند الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية بنسبة **34.22%**، وعليه فقد اختلفتا في ترتيب الفئة الأخيرة التي كانت لفئة الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية في لوفيغارو بنسبة **21.07%**، وللإسلام العدو الداخلي والخارجي لفرنسا بنسبة **15.96%** في لوموند.

➤ اتسقت نتائج الجدول مع افتراضات الأطر الإعلامية، وبدا واضحا تأثير الثقافة السائدة في المجتمع الفرنسي في تأطير الصحافيين للمواضيع والقضايا؛ حيث جاءت صورة الإسلام بعد الأحداث في لوموند ولوفيغارو إعادة إنتاج لصور نمطية سابقة. في هذا الإطار يقول (سيغوردن سكيرباك): "إن ما نسميه خبرا هو انتقاء ما لأحداث يومية وما ينتقي كخبر إنما هو في الغالب حدث جديد يمكن تأويله وفق أطر تأويل قديمة فالأخبار هي تأكيد لما هو قديم (سلافة الزعبي، 2006، 53).

➤ اتفقت نتائج الجدول مع ما توصلت إليه دراسة "منية العبيدي" بلجوء بعض الخطابات الفرنسية (إعلاميين، سياسيين، مثقفين) إلى الموروث الثقافي والفلسفي الفرنسي لإثبات الهوية الفرنسية، والدعوة إلى التثبيت بالهوية الفرنسية المهددة، وتبني الإعلام الفرنسي عبارة تحد ثقافي وإبرازها واعتبار أن ما حدث ليست مجرد حرب عسكرية وإنما تحد ثقافي، وايضا مع النتيجة التي توصلت إليها دراسة "محمد البشير بن طبة" بأن لوموند قدمت تغطيتها لمضامين الاسلام والمسلمين في قالب "صدام الحضارات".

➤ تقاطعت مع دراسة "محمد الشرقاوي" التي توصلت إلى أن وسائل الإعلام الأمريكية اليمينية تسهم في تعزيز الانشطارية بين الـ"نحن" الأميركيين والـ"هم" المسلمون، ومن أن وسائل الإعلام تعمل أسوة بكثاب الاستشراق في نهاية القرن التاسع عشر.

- جدول رقم (7) توزيع المواضيع السياسية والإيديولوجية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		المواضيع الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
26.36	260	23.05	225	الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية
35.09	346	44.26	432	الإسلام والارهاب
25.07	247	21.41	209	الإسلام السياسي
06.18	61	05.43	53	الإسلام ومعاداة السامية
07.30	72	05.40	57	الإسلام والصراعات السياسية الداخلية
100	986	100	976	المجموع

تشير معطيات الجدول إلى:

صحيفة لوفيغارو: الإسلام والارهاب **44.26%**، الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية **23.05%**
الإسلام السياسي **21.41%**، الإسلام ومعاداة السامية **05.43%**، والصراعات السياسية
الداخلية **05.40%**.

- صحيفة لوموند: الإسلام والإرهاب **35.09%**، الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية **26.36%** الإسلام السياسي **25.07%**، الإسلام والصراعات السياسية الداخلية **07.30%**، الإسلام ومعاداة السامية **06.18%**.

يبين تحليل بيانات الجدول التركيز الشديد للصحفيتين على موضوع الإرهاب والإسلام بنسبة عالية بلغت **44.26%** في لوفيفارو، و**35.09%** في لوموند، ولهذا دلالة واضحة على مساعيها لتكريس وترسيخ الصورة النمطية عن الإسلام باعتباره دين الإرهاب، وهي الصورة السائدة منذ بدايات الدعوة الإسلامية، ولكن ما جعلها أكثر رواجاً في العصر الراهن هو تجنيد الولايات المتحدة للإعلام الدولي بعد أحداث 11 من سبتمبر، للتسويق لفكرة محاربة الإرهاب الذي ألصق بالمسلمين وهي السياسة نفسها التي تنتجها لوموند ولوفيفارو بعد الأحداث بالصاق تهمة الإرهاب بالإسلام ظاهرياً وضمنياً.

ومما يستدعي التوقف عنده في نتائج هذا الجدول هو إثارة قضية الإسلام ومعاداة السامية بنسبة **05.43%** في لوفيفارو، و**06.18%** في لوموند، في هذا التوقيت وبالتزامن مع هذه الأحداث، وكأن المستهدف بها هم اليهود دون غيرهم من الفرنسيين، حيث تم وصف منفذي الهجمات بالمعادين للسامية وكرههم لليهود، وتم الربط بين هجمات شارلي ابيدو وبين قيام المسلم الإرهابي -حسب وصف لوموند ولوفيفارو- "أميدي كوليبالي" بقتل مجموعة من اليهود في متجر يهودي، كما ركزنا على الضحايا من اليهود، وتجاهلنا من قضاوا في الأحداث من ضحايا مسلمين (شرطي، وصحافي)، وهذا يوحي بأن الإرهاب الإسلامي يستهدف اليهود.

وكتب الصحافي في لوفيفارو Jean-Marc Leclerc في سياق حديثه عن مختلف الإجراءات المتخذة في مواجهة الإرهاب: "في مواجهة الإرهاب الجهادي الذي ضرب فرنسا 7،8،9، في الكفاح ضد الإرهاب، في مواجهة التنظيمات الجهادية، والشبكات الإرهابية الجميع مدعو للنضال ضد العنصرية ومعاداة السامية (Leclerc, 2015.p2 Jean-Marc)، وجاء في لوموند عناوين "نعم فرنسا بلا يهود ليست فرنسا"، "حزن وقلق الجالية اليهودية"، وكتب حافظ الأختام والرئيس الأسبق للمجلس الدستوري Robert Badinter في لوموند تحت عنوان "لا تسامح مع معاداة السامية": "في الأيام الأخيرة عشنا بعد مقتل صحفي شارلي ابيدو، وقتل ضابطي شرطة، واحتجاز اليهود رهائن في سوبر ماركت ايبار كاشي، قتل أربعة منهم بدم

بارد بعد أن تأكد القاتل من أنهم يهود، وفي نيس طعن جهادي هذا الأسبوع جنودا فرنسيين كانوا يحرسون مركزا ثقافيا يهوديا، وعندما سئل عن السبب أعرب فقط عن كراهيته لفرنسا وجنودها واليهود" (Robert Badinter, 2015, 14). كما استعاد هذا الأخير حادثة قتل محمد مراح لأطفال يهود قائلا: "عندما يقتل طفل لأنه ولد يهوديا فماذا يمكن اعتباره غير أنه أسوأ الجرائم المعادية للسامية؟... الحقيقة بكل بساطة إنهم برابرة يقومون بمثل ما قام به أسلافهم النازيين هنا قبل 72 عاما، تحركهم نفس الكراهية المعادية للسامية، والتي قتلت ملايين اليهود، وسنقاتل بدون هدنة وبكل الوسائل القانونية ضد هذا الجذام البشري الذي يبقى دائما وفي كل مكان تعبيراً عن الهمجية" (Robert Badinter, 2015, 14).

وتؤكد على هذا الطرح الفيلسوفة والكاتبة في صحيفة لوفيغارو Chantal Delsol التي كتبت: "هذه الهجمات الدموية البغيضة تصنف في خانة الأعمال الإرهابية، هذا الإرهاب يضرب في أي وقت، وأي كان وفي أي مكان، لكن القتل يعلمون جيدا من هو المستهدف... إنهم اليهود هم المستهدف" (Chantal Delsol, 13 janvier 2015, p20).

وفي لوموند كتب مجموعة من الصحفيين والكتاب في عدد 15 جانفي تحت عنوان "يجب محاربة الإسلاموفوبيا أكثر من أي وقت مضى"، ما يبدو ظاهريا من العنوان أنه تعاطف مع المسلمين، ولكنه دفاع عن اليهود وليس عن الإسلام: "ليس هناك ما يبرر مثل هذه الجريمة... لا يوجد ما يبرر قتل الصحفيين والشرطة والمواطنين العاديين لأن البعض منهم يهود"، مضيفين: "لا نعرف ما إذا كان سيكون هناك "قبل" و "بعد" 7 جانفي، ولكن من المهم أن يبدأ النقاش حول المستقبل المشترك الذي نريده نحن لا ندافع عن المسلمين بل عن مستقبل المجتمع الفرنسي في تنوعه... وضمان المساواة بين الجميع". وتحت عنوان "البربرية عند أبوابنا" كتبت لوفيغارو في افتتاحية 17 février 2015 "عند أبوابنا وفي القائمة الطويلة لأعداء الإسلاموية العالمية، يأتي اليهود والمسيحيون على رأس القائمة... والهجمات ضد المعابد والمدارس اليهودية تتم بنفس الكراهية... ومجانين الله يشعلون النار بأعمال القتل".

ويلاحظ في هذا الإطار مجددا أن مضامين لوموند ولوفيغارو لم تخرج عن الإطار العام لثقافة النخبة الذي تجسد في بيان "معاداة السامية الجديدة" - السابق ذكره - والذي أطلقه "فيليب فال" مدير النشر السابق في "شارلي ابيدو"، واستجابت له عدة شخصيات عامة، ومن

المنتخبين ومن مرجعيات سياسية مختلفة، وممثلين عن عدة ديانات، وشخصيات من عالم الفكر والثقافة والفن، ورأت هذه الشخصيات أن "معاداة السامية" لم تعد قضية اليهود لوحدهم، بل قضية كل الفرنسيين، الذين يعيشون بعد كل اعتداء ينفذه المتطرفون المنتمون للإسلام حقيقة وجود معاداة السامية العنيفة (www.alquds.co.uk/p /2018).

كما يدعم هذه التوجهات بعض من المفكرين، وأفراد النخبة الأكاديمية الفرنسية منهم عالم الاجتماع "ميشال فيفيوركا" مدير الدراسات بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس والمتخصص في الدراسات العنصرية ومعاداة السامية الذي قال في تعليقه على البيان: "هذا البيان يعكس بشكل أساسي الفكرة القائلة بأن معاداة السامية المعاصرة هي بالأساس إسلاموية إن لم تكن إسلامية، وفي رأيه "يعبر النص عن مخاوف محددة لدى اليهود الفرنسيين، ويعبر أيضا عن نزعات مرتبطة بالهوية، تدور كلها وبشكل أساسي حول الإسلام" حيث نرى تصاعدا قويا لكراهية اليهود داخل الجماعة المسلمة (فرانس 24 العربية، 2018).

وبالمقابل كان للمؤرخ وعالم الأنثروبولوجيا "إيمانويل تود" نظرة مغايرة انتقد من خلالها معظم التقارير الصادرة عن أهم المؤسسات الفرنسية والغربية، وما كتب حول الحدث (شارلي ابيدو) من قبل علماء الاجتماع، والذين يطلقون على أنفسهم "خبراء الإسلام"، وهم في الحقيقة يضعون كامل غضبهم وانتقادهم للإسلام والمسلمين، الذين يكونون شريحة أساسية من البنية الفرنسية، تأتي في الرتبة الثانية بعد الديانة المسيحية، حيث يقول في مقدمة كتابه "من هو شارلي": "لا يمكن أن أتقبل الفكرة التي بدأت تنتشر داخل المجتمع الفرنسي، والتي تقول بأن الإسلام يشكل خطرا كبيرا على حياة اليهود، لسبب واحد وهو أنه لا توجد قارة تعرض فيها اليهود إلى القتل والمجازر مثل القارة الأوروبية."

وفي إطار تقديمه للصورة الراهنة لفرنسا والسياسة والثقافة والصحافة الفرنسية وكيفية تعاطيها مع قضايا المسلمين وقضايا اليهود (ازدواجية المعايير)، انتقد الكاتب "بول شاؤول" الصحافة الفرنسية وكيف أفردت الصحافة المكتوبة عشرات الصفحات وبضعة ملفات ومقابلات احتفاء بكتاب برنار هنري ليفي عراب الصهيونية وقضاياها، والذي اعتبر فيه اليهود جزءا أساسيا من تكوين أميركا، ومن إقرار دستور فرنسا، ومن حيوية العالم ومن

سلامه، بل وإنهم أي اليهود هم الذين صنعوا فرنسا، هذا التهليل المفرط بكتاب ليفي يقابله نوع من العنصرية تجاه القرآن والإسلام عموماً (بول شاوول، 2016).

ويمكن تفسير انحياز لوموند ولوفيغارو لأصحاب الموقف الأول وتسويقها لفكرة معاداة السامية وكره المسلمين لليهود، وللخطر الذي يشكله عليهم الإرهاب الإسلامي بمدى تغلغل اللوبي الصهيوني ونفوذه في دواليب السياسة والاعلام والصحافة الفرنسية، بما فيها لوموند ولوفيغارو -على الرغم من استقلاليتها- ويؤكد ذلك تعاطيهما المنحاز وازدواجية المعايير في تناول القضايا عندما يتعلق الأمر بالمسلمين واليهود، كما هو الحال مع مختلف وسائل الإعلام الغربية والفرنسية سواء كان توجهها يميني يدعي كره اليهود كما يكره المسلمين، أو يساري يدعي حياده وعدم مناصرته لأي دين.

في هذا السياق يقول "هيثم مناع"، عن تغلغل اللوبي الصهيوني في أوروبا وفرنسا: "في هذا الفصل الذي يتبنى موضوعه (الخطر الإسلامي) ضمناً أو علناً، تلعب جماعات الضغط الماسونية الموالية لإسرائيل دوراً مركزياً... وجماعة الضغط الموالية لإسرائيل تجد وبكل المعاني في تشكل جماعة بشرية مسلمة سياسية وثقافية واقتصادية خطراً مباشراً على ما بنته خلال أكثر من قرن، وهنا لا يمكن الحديث عن الإسلام السياسي أو الإسلام الجهادي، نحن أمام جماعة عضوية ترفض فرضية تشكل جماعة عضوية تفوقها عددها وإن كانت لا تضاهيها لا في التنظيم ولا في القدرة المالية والسياسية والثقافية (هيثم مناع، 32).

كما يمكن تفسير إثارة هذا الموضوع في هذا التوقيت، أنه من قبيل المزايدات السياسية، التي تجد في استغلال مثل هذه الأحداث وسيلة لتحقيق أهدافها الانتخابية ولاستعطاف اليهود من خلال مهاجمة الإسلام، وهذا ما يعكسه تناول لوموند ولوفيغارو لموضوع الإسلام والصراعات السياسية الداخلية بنسبة **05.40%** في لوفيغارو، و**07.30%** في لوموند.

ولطالما كان الإسلام والصراعات السياسية جزءاً لا يتجزأ من النقاش المتداول في الفضاء العام الفرنسي، ولا سيما على مستوى الطبقة السياسية التي تجد في الإسلام والمسلمين كبش الفداء الجاهز دوماً ليحمل كل أزمات ومشاكل فرنسا أو على الأقل ليبعد الأنظار عن مشاكلها وأزماتها الفعلية، وسبق أن صرحت ماريان لوبان في مقابلة أجرتها يونيو 2014:

مطمئنة اليهود "لن أتوقف عن التأكيد لليهود الفرنسيين أنّ الجبهة الوطنية ليست عدوكم بل هي أفضل درع لحماية مصالحكم، نحن نقف إلى جانبكم نفاعاً عن حرياتنا في التعبير واعتناق الأديان في وجه العدو الحقيقي الأوحده؛ الأصولية الإسلامية." (عصام الزيات، 2017).

وعلى الرغم من أن لوموند ولوفيغارو، تعكسان توجهات وسياسة أكبر تيارين متجادبين في الساحة السياسية والإعلامية الفرنسية هما اليمين واليسار؛ حيث تعد لوموند من صحف وسط اليسار أو ما يمكن أن يطلق عليه صحف معتدلة في مواقفها في الحياة السياسية الفرنسية لا تذهب إلى أقصى اليمين ولا إلى أقصى اليسار، في حين تمثل لوفيغارو جبهة يمينية وهي جبهة لها وزنها وتقلها في السياسة الفرنسية لم يظهر هذا التجاذب والتباين بينهما، فما عدا إشارة لوموند لاستغلال "مارين لوبان" للأحداث لتصعيد خطابها العنصري اتجاه المسلمين، وانتقاد لوفيغارو لسياسات اليسار التي رأتها سببا في ما وصلت إليه فرنسا، التقت واتفقت الصحيفتان في الدعوة والتركيز في الوقت الحالي على وحدة الصف، ووحدة فرنسا شعبا وحكومة وأطرافاً سياسية متعددة، ووضع الخلافات جانبا والاصطفاف لمواجهة العدو المشترك للجميع والمتمثل في الإرهاب بنسخته الإسلامية، واعتبرت الجبهة الوطنية الاعتداء بصفته مثالا على عدم اتساق الإسلام مع القيم الفرنسية، وصرحت مارين لوبان أن فرنسا موحدة وراء حرية التعبير، وأضافت أن: "حان وقت الكف عن النفاق" وأن عدم خلط الإسلام بالإرهاب يجب ألا يمنعنا من رؤية ما هو واضح، ولقد تمادى عن ذلك بعض مساعديها، وهاجموا الإسلام بشكل مباشر (جون ر. بوين، ت. عمرو خيرى، 2015).

وركزت العديد من القصص الإخبارية ومواد الرأي على إبراز وحدة الشعب الفرنسي في الدفاع عن قيم الجمهورية ضد الإرهاب والإرهابيين، ووصل الأمر إلى التشكيك في وطنية هؤلاء الإرهابيين ومدى ولائهم لقيم الجمهورية في مقابل انتمائهم الديني، ودعت لوموند ولوفيغارو الجميع ونقلنا أصوات كل من دعوا إلى الدفاع عن قيم الجمهورية المهددة، كما ركزتا على نشر الصور والتحليلات، حول التلاحم بين ممثلي مختلف الأحزاب السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

ويجدر الإشارة إلى أن هذا التماهي بين اليمين واليسار غير خاص بلوموند ولوفيغارو بل أصبح ظاهرة في الإعلام الفرنسي، ويشخص هذه الظاهرة أصوات من الداخل الفرنسي،

حيث يقر توماس دلطومب في ختام كتابه "الإسلام المتخيل" أن التغطية الإعلامية للإسلام وقضايا المسلمين في فرنسا لا تزال تهيمن عليها العقلية الاستعمارية، ويشير بنوع من المروعة إلى ظاهرة لافتة في الحياة السياسية الفرنسية قائلًا: "لقد كان اليمين واليسار الفرنسيان دائماً في صراع وتطاحن، خلال الحرب الجزائرية، حيث كان الأول مؤيداً للاستعمار الفرنسي والثنائي معارضاً له، لكن هذين التيارين التقيا فيما بينهما عندما تعلق الأمر بالإسلام، ويُطلق على هذه الحالة تسمية "مأزق الجمهورية الفرنسية" (ادريس الكنبوري، 2012).

وكنتيجة لهذه الممارسات تشكل تيار فكري نقدي جديد في فرنسا برزت معالمه بداية من سنة 1997 مع كتاب "كلاب الحراسة الجدد" ل سارج حلومي، ثم مع مواقع الإنترنت المختصة في نقد وسائل الإعلام مثل، موقع "أكريماد" أو "رأي سير إيماج"، يسعى هذا التيار كما يقول "جون لويس قاكسيلار" أثناء تقديمه لكتاب "محطمي المحرمات" ل"سيباستيان فونتال" إلى تبيان أن التمييز بين الإعلام اليساري واليميني، هو في كثير من الأحيان ليس سوى تمييز سطحي، لأن وسائل الإعلام الرئيسية، تنتمي إلى ذات العقيدة المعاصرة التي تتميز أساساً بالدفاع عن قيم الليبرالية الجديدة بما تدعيه من تمثيلها للقيم الغربية في بعدها الكوني، وقد صنفت هذه الكتب أساساً لفضح هذا التوجه الإعلامي، وكشف زيف ادعاءاته وأساليبه التضليلية في مجالات كثيرة ومنها المجال الإعلامي، وكانت لهذا التيار كتابات عميقة ودقيقة في كشف الأعيب الإسلاموفوبيا الإعلامية المنتشرة في مختلف وسائل الإعلام الفرنسية (المبروك الشيباني المنصور، 2014، 276، 275).

ويفسر هيثم مناع هذه الظاهرة في تناول الإعلام الفرنسي قضايا الإسلام والمسلمين بقوله: "علنا ندفع ثمن المكانة القوية في الجهاز الإعلامي لأشخاص مثل آلان فنكلراوت، أو برنار هنري ليفي، ومتقفي اللوبي الموالي لإسرائيل الذين أثبت وصول نيكولا ساركوزي للحكم أن موقفهم من قضايا مثل إسرائيل والإسلام أهم من التصنيف الكلاسيكي يسار-يمين أو ليبرالي- اشتراكي (هيثم مناع، 33).

كما يفسرها بعض خبراء التاريخ والسوسيولوجيا بترسخ الخلفية العنصرية لدى عدد من الفرنسيين المنتمين إلى أطراف سياسية متعددة من اليمين المتطرف، فاليمين التقليدي وإلى اليسار وكلهم يتخذ العلمانية ذريعة لبروز مواقف هي أقرب للإسلاموفوبيا، يقول

الأنثروبولوجي "طلال أسد" عن الحالة الفرنسية: "يصعب غالباً التمييز بين عداء الليبراليين العلمانيين واليمين المتطرف ضد الإسلام، وبحسب الإحصائيات فإن صورة الإسلام سجلت تراجعاً في فرنسا عما كانت عليه عام 2010، وهي ظاهرة تعود بصورة خاصة إلى تراجع صورة الإسلام لدى اليسار بحسب ما ذكرت صحيفة "لوفيجارو" استناداً إلى استطلاع عقد مقارنة بين فرنسا وألمانيا بهذا الصدد، وذكرت الصحيفة بصورة عامة أنه في 2010 كان 55% من الفرنسيين يعتبرون أن (نفوذ الإسلام وحضوره أكبر مما ينبغي في بلادنا، ووصلت نسبتهم اليوم إلى 63% ولفنتت الصحيفة إلى أنه في 2010 كان 39% من ناخبي الحزب الاشتراكي يعتقدون أن مكانة الإسلام (أكبر مما ينبغي)، أما الآن فباتوا 52%، ويعتقد 68% من الفرنسيين (بالتساوي مع النسبة عام 2010) أن المسلمين غير مندمجين بصورة جيدة في المجتمع، مقابل 32% (بالتساوي مع النسبة عام 2010) يرون عكس ذلك، ويرى 47% من الفرنسيين إن وجود مجموعة من المسلمين يشكل تهديداً، مقابل 19% يعتقدون أن وجود هذه المجموعة عامل إثراء ثقافي، فيما 34% لا يؤيدون أياً من الرأيين، ويعارض 63% من الفرنسيين وضع الحجاب، فيما يؤيده 9% و 28% لا رأي لهم في ذلك، وبالنسبة إلى الأسباب وراء عدم اندماج المسلمين بصورة جيدة، يتصدرها رفضهم الاندماج في المجتمع برأي 67% من الفرنسيين، والتباعد الثقافي الشديد برأي 45% (<http://www.dostor.org/2016>).

وهذا ما يؤكد الطرح القائل بأن التمييز بين اليمين واليسار في فرنسا حيال قضايا الإسلام والإسلام ما هو إلا خدعة، ويعد الإسلام كبش فداء لكل ما لا يروق للغرب من أنماط سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة؛ فهو بالنسبة لليمين همجي وبنظر اليسار ثيوقراطي، أما الوسط فيعده نوعاً من الغرائبية الممزوجة، وحسنته الوحيدة هي وقوفه في مرحلة مهمة بالنسبة للغرب بوجه الشيوعية (محمد سعدون المطيري، 2016، 153).

➤ تشابهت لوموند ولوفيجارو في ترتيب الفئات الثلاث الأولى بنسب عالية ومتقاربة وجاء في صدارة الترتيب الإسلام والإرهاب بنسبة 44.26% في لوفيجارو و 35.09% في لوموند، متبوعة بفئة الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية بنسبة 23.05% في لوفيجارو، وبنسبة 25.07% في لوموند ثم الإسلام السياسي بنسبة 21.41% في لوفيجارو، وبنسبة 25.07% في لوموند، واختلفتا في ترتيب الفئتين الأخيرتين وجاءت على التوالي في

لوفيغارو والإسلام ومعاداة السامية بنسبة **05.43%** ثم الإسلام والصراعات السياسية الداخلية بنسبة **05.40%** وفي لوموند لفتني الإسلام والصراعات السياسية الداخلية بنسبة **07.30%**، ثم الإسلام ومعاداة السامية بنسبة **06.19%**.

➤ جاءت مضامين لوموند ولوفيغارو متنسقة مع افتراض نظرية الأطر الإعلامية من تأثير العامل الأيديولوجي على المضامين الصحفية، حيث بدا واضحا التأثير الأيديولوجي وأيضا ثقافة النخبة وبما يتوافق ومقتضيات سياستها التحريرية، إلى جانب التأثير بضغط اللوبيات وجماعات المصالح (اللوبي الصهيوني).

➤ اتفقت نتائج الجدول مع دراسة "محمد البشير بن طبة" التي توصلت أن لوموند بعد أحداث 11 سبتمبر ترحزت من اليسار الوسط إلى أقصى اليمين المتطرف، في التعامل مع مضامين الإسلام والمسلمين، لترجع إلى خطها اليساري الوسطي بعد مرور ثماني سنوات من الأحداث.

- جدول رقم (08) توزيع الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو:

Le monde		Le figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
40.76	106	42.22	95	الإسلام مناقض للائكية الجمهورية
35.76	93	36.89	83	الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات
23.48	61	20.89	47	الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة
100	260	100	225	المجموع

تعكس الأرقام في الجدول أعلاه:

- صحيفة لوفيغارو: الإسلام تهديد للائكية الجمهورية **42.22%**، الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات **36.89%** الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة **20.89%**.

- صحيفة لوموند: الإسلام تهديد للائكية الجمهورية الفرنسية **40.76%**، الإسلام يناقض الحريات والديمقراطية **35.76%** الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة **23.48%**.

يشير تحليل بيانات الجدول إلى ترويج لوموند ولوفيغارو لصورة الإسلام باعتباره مناقض لقيم الجمهورية الفرنسية، يتقدمها اعتباره تهديد للأئكية الجمهورية الفرنسية بنسبة **42.22%** في لوفيغارو، و**40.76%** في لوموند، وبهذا صورتا الإسلام كتهديد لأهم دعائم وركائز قيام الجمهورية وهي العلمانية التي تعني في أبسط معانيها فصل الدين عن الدولة.

وفرنسا ليست الدولة الغربية الوحيدة التي تتبنى العلمانية ولكن يعرف عنها أنها من أكثر الدول صرامة وحرصا على تطبيق هذا المبدأ، وتلتقي لوموند ولوفيغارو في اعتبار الإسلام مناقض للعلمانية مع ما روج له فكر عصر النهضة والتنوير من أن الدين خطر على الدولة وعلى تقدم وتطور المجتمعات. ولطالما نظر التقدميون الفرنسيون إلى المنبر الديني على أنه عدو وليس منبرا بين منابر التعبير، ومفكرو التنوير الفرنسيين مثل: "فولتير"، "ديديرو"، و"مونتيسكيو"، نظروا إلى الدين على أنه عامل تفريق وإظلام وتعصب، وطالما اعترفت الجمهورية بالأفراد وليس بجماعات حيث يدين المواطن الفرنسي بولائه للأمة وليس لديه هوية عرقية أو دينية رسمية أمام الدولة (أنري أستيه، 2003).

وقد جاء في آخر إحصائيات أجراها معهد إبسوس لصالح صحيفة لوموند بعد أحداث شارلي إيبدو، أن 51 بالمائة من المستجوبين يرون أن الإسلام لا يتوافق مع قيم المجتمع الفرنسي. ولم يقتصر حديث لوموند ولوفيغارو عن التهديد الحالي للإسلام لعلمانية فرنسا، بل عادت في بعض المقالات والحوارات مع مؤرخين وأكاديميين، لاسترجاع تاريخ فرنسا النضالي ضد غطرسة الكنيسة، وجاء ذلك في سياق التأكيد على عدم السماح لهذا الدين وأتباعه للمس أو بتهديد مكاسب الجمهورية التي خاضت من أجلها الثورات والحروب منذ القرن الثامن عشر، وعلى أنقاضها قامت وتأسست جمهورية فرنسا الحديثة والتقدمية التي لن تسمح لمن وصفتهم بالظلاميين بفرض رؤيتهم الظلامية، ويلاحظ تقديم كل من الصحيفتين لموضوع الإسلام وتهديده لقيم الجمهورية باعتبارها مسألة مصير مشترك بين فرنسا والغرب، في هذا الإطار كتبت الصحافية في لوفيغارو "Laure mandeville" نقلا عن نائب رئيس حلف الأطلسي "DamonWilson": "أن الجميع يفهم جيدا أن الأمر يتعلق بتهديد لقيمنا المشتركة (mandeville Laure, 2015.p14).

وبالمقابل هناك من يرى أنه إذا كان الصراع في بدايته موجهاً للكنسية فمنذ انتشار الإسلام في فرنسا أصبح الصراع والرفض موجهاً ضد الإسلام، والعلمانية التي أريد لها أن تصبغ كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية في فرنسا، بدأت تواجه بعض التحديات منذ أول مشكلة أثرت حول ارتداء الحجاب مع نهايات الثمانينات؛ ومنذ ذلك الحين فتح النقاش حول تهديد الإسلام للائكية المدرسة والجمهورية الفرنسية ككل، وأصبح ينظر لهذا الدين باعتباره المتحدي لقيم مثل: (الديمقراطية والحرية، والمساواة) باعتبارها الأسس المكونة للهوية الفرنسية على عكس المسيحية واليهودية، ما أصبح يستلزم وبصورة عاجلة إعادة النظر في علاقة الإسلام بقيم العلمانية (أصف بيات، 2016).

وبالعودة إلى نظرة بعض المؤرخين الأوروبيين إلى الإسلام يقول جان لويس تريود: "إن هوياتنا الأوروبية وقع تأسيسها بشكل واسع جداً على رفض غير منطوق وغير مصرح به كما نعتقد للإسلام، وهذا "اللاوعي الإسلامي المضاد" يضغط على تمثّلنا للعالم، إن انفتاحنا على الكوكب يستهدف "الكتلة الإسلامية" (أو يفترض ذلك)... وكل ما يمس الإسلام يتضمن في نقاشاتنا طابعاً انفعالياً، ثمة خوف فرنسي من الإسلام... إن التاريخ الثوري واللائكية بالمعنى الفرنسي أسهما مع أسباب أخرى في تفسير هذه الخصوصية، وهذا ما أحسن التعبير عنه "جيرارد شولفي" قائلاً: "ينبغي أن نظل متمسكين بالتراث اللائكي، إنه يدعونا إلى إسكات ما ينهض من الديني"، وعندما لا يسكت الديني - وهذا هو حال البلدان الإسلامية التي احتلت واستقلت بعد ذلك فإن هذا يظهر كإصابة غير متسامحة للتقدم" (د. زهير الخويلدي، 2015).

ولوحظ أن المقالات والتقارير التي تناولت هذا الموضوع شكلت منطلقاً لدعاية منظمة من أجل تعبئة الجميع (حكومة، إعلام، شعب، أحزاب سياسية، مثقفين...) للدفاع عن قيم العلمانية ضد تهديد الإسلام لها، ووصل الأمر ببعض الكتاب للتشكيك في قيم المواطنة لدى المسلمين وطالبوا بوضعهم أمام مسؤولياتهم وتحملها، وتخييرهم بين بين انتمائهم الوطني وانتمائهم الديني، وأنه على المسلمين الاختيار بين الإسلام وبين فرنسا، وبين أن يكونوا مسلمين أو أن يكونوا فرنسيين، وكتبت لوموند أن فرنسا هي المستهدفة فيما هي عليه وما تقوم به، ماهي عليه أنها بلد (الحرريات، التعددية، لائكية، ترفض العنصرية ومعاداة السامية متسامحة حيال كل الديانات)، وما تقوم به هو أنها تدخلت وفي الخطوط الأمامية في مالي كما

في العراق في الحرب العالمية على الجهادية والجهاد... والشعب الفرنسي تظاهر جماعية بقوة وبغفوية على نطاق واسع لقول لا لهذه للبربرية.

وجاء في المرتبة الثانية فئة الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات بنسبة **36.89%** في لوفيفارو، و**35.76%** في لوموند. وهي الصورة التي سوقها الاستشراق بشقيه الكلاسيكي والحديث والإعلام الغربي الذي قدم الأرضية التي تم انطلاقا منها بناء صورة للإسلام باعتباره دين ضد الديمقراطية وحقوق الانسان والحريات العامة والشخصية، وهي النتيجة التي حرصت الميديا الغربية على تأكيدها؛ من أن الإسلام دين مغلق وهو عدو للإبداع بكافة أشكاله، ولا هم له سوى تخريج المتعصبين في كل مجال وبالتالي فهو على طرفي النقيض مع الأفكار الليبرالية في الغرب (سعيد اللاوندي، 2006، 204).

ومن أجل تأكيد وترسيخ هذه الصورة ولاسيما مناقضة الإسلام لحرية الرأي والتعبير، استدعت كل لوموند ولوفيفارو قضية كتاب "آيات شيطانية" لسلمان رشدي، وقضية المخرج الهولندي فان غوخ، والرسوم الكاريكاتورية لسنة 2005، للتأكيد على أن الإسلام ضد حرية التعبير والفكر وحتى الفن، وجاء هذا في سياق اعتبارهما لهجومات "شارلي ايبودو" أنها ضد حرية الصحافة وحرية التعبير التي يرفضها ولن يخضع لها المجتمع الفرنسي الذي لن يتغلب عليه أصحاب الفكر الظلامي بتعبير الصحيفتين، وجاء في افتتاحية لوموند بتاريخ 12 جانفي تحت عنوان رسالة 11 جانفي: "لقد بعث الفرنسيون في الأيام الأخيرة برسالة قوية للعالم ولمرتكبي الهجمات الإرهابية الشنيعة الأسبوع الماضي، رسالة حاشدة، رسالة تصميمية، وقبل كل شيء رسالة تتعلق بالقيم التي تعرضت للهجوم (الحرية، التسامح، التعددية)، لقد فعلوا ذلك بهدوء وبكرامة رائعة."، وكتب الكاتب والفيلسوف Michel gurrin في صحيفة لوموند مؤكدا على مناقضة الإسلام لقيم الجمهورية: "نعلم هذا منذ 1989 والفتوى ضد سلمان رشدي، نعلمه منذ نفس السنة مع التهديد بقتل المغنية véronique sanson بسبب أغنياتها الله، نعلم هذا منذ 2004 بعد اغتيال theo van Gogh بسبب إساءات للنبي في فيلمه، نعلمه منذ 2005 مع قضية الكاريكاتير الدنماركية، نعلمه منذ 7 جانفي 2015 مع مجزرة شارلي ايبودو (Michel gurrin, 17, janvier 2015).

وبلغت نسبة فئة الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة **20.89%** في لوفيغارو، و **23.48%** في لوموند، وهي نسبة معتبرة تعكس اصرارا على الربط بين الإسلام والتخلف، مسايرة في ذلك الصور النمطية التي روجت لها الدراسات الاستشراقية من أن الإسلام دين رجعي، وجامد، يناقض الحداثة، ويحتاج الى إعادة إصلاح وتحديث، وإذا كانت هذه نظرة القرن الثامن عشر، فهي اليوم أكثر تأثيرا بسبب تسويقها عبر وسائل الإعلام، في هذا الإطار يقول الباحث السيد ولد أباه أن: "علاقة الإسلام بالحداثة فكرا وقيما في الفكر الغربي يحكم عليها في الغالب بأنها منقطعة أو مستحيلة؛ ويقوم هذا الحكم على مقارنة أنتروبولوجية سائدة ركزها عالم الاجتماع المعروف "إرنست غلنر"، وفحوى المقاربة المذكورة هي أن الإسلام دين نصي طهوري له مضمون ثابت لا يتغير في ما وراء التحولات التاريخية والمجتمعية التي شهدتها العالم الإسلامي؛ وهو بذلك نسق مغلق محصن ضد التحديث والتطوير، وينظر إليه بصفته ديانة جامدة عاجزة عن التحديث عصية عن الإصلاح في مقابل الديانتين اليهودية والمسيحية اللتين عرفتا منذ القرن السادس عشر ثورات اصلاحية متتالية مكنتهما من التحرر من التصورات والقيم المعيقة للحداثة(السيد ولد أباه، 2004، 138).

وهذا ما يعبر عنه بعض المفكرين ب"الفوات التاريخي للإسلام" الذي يعزوه أصحابه إلى "تعلق المسلمين بـ: "النظرة الماضوية التي ضيقت عليهم فرص اللحاق بركب الحداثة، وقد عبرت عن هذه الوضعية الكاتبة الفرنسية المسلمة لوسيا كانوفي Lucia Canovi في مؤلفها "الإسلام بعيدا عن المظاهر"، والذي عملت من خلاله على تفكيك الصور النمطية الغربية عن الإسلام والمسلمين، واصفة ما كتب عن الإسلام بالكتابات المضللة والافتراءات السخيفة، تهم وخرافات، بحاجة إلى تنظيف، وكتبت: "يصف الغرب الإسلام بالديانة القديمة غير القادرة على استيعاب الحداثة بغرض التحقير والإهانة، ويستخدم أكثر الفئات المستقطبة للأزمات فيه(الشباب، والنساء) لوصفها بالديانة القاهرة للأجيال والمهينة للنساء، دين سجاد وحصير، لا يقّس العمل والمعرفة، دين خرافات مؤمن بـ: "يد فاطمة" والعين والحسد، دين وثنيّ يعبد "الحجر الأسود"... وغير ذلك من الأحكام المزعجة(عصام بن الشيخ، 2017).

وسبق أن وصف "محمد أسد" صورة العرب والمسلمين في الغرب والتي تشكلت عبر مئات السنين بقوله: "من الآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام، أن انحطاط حال المسلمين

ناتج عن اعتناقهم للدين الإسلامي ذاته، ولا يمكن اعتباره عقيدة دينية مثل المسيحية واليهودية، وأنه أقرب إلى خليط غير مقدس من خيالات الصحراء، والجنسية الشهبانية والخرافات والاتكالية والإيمان بالقدر، وهي قيم تحول بين المسلمين وبين إحراز أي تقدم اجتماعي للأرقى والأفضل...وبدلاً من تحرير البشر من عراقيل الغموض والظلام، كبهم الإسلام أكثر، وبمجرد تحررهم من العقيدة الإسلامية وتبنيهم مفاهيم الغرب في أسلوب حياتهم وفكرهم يكون ذلك أفضل لهم وللعالم كله(علي خليل شقرة،2015،41).

وعمدت لوموند ولوفيغارو عبر كتاب المقالات بشكل خاص لترويج أطروحة رجعية الإسلام وعدم قدرته على مواكبة الحداثة وما بعد الحداثة، وكتب الصحافي في لوموند والمتخصص في الصراع بين الشرق الأوسط والغرب Alain Frachon في مقال بتاريخ 16 جانفي 2015 مستحضرا ومدافعا عن الناشط السعودي رائف بدوي كنموذج عن هؤلاء المصلحين: "سيتم هزيمة الجهادية على أسس ثقافية ودينية، وهذا عمل المسلمين أولاً وخاصة أولئك الذين يريدون تطوير ممارسات معينة...الإسلام في حرب داخلية كما هو حال المسيحية في أوروبا القرن 16 عشر...المعركة الحقيقية والأكثر فعالية هي معركة مصلحي الإسلام.(Alain Frachon,16 janvier 2015).

وهي الدعوة التي تجد لها أصلاً لدى الأب "موريس يورمان" في كتابه حول الحوار المسيحي - الإسلامي ولمنح الفرصة لأتباع هذا الدين للحاق بركب الحداثة فهو يرى أن مشكلة الأصولية متجذرة في الإسلام نفسه باعتباره عقيدة وشريعة، ويقدم "النصح" للمسلمين بإصلاح دينهم أسوة بتجربة الإصلاح البابوي التي اختارت السير في ركب الحداثة، بينما بقي المسلمون مترددين وخائفين من خوض تجربة الحداثة وقطع الصلة بكل ما يعيقها من أفكار ومعتقدات تقصي الآخر وتشجع على العدوانية والعنف(علي ميناوي،2015).

وتجاهلت لوموند ولوفيغارو للعديد من النماذج المتطورة للدول والمجتمعات الإسلامية، وللنماذج الناجحة من المسلمين أفراداً وجماعات في عدة مجالات في بلدانهم وفي الغرب وفي فرنسا بشكل خاص، ومن المتفق عليه في آليات وسائل الإعلام في صناعة الصور النمطية أن تجاهل وحذف أي صورة أو سلوك إيجابي للشخص أو الفئة المراد تنميطها وسلب الصفات الإنسانية عنها من شأنه ترسيخ الصورة النمطية السلبية السائدة.

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو على أن الإسلام تهديد للائتكية الجمهورية بنسبة **42.22%** في لوفيغارو و**40.76%** في لوموند، ثم الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات بنسبة **36.89%** في لوفيغارو و**35.76%** في لوموند، وفي آخر الترتيب الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة بنسبة في لوفيغارو و**20.89%** و**23.48%** في لوموند.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع توصلت إليه دراسة "محمد البشير بن طبة" إلى أنه كثيرا ما تربط لوموند في تغطيتها مضامين الإسلام والمسلمين، الإسلام بالرجعية والتخلف كما أنها ركزت على فكرة معارضة الإسلام للحريات العامة وحقوق الإنسان.

- جدول رقم (09) يبين توزيع الإسلام والإرهاب في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		المواضيع الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
31.52	109	39.58	171	فرنسا تحت التهديد الإرهابي
16.18	56	16.89	73	نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام
17.91	62	12.50	54	التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا
34.39	119	31.03	134	الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط
100	346	100	432	المجموع

تعكس الأرقام في الجدول أعلاه:

- صحيفة لوفيغارو: فرنسا تحت التهديد الإرهابي **39.58%**، الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط **31.03%**، نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام **16.89%**، التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا **12.50%**.

- صحيفة لوموند: فرنسا تحت التهديد الإرهابي **31.52%**، الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط **34.39%**، التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا **17.91%** نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام **16.18%**.

يبين تحليل بيانات الجدول أن لوموند ولوفيغارو قد تبنتا أطروحة الإرهاب الإسلامي وتهديده للغرب، حيث بلغت نسبة فرنسا تحت التهديد الإرهابي **39.58%** في لوفيغارو و **31.52%** في لوموند، ما من شأنه أن يرسخ مجددا من الصور النمطية السائدة عن الإسلام وعلاقته بمفاهيم العنف والإرهاب، ويمكن تفسير ذلك بتأثر الصحيفتين بالفكر الغربي والأمريكي على وجه خاص، الذي راح يروج لأطروحة الإرهاب الإسلامي المستمدة أساسا من تاريخ الفكر الكنسي والاستشراقي الذي كان السباق لترويج هذه الصورة باعتبار الإسلام الدين الذي انتشر بالسيف والعنف وسفك الدماء، وهي الصورة التي أعيد انتاجها في صيغة الحرب الإرهاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، طالما أن إعلان الحرب على الإسلام كانت تحيط به العديد من المحاذير يتقدمها تهديد مصالح الغرب في العالم الإسلامي.

وعرف العداء الإعلامي والأكاديمي في فرنسا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر درجات متصاعدة فكلمات مثل (التطرف والأصولية والإسلاموفوبيا، وتنظيم القاعدة، حركة طالبان، الجهاد الإسلامي، الإخوان المسلمون، إيران، العراق الجماعة الإسلامية، جيش محمد، أفغانستان..) غدت مفاتيح ومفردات أساسية في الإعلام الفرنسي عند تناوله الإسلام بعد هذه الأحداث، كما أن الصحافة اليومية والأسبوعية مثل لوموند، ولوفيغارو وفرانس سوار وليبيراسيون ولوماتان ركزت في عبر موضوعاتها ومقالاتها الأسبوعية على البعد العدائي والحربي للإسلام والمسلمين الفرنسيين على وجه الخصوص، وتناقست عناوين الصحف ما بين الإثارة والتهويل وخلوها من الموضوعية حتى في تناول التحليلي للأحداث فظهرت عناوين مثل: (الصدمة، الإسلام يعلن الحرب على الغرب، هل يجب الخوف من الإسلام، هل تصبح أوروبا قارة إسلامية على المدى البعيد، لماذا يظل الإسلام في أوروبا والإسلام يكرهنا، بعد أمريكا الدور على أوروبا، الإرهاب باسم الله، المسلمون أعلنوا الحرب المقدسة على الغرب، القنبلة الإسلامية هل تقضي على المسيحية في الغرب، ابن لادن هل هو الإسلام، أما

أن الأوان لطرد كل المسلمين من أوروبا) ولاشك أن هذه العناوين هي مكونات أساسية في الصورة الموروثة عن الإسلام في فرنسا (مجدي الداغر، 2009، 445، 444).

وبنفس النهج الذي كان أكثر حدة بعد أحداث شارلي ابيدو لم تتوان لوموند ولوفيفارو في الربط التلقائي بين الإسلام والإرهاب، وسارعتا عملا بالتقليد الأمريكي إلى إطلاق صفة الإرهاب على هذه الأعمال ومرتكبيها، مع ذكر العرق والديانة التي ينتمون إليها باعتبارهم عرب ومسلمين، استمرار منهما أيضا في عملية تعريب الإرهاب وأسلمته، على الرغم من أن مفهوم الإرهاب بحد ذاته مختلف عليه دوليا وليس هناك اتفاق موحد ومحدد دوليا لما هو الإرهاب وما يدخل من أعمال في نطاق الإرهاب.

ويتضح هنا كيف تتعامل لوموند ولوفيفارو بازدواجية في المعايير وبالكيل بمكيالين بذكر عرق وديانة منفذ الأعمال إذا كان مسلما والتغاضي عن ذلك إذا كان الفاعل من عرق وديانة أخرى، يقول الباحث حسن عزوزي: " ليس مفهوما أن يكون المسلم وحده من دون كل البشر هو الذي تذكر هويته الدينية وليس القومية إذا قام بفعل عمل شنيع؛ فبعد الذي فعله الروس في الشيشان لم يقل أحد إن تلك الجرائم ارتكبتها أرثوذكس كما أحدا لم يذكر طيلة نصف قرن من الزمن أن النازيين بأفعالهم وجرائمهم كانوا بروتستانت، ولا أن الفاشيين في إيطاليا كانوا كاثوليكيا إن الذي يبدوا واضحا أن إصااق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين يعطي الحدث نكهة خاصة لدى الغربيين ويحلوا لوسائل الإعلام الغربية المختلفة النفخ بقوة في عملية المزاجية الباطلة بين الإسلام والإرهاب(حسن عزوزي، 57).

كما تجاهلت الصحيفتان أن الإرهاب ظاهرة عالمية ولا يقتصر على قلة من المسلمين من حيث إنه واقع على اختلاف الأوطان والأزمنة، ومن أمثله ما كان قد نشر من الغاز السام في مترو الأنفاق طوكيو بواسطة بعض البوذيين، وما قام به أحد المسحيين من تفجيرات في مدينة أوكلاهوما بالولايات المتحدة، وما ارتكبه الهندوس في الهند والبوذيين في بورما من أعمال إرهابية ضد المسلمين، وما انغمس فيه المسحيون الأرثوذكس من التطهير العرقي الشائن للمسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وكذلك العنف المرتبط بالمخدرات بين الدهماء الكاثوليك في أمريكا اللاتينية، وأعمال الإرهاب من جانب طائفة التأميل الهندوسية ضد الحكومة البوذية في سيريلانكا، وكان للبابوية تاريخ في الفساد والاستبداد، كما نشبت حروب

دينية طاحنة بين طوائف المسيحيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر وكانت حصيلتها مئات الألوف من الضحايا، كما راح ضحية الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ملايين من الناس وكان المسيحيون يقتل بعضهم بعضا دون رحمة أو إنسانية (جون اسبيزتو و داليا مجاهد، 2008، 23-24).

وحيث أن الصورة النمطية تقوم على سحب صفات شخص، أو بضعة أشخاص من الفئة المراد تمييزها على بقية الأفراد دون النظر لما بين أفراد هذه الفئة من فروق عمدت لوموند ولوفيغارو مستغلة الأحداث إلى تعميم سمة الإرهاب على دين وأمة بأكملها بسبب سلوكيات وتصرفات معزولة من قبل أفراد لا يمثلون إلا أنفسهم، هذا إذا سلمنا بالرواية الفرنسية الأحادية والقائلة بارتكاب هذه الأعمال من قبل الأخوين كواشي الجزائريين العربيين المسلمين، واستبعدنا فرضية ضلوع المخابرات الفرنسية أو القوى الصهيونية والموساد؛ وذلك بحسب ما تم تداوله في بعض التقارير الإعلامية، كما تجاهلنا أيضا أن الإخوة كواشي قبل أن يكونا عربيان مسمين جزائريين فهما مواطنان فرنسيان.

والتوجه ذاته يتبناه صناع القرار في الإليزيه، ونورد في هذا السياق ما وصف بأنها رسالة سياسية واضحة للساحة الفرنسية وجهها الرئيس "إيمانويل ماكرون" في خطابه خلال مراسم التكريم الوطني للضابط الدركي أرنو بيلترام الذي قتل خلال الهجمات الثلاثية الإرهابية التي نفذها الفرانكو مغربي رضوان لقديم، وقال فيها أن "ما اقترفه رضوان لقديم سيبقى وصمة عار على عائلته، وعلى كل من يؤمن بهذه الديانة"، وكيف الاعتداءات على أنها "هجوم إرهابي إسلاموي، مقاطعا بذلك الخطابات الرئاسية السائدة التي لم تكن تتحدث عن الإرهاب والإسلام في الوقت نفسه، كما ربط بين هجمات رضوان لقديم ومقتل امرأة يهودية في الدائرة الـ11 بباريس في إطار اعتداء معادي للسامية قائلا بأنها" النزعة الظلامية البربرية ذاتها التي قتل فيها الجهادي الضابط الدركي (www.elkhabar.com، 2018).

وفي الإطار نفسه نسبت الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام بنسبة **16.89%** في لوفيغارو، و**16.18%** في لوموند، وقد وصف بعض الكتاب المتحاملين للإسلام بالدين الوحشي والبربري، الذي يدفع بأتباعه لهذه الأعمال البربرية هذا المصطلح الذي يحيل مباشرة للصور

النمطية التي افرزتها الدراسات الاستشراقية والأنثروبولوجية عن المسلم العربي المتوحش والبربري في مقابل الأوربي المتمدن والمتحضر.

وكتبت لوموند في افتتاحية "201512 janvier تحت عنوان "بعد التعاطف.. الشجاعة" وفي سياق الحديث عن اتحاد الفرنسيين واتحاد كل دول ورؤساء العالم مع فرنسا: "مئات الملايين من الفرنسيين ومن كل أنحاء العالم اجتمعوا، كلهم كانوا هنا من أجل اظهار ضحايا الوحشية الإسلامية... وعبروا بصمت عن ارتباطهم الوثيق بالمبادئ الديمقراطية والجمهورية، من أجل الدفاع بكل بساطة عن قيمنا وحرماننا."، وجاء افتتاحية لوفيفارو و13 جانفي وصف الأحداث بالجريمة البربرية التي كانت فاصلة بين مرحلة ما قبل وما بعد الهجمات- اسوة بما قبل وما بعد 11 من سبتمبر- وأن الإرهابيين قد أعلنوا الحرب.

وفي مقابل الفرنسي العاشق للحياة، وصفت الصحيفتان المسلمين بالمحبين للموت والكارهين للحياة، والانتحاريين، مما يسهم أكثر في شيطنتهم ونزع صفة الإنسانية عنهم وتجريدهم منها؛ وهي من بين الأليات المتعارف عليها في صناعة الصورة النمطية السلبية للآخر، وبالمقابل تتجاهل لوموند ولوفيفارو وحشية الغرب وإرهابه سواء كان مرتكب من قبل دول أو مجموعات. ويذهب الباحث والخبير في الشؤون الإسلامية أوليفيه روا إلى أن الأعمال الانتحارية لا ترد مطلقا في العادات الإسلامية التقليدية؛ فالشهيد هو من يقتل في ساحة المعركة لا من يتعمد الموت، بيد أن هذا الشكل من أشكال الإرهاب لا يقتصر على المسلمين من دون سواهم فهو شائع لدى نمور التأميل في سريلانكا(أولفيه روا، 2003، 23)، كما توصل روبرت بيب في كتابه «الاستماتة للفوز» عن ظاهرة العمليّات الانتحاريّة المعاصرة إلى الاستنتاج أنها غير مرتبطة بدين أو بعقيدة واحدة، وأن شعوباً مختلفة ذات مذاهب مختلفة(بما فيها يسار ملحد) ارتكبت أعمالاً كهذه (أسعد أبو خليل، 2015).

وهناك إحصائيات تشير إلى أنه ومنذ خمسة عشر عاما كانت بريطانيا الأكثر تعرضا للهجمات 403 هجوماً ومن ثم تأتي اليونان 369 هجوماً، وإسبانيا 362 هجوماً، وفي كل حالة تأتي معظم هذه الهجمات من انفصالي إيرلندا الشمالية، واليمين المتطرف، والانفصاليين الباسك والانفصاليين الكورسيك، وقام تنظيم الجيش السري OAS بتجريف قطار مع التفجيرات أوقع 28 ضحية، ووصل عدد الهجمات الإرهابية إلى 2564 ما بين 1792 و2013 وحسب

إحصائيات Global Database of Terrorism فإن الإرهابيين الإسلاميين لم يكونوا مسؤولين سوى عن 3 هجمات أي بنسبة 1 بالمائة، بينما وصل هجوم الانفصاليين الكورس ما مجموعه 214 هجومًا لتلك الفترة، بينما ذهب رئيس المجمع اليهودي CRIF "روجر كوكرمان" إلى أن جميع الهجمات الإرهابية التي أوقعت ضحايا في هذه الفترة الحديثة جاءت من الإسلام، وهناك إحصائية منظمة حكومية أوروبية تؤكد على أن نسبة الهجمات من التنظيمات الإسلامية لم تبلغ سوى 0.4 بالمائة من الهجمات الإرهابية في أوروبا في عام 2009 وفي عام 2006 وقع 498 هجومًا في أوروبا لم يكن من بينها سوى هجوم واحد يُنسب إلى الإرهابيين الإسلاميين وفي عام 2009 وقع 294 هجومًا إرهابيًا، نُسب هجوم واحد فقط للإرهابيين الإسلاميين ومعظم هذه الهجمات تعود للانفصاليين الباسك والكورس (شاكور نوري، 2018).

ولم تكف لوفيغارو ولوموند بالصاق تهمة الإرهاب بالإسلام من خلال استغلال حادث "شارلي إيبدو"، بل عمدتا إلى للتذكير بأعمال إرهابية تم تنفيذها داخل وخارج فرنسا، حيث بلغت نسبة هذه الفئة **12.50%** في لوفيغارو و**17.91%** في لوموند، وذلك من خلال عودتها إلى ربط وتشبيه حادثة "شارلي إيبدو"، بتلك الأحداث، ومنها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ومختلف التفجيرات في الدول الأوروبية وفي الداخل الفرنسي، مع التذكير بأسماء من قاموا بها مثل (ابن لادن، قلقال، محمد مراح، جمال بغال..)، ومن المعروف في مجال صناعة الصورة النمطية أن استدعاء المخزون التاريخي لتفسير الواقع الحالي من شأنه إثارة وتحفيز الذهن أكثر لتقبل المضمون الحالي، وذلك عن طريق التكرار ومن شأن هذا التكرار أن يؤكد ويرسخ صورة المسلمين الإرهابيين والعلاقة الوثيقة بين الإرهاب والإسلام، وهي الصورة التي تريد الصحيفتان تسويقها وترسيخها في الأذهان.

وبناء على ما سبق يبدو جلياً أن الصحيفتان تعملان على إبراز صورة سلبية للإسلام من خلال انتقاء بعض الأحداث وزوايا معالجتها، والتركيز عليها في مقابل حذف وتجاهل الحديث عن الخلفيات والسياقات والأسباب والدوافع الفعلية لهذه الأحداث، حيث يتم اللجوء إلى الأحكام الجاهزة التي تربطها مباشرة بالإسلام، ومن ثم معالجتها باعتبارها وليدة فقط لإرهاب الإسلام والمسلمين وكرههم وحقدهم على الغرب وعلى فرنسا، ومن شأن حذف خلفية الأحداث

وسياقاتها المتنوعة أن يؤطر الإسلام في زوايا المعالجة والسياقات التي تحددانها وتعمل على انتقائهما.

وانتقاء هذه المواضيع والتركيز عليها من دون أن تتناقض مع الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين السائدة في الثقافة الفرنسية، مع حذف خلفيتها يعد بمثابة آلية مقصودة لصرف اهتمام الرأي العام والمواطن الفرنسي عن المشاكل اليومية والفعلية التي يعانيها خاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي، يقول في هذا الإطار المؤرخ وعالم الأنثروبولوجيا الفرنسي "إيمانويل تود" صاحب كتاب "من هو شارلي"، في تعليقه على المظاهرة (العالمية) التي نظمت في باريس ضد الإرهاب يوم 11 جانفي: "مهما كانت التعبئة الشعبية ضد الإرهاب التي عرفناها في 11 يناير، إلا أن هذا لا يجب أن يخفي المشاكل التي يعاني منها الفرنسيون، وهي البطالة ونقص المساكن وانخفاض القدرة الشرائية، وذلك يدعو بالضرورة إلى مجازفة كبيرة تتلخص في تصعيد العنف، وفي جعل الإسلام والمسلمين محل غضب شعبي حقيقي خاصة في إطار صعود اليمين المتطرف الذي يركز على هذا الجانب لكي يزرع بين أوساط الشرائح الاجتماعية الكراهية ضد الآخر (الطيب ولد العروسي، 2015).

ولا يخلو تركيز لوموند ولوفيفارو على هذه المضامين وترويجها من التوظيف الاستراتيجي والسياسي، وذلك بدعمها لسياسات الحكومة الفرنسية، والتبرير لمختلف الإجراءات المتخذة أو تلك التي ستتخذ، وبشكل خاص إضفاء الشرعية والقبول بالحرب التي أعلنتها وشتتها فرنسا على الإرهاب داخليا وخارجيا، وتحديدًا للتدخل العسكري الفرنسي خارجيا بحجة ملاحقة ومحاربة الإرهاب والجماعات الإسلامية الجهادية؛ حيث بلغت فئة الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط نسبة **31.03%** في لوفيفارو، و**34.39%** في لوموند.

وكما سبق الإشارة إليه في الجدول (6) فإن لوموند ولوفيفارو، ومن خلال تسويق صورة الإسلام العدو في ثوب الإرهاب الإسلامي والذي تصفه أحيانا بالإرهاب الجهادي، تسعيان لإثارة مشاعر الكراهية ضد الإرهابيين الهمجيين البربريين المدعومين من قبل جماعات جهادية؛ وبشكل خاص داعش والقاعدة في المغرب وفي اليمن، وبوكو حرام في منطقة الساحل، وهذا من شأنه أن يخلق الرغبة في الثأر والانتقام وتقبل أي إجراء تتخذه

الحكومة الفرنسية، وما كان ليتقبله الرأي العام من دون شيطنة هذا العدو وتسويقه في أكثر الصور وحشية وخطورة على حياة المواطن الفرنسي والغربي، وغير خفي أن هذا الإجراء يتمثل في إعلان الحرب على هذا العدو.

في هذا الإطار كتبت لوموند في صفحتها الأولى بتاريخ 17 جانفي تحت عنوان "أوربا في مواجهة الخطر الجهادي" وفي نفس العدد كتبت في افتتاحيتها تحت عنوان "في مواجهة الجهاد الجيش عاجز مبتور" أن فرنسا في حرب على الجبهتين الداخلية والخارجية وذلك في إشارة لمواجهة الجيش الفرنسي للجهاديين في شمال مالي، في العراق، مضيقة: "لم نحس من قبل بهذا القدر من الخطر على البلاد مما يتطلب إجراءات استثنائية" وتطالب الصحيفة من خلال افتتاحيتها بضرورة تقوية الجيش والاجراءات العسكرية(22،2015 17 janvier).

وعليه أمكن القول أنه رغم استقلالية لوموند ولوفيغارو، واختلاف سياستهما التحريرية فإن مواقفهما جاءت داعمة لسياسات الحكومة الفرنسية، بالترويج والتأكيد على أن فرنسا تحارب الجماعات الإسلامية والتنظيمات الجهادية في الساحل، وفي سوريا والعراق، بهدف كسب تأييد ودعم الرأي العام الفرنسي لهذه الحرب، وتهيئته لتقبل أي اجراءات تتخذها الحكومة للحفاظ على أمن فرنسا والفرنسيين وحماية الأمن القومي الفرنسي.

إن لوموند ولوفيغارو، وبهذه المضامين قد انخرطتا في دعاية الحرب على الإرهاب، والتي سبق أن سوقها الإعلام الأمريكي بشكل خاص بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكما حملت الإدارة الأمريكية الأحداث لتنظيم القاعدة واتخذتها ذريعة لاحتلال أفغانستان، ومن بعدها العراق لأهداف استراتيجية لم تعد خافية على أحد، من الواضح أن الحكومة الفرنسية مدعومة بصحافتها، قد استغلت أحداث "شارلي ابيدو" التي وصفها لوموند(بالحادي عشر من سبتمبر الفرنسي)، بعد أن حملت مسؤوليتها لتنظيم داعش لإعلان الحرب على الإرهاب في الساحل الافريقي، والمشاركة في التحالف الدولي لمحاربهه في الشرق الأوسط(سوريا، العراق واليمن)، وراحت الصحيفتان تمتدحان الحرب على الإرهاب في الساحل.

وعمدت لوموند ولوفيغارو لحذف الأسباب والدوافع الفعلية لمثل هذه الحروب، والتي تهدف أساسا لتمرير وتنفيذ العديد من الأجندات الداخلية والخارجية، بما يخدم المصالح الحيوية والاستراتيجية للحكومة الفرنسية، والتي تجعلها - رغم ما تعانيه من مشاكل اقتصادية - تدفع

بجيوشها وعتادها العسكري وتخصص ميزانيات كبيرة لهذه الحرب هذا مع تدخلها سابقا في مالي. فقد أضحت منطقة الساحل الإفريقي، تثير اهتمام فرنسا وغيرها من القوى الدولية على كل المستويات الإستراتيجية الاقتصادية والسياسية، لاسيما بعد انقلاب الجيش على نظام الرئيس المالي "أمادو توماني" في مارس 2012، مما أعاد بعث التواجد الفرنسي العسكري في المنطقة، فأصبح الساحل أحد أهم المجالات الجيوسياسية التي دخلت الحسابات الفرنسية (حمزة عتبي، 2016).

كما يدخل في هذه الحسابات دفاع فرنسا عن نفوذها التاريخي هناك، مقابل استماتة الجزائر في الدفاع عن امتدادها الطبيعي في منطقة "الساحل الإفريقي" التي تشهد صراع زعامة ونفوذ وهيمنة بين الجزائر وباريس... فرغم التعاون الظاهر بين البلدين خاصة في المسألة الأمنية والحد من خطر الإرهاب، فقد بدا التنافس جلياً بشأن الزعامة في منطقة الساحل الإفريقي بصفقتها ممر يتوسط دول جنوب الصحراء مع الشمال، وصولاً للبحر الأبيض المتوسط وأوروبا. وعليه فقد وجدت فرنسا في "الحرب على الإرهاب" حجة قوية لتبرير تدخلها سياسياً وعسكرياً في دول أفريقية تمرّ بأزمات، ومن أسباب العودة والتدخل الفرنسي بهذه القوة إلى القارة السمراء هي:

1- سياسياً:

تسعى فرنسا لتحويل الفرانكفونية من مجرد تجمع ثقافي إلى حركة سياسية حيث تهدف إلى إنشاء تجمع سياسي فرانكفوني في إفريقيا له صوت سياسي يؤخذ به في الساحة الدولية، والحفاظ على استقرار الأنظمة السياسية الأفريقية الموالية لها، ويؤدي هذا الاستقرار إلى ازدهار الاستثمارات الفرنسية في القارة التي ظلت إحدى أهم دوائر السياسة الخارجية الفرنسية، وهو ما عبر عنه الرئيس الفرنسي الأسبق "فرانسوا ميتران" عام 1994 أنه "بدون أفريقيا لن يكون لفرنسا تاريخ في القرن الحادي والعشرين".

2- اقتصادياً:

هناك مصالح اقتصادية هائلة لفرنسا في إفريقيا، فقد صرح وزير الخارجية "لوران فابيوس" في 14 كانون الثاني 2013 لتبرير الهجوم الفرنسي على شمال مالي "لقد كانت المصالح الأساسية بالنسبة لنا ولأوروبا ولأفريقيا على المحك، لذلك كان علينا التحرك

بسرعة"، وغلّف "فرانسوا هولاند" حقيقة الأهداف الخفية بغطاء الحرب على الإرهاب وتطوير العلاقات الاقتصادية. وقد قال في قمة "فرنسا- أفريقيا للسلام والأمن" بباريس (2013): "لقد دقت ساعة أفريقيا، على الشركات الفرنسية ألا تتردد في الاستثمار في هذه القارة، بل عليها القيام بذلك لأنها تشهد ديناميكية اقتصادية قوية وهي تعتبر قارة المستقبل".

وتزداد أهمية المنطقة بالنسبة لفرنسا، بما يحمله باطنها من ثروات نفطية وغازية ومعدنية كبيرة (الذهب، البوكسيت، اليورانيوم، الحديد، النحاس، الليثيوم، المنجنيز، الفوسفات، الملح..)، تقع على مقربة من حقول النفط الجزائرية التي تشكل مطمعا كبيرا للفرنسيين ولقوى دولية أخرى تسعى لأن يكون لها موطن قدم في العمق الإفريقي وتهيمن على ثرواته الكثيرة والمتنوعة (عائد عميرة، 2017)، كما تعتمد فرنسا في تلبية نحو 75% من احتياجاتها من الكهرباء على الطاقة النووية، كما أن شركة أريفا الفرنسية (Areva) ظلت على مدى قرون أربعة ماضية تهيمن على حقوق استغلال اليورانيوم في النيجر، وكان نائب في البرلمان البلجيكي قال إن "الهدف من الحرب الفرنسية على مالي هو السيطرة على اليورانيوم ونحن لسنا مغفلين"، وأكد "أن فرنسا تقوم بهذه الحرب لإنقاذ شركتها العملاقة أريفا، ومجابهة القوة الصينية وللثأر من التدخل الأميركي في المنطقة التي تعتبرها فرنسا ملكا لها"، وتأسيسا على هذه السياسة، اتسعت المصالح الاقتصادية الفرنسية عبر القارة، حتى بلغ عدد الشركات الفرنسية التي تعمل في إفريقيا حوالي ألف وخمسمائة شركة، وبهذا فإن أي محاولات لتهديد استقرار الأوضاع ونشر الفوضى في النيجر ومالي والمنطقة المحيطة يعتبر تهديدا لأمن فرنسا، وخطا أحمر تجاوزه يعني التدخل الفوري والحاسم.

3- الاستراتيجية والأمنية:

أما من الناحية الاستراتيجية والأمنية فبعد انتهاء الحرب الباردة تحولت السياسة العسكرية من منع انتشار النفوذ السوفييتي في القارة والحد من انتشاره إلى التصدي للخطر الذي يهدد مصالحها في القارة متمثلا في القوى الدولية والإقليمية الصاعدة كالولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان، كما أن فرنسا تسعى إلى السيطرة على المواقع الإستراتيجية في بعض أنحاء القارة كقاعدة جيبوتي لمراقبة المدخل الجنوبي للبحر الأحمر الجنوبي، وهو الممر المائي بالغ الأهمية على المستوى الاستراتيجي والتجاري وذلك لمشاطته للملكة العربية السعودية، وقربه من بقية دول الخليج، بالإضافة إلي ربطه لخطوط التجارة العالمية بين جنوب

وشرق آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط، فالأزمة في إفريقيا الوسطى، والحرب في مالي والصعود بالقوة لمجموعة بوكو حرام في غرب إفريقيا، كلها عوامل تدفع نحو تغيير قواعد اللعبة فيما يخص الاستراتيجية الأمنية والعسكرية الفرنسية في المنطقة، ففي البداية، كان التواجد العسكري الفرنسي أنيا، أما اليوم، فهناك جنوح نحو انتشار دائم وأكثر استراتيجية للقوات الفرنسية لتغطية أكبر مساحة ممكنة من دول المنطقة (حمد جاسم محمد، 2015).

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول وجاء في الصدارة فرنسا تحت التهديد الإرهابي بنسبة **39.58%** في لوفيغارو، و**31.52%** في لوموند تلاها الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط بنسبة **31.03%** في لوفيغارو **34.39%**، في لوموند، واختلفتا في ترتيب الفئتين الأخيرتين التي عادت على التوالي لفئة نسب الهجمات الدموية الوحشية والبربرية للإسلام بنسبة **16.89%** التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا **12.50%** في لوفيغارو، وفي لوموند التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا **17.91%** نسب الهجمات الدموية الوحشية والبربرية للإسلام **16.18%**.

➤ اتسقت نتائج الجدول مع افتراضات نظرية الإطار الإعلامي أن وسائل الإعلام تعتمد إلى تأطير المواضيع والأحداث وفق زوايا المعالجة والأهداف التي تحددتها الوسيلة الإعلامية وتسعى إلى تحقيقها، وذلك من خلال آليات التركيز والانتقاء في مقابل التجاهل والحذف والاستبعاد لكل ما قد يخالفها

➤ اتفقت نتائج الجدول مع ما توصلت إليه دراسة "مُنيّة عبيدي" أن أغلب المقالات في الصحافة الفرنسية أجمعت على أن ما حدث في 7 جانفي و13 نوفمبر 2015 أمر رهيب جعل فرنسا تدخل مرحلة جديدة من تاريخها وهي مرحلة الحرب على الإرهاب، و تسود المعجم الذي استعمل لتعيين منفذي العملية سمتان أساسيتان هما: الإرهاب والإسلام، إلى جانب عدة سمات أخرى فرعية ولكنها مرتبطة بهما وناتجة عنهما في نظر الصحافة الفرنسية. فإذا كانت السلطة قد أعلنت الحرب فإنه من المنطقي أن يكون العدو هو من بدأ بالهجوم، ولكن من خلال المعجم المستعمل لوصف منقذي العملية فالحرب ستكون على الإرهاب وبالتحديد على الإسلام.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع دراسة "محمد الشرقاوي" التي توصلت لوجود الازدواجية في الطرح الإعلامي الأمريكي خلال عام 2015 وأيضًا منذ 2001؛ عندما لا يتردد بعض المذيعين والمحللين في "استخلاص" الأسباب الكامنة خلف الهجمات المسلحة بالنظر إلى اسم المهاجم وأصله العرقي، حيث يتم التلويح بورقة الخلل العقلي إذا كان اسم المهاجم أميركيًا أبيض؛ وفي المقابل، يكون تغليب احتمال النوايا الإرهابية إذا كان الاسم عربيًا أو مسلمًا.

- جدول رقم (10) يبين توزيع الإسلام السياسي في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		المواضيع	الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
32.79	81	31.59	66	التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي	
22.26	55	18.18	38	الإسلام الوهابي	
44.95	111	50.23	105	الخلط بين الإسلام، الإسلاموية الأصولية	
100	247	100	209	المجموع	

تشير معطيات الجدول إلى:

- صحيفة لوفيغارو: الخلط بين الإسلام والإسلاموية والأصولية 50.23% التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي بنسبة 31.59% الإسلام الوهابي بنسبة 18.18%.

- صحيفة لوموند: الخلط بين الإسلام والإسلاموية والأصولية 44.95%، التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي بنسبة 32.79%، الإسلام الوهابي بنسبة 22.26%.

يبين تحليل بيانات الجدول، أن لوموند ولوفيغارو قد عادتًا مجددًا للخلط بين المصطلحات والمفاهيم، وجاءت فئة الخلط بين الإسلام والإسلاموية، والأصولية في صدارة الترتيب بنسبة 50.23% في لوفيغارو وبنسبة أيضا كبيرة وصلت إلى 44.95% في لوموند.

ولوحظ أن الصحيفتان توظفان مصطلح الأصولية في بعض المواضع بمعنى الإسلاموية، كما تم وصف الإسلاميين ومن ينتمون للإسلام السياسي بالمتطرفين والمتعصبين، وأحياناً يستخدم مصطلح المسلمين بدل الإسلاميين، وكما سبق الإشارة إليه في الجدول رقم(4) يمكن أن يكون هذا الخلط ناجم عن جهل للفروق بين هذه المصطلحات، أم هو خلط متعمد لتمرير رسائل تفيد بأن لا فرق بين الإسلام والإسلاموية والتطرف والتعصب... الخ، وهذا يوحي بعدم وجود فرق بين المسلمين والإسلاميين والأصوليين والملتزمين، بما قد ينجم عنه تعميم النظرة إلى كل مسلم بأنه إسلامي وأصولي، خاصة بالنسبة للقارئ الفرنسي والغربي غير المطلع على طبيعة الاختلافات بين هذه المفاهيم والمصطلحات ودلالاتها غير المتفق عليها عند العرب والمسلمين أنفسهم، ومن المعروف عن صحيفة "لوموند" أنها تستعمل بشكل ثابت تعبيرين للإشارة إلى المسلمين أولهما المسلمون " وثانيهما "الإسلاميون" وهي تقصد بالأول كل من تربطه علاقة دينية أو ثقافية بالإسلام، كما أنها تقصد بالثاني كل من يعمل بنشاط وجهد على جعل الدولة تطبق تعاليم الإسلام حسب فهمه هو لها(انجلمار كارلسون، 2003،55).

واتخذت لوموند ولوفيغارو منحى الإعلام الغربي وكل من يقصر الأصولية على الدين الإسلامي والمسلمين، وهذا يخالف الواقع والحقيقة، ووفق الباحث "انجلمار كارلسون" فلا وجود لمفهوم "الأصوليين" في القاموس اللغوي الإسلامي ويقول في هذا الإطار: "إن الأصولية مصطلح دخيل على الثقافة الإسلامية، وهي صفة أطلقت على أصحاب العقيدة المسيحية ليميزوا عن أتباع المذاهب العصرية ذات المضامين التساهلية والمواقف النسبية، ومن أهم المقولات التي تعود إلى الأصوليين مبدأ "عصمة الانجيل"، وربما كان أشهر الأمثلة على نشاطهم ذلك هو القضية التي كتب عنها ونوقشت على نطاق واسع في عام 1925 حيث أقام الأصوليون دعوى قضائية ضد مدرس كان يعرض في محاضراته لنظرية داروين في التطور، وما يزال الأصوليين المسيحيون يشكلون قوة سياسية في أمريكا حتى اليوم، وحتى الشيخ في الهند برز بينهم أصوليون متطرفون يطالبون بدولة مستقلة لهم والأمر نفسه ينطبق على القومية السينهالية-البوذية في سريلانكا، وهي تعبير آخر من الأصولية المحلية(انجلمار كارلسون، 2003،53).

ومع أن ظاهرة الأصولية ليست مقتصرة على الإسلام غالباً ما يتم جعلها رديفاً للإسلام حتى غدت أشبه ما تكون بالعلاقة الفارقة التي تلتصق بكل من يقول "الله أكبر"، وعلى غرار تعبير "الأصولية" الوارد من أمريكا اعتاد الفرنسيون على استعمال تعبير les intégristes الذي يمكن ترجمته مجازاً إلى العربية "الجدريون"، وبتمحيص هذه العبارة نجد أننا مرة ثانية أمام مفهوم مستوحى من التاريخ المسيحي مباشرة ولا صلة له بالإسلام؛ فهذه العبارة كانت تطلق على المجموعات الدينية التي عارضت إصلاحات المجلس الكنسي الثاني للفاثيكان ولاسيما الإصلاحات التي تعلقت بطقوس الصلاة فهم مثلاً كانوا يريدون أن تظل اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية للقدس أن يبقى كل شيء على ما كان (المرجع نفسه، 54).

كما جاءت فئة التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي بنسبة معتبرة بلغت 31.59% في لوفيفارو، و32.79% في لوموند وركزتا بشكل خاص على الإخوان والتنظيمات السلفية، والوهابية، باعتبارها أكثر التنظيمات نشاطاً في الداخل الفرنسي وانطلاقاً مما تملكه هذه التنظيمات من قاعدة شعبية وإطار تنظيمي، إلى جانب الدعم المالي الذي يتلقونه من داخل وخارج فرنسا. وقد وجهت الصحيفتان أصابع الاتهام مباشرة بنشر الإسلام الراديكالي للإخوان المسلمين، والتنظيمات التي تتبنى الفكر السلفي والمحسوبة على الجالية الجزائرية، والتي تقطن نسبة كبيرة في ضواحي وحواشي المدن الكبرى، حيث ينشرون خطابهم المتطرف عبر سيطرتهم على المساجد والخطاب الديني والذي يؤدي مع مرور الوقت إلى اعتناق شباب المسلمين للفكر الجهادي.

وفي إطار انتقاده لإسلام الإخوان المسلمين من جهة وإسلام العربية السعودية (السلفية) التي تدعو للتطبيق الحرفي للقرآن الكريم، وتحت عنوان رواد الجهاد الفرنسي، كتب الصحافي في لوموند والصحافي السابق في Jacques follorou ، Le Canard enchaîné: "الإسلام الراديكالي هو رابط ومرجعية الرجال الذين يثيرون الخوف في فرنسا وفي العالم بعنفهم وإصرارهم اللامحدود، ويمتد لتاريخ محفور في قلب العاصمة باريس... (Jacques follorou, 18-19 janvier 2015)، ووصفت مارين لوبان الإرهابيين بالرعاك مؤكدة على العلاقة الوثيقة بين الإرهاب والإسلام الراديكالي "immigration et islamisme radical sont liés pour Marine Le Pen" 18-19 janvier, n21774. 2015؛ وكتب المراسل الحربي في لوفيفارو Renaud Glard: " في الحرب

العالمية المستمرة منذ أجيال ضد الغرب، لا تتوقف الإسلامية عن النمو (Renaud Glard) (2015,p15). ومثل هذه الكتابات توحى ضمناً للقارئ بعدم وجود فرق بين الإسلام والإسلاموية والإسلام السياسي سواء كان سلفي أو إخواني...إلخ.

ووجه عدد ممن حاورتهم لوموند ولوفيغارو- بصفتهم خبراء ومحللين- نداءات ودعوات بضرورة تحجيم دور هذه التنظيمات والقضاء عليها، وهي الدعوات نفسها التي طالبت بها العديد من الشخصيات السياسية الفرنسية، ومن بين هؤلاء المناضلة ليديا غيروس، ذات الأصول الجزائرية والناطقة الرسمية السابقة لحزب نيكولا ساركوزي، رسالة مفتوحة إلى وزير الداخلية الفرنسي السابق مانويل فالس، طالبت فيها بمنع هذا التنظيم الإخواني من النشاط باعتباره شبه حزب يساهم في نشر الفكر المتطرف لدى الشباب الفرنسي من ذوي الأصول الإسلامية. وهذا ما يؤكد قيادي سابق في هذا التنظيم محمد لويزي في كتاب/شهادة صدر أخيراً تحت عنوان "لماذا غادرت الإخوان المسلمين، عودة مضيئة إلى إسلام لا سياسي"، ولا يتردد الإخواني الفرنسي السابق في القول لجريدة لوفيغارو الفرنسية إن الاختلاف بين الإخوان والمتطرفين الآخرين هو اختلاف في درجة التطرف وليس في طريقة التفكير، ويضيف شارحاً "إن نظرنا إلى رسائل حسن البنا المتعلقة بالجهاد والتي تعد القاعدة الأساسية لتكوين الإخوان في فرنسا أو غيرها من الدول، لأدركنا حجم التطابق بين ما يُبشر به حسن البنا، والمكون الأيديولوجي الأساسي لدى داعش أو القاعدة، هي نفس النصوص العنيفة، نفس المصطلحات التي تنتهي باللجوء إلى العنف والإرهاب والدم(حميد زنار،2017).

كما يمكن تفسير أن الخلط بين هذه المفاهيم ناتج أيضاً عن انسياق لوموند ولوفيغارو ضمن الحملات الدعائية الساعية لتشويه الإسلام باختزاله في الإسلام السياسي وربطه بالراديكالية والتطرف، مع تضخيم ما تشكله الحركات الإسلامية من خطر، وهذا أيضاً ما دأبت عليه وسائل الإعلام والصحافة الفرنسية منذ بدايات اهتمامها بالإسلام السياسي والتركيز عليه وذلك مع ظهور ما وصف بالانبعاث والمد الإسلامي والحمى الإسلامية المهددة للغرب.

وغني عن الذكر أن توظيف هذه المصطلحات التجريدية والفضفاضة، مع تكرارها والخلط بينها عمداً أو جهلاً، سينتج عنه تأكيد الصورة المشوهة والمغالطة من أن الإسلام والتطرف، والأصولية والإسلاموية، والراديكالية كلها ألفاظ متعددة تشير لمعنى واحد، خاصة

وأن هذا يحصل هذا في عالم يشهد فوضى وتسيباً في العديد من مفاهيمه المتداولة تساهم في الأغلب وسائل الإعلام المعاصرة في تداولها كأسلحة جديدة تنشر مختلف أنواع الاضطراب الفكري والتشويش المعرفي، ويكفي هنا النظر إلى مفاهيم الإرهاب، التطرف الأصولية، للوقوف على مبلغ ما صارت تشكو منه هذه المفاهيم من غموض معرفي خطير وما تتعرض له أحياناً من توظيفات أيديولوجية وما تضره من مطامح سياسية (عبد المجيد الصغير، 2004، 178-179).

وما يؤكد استراتيجية التهويل الإعلامي لهذا الخطر، وجود دراسات تؤكد على انفصال غالبية الجالية المسلمة بفرنسا عن الإسلام السياسي، منها دراسة الباحث "سمير أمغار" من المدرسة العليا للدراسات الاجتماعية في باريس EHESS التي توصلت بعد القيام بالاستطلاعات والاستبيانات اللازمة، أنه لا تبلغ نسبة عدد الذين يمارسون الطقوس الدينية سواء عند المسلمين أو الكاثوليك 15 بالمائة و9 بالمائة من هذه العينة فقط يمكن اعتبارها مرتبطة بالأصولية الدينية، فعلى نسبة 5 ملايين من مسلمي فرنسا لا يوجد سوى 30 أو 40 ألفاً من الذين يمارسون الطقوس الدينية بانتظام، أي هناك فقط نحو 2 ألف منهم ممن يرتبطون بالإسلام السياسي، ويؤكد الباحث "لوران تيستوت" طارحاً السؤال التالي: لماذا يشغل الإسلام بمختلف الصيغ المشتقة منه (الإسلام الراديكالي، الإسلام الأصولي، الإسلام العنيف وغيرها) هذا الحيز الكبير في إعلامنا؟ ويجيب بنفسه: لأننا وجدنا أقلية مسلمة ثرثرة مثيرة إعلامياً وهي في الحقيقة لا تشغل أوساطاً واسعة من الناس (شاكر نوري، 2018).

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول، وجاء في المرتبة الأولى الخلط بين الإسلام والإسلاموية والأصولية بنسبة عالية بلغت **50.23%** في لوفيغارو، و**44.95%** في لوموند، متبوعة في المرتبة الثانية بفئة التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي بنسبة **31.59%** في لوفيغارو، و**32.79%** في لوموند وفي الأخير الإسلام الوهابي بنسبة **18.18%** في لوفيغارو و **22.26%** في لوموند.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع ما توصلت إليه دراسة "محمد البشير بن طبة" بأن ثوابت صحيفة لوموند اتجاه الإسلام في الغالب ثابتة، وبالأخص تجاه الإسلام السياسي والعمل

التنظيمي الإسلامي ومظاهر الالتزام وعلاقة المسلمين بالجهاد، وأيضا فيما يخص تميز التغطية الصحافية للوموند بالخط والافتقار إلى الدقة والتأصيل عند توظيف مصطلحات مثل " الإرهاب، الجهاد، الأصولية والإسلام " سواء مجتمعة أو منفردة.

- جدول (11) يبين توزيع المواضيع الاقتصادية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		الصحيفة الموضوع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
69.71	99	51.88	83	النفط ودوره الاستراتيجي
23.25	33	13.12	21	التنمية في الدول الإسلامية
07.04	10	35.00	56	المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي
100	142	100	160	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: النفط ودوره الاستراتيجي بنسبة **51.88%** المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي بنسبة **35.00%** التنمية في الدول الإسلامية بنسبة **13.12%**.

- صحيفة لوموند: النفط ودوره الاستراتيجي بنسبة **69.71%** التنمية في الدول الإسلامية بنسبة **23.25%** وفي ذيل الترتيب فئة المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي بنسبة **07.04%**.

يبين تحليل بيانات الجدول، أن الاهتمام بالمواضيع الاقتصادية بشكل عام لم يأخذ حيز كبير مقارنة ببقية المواضيع كما سبق الإشارة إليه في الجدول (3)، ويمكن تفسير احتلال فئة النفط ودوره الاستراتيجي صدارة الترتيب بنسبة **51.88%**، في لوفيغارو، و**69.71%** في لوموند بانعكاس الخطاب الرسمي على مضامينهما، حيث اتضح حسب تحليل العديد من الجداول أنهما تضعان المصالح الاقتصادية لفرنسا فوق كل اعتبار، خاصة إذا تعلق الأمر بأهم مصادر الطاقة في العالم المتواجدة بالعديد من الدول العربية والإسلامية، التي ارتبطت صورتها دوما في الإعلام الغربي والفرنسي بالنفط وأهميته الاستراتيجية في العلاقات بين فرنسا وهذه الدول.

وقد جاء الحديث عن النفط في سياق إثارة قضية الغاز الصخري في الجزائر، وفي سياق الحديث عن سيطرة ما تسميه لوموند ولوفيغارو بالجماعات الجهادية - خاصة داعش- على مصادر النفط في المناطق التي تسيطر عليها في سوريا والعراق، وكتب مراسل لوموند المختص في شؤون إفريقيا والشرق الأوسط Christophe Ayad تحت عنوان "العراق داعش ولادة دولة إرهابية:" إن داعش هي في الحقيقة خليط من الجماعات الإرهابية ، والدولة الموازية ومؤسسة المافيا التي تسيطر على 15٪ من الناتج المحلي الإجمالي العراقي، بما في ذلك آبار النفط واحتياطات ضخمة من الفوسفات(Christophe Ayad,2015,29).

وانعكس تباين السياسة التحريرية لكل من لوموند ولوفيغارو في اختلاف النظر إلى المهاجرين باعتبارهم عبئ على الاقتصاد الفرنسي، حيث جاءت هذه الفئة بنسبة متدنية 07.04% في لوموند، يقابلها نسبة مرتفعة في لوفيغارو بلغت 35.00%، وجاءت هذه النسبة متوافقة مع عبر عنه دوما اليمين المتطرف الذي يصور المهاجرين عالية على الدولة الفرنسية، وهو الموقف الثابت والراسخ لليمين والإعلام التابع له منذ إثارة قضية المهاجرين في الإعلام الفرنسي؛ حيث راجت هذه الفكرة منذ نهاية السبعينيات متزامنة مع الأزمة الاقتصادية وانتشار البطالة، وازدادت هذه الأزمة حدة منذ عام 1981 عندما استلم الرئيس الفرنسي السلطة في فرنسا وفيها قرابة مليون عاطل عن العمل، وانتهت ولايته الأولى بضعف عدد العاطلين مع فشل ذريع في اقتراح "جيسكار دي ستان" الرئيس الأسبق بإعطاء تعويض "سخي" لمن يعود لبلاده من المهاجرين من بلدان المغرب الكبير، ويمكن القول أن التخبط كان عنصرا مشتركا بين اليسار واليمين في ملف ماذا نفعل بهذا المهاجر وأظهرت استطلاعات عديدة وقتئذ تحول المهاجر "من مكسب اقتصادي إلى عبء عام"، وتجلت ذلك واضحا في صعود أصوات اليمين المتطرف المناهض للمهاجرين في الانتخابات الوطنية والأوربية(هيثم مناع،30).

وتعكس جريدة لوفيغارو خطاب اليمين المتطرف اتجاه المهاجرين من المسلمين خاصة ولطالما حمل خطاب الجبهة الوطنية الكثير من العداء اتجاه العرب والمسلمين، فهو يحملهم مسؤولية الانشطارات والأزمات وحالات القلق التي لم يكن يعرفها المجتمع الفرنسي قبل حلول الإسلام على فرنسا(مجدي الداغر،2009،438).

وسبق أن اتهم jean marie le pen المسلمين في فرنسا بأنهم يأكلون خبز الفرنسيين، وطالب بطردهم حفاظا على الكيان العام للدولة من الانقسام والتفخوق أيضا "هذه العناصر لها تأثير سلبي على الأمن القومي، وهي تزداد قوة من الناحية السكانية بواسطة التناسل الطبيعي والهجرة معا، وهو ما يزيد في انعزالها العرقي العنيد، وطبيعتها المسيطرة وهذا هو عالم الإسلام في جميع أنواع شدوده" (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 170). وأعلن عن كيفية معالجته لهذه المعادلة في برنامجه الذي قدمه في الترشيحات الرئاسية لفرنسا 2002، وهو طرد المهاجرين حيث قال: "إن العرب والمسلمون لا يساهمون بشيء في الاقتصاد الفرنسي، بل يمثلون عبئا على الاقتصاد القومي الفرنسي حيث يميلون إلى توفير مرتباتهم وثرواتهم في مصارف وبنوك خاصة للعودة بها على بلدانهم الأصلية" (مجدي الداغر، 2009، 341).

بالمقابل صحيفة لوموند عالجت الموضوع باعتدال وبراغماتية وذلك عكس معالجتها لبقية القضايا والمواضيع، وأبقت على اعتدالها في خطابها حول المهاجرين مع الفصل بين غير الجيدين منهم والجيدين التي رأت فيهم عناصر فاعلة وداعمة للاقتصاد الفرنسي، مع التسليم بواقع وجود فئة من المهاجرين من ذوي الانتماء الفرنسي، الذين وجب التفكير في الاستثمار فيهم بدل اقصائهم. فليس بمقدور أحد اليوم - حتى لو كان ممن يصرح بغير ذلك- أن ينكر أهمية وقوة وجود المهاجرين بفرنسا ولو من الناحية الديمغرافية، خاصة أن معظمهم من فئة الشباب والذين تنفق فرنسا على تعليمهم وتأمينهم الصحي، وعلى إيجاد فرص عمل لهم خاصة في المجالات التي يعزف الشباب الفرنسي عن التوجه إليها ما يبقي على الحاجة إليهم قائمة حتى مع كرههم والخوف منهم.

➤ تشابهت الصحيفتان في ترتيب الفئة الأولى وكانت النفط ودوره الاستراتيجي بنسبة **51.88%** في لوفيغارو، و**69.71%** في لوموند، واختلفتا في ترتيب باقي الفئات التي عادت إلى المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي بنسبة **35.00%**، والتنمية في الدول الإسلامية بنسبة **13.12%** في لوفيغارو، ومستوى التنمية في الدول الإسلامية بنسبة **23.25%** ثم المسلمين عبئ على الاقتصاد الفرنسي بنسبة **07.04%** في لوموند.

- جدول رقم يبين (12) يبين توزيع المواضيع الأمنية والقانونية في لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		الموضوع	الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
32.13	259	35.78	376	تعزيز المواجهة الأمنية والقانونية في مواجهة التهديد الإرهابي	
52.97	427	48.63	506	فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي	
06.57	53	07.75	81	الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة	
08.33	67	07.84	82	التنظيمات الإرهابية تتلقى التمويل من دول الخليج	
100	806	100	1045	المجموع	

تبين الأرقام الواردة بالجدول:

- صحيفة لوفيغارو: فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي **48.63%**، تعزيز المواجهة الأمنية في مواجهة التهديد الإرهابي **35.78%** الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة **07.75%** التنظيمات الإرهابية تتلقى التمويل من دول الخليج **07.84%**.

- صحيفة لوموند: فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي **52.97%** تعزيز المواجهة الأمنية في مواجهة التهديد الإرهابي **32.13%**، التنظيمات الإرهابية تتلقى التمويل من دول الخليج **08.33%** الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة **06.57%**.

يبين تحليل الجدول أن لوموند ولوفيغارو تعتبر فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي وذلك بنسبة **48.63%** في لوفيغارو و**52.97%** في لوموند، تلاها تعزيز المواجهة الأمنية في مواجهة التهديد الإرهابي بنسبة **35.78%** في لوفيغارو، و **32.13%** في لوموند.

وبالعودة إلى نتائج الجداول (6) و(9) اللذان بين تحليلهما تكريس لوموند ولوفيغارو لصورة الإسلام العدو، والإرهاب الإسلامي الذي يهدد أمن فرنسا والفرنسيين في الداخل

والخارج، فمن الطبيعي أن يكون التعاطي الأمني والقانوني مع هذا الخطر والتهديد هو الأكثر نجاعة، مع أنه هناك مقالات تعد على الأصابع في صحيفة لوموند، دعا كتابها إلى البحث في الأسباب والظروف الاقتصادية والاجتماعية، التي قد تكون سببا في تطرف هؤلاء الجهاديين باعتبارهم مواطنين فرنسيين، ودعوا إلى مواجهة التهديد الإرهابي على هذه المستويات، لكن طغى التمرير لمقاربة الحكومة الفرنسية، والطبقة السياسية التي ترى في اتخاذ وتفعيل الإجراءات الأمنية والقانونية الوسيلة الأنسب لمواجهة التهديد الإرهابي في الداخل بعدما أعلنت عليه الحرب في الخارج، ومن شأن اتخاذ وتعزيز هذه الإجراءات أن تزيد أكثر من ترسيخ صورة الإسلام العدو والإرهاب والخطر الإسلامي.

وكتبت لوموند في افتتاحية 22 جانفي تحت عنوان "أقوال وأفعال": "بعد مرور أسابيع على الهجمات الإرهابية في باريس ولندن، حان وقت الأفعال وتدعيم آليات المواجهة حيال التهديد الجهادي"، وأجملتها في توظيف أكثر في جهاز الشرطة والاستعلامات، الإجراءات القضائية، توظيف رجال الدين في السجون، محاربة الجهاد السيبراني، واستخدام البطاقة الوطنية للمشتبه بهم، وأشادت بدور القوة العمومية في القضاء على الإرهابيين وبأن الكلمة الأخيرة كانت للدولة، مع أن ذلك - حسب الصحيفة- لن يمح أثر الدماء التي سالت، ولا الأرواح التي أزهقت لضحايا أبرياء سقطوا تحت رصاص الإسلاميين الثلاث... ولا يعني نهاية الحرب المعلنة ضد بلدنا من قبل متطرفين إسلاميين يريدون اليوم قتل بلدنا بندااء الله أكبر."

ويمكن تفسير هذا التركيز والانتقاء والتسويق للمقاربة الأمنية بتسويق كل من لوموند ولوفيفارو كما هو حال مختلف وسائل الإعلام- لما يعرف بثقافة الخوف للإبقاء على سيطرة الأنظمة على الشعوب من خلال ابقائهم في حالة هلع وخوف دائم من أن نظامهم الاجتماعي مهدد، يرى "نعوم تشومسكي" و "أليكس جونزر"، إن السلطات تستعمل الخوف كوسيلة للسيطرة الاجتماعية على الجماهير، الحوافز المدركة للتجارب الاجتماعية في إنتاج الهلع تتضمن: إلهاء الجمهور عن موضوعات مثل الجريمة، التعليم، الفقر البيئية والبطالة... ويرى "باري جلانسنر" بأن أي تحليل لثقافة الخوف يتجاهل الإعلام الخبيري، يعتبر ناقصا ويعتقد بناء على مقولة للرئيس الأميركي "ريتشارد نيكسون" بأن البشر ينفعلون بالخوف أكثر من الود، ويعلق قائلا بأن إثارة الخوف لدى أفراد المجتمع، يضمن ولائهم بصورة أسهل بكثير من محاولة العمل(د. فؤاد ابراهيم).

وكان في مقدمة الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية في بلد الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان- إعلان حالة الطوارئ، والقيام بحملات التفتيش والاعتقالات العشوائية، مع فرض الرقابة السرية على أجهزة الاتصالات، وحتى التواصل عبر الانترنت، وإنشاء الأجهزة الأمنية المختصة في ملاحقة المشبوهين، وتم نشر أفراد من الجيش في الساحات والأماكن العامة، في محاولة لجعل مثل هذه المظاهر مألوفة في المجتمع الفرنسي وفي الواقع تسعى الحكومة الفرنسية من وراء هذه الإجراءات إلى تضيق الخناق على المسلمين وانتشار الإسلام حتى لو تطلب الأمر التضحية بالحرية العامة والخاصة في بلد الحريات.

وعليه أمكن القول ان كل من لوموند ولوفيغارو قد تبنتا موقف وخطاب الحكومة والطبقة السياسية الفرنسية، وأكثر من ذلك فالعديد من الكتاب حملوا الحكومة والأجهزة الأمنية والاستخباراتية والقضائية، جزءا من المسؤولية لوقوع هذه الأحداث، نتيجة لتساهلها وعدم تعاملها بالصرامة اللازمة مع المشتبه فيهم، وكتب السياسي Guillaume Larrivé في لوفيغارو منتقدا الإجراءات القضائية التي اعتبرها غير كافية في مواجهة الإرهاب الإسلامي: " في مواجهة الإرهاب الإسلامي هناك بلا شك واجب الوحدة بل أكثر من ذلك هناك واجب قول الحقيقة... دعونا نقلها كما هي أميدي كوليبالي مثل شريف كواشي هم أولا وقبل كل شيء من بين المجرمين الذين استفادوا من التساهل الذي لا يغتفر... (تخفيض العقوبة مع ارتداء سوار إلكتروني لأحدهم، وعدم منعها من السفر إلى اليمن)، وقبل ارتكابهما جرائم إرهابية هؤلاء البرابرة هم للأسف نتيجة أخطاء نظام قضائي غير قادر على تطبيق أحكام السجن بحزم

"(Guillaume Larrivé Le figaro, le 11 février, 2015,p14).

وهناك من الكتاب من دعا إلى أكثر من تشديد الرقابة في الداخل بل يجب أن تمتد لفضاء الاتحاد الأوروبي، وطالبوا بإعادة النظر في تأشيرة شنغن، واستحداث إجراءات تفتيش ورقابة أكثر صرامة، واستحداث بطاقة تنقل لكل مسافر، كما تم العمل به في الولايات المتحدة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

ومع اعتماد مثل هذه الإجراءات، فإن فرنسا ستتحول إلى سجن كبير للمسلمين وكلهم موضع اتهام إلى أن تثبت براءته، مما يبيحهم أسرى لمخلفات وتراكمات تاريخية تمتد لعقود من الزمن، وتهم تلاحقهم مع كل حادثة تقع في فرنسا سواء أكانت عملية تفجيرية أو حادثة طعن أو

دهس بسيارة... حيث يعاد التعامل مع الإسلام بمنهجية بوليسية تجعل من الديانة الثانية في فرنسا لا تخرج من دائرة الشك والتمييز والاتهام.

وقد بلغت حدة الاجراءات إلى استنطاق الأطفال في قضايا الإرهاب، كما وقع في حادثة طفل تلميذ اسمه أحمد يبلغ ثماني سنوات بمدينة نيس، والذي رفع ضده مدير مدرسته دعوى قضائية وتم استنطاقه بمخفر الشرطة خلال ساعتين، ووجهت له أسئلة: هل أنت مع الإرهاب؟ وما هو الإرهاب؟ وأجاب محاميه أنه لا يعرف الإرهاب، ولم يقل إنه مع القتل، واستنكر محاميه ما جرى له واستغرب من استدعاء طفل في الثامنة من عمره للتحقيق معه في مخفر، مشيراً إلى مفارقة لجوء مدرسة مسؤولة عن التعليم إلى المخفر كحل بدلا من إيجاد حلول تربوية للموضوع (عمر الادريس الزاهري، 2015).

وكتب "إيمانويل تود" في تعليق على هذه الحادثة قائلاً: "ما يُقلقني اليوم ليس حفنة من المتطرفين والمختلين عقلياً، الذين يرتكبون هجمات إرهابية باسم الإسلام، بل الهستيريا التي أصابت المجتمع الفرنسي إلى درجة أصبحت الشرطة تستدعي أطفالاً لا تتعدى أعمارهم ثماني سنوات إلى مراكز الأمن." (الطيب ولد العروسي، 2015).

وحتى بعد مرور عامين على الأحداث، وبدلاً من التخفيف من حدة الإجراءات والضغط الأمني على المسلمين مع مرور الوقت، على اعتبار أنها اتخذت في وقت كان ما يسمى بالتهديد الإرهابي لفرنسا في ذروته، وفيما يعتبر دوماً تناغماً بين مضامين لوموند ولوفيفارو واستمرارية لردود الأفعال الرسمية وعلى أعلى مستوى، وقع الرئيس الفرنسي "إيمانويل ماكرون" على قانون مكافحة الإرهاب الذي سيحل محل حالة الطوارئ، ويتضمن القانون المثير للجدل الذي أقره البرلمان في 18/أكتوبر تعزيز صلاحيات السلطة الإدارية (وزارة الداخلية والمسؤولون المحليون) في فرض تحديد نطاق حركة أي شخص والقيام بعمليات تفتيش، وغلق أماكن عبادة ومراقبة الهويات عند الحدود، كل ذلك بدون إذن قضائي وسبق تطبيق هذه الإجراءات ضمن حالة الطوارئ التي فرضت بعد اعتداءات 2015 (فرانس، 24، 2017).

ويبين احتلال فئة التنظيمات الإرهابية تتلقى الدعم والتمويل من دول الخليج بنسبة **07.84%**، في لوفيفارو وبنسبة **08.33%**، في لوموند أن لوموند ولوفيفارو تسعيان لتشكيل صورة سلبية عن الإسلام من خلال التركيز على بعض الأنظمة والدول العربية وإضفاء الطابع الإجرامي على ممارساتها، حيث شدد العديد من الكتاب والصحافيين على أن دول الخليج - المحسوبة على العالم العربي والإسلامي- هي من تمول الإرهاب مع انتقادهم للحكومة الفرنسية التي تبقي على صفقات بيع الأسلحة لهذه الأنظمة، وذكر بشكل خاص الإمارات، والسعودية التي اعتبرت الممول الرئيسي للإسلام الوهابي، وقطر المتهم بتمويل الإسلام الإخواني، ورأى هؤلاء المحللون والكتاب، والصحفيون ممن قاموا بإعداد تحقيقات ميدانية، أن ما تتوفر عليه هذه التنظيمات من قوة بشرية وعسكرية، لا يمكن أن يمول فقط من تجارة الإرهاب، بل تقف ورائها هذه الأنظمة بالتحديد، وطالب بعض كتاب المقالات الحكومة الفرنسية بالإقرار بذلك وبتخاذ اجراءات صارمة اتجاهها.

وسبق أن تناولت الصحافة الفرنسية هذه القضية وكتبت مجلة الاكسبريس 24 نوفمبر 2002 بعنوان غلاف لصق على أغلب واجهات المدن الكبرى وهو "تحقيق حول أموال الإسلام وتحت العنوان ع نوان آخر "إرهاب: بن لادن مازال حياً" مما يترك صورة ذهنية لدى المتلقي تعني أن أموال المسلمين مخصصة للإرهاب.

وبما يعتبر أيضا تناغما وتماهيا بين مواقف لوموند ولوفيفارو والحكومة الفرنسية جاء اتخاذ هذه الأخيرة لمجموعة من الاجراءات ولو تحت غطاء دبلوماسي نظرا للمصالح الاقتصادية الكبيرة التي تربط فرنسا بهذه الأنظمة، وتحت عنوان مكافحة تمويل الإرهاب استضافت العاصمة باريس عدد من الندوات والمؤتمرات الداعية إلى تجفيف منابع الإرهاب الدولي، وكان من بين دعي لهذا المؤتمر السعودية وقطر ليطلب منهما هذه المرة تدعيم جهود مكافحة الإرهاب أو بالأحرى تمويل هذه الجهود. وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أعلن انعقاد هذا المؤتمر تحت شعار "لا أموال للإرهاب- مؤتمر مكافحة تمويل داعش والقاعدة"، واعتبر قصر الإليزيه الثلاثاء أن "النصر العسكري على الخلافة، نجاح مهم إلا أنه لا يحمينا لا من عودة داعش ولا من أنشطة الجماعات والأشخاص الذين بايعوا هذا التنظيم- حتى في فرنسا مؤخرا أو القاعدة" وأضاف المصدر نفسه "خلال ثلاث سنوات منذ 2014

حتى 2016 تمكن داعش من تجميع ثروة ضخمة قاربت المليار دولار سنوياً، هذه المجموعات موهوبة جداً في استخدام التقنيات الأكثر تعقيداً لنقل الأموال هي تعرف كيف تتلاعب بالحدود (2018/www.elkhabar.com).

وتحمل هذه التصريحات تأكيداً على تلقي هذه المنظمات للدعم من خارج مناطق تواجدها ونشاطها، والمقصود هي الدول التي اتهمت بتمويل الإرهاب ثم تمت دعوتها إلى هذه المؤتمرات لمطالبتها بدفع الأموال اللازمة لمكافحة الإرهاب الذي مولته سابقاً.

ولم تكف لوموند ولوفيغارو بالاستمرار في الربط بين هذه الدول والإرهاب والإسلام لتشويه صورة الإسلام والمسلمين من خلالها، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك من خلال الربط بين الإسلام ومختلف أشكال الإجرام، وينعكس ذلك في كتابته عن التنسيق بين المنظمات الجهادية وشبكات الجريمة بنسبة 07.75% في لوفيغارو، وبنسبة 06.57% في لوموند، حيث تحدثت الصحيفتان وفي العديد من التحقيقات الميدانية عن وجود تعاون وتنسيق على أعلى مستوى بين المنظمات الإرهابية وشبكات المافيا والجريمة وبشكل خاص ذكرت جرائم (الاتجار بالبشر، المخدرات، الأسلحة) عبر جبال وطرق التهريب في منطقة الساحل، وسوريا واليمن وتركيا، وفي هذا إساءة مباشرة للإسلام الذي تقدم هذه المنظمات على أنها تدافع عنه وترفع رايته، بل وتمثله في أكثر أشكاله التزاماً وتعصباً، وإذا كان هذا حال المتمزمتين والمتعصبين من المسلمين فما هو حال العاديين منهم؟، كما نلمس تسويق لهذه الصورة من خلال تذكير العديد من الكتاب والصحافيين من أن معظم المتهمين في قضايا الإرهاب والمشتبه فيهم، هم من أصحاب السوابق العدلية والمنحرفين ومعظمهم قبل أن يتحولوا إلى جهاديين وإرهابيين كانوا من المدمنين، واللصوص والمتسربين من المدارس حتى أنه تم تجنيد معظمهم في السجون.

ومن شأن هذه المضامين أن تزيد من تشويه صورة الإسلام والمسلمين المشوهة أصلاً، على اعتبار أن القارئ الفرنسي والغربي العادي لا يفرق بين الإسلام كدين، والعروبة كقومية، وتصرفات المسلمين وسلوكياتهم سواء كانوا مجرمين ومنحرفين أو مواطنين صالحين.

وتتبني السلطات الفرنسية على أعلى مستوى هذا الموقف، فقد صرح الرئيس الفرنسي مؤخراً وفي إطار الحديث عن أولوياته في مكافحة الإرهاب قائلاً "يتعين علينا تجفيف

الإرهاب من منابعه فهو يتغذى من الإتجار بالبشر والمخدرات والأسلحة، كما دعمت هذه الاتهامات دراسة أجراها المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، حول سبل تمويل العمليات الإرهابية وتوصلت إلى طريقة التمويل عبر المنظمات الجهادية نفسها مثل "القاعدة" وتنظيم "الدولة الإسلامية"، أو عن طريق المتعاطفين مع العمليات الجهادية (التمويل الخاص، سرقة الأموال وبيع المخدرات)، وأخيرا التمويل العائلي غير المباشر، أي الأموال التي تقدمها بعض العائلات لأولادها دون العلم أنها تسخر للقيام بعمليات إرهابية، أو ما يسميه محررو الدراسة "الجهاد الرخيص"... وفيما يخص الدخل المالي الفردي للمتورطين في قضايا الإرهاب، فالدراسة تبين أن المعدل لا يتجاوز 1000 يورو شهريا، باستثناء بعض الجهاديين الذين يملكون أموالا كبيرة بسبب انخراطهم في تجارة المخدرات وعمليات تبييض الأموال (www.france24.com، 2018).

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب الفئتين الأولى والثانية، وجاء في المرتبة الأولى فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي بنسبة **48.63%** في لوفيغارو، و**52.97%** في لوموند، تلاها تعزيز المواجهة الأمنية في مواجهة التهديد الإرهابي بنسبة **35.78%** في لوفيغارو، و**32.13%** في لوموند، واختلفنا في ترتيب الفئتين الأخيرتين وعادت لفئة الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة بنسبة **07.75%**، ثم التنظيمات الإرهابية تتلقى الدعم والتمويل من دول الخليج بنسبة **07.84%** في لوفيغارو، والتنظيمات الإرهابية تتلقى الدعم والتمويل من دول الخليج بنسبة **08.33%** ثم الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة بنسبة **06.57%** في لوموند.

- جدول (13) توزيع فضاءات تواجد المسلمين مجال نشر الفكر الجهادي في صحفيتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		الصحيفة الموضوع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
10.77	46	12.05	63	المساجد وقاعات الصلاة
24.14	103	27.07	137	السجون
01.40	6	04.34	22	وسائل الإعلام الدعوية
29.03	124	23.15	117	الفضاء الافتراضي
34.66	148	33.39	167	مناطق الضواحي
100	427	100	506	المجموع

تعكس الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: المسلمون ينشرون الفكر الجهادي في مناطق الضواحي بنسبة **33.39%** تلتها في المرتبة الثانية في السجون **27.07%** وفي المرتبة الثالثة جاءت فئة الفضاء الافتراضي بنسبة **23.15%** متبوعة بالمساجد وقاعات الصلاة بنسبة **12.05%** وبنسبة جد متدنية جاءت وسائل الإعلام الدعوية في آخر الترتيب **04.34%**.

- صحيفة لوموند: احتل مركز الصدارة مناطق الضواحي بنسبة بلغت **34.66%** وجاء في المرتبة الثانية داخل السجون **24.14%** وفي المرتبة الثالثة في الفضاء الافتراضي **29.03%** متبوعة بالمساجد وقاعات الصلاة **10.77%** ووسائل الإعلام الدعوية **01.40%**.

يعكس تحليل بيانات الجدول سعي لوموند ولوفيغارو مجددا لتسويق لصورة الإسلام الجهادي والخط من جديد بين الإرهاب والجهاد والإسلام، وأن المسلمين مصدر للخطر وينشرون الفكر الجهادي أينما تواجدوا، بما في ذلك السجون والمجال الافتراضي، وطبعاً يمكن تفسير التأكيد على الترويج لمثل هذه الأفكار من أجل تبرير وتمير مشروع الحرب والمواجهة الفكرية للإسلام إلى جانب الأمنية والعسكرية؛ ويبدو أن فرنسا قد أعلنت حرباً

شاملة على الإسلام متعددة الأبعاد والأدوات والمجالات بدعوى محاربة الإرهاب وبدعوى الحد من انتشار الفكر الجهادي والراديكالي. كما أن تسويق مثل هذه المضامين، يصب في دعم موقف الحكومة والسلطات لفرض رقابة أكثر على المسلمين أينما كانوا.

وجاء في مقدمة هذه الفضاءات مناطق الضواحي بنسبة بلغت **33.39%** في لوفيجارو و**34.66%** في لوموند، ويعود بداية إثارة الصحافة الفرنسية لهذه القضية إلى أحداث الضواحي نوفمبر 2005؛ التي تم استغلالها لاتهام الإسلام وشباب المسلمين بأنهم من يقف وراء إشعال هذه الأحداث؛ حتى أنه تم استغلال أحداث نوفمبر 2005 لسبب أحد نصوص القرآن الخاص بتعدد الزوجات، وأعلنت هيلين كارير دانكوس، الأمين الدائم للأكاديمية الفرنسية "أن تعدد الزوجات هو أحد أسباب أعمال الشغب في ضواحي باريس، بقولها أن: " كثير من الأفارقة مزواجون، وفي المسكن الواحد توجد ثلاث أو أربع زوجات، و25 طفلاً إنهم مكسوسون بحيث لم تعد هذه المساكن المكتظة تسمى مساكن، وإنما شيء آخر"، وفي يوم 2005/11/15، صرح وزير العمل الفرنسي لجريدة الفايينشبال تايمز البريطانية قائلاً: " أن تعدد الزوجات هو أحد الأسباب المحتملة لأحداث الشغب التي اندلعت طوال ثلاثة أسابيع في ضواحي باريس"، ومن الملاحظ من متابعة الصحافة الفرنسية في الفترة التي سبقت أحداث الشغب، أنها ظلت تردد وتحذر شبه يوميًا، عن قرب وقوع هجمات إرهابية وكأنها بذلك تعد الرأي العام الفرنسي والعالمي، لربط هذه الأحداث بالقرآن الذي يسمح بتعدد الزوجات وبالتالي ربطها بالإسلام والمسلمين الذين تسعى للتخلص من وجودهم (زينب عبد العزيز ، 2005، 7).

ومن المعروف أن مناطق الضواحي تسكنها الجالية الإسلامية المغربية والإفريقية بشكل خاص، ولم يعد خافياً أن ذكر هذه المناطق يستدعي تلقائياً صورة الشباب المسلم العنيف والمخرب وغير المحب لفرنسا ولانتمائه الفرنسي الذي يتراجع أمام انتمائه للدين الإسلامي، هذه الصورة التي تشكلت بسبب أحداث العنف والشغب أو ما سمي بثورة الضواحي التي انتفض فيها شباب هذه المناطق ضد الظلم والتمييز والتهميش، بمعنى أنها كانت لأسباب اجتماعية واقتصادية، ولكن تم اعطاءها صبغة دينية، يقول الباحث أوليفيه روا: " بما أن الإسلام ينخرط في قائمة الأديان الغيرية فعالمًا ما ينسب العنف في بعض الضواحي الفرنسية إلى الإسلام ولا سيما إذا تزامن مع أنشطة مناهضة للسامية مع أن الحركات الإسلامية

الفرنسية لم تشارك قط في أعمال العنف هذه التي نفذها شبان مهمشون لا يمتنون إلى الإسلام بصلّة (أولفيه روا، 2003، 22-23). كما أن الكثيرون منهم لا يمارسون حتى شعائر دينهم وهم في أحسن الأحوال مسلمون من الناحية الثقافية، وأغلب أولئك الذين أُضربوا وأُضرموا الحرائق في الضواحي عام 2005 لم يكونوا في الحقيقة من الذاهبين للمساجد (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 171).

وهناك من يرى أن المتطرفين منهم تتحمل الحكومة الفرنسية والمجتمع الفرنسي المسؤولية في تطرفهم؛ بسبب انتقادات الحكومة الفرنسية في الماضي للإسلام والتي غدت بشكل جزئي تطرف الشباب؛ وهذا ما أدى إلى تنامي شعور بالبعثرة والاضطهاد لدى مسلمي فرنسا، ويجب الاعتراف أن سكان ضواحي باريس يعانون أوضاعا اجتماعية صعبة، يعيش هناك أغلبية من المسلمين والمهاجرين ولهم أحوال اقتصادية مزرية البطالة المنتشرة بكثافة والشباب ليس لهم آفاق كبيرة، وهذا هو المناخ المثالي لنمو الإرهاب وتزايد الإسلاميين (شاكور نوري، 2018).

إن هذه الحقائق والمعطيات يتجاهلها الإعلام الفرنسي كما هو حال لوموند ولوفيفارو، في مقابل التركيز على وصف مشاعر الغضب والنقمة عند هؤلاء الشباب على الحكومة الفرنسية التي مارست بحقهم سياسة إقصاء ممنهجة منذ سنوات، جعلت بعض السياسيين يتساءلون إن كان هناك نسخة عن نظام الأبرتاد بفرنسا، ومجرد طرح التساؤل يوحى بدرجة معاناة سكان الضواحي، بل إن التسمية في حد ذاتها تعكس درجة الإقصاء والعنصرية المقيتة في حقهم، وبدلا من التركيز على مشاكلهم ومعاناتهم، راحت الصحيفتان تناقشان ما وصفه البعض بالقضايا والمشاكل المفتعلة التي تختزل سكان الضواحي في مظاهر الانحراف والتطرف. وكتب الصحفي والكاتب في لوفيفارو Michka Assayas: "في باريس وكوبنهاغن شباب مجرمون متعطشون للمجد، يستهدفون رسامي الكاريكاتير واليهود، والدين هو مجرد عذر لتبرير انحرافهم البغيض والشرير" (Michka Assayas, 2015, p11). ووصفتهم لوموند في أحد العناوين "بالقنابل البشرية المعولمة".

ويدعم هذا الطرح ما تطرقت له دراسة للمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية حول الجهاديين الفرنسيين الذين بلغ عددهم حوالي 1300 شاب فرنسي التحق بالجماعات الإرهابية

التي تقاتل في العراق وسوريا، بأن غالبية المتورطين من ذوي التأهيل الدراسي ضعيف المستوى ولديهم علاقات وطيدة مع بلدان شمال أفريقيا ودول منطقة الساحل، ومعظمهم يتحدرون من عائلات فقيرة ويعيشون في الضواحي الباريسية وفي بعض الأحياء الشعبية بالعاصمة الفرنسية، فيما يعيش آخرون في شمال البلاد مثل ليل وبعض المدن الواقعة قرب الحدود مع بلجيكا. أما في الجنوب الفرنسي، فالغالبية منهم يتمركزون في مدينتي مرسيليا ونيس والمناطق المجاورة لها وهي المناطق ذات الجالية الإسلامية الكبيرة، كما أظهرت الدراسة أن عددا كبيرا من الجهاديين الذين سجنوا في سنوات 2000 قضوا أوقاتا طويلة في بعض الدول العربية والإسلامية على غرار اليمن والسعودية ومصر وموريتانيا، وذلك بهدف تعلم القرآن أو اللغة العربية (<http://www.france24.com>، 05/04/2018).

وكتب Thibault de Montbrial بلهجة حادة: " على التحقيقات أن تحدد بدقة من قاموا بهذه الهجمات، نحن نعلم أن فرنسا انخرطت منذ أشهر في حرب وصراع غير متكافئ على أرضها، والحقيقة التي يجب أن تقال وحسب الإحصاءات الرسمية أن هناك الآلاف من الشباب الفرنسي حوالي 1200 دون إغفال الأعداد غير المصرح بها يكرهون نظامنا وبعضهم ذهب للقتال في سوريا كجهاديين وسيكون هدفهم بعد العودة القيام بهجمات (Thibault de Montbrial, 12 janvier, 2015, p.36).

وجاءت فئة الفضاء الافتراضي كفضاء ثاني لنشر الفكر الجهادي بنسبة **23.15%** في لوفيفارو وبنسبة **29.03%** في لوموند، ويمكن تفسير التركيز على الفضاء الافتراضي أيضا أنه يأتي من باب الاستمرار في التبرير لمساعي الحكومة لفرض واستحداث آليات جديدة لمراقبة المسلمين في فرنسا حتى عبر الانترنت؛ وذلك بحجة محاربة انتشار الإيديولوجيا الجهادية عبر الشبكة وعبر كل ما تنتجه (مواقع نشر الفيديوهات، مواقع التواصل الاجتماعي...)، مع أن هذا لا ينفي حسب بعض الإحصائيات، حقيقة أن 90 بالمائة من الإرهابيين يمارسون نشاطاتهم الإرهابية، ليس في فرنسا فقط بل في جميع بلدان الاتحاد الأوروبي من خلال استخدام الانترنت، لأنه يزودهم بطرق سهلة لصناعة القنابل، والويب يتحول إلى طريق يسلكه معظم الإرهابيين وخاصة المسلمين منهم (شاكر نوري، 2018).

والإشكال هنا لا يكمن في تقديم لوموند ولوفيغارو وعلى غرار الإعلام الفرنسي لهذه المعلومات والحقائق، ولكن في الطريقة والتوقيت والسياق الذي توظف فيه، والاستمرار في تعميم مثل هذه الحالات الشاذة على المسلمين واتهام الإسلام، وصرح كاتب الافتتاحيات الفرنسي ايف تريار في مقال رأي قدمه على إذاعة "أوروبا 1" إن مروجي الأفكار المتشددة لا يوجدون فقط في المساجد، بل "في غوغل وفي ياهو" وغيرهما من المواقع على الإنترنت (موقع قناة الحرة، 2016).

وقد وصل مستوى ملاحقة المسلمين واتهامهم حتى في السجون، حيث بلغت فئة المسلمون ينشرون الفكر الجهادي في السجون نسبة **27.07%** في لوفيغارو، و**24.14%** في لوموند، وبهذا تؤكد الصحيفتان على الربط بين الإسلام والإجرام وهي الصورة ذاتها التي كرسها الربط بين أحداث الضواحي والإسلام، كما يؤكد تسويق الصحيفتان لهذه المضامين على الاستمرار في دعم إجراءات الحكومة الرامية لمراقبة المسلمين حتى وهم في وضع المراقبة أي في السجون.

وهذه ليست المرة الأولى التي تثير فيها الصحافة الفرنسية هذا الموضوع، يقول "أوليفيه روا": "هذا الوضع سبق وأثير عقب قضية قلقال، وغالبا ما ذكرت المقالات الصحافية بلهجة قلقة الاعتناقات الدينية التي تمت في السجون على أيدي مرشدين مسلمين أو رفاق في الزنزانة، ولكن من دون أن نغالي في أهمية تلك الظاهرة ثبت أن عملية اعتناق الإسلام تنجح بالإجمال حين يكون الشخص في وحدة وفي متناول الواعظ ولدى انعدام أي أفق آخر له حين يطرح عليه ذلك الخطاب." (أوليفيه روا ، 2003).

وكتبت لوموند تحت عنوان تحقيق حول مدرب قتلة شارلي و Hyper Cacher أن من وصفته بممثل الجهاد الدولي جمال بغال هو من أوجد العلاقة في السجن بين اميدي كوليبالي وشريف كواشي (Le monde, 30janvier, 2015.p1)، وكتبت في افتتاحيتها ل 12 جانفي "فرنسا واجهت الإرهاب الإسلامي منذ زمن طويل بوضع العديد من التشريعات القانونية والأمنية، وهناك مجالين آخرين لمحاربة الراديكالية: هما السجون التي تحول العديد من الشباب المنحرفين إلى إرهابيين متعصبين...والإرهاب الإسلامي يجب أن يواجه على المستوى الأوربي"، مع عنوان في الصفحة من نفس العدد "أوربا في مواجهة التهديد الجهادي".

وفي مقابل تركيز لوموند ولوفيغارو على هذه الأفكار وتسويقها، تتجاهلان وتحاولان تبرير ما يعانيه السجناء من المسلمين داخل السجون الفرنسية بسبب انتمائهم للإسلام؛ حيث يضاف في هذا الحال إلى التهم التي أدخلتهم السجن تهمة الإسلام، وقد جاء في تصنيف لخبراء ومراقبين بأن فرنسا تعد أول بلد أوروبي نصف سجنائه من المسلمين الذين ينظر إليهم كسجناء وليس كفئة لها شعائرها الدينية الخاصة وحاجاتها الثقافية والغذائية؛ فهم لا يستفيدون من الإرشاد الديني كأمثالهم من السجناء المسيحيين واليهود، وكانت تقارير رسمية كشفت عن عدد المعتقلين الذين اعتقلوا بسبب تورطهم في جرائم ما يسمونه الإرهاب يقدر عددهم بـ 500 معتقل من بينهم 221 معتقلا أغلبهم من أصول مغاربية، ادعو عليهم أنهم كانوا في طريقهم إلى التطرف وتبني خطاب يرمي إلى معاداة وتدمير الغرب، وأكد أحد مدراء السجون الفرنسية على أن "الجهود مكثفة للسيطرة على السجون، إلا أنها لم تنجح في إيقاف المد الإسلامي الأصولي، بل لم تنجح في تحول الإسلاميين من التباهي بالدين إلى الأسلوب المنظم في العمل"، وأشار إلى أن "المثير للاهتمام كيف ينجح السجين في التبشير بالإسلام حسب تعبيرهم فقط خلال فترة الفسحة التي يراقب عن كثب خلالها العلاقات بين المساجين وبعضهم، وعلى الرغم مما يعانيه المسلمون في السجون الفرنسية من قهر وعنصرية، لوحظ أن عدد معتنقي الإسلام من المسيحيين يزداد في السجون الفرنسية بصورة مطردة مما جعل السلطات الفرنسية توجه إنذاراً من نوع جديد لمواجهة تيار الأسلمة والدعوة إلى الإسلام في السجون (http://islammemo.cc2013).

ولم تسلم المساجد وقاعات الصلاة من هذه الحملة المنظمة لتشويه وتطوير الإسلام والمسلمين، حيث جاءت في الترتيب الرابع بنسبة 12.05% في لوفيغارو، و 10.77% في لوموند. ولم تحترم قدسية هذه الأماكن التي كتبت الصحيفتان أن الالتقاء والصلاة فيها تعد بمثابة فرصة لمن وصفتهم بالمتشددون من الأئمة والسلفيين لنشر أفكارهم الجهادية، وجاء في عنوان على الصفحة الأولى في لوموند بتاريخ 21 فيفري Lune1 مخبر الجهاد صنع في فرنسا متهما المسجد المسيطر عليه من قبل جماعة التبليغ بأن له دور في التأثير على الشباب للالتحاق بالجهاد في سوريا (Soren seelow, 2015.p10).

وسبق للسلطات الفرنسية أن استغلت هذه الفضاعات لاحتواء بعض المشاكل المتعلقة بالمهاجرين فقد رأت أن الطريقة المثلى لحماية المهاجرين من الانزلاق إلى العصابات

والمجموعات الإجرامية هي السماح للمسلمين بتحويل بعض الغرف والشقق الصغيرة إلى أماكن للصلاة والعبادة، وساعدتهم على ذلك أحيانا وسميت هذه الأماكن مجازا "مساجد"، ولكن اليوم بات ينظر لهذه المساجد بؤرا للتطرف ونشر الفكر الجهادي ضد فرنسا وعلى ترابها، وهي النظرة السائدة لدى عامة الفرنسيين.

مع تجاهل أن من يرتاد المساجد للصلاة هم من عموم المسلمين الذين يعانون نقصا في أماكن العبادة بالنظر إلى عددهم الكبير والمتزايد، مقابل التضييق الشديد والصعوبات التي يكابدونها من أجل تشييد المساجد، ويمكن تفسير إن هذه الأفكار السائدة منذ سنوات في المجتمع الفرنسي كونها ناتجة عن الاستمرار في رفض انتشار وتواجد كل ما يرمز للدين الإسلامي وخاصة المساجد في الفضاء العمومي، كما يمكن اعتبار الترويج لهذه الأفكار مجرد ذريعة لتشديد الرقابة على المساجد ونشاط الأئمة ومحاصرة انتشار الإسلام بدعوى محاربة الفكر الجهادي.

وفي استطلاع أجرته مؤسسة ايفوب أظهرت النتائج أن المجتمع الفرنسي لا يبدي ارتياحا لبناء مزيد من المساجد في فرنسا وكان من مؤشرات نشر هذا الخبر حملة دعائية ضخمة تبنتها جريدة لوموند واستاءت فيها من المسلمين الذين يؤدون الصلوات في أي مكان في الأرصفة، وفي الحدائق وفي المتاجر وفي ممرات المصالح الحكومية وفي مكان عملهم وأحيانا في مواقف السيارات وأماكن غير لائقة وربما تكون غير نظيفة، وتعجبت الجريدة من إقبال المسلمين على الصلاة بينما تخلو الكنيسة الكاثوليكية من مصلي واحد، واعتبرت أن هذا مؤشر على أن تصبح فرنسا على المدى البعيد دولة إسلامية، كإيران و أفغانستان(مجدي الداغر، 2009، 443).

وقد شخص هذا الوضع الباحث انجلمار كارلسون قائلا: "إن الإحساس بالخوف من الدين الذي يسود في مجتمعنا العلماني والتجاري بصفة عامة قد امتد وشمل العالم الإسلامي كله ككتلة موحدة؛ وكنتيجة طبيعية لهذا الاسقاط أصبحت نظرتنا إلى أي عمل من أعمال العبادة والتقوى وممارسة الشعائر سلبية؛ نظرا لأنها ترمز إلى التطرف والتعصب حتى ولو كانت هذه الأعمال تقتصر على أداء الصلوات في المساجد، وربما كان تفسير ذلك يكمن في أننا نستبطن في نفوسنا شكوى قوية حول ثقافتنا، وللتعويض عن هذه الشكوك نشعر بضرورة

الدفاع عن ذاتنا ضد الخطر الدايم الآتي من بعيد... فالمسلمون كانوا في الماضي وسيبقون في المستقبل أيضا خطرين يصعب سيره وينبغي تجنب أية مناقشة معهم (انجمار كارلسون ، 2003، 26-27).

➤ اتفقت الصحيفتان في ترتيب كل فئات الجدول حيث جاء في المرتبة الأولى فئة المسلمون ينشرون الفكر الجهادي في مناطق الضواحي بنسبة بلغت **33.39%** في لوفيجارو، و**34.66%**، في لوموند، تلتها في المرتبة الثانية فئة السجون بنسبة **27.07%** في لوفيجارو، و**24.14%** في لوموند وفي المرتبة الثالثة فئة الفضاء الافتراضي بنسبة **23.15%** في لوفيجارو، و**29.03%** في لوموند، متبوعة بالمساجد وقاعات الصلاة بنسبة **12.05%** في لوفيجارو، و**10.77%** في لوموند، جاءت وسائل الإعلام الدعوية في آخر الترتيب **04.34%** في لوفيجارو، وبنسبة **01.40%** في لوموند.

- جدول (14) توزيع فئة المواضيع الاجتماعية والديمغرافية في صحيفتي لوموند ولوفيجارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة الموضوع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
32.93	159	33.64	215	مأسسة الإسلام
22.98	111	26.62	170	الإسلام فوبيا
16.77	81	22.84	146	المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج
27.32	132	16.90	108	صورة المرأة
100	483	100	639	المجموع

تعكس الأرقام في الجدول أدناه:

صحيفة لوفيجارو: مأسسة الإسلام **33.64%**، المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج **22.84%** الإسلام فوبيا **26.62%**، صورة المرأة بنسبة **16.90%**.

- صحيفة لوموند: مأسسة الإسلام **32.93%** صورة المرأة بنسبة **27.32%** الإسلام فوبيا بنسبة **22.98%** وفي آخر الترتيب المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج **16.77%**.

يبين تحليل بيانات الجدول أن فئة مأسسة الإسلام قد جاءت في صدارة الترتيب بنسبة **33.64%**، في لوفيغارو، و **32.94%** في لوموند، تلتها المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج، بنسبة **09.54%** في لوفيغارو، و **07.03%** في لوموند.

ويمكن تفسير ذلك بتأثر لوموند ولوفيغارو بالصورة السائدة عن مسلمي فرنسا بأنهم فئة غير قابلة للاندماج بسبب انتمائهم الديني بحيث لازال ينظر للمعتقدات وللتقافة الإسلامية وحتى مع الجيل الثالث والرابع من المهاجرين باعتبارهم العائق الذي يحول دون إمكانية دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي أو المجتمعات الغربية بشكل عام، في هذا السياق يؤكد كتاب (استراتيجية العمل الثقافي في الغرب) (إيسسكو) "أن مخطط إدماج الأقليات المسلمة في الكيان الثقافي الغربي غالباً ما يلقي معارضة ومقاومة كبيرة من المسلمين، بسبب حرص الجاليات المسلمة على التمسك بذاتيتها الثقافية وخصوصيتها الإسلامية."، ولا يمكن لهذه الأجواء أن تسمح لجالية حديثة التكون وضعيفة الحضور السياسي والمدني ومزعزعة كقوة عمل ووجود اقتصادي، أن تتعامل بأريحية مع الآخر الذي يطلب من المسلم ما لا يطالب به البوذي، أو اليهودي أو المسيحي، أحياناً بدوافع عنصرية، وأحياناً أخرى لأسباب سياسية مبطنة، نقطة ارتكازها القوة الكامنة لهذه الجالية المسلمة وهذا الدين الجديد الذي تحول خلال أقل من عقد زمني إلى الدين الثاني في معظم دول أوربة الغربية (هيثم مناع، 17).

ومن الأمثلة الصارخة للدور التخريبي الذي يمارسه بعض الإعلاميين الفرنسيين ضد الإسلام والمسلمين، نجد أن صحافياً كبيراً مثل تيري دي جاردان نائب رئيس تحرير صحيفة لوفيغارو يصدر كتاباً بعنوان رسالة إلى رئيس الجمهورية تتعلق بالهجرة يضمّنه الأفكار التالية: هل من الطبيعي باسم العلمانية وحرية العبادة أن تسمح فرنسا لقوى أجنبية وحركات إرهابية، تقود بالبترودولار الأئمة ومئات الأماكن المقدسة؟ ويخلص إلى القول: "لا نحب العرب ولا يوجد إسلام معتدل يقبل التعايش" (قيس جواد العزاوي، 2002).

وتحدثت الصحيفتان بلهجة انتقادية عن المسلمين الذين يفضلون الانطواء على أنفسهم والعيش كطائفة تحتفظ بقيمتها وثقافتها وهويتها، في مقابل رفض القيم والثقافة الفرنسية حتى وهم يعيشون داخل المجتمع الفرنسي، وكأنهما تقولان بالمقابل لهؤلاء إما أن يقبلوا بفرنسا

وبقيهما أو يغادرونها. وكتب "Marie-Laetitia Bonavita" في لوفيغارو: " بعد التفجيرات ضد شارلي ابيدو أدركت فرنسا فشل إدماج جزء من الشباب سليل الهجرة، صدمة 7جانفي أيقظت الفرنسيين الراضين لرؤية القنابل تحت أقدامهم، وبقي أن ندرك كيف لأطفال الهجرة أن يتحولوا إلى أسلحة بيد إسلام أصولي راديكالي" (Marie-Laetitia Bonavita, 2015.p20).

وفي فرنسا كما هو الحال مع كل الدول التي تستقبل هجرات المسلمين على أراضيها يعد المسلمين أقلية وجدت نفسها واقعة بين فضاءين في الوقت نفسه: الأول حيث يعدون جماعة من الناس ينتمون لمن يشتركون معهم في نفس الدين في كل مكان في العالم، وهذا فضاء بطبيعته عابر للجغرافيا والوطنية، أما الفضاء الآخر فهو يتمثل في القومية التي تستند إلى القيم المدنية، حيث الفصل بين الدين والدولة يعد ملمحا أساسيا للمجتمع الفرنسي ويمتلى المناخ العام في فرنسا بالكثير من الكتب التي تهاجم وتستنكر التقاليد أو التراث الإسلامي، الأمر الذي يزيد من صعوبة خلق واقع عملي للعيش بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع الفرنسي (مستورى فتحي، 2015).

ومع أن هناك استطلاعات للرأي تثبت أنّ أكثر من ثمانية مسلمين فرنسيين من أصل عشرة يؤيدون المساواة بين الذكور والإناث ويدعمون اللائكية، هناك من يعتبر أن المسلمين عاجزين عن الاندماج في المجتمع مع الذي يعيشون فيه، بل إتهم يرفضون أصلا هذا الاندماج رفضا مبدئيا، ويفضّلون العيش في حدودهم الطائفية الضيقة من موقع الاقتناع بأنّ قيمهم وثقافتهم لا تتلاءم مع قيم الجمهورية وثقافتها وبهذا المعنى، فإنهم يشكلون "طابورا خامسا" من الجهاديين المُحتَمَلين الذين يمكنهم في أية لحظة الانقضاض على فرنسا وتقويض حضارتها (الصبحي العلاني، 2017).

كما يتم تجاهل وجود فئة من المسلمين تعيش في فرنسا، وفي عديد الدول الغربية على الطريقة الغربية، ولا يمتون للإسلام بصلة إلا بالاسم. ومع أن أسلوب الحياة لهذه الجماعة المندمجة أو التي تحاول الاندماج، قد تشكل فارقا اتجاه شمولية ومنطوية صورة المسلمين والإسلام التي تتبناها (القارة) حاليا، فإن هؤلاء المسلمين غالبا ما يتم تجاهلهم، فهم ليسوا أبدا محل اهتمام وسائل الإعلام، الأهم من ذلك، فهم نادرا ما يُتخذون كدليل لمساعدة التيار الأوروبى على بناء صورة أكثر تعقيدا ومتعددة الطبقات عن المسلمين، عوضا عن ذلك، يتم

تكديس جميع المسلمين في صورة إما مجموعات صغيرة جدًا من متطرفين دينيين يصنعون عناوين الأخبار، أو ذاك الجزء من المهاجرين المسلمين التابعين والمسالين ولكن الذين بخلقهم العامي(السوقي)(حجاباتهم، لحاهم، أو صلواتهم)(أصف بيات،2016).

ونتيجة تسويق الصحافة هذه الصور المغلوطة ظهرت بعض التوجهات السياسية والدينية المعادية للعرب والمسلمين في فرنسا، وحققت العديد من النجاحات حيث ركزت في دعايتها على الخطر الذي يمثله الإسلام على مستقبل فرنسا، والربط بينه وبين الإرهاب وأعمال العنف، وفتت الأنظار اتجاه المسلمين الفرنسيين باعتبارهم أقلية غير متجانسة مع المجتمع القومي الفرنسي بسبب عقيدتهم التي تتعارض شكلا ومضمونا مع العقيدة الفرنسية، ورفضهم الإدماج في العلمانية وإصرارهم على أن تكون لهم مدارسهم الخاصة ومراكزهم الاجتماعية والثقافية التي لا تمت بصلة للمجتمع الفرنسي(مجدي الداغر،2009، 343).

ويمكن أيضا تفسير الإلحاح على تسويق صورة عن المسلمين بأنهم فئة اثنية وطائفة منغلقة على نفسها وغير غير قادرة على الاندماج من قبل لوموند ولوفياغرو أو من أي جهة أخرى بأنه يدخل في إطار المساعي الرامية إلى مطالبة المسلمين ليس بمجرد الاندماج ولكن بالانصهار وبالذوبان في المجتمع الفرنسي، وذلك لن يتحقق إلا بالانسلاخ التام عن الإسلام ومعتقداته وقيمه، وحتى عن العادات والتقاليد والأعراف، وهذا يعني أنه على المسلمين أن يعتبروا الشذوذ والإجهاض، وعلاقات ما قبل الزواج... إلخ أمرا مقبولا ليصبحوا أعضاء مندمجين ومواطنين صالحين ومرحب بهم في فرنسا وفي عالم الغرب المتقدم والحداثي، وما عادا ذلك يبقى المسلم شخص اقصائي لنفسه وللآخرين، بسبب اتباعه لدين الإسلام الرجعي والمتخلف حسب الصحافة الفرنسية والغربية.

وهناك من يرى أن هذه الممارسات الاقصائية اتجاه الإسلام والمسلمين ناتجة عن النظر للإسلام باعتباره أحد أبرز عقد فرنسا التاريخية والثقافية والأخلاقية ما جعلها في حيرة من أمرها أي إسلام تريد، وهل تريد الإسلام أصلا، ومن وراء «الإسلام» أي مسلمين تريد، وهل تريد المسلمين أصلا؛ المشكلة بالنسبة لفرنسا أن داخل المسلمين هناك أطراف وتركيبات وأجيال وملل ونحل تتفاوت في فهمها لهذا الدين واعتناقها له وعيشها إياه، هناك كذلك أيدي الحكومات التي لها جاليات مسلمة في فرنسا، في المقابل هناك إدراك أمني فرنسي حديث لهذا

التقسيم ينحو إلى تصنيف المولودين في فرنسا من المسلمين في مستوى خطورة القادمين من أراضي الحروب والكوارث في العالم الإسلامي وأشد، هذا الإدراك يحيل إلى اعتراف بالفشل وبالشرخ العميقة. فشل فرنسا في استيعاب «مسلميهها» حتى مع الجيل الثالث والرابع فشل لا أحد في «المؤسسة» الفرنسية المكابرة يجرؤ على الجهر به، وهناك إصرار دائم على أن « هؤلاء» هم الذين يرفضون فرنسا ولا أحد يمتلك شجاعة السؤال: هل فرنسا تريدهم فعلا." (توفيق رباحي، 2018).

وسبق أن عبر شارل ديغول في عام 1959، عن المخاوف نفسها التي تعترى هذه الأيام جسم المجتمعات الغربية كافة، حين قال: «نحن، قبل كل شيء شعب أوروبي ينتمي إلى العرق الأبيض من الثقافة اللاتينية والإغريقية والدين المسيحي، المسلمون.. هل رأيتموهم.. بعمائمهم وجلابياتهم؟ تستطيعون بسهولة تبيين أنهم ليسوا فرنسيين، حاول أن تمزج الزيت مع الخل وهرّ الزجاجة وبعد دقيقة ينفصلان من جديد، العرب هم العرب والفرنسيون هم فرنسيون، هل تظنون أن المجتمع الفرنسي يمكن أن يستوعب عشرة مليون مسلم؟ مسلمون يمكن أن يصبحوا غداً 20 مليوناً وبعد غد 40 مليوناً؟ لو أننا دمجنا كل العرب وكل البربر من الجزائر اعتبروا فرنسيين، كيف نمنعهم من القدوم إلى متروبول»، حيث مستوى المعيشة مرتفع أكثر بكثير؟ بلدي لن تعود كولومبي - لي - دو - إيجليز بل كولومبي - لي - دو - موسك (في إشارة إلى تحوّل الكنائس إلى جوامع). (الفقرة مُدرجة في كتاب "جون ولاك سكوت"، «سياسة الحجاب» (أسعد أبو خليل، 2015).

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب الفئة الأولى بحيث عادت لفئة مأسسة الإسلام بنسبة **33.64%** في لوفيغارو ، و**32.94%**، في حين اختلفتا في ترتيب بقية الفئات التي عادت على التوالي إلى فئة المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج بنسبة **22.84%**، الإسلام فوبيا بنسبة **26.62%**، صورة المرأة بنسبة **16.90%** في لوفيغارو، وفي لوموند، صورة المرأة بنسبة **27.32%** الإسلام فوبيا بنسبة **22.98%** وفي آخر الترتيب المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج بنسبة **16.77%**.

- جدول رقم (15) يبين توزيع مأسسة الإسلام في فرنسا في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	الموضوع
24.54	39	26.51	57	دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام
27.67	44	28.38	61	مهنة الإمامة وإدارة المساجد
15.72	25	08.37	18	المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام
32.07	51	36.74	79	إسلام فرنسا
100	159	100	215	المجموع

تشير الأرقام الواردة في الجدول إلى:

- صحيفة لوفيغارو: إسلام فرنسا **36.74%** مهنة الإمامة وإدارة المساجد **28.38%**، دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام في فرنسا **26.51%** المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام **08.37%**.

- صحيفة لوموند: إسلام فرنسا **32.07%**، مهنة الإمامة وإدارة المساجد **27.67%**، دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام **24.54%** المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام **15.72%**.

يشير تحليل بيانات الجدول أن فئة إسلام فرنسا قد استأثرت بالتغطية، وذلك بنسبة بلغت **36.74%** في لوفيغارو وبنسبة **32.07%** في لوموند، ويمكن تفسير ذلك باستغلالهما للأحداث من أجل إعادة بعث مشروع إسلام فرنسا الجيد والإيجابي والتسويق له كبديل عن الأشكال العديدة الأخرى للإسلام السيئة، وهي الصورة التي سبق وأوصت وتوصي بها الدراسات الاستشرافية (الكلاسيكية والجديدة)، والتي كانت سبابة في الحديث عن الانشقاقات والاختلافات في المذاهب والفرق الإسلامية التي أوجدت العديد من أشكال الإسلام منها "الإسلام التقليدي" الذي جاء به المهاجرون من بلدانهم الأصلية، وأنواع الإسلام تبعا للاختلافات المذهبية منها: الإسلام السني، والإسلام الشيعي، الإسلام الجهادي، الإسلام السلفي، الإسلام الإخواني،

الإسلام الراديكالي، الإسلام الصوفي، الإسلام الوهابي، وتبقى القائمة مفتوحة لكل من يريد إسلام على طريقته، هذا في مقابل الحديث عن إسلام واحد ووحيد يصلح لفرنسا وللفرنسيين هو الإسلام الفرنسي الحداثي والتقدمي، الذي سيبني على مبادئ وقيم فرنسا العلمانية الدولة المنتمية للقيم والحضارة الغربية.

وعليه أمكن الجزم أن كل من لوموند ولوفيغارو قد تبنتا وواكبنا مجددا جهود الحكومة الفرنسية الرامية منذ سنوات للقضاء على الإسلام بتشويه صورته واستبداله بإسلام آخر، في محاولة لاستغلال المسلمين من جهة، وتقادي أي اصطدام معهم في حال مواجهة مكشوفة وشاملة من جهة أخرى، وذلك من خلال إيهامهم أن الهدف هو تنظيم الإسلام ومحاربة الإسلام المتطرف والأصولي والسيئ بالنظرة الفرنسية.

وجدير بالذكر هنا أن هذه المساعي ليست بالبدعة الفرنسية، بل هي النسخة الفرنسية عما تسعى وتعمل عليه العديد من الحكومات الغربية، تتقدمها الولايات المتحدة الأمريكية فبعد أحداث 11 من سبتمبر يتداول في المؤسسات البحثية والأكاديمية، وفي الإعلام الغربي الحديث عن الإسلام الأمريكي، الإسلام الأوربي، الإسلام الألماني... الخ. والخبير الفرنسي في شؤون الإسلام، أوليفي روا الذي درس «إسلام الضواحي» في فرنسا دعا جهاراً في مقابلة مع صحيفة «إنفورماسيون» الدانماركية إلى بناء نموذج وطني (دانماركي) للإسلام من خلال تمويل حكومي، ولم تعد الدعوة إلى مشاركة حكومات الغرب في صنع إسلام جديد وملائم خافقة (أسعد أبو خليل، 2015).

وفي دراسة "السيد زهرة" كشف عن أبعاد مخطط في الغرب يسعى إلى إيجاد إسلام على الطريقة الأمريكية، من خلال مراكز الأبحاث التي تعمل بجد لتحقيق هذا الغرض، ومن أخطر هذه المراكز مركز "راند" الذي أصدر دراسة بعنوان "الإسلام المدني الديمقراطي الشركاء والموارد والاستراتيجيات"، وتهدف من وراء دراستها تلك إلى إفادة تحديث الإسلام عن طريق تشجيع المعتدلين وتشجيع التفسير الديمقراطي للإسلام، والهدف النهائي المنشود من وراء تغيير الإسلام أو إعادة بنائه هو أن يصبح الإسلام في نهاية المطاف متوافقاً مع المصالح الغربية.

وقد قسمت الدراسة العالم الإسلامي إلى القوى والفئات التالية: "الأصوليون" الذين يعارضون القيم الديمقراطية والثقافة الغربية المعاصرة، ويريدون إقامة دولة إسلامية تطبق رؤاهم المتطرفة للإسلام، "التقليديون" وهم يريدون مجتمعا إسلاميا محافظا ويتشككون في التجديد والتغيير، "التحديثيون" وهم يريدون أن يصبح العالم الإسلامي جزء من العالم الحديث المعاصر ويريدون تحديث وإصلاح الإسلام كي يصبح متماشيا مع العصر، "العلمانيون" وهم الذين يريدون أن يقبل العالم الإسلامي بالفصل بين الإسلام والدولة، أن يبقى الإسلام محصورا في الأمور الشخصية فقط، وتقترح الدراسة استراتيجية محددة لتغيير الإسلام يمكن تلخيص أهم ما فيها في (شعيب الغباشي، 2010، 184):

- ضرورة تقديم الدعم المالي والسياسي للتحديثيين والعلمانيين، كتبني طباعة ونشر أعمالهم وتشجيعهم على مخاطبة الجمهور العام والشباب بالذات، ودعم أن يقوم هؤلاء بالذات بتطوير مناهج الدراسة في المدارس الإسلامية والعمل على تمكينهم من الظهور والبروز في أجهزة الإعلام الإقليمية وفي الفضائيات ومواقع الانترنت.

- تشجيع الوعي العام بالثقافة والتاريخ غير الإسلاميين في الدول الإسلامية قبل الإسلام، والعمل على تكريس هذا الوعي في أجهزة الإعلام وفي مناهج الدراسة.

- اتباع استراتيجية فرق تسد بين القوى والجماعات الإسلامية، وبصفة خاصة تشجيع الخلافات بين الأصوليين والتقليديين ودعم مدارس معينة من مدارس الشريعة الإسلامية في مواجهة الأخرى.

- العمل على تشويه سمعة رجال الدين التقليديين والأصوليين، تشجيع الصحفيين في وسائل الإعلام المختلفة على أن ينقبوا في الحياة الخاصة لرجال الدين بهدف كشف انحرافاتهم وأوجه فسادهم ونشرها.

وما تسعى إليه فرنسا، بدعم من إعلامها وصحافتها يعد صورة طبق الأصل عما ورد في الدراسة، وفي غيرها من الدراسات والبحوث التي تتوالى على صناع القرار في الإليزيه لتزويدهم بالتوصيات والاقتراحات الأفضل لتجسيد وفرض إسلام فرنسي على الجميع.

ويعود تأسيس أول مؤسسة تعنى بتنظيم الإسلام مع الاقتراح الذي تقدم به سنة 1999 "جان بيار شوفونمان" عندما كان وزيرا للداخلية، بتأسيس مجلس فرنسي للديانة الإسلامي

(CFCM) لتمثيل مسلمي فرنسا وضبط العلاقة مع الدولة، وأبصر المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية النور سنة 2003 بتشجيع من وزير الداخلية آنذاك "نيكولا ساركوزي"، وأخذ على عاتقه تنظيم العلاقة مع الدولة في ما يخصّ بناء المساجد والتجارة الحلال، وتأهيل الأئمة، وتحديد الأعياد الإسلامية (أحمد عيساوي، 2018).

وبدأ اتخاذ هذه الإجراءات بعد عام من أحداث "شارلي إيبدو" بتأسيس مؤسسة إسلام فرنسا خلال العام 2016، وكان من أولى خطوات إصباح الطابع الفرنسي على الإسلام تعيين وزير الدفاع السابق "جان بيير شوفينمان" على رأس المؤسسة، بما يحمله من دلالات تعيين وزير دفاع سابق يساري التوجه لإدارة مؤسسة دينية والدين الإسلامي بالذات.

واحتلت فئة مهنة الإمامة وإدارة المساجد المركز الثاني، بنسبة **28.38%** في لوفيفارو وبنسبة **27.67%** في لوموند، وتم إثارة هذه القضية في سياق الاتهامات التي وجهت لأئمة المساجد بكونهم السبب في انتشار الفكر المتطرف مما بات يستلزم تأطير وتنظيم أكبر للمهنة من قبل السلطات.

ولطالما كانت مسألة الإمامة وإدارة المساجد من أكثر النقاط إثارة للجدل في المشهدين السياسي والإعلامي الفرنسي؛ فبعد أن راح الإعلام الفرنسي يسوق أن خطاب المسجد هو السبب الرئيسي في تشدد الجهاديين من المهاجرين ومن الفرنسيين وهي الأفكار السائدة في خطاب اليمين المتطرف، لكن يبدو أنه أصبح اليوم لسان حال فرنسا إعلاما وحكومة وبكل الأطياف السياسية.

ويمكن تفسير إثارة هذه القضية في إطار سعي لوموند ولوفيفارو لترسيخ صورة نمطية سلبية عن الأئمة باعتبارهم من الرموز والمرجعيات الدينية الأساسية لعامة المسلمين، كما أن عملهم يتركز في المساجد وهي أماكن مقدسة عند المسلمين، فيصبح تشويه صورتهم أمام المسلمين وغير المسلمين، كفيل بتشويه الدين كله.

ويتضح من مضامين لوموند ولوفيفارو حول هذه المسألة أن هناك تأثيرا وتأثر واضح نجم عنه تناغم واتساق بين توجهات الحكومة الفرنسية وصحافتها المستقلة، فالترويج لهذه الأفكار سيكون بمثابة ذريعة لتبرير أي إجراءات تتخذها السلطات الفرنسية في إطار تنظيم

مهنة الإمامة وإدارة المساجد، يتقدمها القضاء على الأئمة المتهمين بالرجعية والسلفية، مقابل تشجيع من وصفوا بالأئمة الحدائيب والتقدميين والذين يرون أن التعليم الإسلامي في مصر والسعودية غير مناسب للشباب المسلمين الفرنسيين وغير متوافق مع طرق العيش في فرنسا.

هذه الشخصيات -الأئمة- تلعب دورا حاسما في إيجاد طرق تمكن الإسلام من أن يُعاش ويُمارس بشكل عملي في فرنسا، على النقيض من الصورة العامة التي تروج لها وسائل الإعلام ويروج لها الساسة. وهناك على التحديد، عدد ليس بكبير من الأئمة يحاولون تطوير صيغة إسلامية متوافقة مع الحياة الأوروبية (مستورى فتحي، 2015). ومن بين هذا الصنف من الأئمة الإمام طارق أوبرو الذي تحدث في مقابلة في مع صحيفة لوموند عن مؤسسة الإسلام وتجديد اللاهوت الإسلامي، وعن ضرورة تكييف الإسلام مع العقلية الفرنسية قائلا: "يجب أن يسمح الخطاب الديني بدمج المسلمين في المجتمع."، مضيفا: "إن الإسلام من خلال بروزه يزرع الهوية الوطنية والناس غير مستعدين لاستقبال هذه المظاهر."

ويبدو أن فرنسا عازمة بشكل قاطع على المضي قدما في هذه الاجراءات المتواصلة مع الرئيس الحالي "إيمانويل ماكرون" والذي شملت خطته لإعادة هيكلة الإسلام، تأسيس هيئات تمثيلية حقيقية للمسلمين، التمويل المنتظم لدور العبادة، تعزيز الرقابة على الحسابات الممولة للمساجد وتكوين "أئمة فرنسا" ليحلوا محل الأئمة الوافدين من دول أخرى أو لتعويض الأئمة الذين "نصّبوا أنفسهم بأنفسهم."، وأخيرا وليس آخرا استقلال "إسلام فرنسا" عن الإسلام في دول أخرى، فماكرون يريد أن يضع حدا لما يسميه «الإسلام القنصلي»؛ أي الإسلام المرتبط بالخارج والإسلام الذي يستعين بأئمة وعلماء يأتون من بلدان المغرب أو من تركيا وغالبيتهم لا يجيدون اللغة الفرنسية ولا يعرفون عادات وتقاليد البلاد؛ وعلى رأسها العلمانية التي يريد ماكرون، كمن سبقه، أن تكون النبراس الذي يهتدى به، من غير أن تؤدي إلى «حرب الهويات» بين المسلمين وغير المسلمين (ميشال أبو نجم، 2018).

وكانت الحكومة الفرنسية قد حاولت بمبادرة من الرئيس الحالي، ومن قبله وزير الداخلية الأسبق نيكولا ساركوزي منذ 2003، الحد من عدد الأئمة الذين يأتون إلى فرنسا من الضفة الأخرى للمتوسط، وخاصة من دول المغرب، ووضعت شروطا لقبول الأئمة في فرنسا، أهمها إتقان اللغة الفرنسية، كما بدأت بتمويل عملية "إعداد" الأئمة في فرنسا بما ينسجم

وزعمها وقيم وقوانين الجمهورية، وأنشأت كل من جامعتي السوربون وباريس الثانية، اعتباراً من العام الماضي دبلوم خاص بـ "أئمة المستقبل"، يركز على تاريخ فرنسا وقانون الأحوال الشخصية والدستور والحريات العامة، وبذلك تكون الايدلوجيا وليس الحرية من لها الأولوية في فرنسا (<http://almoslim.net>).

ومن بين المقترحات التي يدرسها ماكرون- الذي سبق وصرح أنه لا بد من الاستلهاج من تاريخ الكاثوليكية والبروتستانتية من أجل إعادة هيكلة الإسلام - تنصيب إمام للمسلمين في فرنسا في شكل يشبه الحالة الباباوية في الفاتيكان، ولا يتوقف ماكرون عن التلميح إلى الدور الخارجي في إرسال أئمة لا يعترفون بالجمهورية ودستورها العلماني، وهو لذلك يرغب في تحضير أئمة المساجد بشكل يسمح في "بث خطاب إسلامي متسامح"، مضيفاً أن إصلاح الإسلام، "لن يكون عبر مرسوم صادر من الإليزيه"، "هذه مسؤولية المسلمين حتماً، لكنها أولوية الدولة أيضاً" (أحمد عيساوي، 2018).

وفي تعليقه على تصريحات ماكرون بأنه يريد "مؤسسات تعليمية موثوقة، وأئمة وخطباء موثوقين"، وأنه لا بد من تخريج أئمة داخل البلاد بدلاً من استقدامهم من الخارج، اعتبر أوغراش أن "هناك حرب إعلامية على الإسلام والمسلمين في البلاد"، مشدداً على أنه "من الإجحاف ربط أزمة الإرهاب بالأئمة الوافدين من خارج فرنسا، بل على العكس تماماً فهذه المشكلة تظهر بين الأئمة الذين تتم تنشئتهم داخل فرنسا" (رامتان عوايطية، 2018).

ويكشف عن النوايا الفعلية من وراء تسويق هذه الخطابات من قبل لوموند ولوفياغرو على غرار الخطاب الإعلامي والسياسي بشكل عام، ما تقوم به السلطات الفرنسية من تضيق الخناق على الأئمة وترحيل العديد منهم. كان آخرها ترحيل إمام من مرسيليا إلى الجزائر وصف بالسلفي والمعروف بخطبه المتطرفة، وقالت وزارة الداخلية في طلب الترحيل أن الأمر يتعلق خصوصاً "بأعمال تحريض صريحة ومتعمدة على التمييز والكرهية والعنف ضد شخص محدد أو مجموعة من الأشخاص" وخصوصاً النساء والشبيعة واليهود ومرتكبي الزنى، ورأت لجنة مكونة من قضاة إداريين وقضائيين بمرسيليا أن "تحليل الإيديولوجيا التي يروج لها الإمام يظهر أنه ينفي الآخر في فردانيته وانسانيته"، وأضافت أن تعريف الإمام للآخر "يقتصر على جنسه وانتمائه لعرق أو ديانة أو فئة من الناس وهو ما يمس المبادئ الأساسية

للجمهورية"، وأوضح وزير الداخلية جيرار كولومب في مقابلة مع صحيفة "وست فرانس" في 31 مارس، أن السلطات رحلت 20 أجنبيا متطرفين يقيمون في وضع قانوني من البلاد في 2017 وأنه رقم "غير مسبوق" (<http://www.alquds.co.uk>، 2018).

ارتبط بهذه القضية، إثارة قضية دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام في فرنسا بنسبة **26.51%** في لوفيجارو وبنسبة **24.54%** في لوموند، وتحديث الصحيفتان عن تمويل هذه الدول لما أسمته بالإسلام التقليدي وكل دولة حسب توجهاتها، وخاصة تمويل السعودية للإسلام الوهابي، كما أضيف إليها التمويل الجزائري، ودور الجالية الجزائرية في تمويل الإسلام وبناء المساجد التي تخضع لسيطرة من تصفهم بالسلفيين، ودعا بعض الكتاب في لوموند ولوفيجارو إلى تحرك السلطات من أجل وضع حد وفرض رقابة صارمة على تمويل المساجد، والمدارس الإسلامية والجمعيات الخيرية، ومختلف المؤسسات العاملة بصفة إسلامية، إلى جانب العمل على تعليق أو العمل على إيقاف التمويل القادم من البلدان الأصلية بحجة تحميلها مسؤولية انتشار الإسلام الجهادي والإرهاب في فرنسا.

ويعد هذا الطرح من بين ما تتبناه الطبقة السياسية في فرنسا والحكومة الفرنسية على لسان رئيس الحكومة مانويل فالس الذي تساءل "كيف يمكن أن نقبل بأن يستقبل إسلام فرنسا تمويلا من دول خارجية مهما كانت تلك الدول؟" (موقع قناة الحرة، 2016). ويحمل التساؤل في طياته استنكارا ورفضاً لتمويل الإسلام من خارج فرنسا.

ومن أجل إيجاد البدائل والاستقلال بتمويل إسلام فرنسا، اقترحت دراسة "معهد مونتاني" على السلطات الفرنسية، -عبر مؤسسة لتنظيم إسلام فرنسا- فرض ضريبة خاصة على اللحوم الحلال، وعلى الوكالات التي تنظم رحلات الحج، وأيضا على التبرعات الخاصة المعفاة من الضرائب، ويقترح معد الدراسة الباحث الفرنسي من أصل تونسي "حكيم القروي" إطلاق هيئة مستقلة تتشكل من الفرنسيين لضبط الأسواق المختلفة بمحيط المسلمين وهي الحج والزكاة وسوق الحلال، ولمراقبة التدفقات المالية وجمع الأموال والهبات التي تستفيد منها ممثليات الديانة الإسلامية لاسيما في مجال تمويل تسيير المساجد، ووضع وسم الحلال الذي قدر رقم مبيعاته في السوق الفرنسية بـ 6 ملايين أورو (الشروق أون لاين، 2018).

وبلغت فئة المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام نسبة 08.37% في لوفيفارو، و 15.72% في لوموند، وركزت كل من الصحيفتين على مسألة الخلافات داخل هذه المؤسسات، التي وصفتها بالعاجزة عن إيجاد صيغة توافقية في تعاطيها مع مشاكل الإسلام والمسلمين، بل اعتبرتها جزء من المشكلة وسبب في استمرارها؛ نظرا لدورها غير الفعال والفاشل، وأرجعت ذلك لارتباطها بجهات وأطراف خارجية وولائها لها، إلى اختلافاتهم الوطنية والمذهبية. وهذا ما يفقدها شرعية تمثيل المسلمين في فرنسا.

ويزيد عدد الجمعيات العربية الإسلامية في فرنسا عن ثلاثة آلاف جمعية ومنظمة مسجلة في الجريدة الرسمية الفرنسية، وهذه الجمعيات تدخل في إطار بعض التكتلات الإسلامية الكبرى مثل الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا، وفيدرالية الجمعيات الإسلامية الإفريقية، والاتحاد الإسلامي الفرنسي الذي يضم الجمعيات التركية، كما تضم هذه الجمعيات مثقفين وطلبة وناشطين سياسيين ينتمون إلى أقطار إسلامية وعربية عديدة أو ربما ينتمون إلى دولة واحدة (مجدي الداغر، 2009، 447).

وهناك "جماعة الدعوة والتبليغ" وأصل مذهبهم من الهند وهم دعاة متجولون زاهدون لا يخوضون في السياسة، ولا يتدخلون في النقاش الاجتماعي وينقسمون إلى جمعيتين أساسيتين، وقد تفرّغوا لإعادة أسلمة من "ابتعد عن الإسلام" ويرى الكثيرون في ذلك دعوة لاعتناق مذهبهم لا أكثر، ويمتلكون العديد من المساجد والمصليات في كبرى المدن الفرنسية خاصة. وتوجد جمعيتان كبيرتان لتمثيل الأتراك، إحداهما تشرف عليها السفارة التركية والأخرى معارضة، وتكوّنت أخيرا جمعية "الفاياكا" لتلّم المساجد والمصليات التابعة للأفارقة والقمريين والوافدين من جزر المحيط الهندي بصفة عامة، وجمعية هامة تمثل أتباع المذهب الإسماعيلي (أحمد عيساوي، 2018).

ويعد مسجد باريس الكبير نقطة ثقل رئيسية كبرى من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية، فهو لا يمثل مركز عبادة فحسب لكنه يعمل أيضا على تنظيم شؤون المسلمين باعتباره الممثل للجالية الإسلامية لدى السلطات الفرنسية الرسمية ولدى الجاليات الدينية الأخرى (مجدي الداغر، 2009، 448).

ويؤخذ على هذه الهيئة النزاعات الداخلية التي أعاققت عملها والانقسامات المرتبطة ببلد المنشأ وهيمنة 3 فيدراليات عليها تتبع كل منها، إلى حد كبير، عاصمة مرتبطة بها. والعواصم هي الجزائر والرباط وأنقرة. وثمة جهة رابعة يمكن وصفها بـ«عابرة للحدود» وهي «اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا» القريبة من فكر الإخوان المسلمين. ولعل أبلغ دليل على فشل «المجلس» أن استطلاعاً للرأي بين أن 68 في المائة فقط من مسلمي فرنسا «يعرفون» المجلس الذي شارك في انتخابه ألف مسجد بينما المساجد وأماكن العبادة في فرنسا تزيد على 2500 (ميشال أبو نجم، 2018). والحالة الأهلية للمسلمين في فرنسا ليست مرتبطة بشكل وثيق بالمؤسسات الإسلامية التي وقعت على «ميثاق العلمانية»، وأعلنت مرارا التزامها بمبادئ الجمهورية، إذ لم يسمع سوى 41٪ من المسلمين بالمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية الذي تأسس من 15 سنة (أحمد عيساوي، 2018).

وأمام هذه الوضعية كان من السهل على لوموند ولوفيغارو تشويه الإسلام من خلال حالة التشرذم والانقسامات في صفوف مؤسساته، وعدم قدرتهم على التمثيل الفعلي للمسلمين في البلاد، وقد كانت الأحداث فرصة لإعادة قضية تمثيل الإسلام إلى الواجهة السياسية والإعلامية، ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى تنصيب نفسها كوصي على شؤون المسلمين في محاولة منها لتنصيب مخاطب رسمي في ظل ما اعتبرته فقدان مختلف المؤسسات الإسلامية لشرعيتها من أجل تمثيل المسلمين.

وجاء الحديث عن هذه المؤسسات التي أوجدت بقرارات رسمية، جاء في سياق تقديم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين الذين لم يستطيعوا أن يتفقوا ويتوافقوا على هيئة موحدة، تكون بمثابة المحاور الوحيد والشرعي والجدي مع الحكومة الفرنسية كما هو الحال مع مجلس تمثيلية اليهودية، مما اضطر الحكومة الفرنسية حسبهم لتأسيس مؤسسة فرنسا وبرئاسة "جون بيير شوفينمان" الفرنسي طالما عجز المسلمين عن إيجاد من يمثلهم.

وكتب Ghaleb Bencheikh في مقال بعنوان: Il n'appartient pas à l'état d'organiser le culte musulman " بعد المأساة التي اهتز لها وطننا بداية السنة الميلادية، والتي تورط فيها العامل الإسلامي بعنف، ها نحن في مواجهة المسألة الشائكة بخصوص تمثيل الإسلام في فرنسا (Ghaleb Bencheikh 2015 .p13)، وكتبت لوموند تحت عنوان رئيس في الصفحة الأولى

عنوانت 2015 février26، l'islam : Cazeneuve demande aux musulmans de s'organiser
 الصحيفة افتتاحية العدد "إسلام فرنسا: إعادة تأسيس صحية في مواجهة انقسامات مسلمي
 فرنسا" أن الحكومة تعزم تأسيس "هيئة ممثلة قدر الإمكان" تجمع بين الأئمة والمتقنين
 والأكاديميين والجمعيات، وعادت في مقدمتها لتجارب 25 سابقة من أجل تنظيم إسلام فرنسا
 ليكون موائما لقيم اللائكية والجمهورية الفرنسية، ولحل المشاكل الثقافية والتعبدية للديانة الثانية
 في البلاد لمواجهة، كما ذكرت بتعدد الهيئات الممثلة للإسلام في فرنسا بمختلف الانقسامات
 خاصة بين الجزائر المسيرة للمسجد الكبير، المغرب تركيا ومنظمة اتحاد المنظمات الإسلامية
 الفرنسية التابعة للإخوان المسلمين، وهددت في الأخير مشاكل مسلمي فرنسا منذ سنوات
 والمتمثلة في: التكوين الجامعي للأئمة ورجال الدين، الطعام الحلال والأعياد الدينية.

➤ تشابهت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات مؤسسة الإسلام وجاءت فئة إسلام فرنسا في
 صدارة الترتيب بنسبة **36.74%** في لوفيغارو وبنسبة **32.07%** في لوموند متنوعة
 بموضوع مهنة الإمامة وإدارة المساجد بنسبة **28.38%** في لوفيغارو وبنسبة
27.67% في لوموند ثم دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام بنسبة **26.51%**
 في لوفيغارو، وبنسبة **24.54%** في لوموند وفي الأخير المؤسسات الإسلامية في
 فرنسا وتمثيل الإسلام بنسبة في **08.37%** في لوفيغارو وبنسبة **15.72%** في لوموند.

- جدول رقم (16) يبين توزيع فئة الإسلاموفوبيا في صحفيتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الموضوع	الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
09.98	11	45.88	78	الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب	
18.01	20	24.11	41	تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية	
34.23	38	21.76	37	التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا	
37.78	42	08.25	14	الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا	
100	111	100	170	المجموع	

تعكس أرقام الجدول أعلاه:

- صحيفة لوفيغارو: الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب **45.88%** تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية **24.11%**، التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا **21.76%** الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا **08.25%**.

- صحيفة لوموند: الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا **37.78%** التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا **34.23%** تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية **18.01%** الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب **09.98%**.

يبين تحليل بيانات الجدول أن ظاهرة الإسلاموفوبيا بمختلف مظاهرها تتفاقم في فرنسا شأنها في ذلك شأن مختلف الدول الأوروبية، ويمكن القول أن تنامي معاداة الإسلام يعود بالأساس إلى الصور النمطية السائدة عن الإسلام والمسلمين، وبشكل خاص نتيجة لعدم التمييز بين قيم الإسلام وسلوكيات بعض المسلمين كما تبين في تحليل الجداول السابقة، وأقرّ الباحث أوليفيه روا بأنّ ظاهرة "الخوف من الإسلام" والرغبة في تجريم المسلمين، ظاهرتان ناجمتين عن أحداث سياسية، وصور نمطيّة مترسّبة في المخيال الأوروبيّ عموماً والفرنسيّ خاصة، منها أن: بحث المسلمين عن "الإسلام الحقيقي" (اليقينية في ادعاء امتلاك الحقيقة)، فيه إعادة لرفض الآخر، وأن مطالبه مسلمي الغرب حكومات بلادهم باحترام العقيدة والشريعة استغلال للمطالب الفئوية للأقليات، وأن المسلمون لا يدينون الإرهاب (د. عصام بن الشيخ ، 2017).

وظاهرة الاسلاموفوبيا ليست ظاهرة دينية فقط تتغدى على المخزون التاريخي الذي شكله الكهنة والقساوسة في العصور الوسطى، ولكنها في الوقت نفسه ظاهرة علمانية تغديها الرغبة الغربية في السيطرة على العالم واحتكار القوة والثروة وعقدة التفوق الغربي؛ ولذلك فإنه يمكن أن نلاحظ بوضوح اتحاد اليمين المسيحي المحافظ الأصولي مع الليبراليين الجدد في إذكاء نار الخوف المرضي من الإسلام وتأجيج مشاعر الكراهية الغربية نحوه، هذا الاتحاد يفسر حقيقة أن معظم وسائل الإعلام الغربية قد شاركت في تشكيل ظاهرة الاسلاموفوبيا ونشرها كما أنه نتيجة لمعالجة وسائل الإعلام الغربية للظاهرة بأساليب مختلفة ومتعددة وأن هذه الوسائل قد قدمت مضمونا يثير عداة فئات مختلفة من الجماهير الغربية ضد الإسلام، وأنها قد قامت بتوسيع الظاهرة لتشمل أبعادا مختلفة من الدينية وثقافية وسياسية، واقتصادية وعرقية، فالإنسان الغربي وإن لم يكن يحفل بالدين فإنه يخاف بشكل كبير على مصالحه وامتيازاته (سليمان سالم صالح، 2005، 134-135).

وربما كان المستشرق البريطاني فريد هاليداي أول من اعترف صراحة بأن الشعور في الغرب بالعداء للإسلام يكتسب أبعادا جديدة كل حين، ففي فرنسا يلاقي المسلمون مضايقات يومية، وفي دول أوروبا عموما أصبحت نعمة العداء للإسلام والمسلمين ترديدا للقوالب الفكرية والأحكام الجاهزة، وتحولت إلى أيديولوجيا أو نظرية عنصرية (رجب البناء، 2005، 45).

في هذا الإطار كتب الصحافي الفرنسي كلود أسكولوفيتش: "أن هناك تناميا لتيار فاشيستي فرنسي، يتجلى في معاداة الإسلام"، لافتا إلى أنه في الوقت الذي ستت فيه الدولة الفرنسية قوانين لمعاداة السامية، يتعرّض المهاجرون المنتمون إلى الجالية المسلمة للجدد يوميًا، وبشكل عنيف من طرف وسائل الإعلام الفرنسي.

ويستطيع كل متابع لطبيعة وصورة علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين أن تتأكد لديه قناعة بأن المجتمعات الغربية تتنابها حالة من الخوف والتبرم من الإسلام والمسلمين يعبرون عنها بصور متعددة سواء أكانت بالاعتداء، أو التحرش بالمسلمين المقيمين في بلادهم أو بالرسوم والأفلام المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، أم بتبني بعض الكتاب المتمردون على الإسلام ومنحهم الشهرة والجوائز على تبنيهم آراء مخالفة لصحيح الفقه والشريعة الإسلامية، كما أن المجتمعات الغربية بدأت تضيق وتهاجم المسلمين والإسلام لأشياء ومظاهر وسلوكيات

ليست جديدة، ولم تكن تهاجم في ظل الحرب الباردة وقبل انهيار الشيوعية ابتداء من أزياء المرأة المسلمة وعلاقتها بالجنس الآخر خاصة في مراحل الصبا والشباب، والتمسك بالأكل الحلال وفقا للشريعة الإسلامية ورفض زواج مسلمة بمسيحي (شعيب الغباشي، 2010، 180).

ومن بين المظاهر الإسلاموفوبية التي يروج لها الإعلام والصحافة الفرنسية نجد ظاهرة الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب، وهذا ما يفسر احتلال فئة الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب صدارة تركيز لوفيفارو بنسبة كبيرة بلغت **45.88%**، في حين جاءت في آخر الترتيب وبنسبة متدنية **09.98%**، في لوموند.

ويمكن تفسير هذا الاختلاف في هذا الموضوع كما هو الحال في جدول المواضيع الاقتصادية باختلاف السياسة التحريرية والتوجه السياسي الذي تمثله كل من الصحيفتين، حيث عكست لوفيفارو الخطاب السائد في وسط اليمين الذي يربط دوما بين الهجرة والإسلام والإرهاب، وهذا بالرغم من المعطيات التي تشير إلى أن ظاهرة التطرف واعتناق ايديولوجيا الجهاد- بالمفهوم الفرنسي- منتشرة في أوساط المسلمين من أصل فرنسي أكثر من المهاجرين، ومع ذلك تصر الصحيفة على الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب، ومن خلال التسويق مجددا بأنهم سبب انتشار كل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية ويضاف إليها سبب انتشار الإرهاب، والحل يمكن في تقنين أكثر للهجرة الشرعية والحد نهائيا من الهجرة غير الشرعية.

وكتب السياسي وصاحب كتاب انعدام الأمن الثقافي Laurent Bouvet على صفحات لوفيفارو: " أن الإرهاب الإسلامي يزيد من حالة القلق والعداء الناجمة أساسا عن أسباب اقتصادية واجتماعية خاصة لدى الطبقات الهشة اتجاه الإسلام والمسلمين عموما... وعدد جملة من التهديدات لأمن فرنسا منها: العولمة وتأثيراتها المختلفة، التطورات التكنولوجية، التهديدات الإسلامية... الإرهاب والهجرة... مؤكدا أن الإسلام والهجرة أصبحت عوامل ضغط للعديد من الدول الأوروبية جنبا إلى جنب مع العراقيل الاقتصادية الكلاسيكية، حيث لم يعد المهاجر منافس فقط في سوق العمل والمساعدات الاجتماعية، ولكن يحتمل تأثيره على أسلوب الحياة والقيم الأصلية ولهذا أصبح ظهور الإسلام في الفضاء العمومي (طريقة اللباس، عادات غذائية، الأعياد الدينية، وضع المرأة) ينظر إليه من قبل البعض كتهديد لهوياتهم (Laurent Bouvet, 2015, p20).

والتقت كل من لوموند ولوفيغارو في تبني خطاب التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا، وذلك بنسبة **34.23%** في لوموند، و**21.76%** في لوفيغارو، وكتب Fabrice Hadjadj في مقاله التحليلي في لوفيغارو بأن الجهاديين ارتكبوا خطأ استراتيجي فادح تسبب في ردود فعل ساخطة، وأنهم لم ينجحوا إلا في إبطاء الأسلمة الهادئة لأوروبا (Fabrice Hadjadj 2015، 14). ويعتبر هذا التحليل بمثابة اعتراف وتبني صريح لكل الطروحات القائلة بسعي الإسلاميين إلى أسلمة أوروبا والغرب.

ويمكن تفسير ذلك بتبني لوموند ولوفيغارو لما تروجه الدوائر الإعلامية والأكاديمية الغربية والادعاء السائد منذ تحذيرات هنتغتون أن النمو الديموغرافي المتزايد للمسلمين يهدد البنية الديمغرافية للغرب، وما كتبه "برنارد لويس" في صحيفة جيروزاليم بوست عام 2007 أن أوروبا ستكون مسلمة عند نهاية هذا القرن على أبعد تقدير، وفي عام 2004 حذر "فريتز بولكيشتان" المفوض السابق للاتحاد الأوروبي من أن مدن كبرى سوف تحتوي على أقلية أوربية منها مدينتان في بلاده هما: أمستردام وروتردام، وحذر من الإضافة المقدرة لثلاثة وثمانين مليون مسلم من الأتراك ستزيد في أسلمة أوروبا، وعلق أنه لا يعرف إن كانت الأمور سوف تصير إلى ما توقعه لويس، ولكنه أضاف لو كان على صواب فإن تحرير فيينا من الجيوش التركية في عام 1683 كان عبثاً (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 170).

وما انفك باييس الصحفي والكاتب بجريدة نيويورك صن وجيروزاليم بوست ومؤسس نظرية "الرعب الإسلامي" منذ أكثر من عقد يشن حملة مسعورة ضد العرب والمسلمين، ويحذر الأوروبيين والأميركيين من تناميهم في المجتمعات الغربية ويثير كرههم منهم، ويخيفهم من أسلمة أوروبا وأميركا في المستقبل باعتبار أن هذه الكلمة التي ترعب الإسرائيليين سيكون لها نفس التأثير أو المفعول في أوروبا عامة، كما رسم "باييس" صورة مستقبلية قاتمة لهذه القارة زاعماً أن الكاتدرائيات الضخمة ستصبح بقايا أثرية فإما أن تُهدم أو تتحول إلى مساجد، وستذبل الثقافات القومية مثل الفرنسية والإيطالية والبريطانية وتذوب لتحل محلها الهوية الإسلامية.

وما يزيد من مخاوف الدوائر الإعلامية والسياسية الفرنسية نتائج سبور الآراء، حيث نظر مؤخراً مركز دراسات pewresearch cente في ثلاثة سيناريوهات لها علاقة بنمو عدد

السكان المسلمين في أوروبا، الأول وضع تصورا افتراضيا لتوقع أعداد المسلمين في المنطقة في حالة تسمى "الهجرة الصفريّة"، والثاني مع الاحتفاظ حصريا بالهجرة القانونية في الدول الأوروبية، والثالث مع الأخذ في الحسبان التدفق الكبير بما في ذلك للمهاجرين غير الشرعيين، الذي كان سُجل في القارة عامي 2014، 2016 ووفق بيانات المركز، قدرت أعداد المسلمين في فرنسا العام الماضي بنحو 5.7 مليون شخص، أي ما يعادل 8.8% من مجمل السكان، هذا العدد مع "الهجرة الصفريّة" سيزيد بعد 8 سنوات إلى 8.6 مليون شخص، وتوقع الباحثون في الحالة الثانية أن تكون الزيادة 17.4% أي ما يعادل 12.6 مليون شخص، وفي الثالثة بمعدل 18% وبتعداد 13.2 مليون شخص، ويعتقد الخبراء أنه إذا نظرنا إلى السيناريو الثالث، فإن عدد المسلمين في أوروبا بحلول عام 2050 قد يصل إلى 14% من سكان أوروبا، وهو ما يزيد بثلاث مرات عن المؤشرات الحالية، وشملت هذه الدراسة 28 دولة عضو في الاتحاد الأوروبي إضافة إلى النرويج وسويسرا (<http://www.alalam.ir/news>).

وإذا علمنا أن فرنسا تنصدر الدول الأوروبية من حيث عدد أفراد الجالية المسلمة وعدد الفرنسيين المعتنقين للإسلام، ومن حيث حجم وطبيعة المشاكل الناجمة عن التواجد الإسلامي على أراضيها، فستكون من أكثر الدول اعتمادا على هذه المعطيات والأرقام واتخاذها ذريعة للتخويف من تنامي الإسلام وأسلمة فرنسا، لاسيما مع انتشار مظاهر الدين الإسلامي في الفضاء العام (اللباس الإسلامي، المساجد وقاعات الصلاة، انتعاش تجارة الحلال في الإنتاج والخدمات...)، هذا مع أن إعادة أسلمة المظاهر بحسب الباحث "أوليفيه روا" ليست ضمانا للطابع الإسلامي وقد تكون خداعة حتى إن معالم الأسلمة ما عادت تعبر بالضرورة عن سياق إسلامي حقيقي، ويمكن أن تكون متعلقة باستراتيجيات أخرى، فتشوش بالتالي على قواعد الأسلمة الثابتة (أوليفيه روا، 2003، 133).

إن تسويق مثل هذه الأفكار يصاحبها تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية حيث بلغت نسبة هذه الفئة 18.01% في لوموند، و 24.11%، في لوفيغارو، والتي عادت بشكل خاص للخطابات والتصريحات العنصرية لليمين المتطرف، يتقدمها تصريحات "ساركوزي" ومارين لوبان"، والتي عكست الحقد الدفين والظاهر على المهاجرين والمسلمين والعنصرية المقبلة اتجاههم لدرجة المطالبة بطرد المسلمين والمهاجرين من أصول عربية وإفريقية.

وهذا بدوره ما يفسر تصاعد نسبة الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا بنسبة 08.25% في لوفيفارو، وبنسبة 37.78% في لوموند، ونشير بالنسبة لهذه الفئة المقصود هو ما نشرته لوموند ولوفيفارو من أخبار عن ما يتعرض له المسلمون من اعتداءات بعد الأحداث، بحيث ارتفعت هذه النسبة في لوموند التي نشرت بلهجة انتقادية ما تعرض له المسلمون من اعتداءات داخل فرنسا وخارجها خاصة في ألمانيا بسبب ممارسات منظمة بيغدا وسعيها لنقل نشاطها داخل فرنسا، وتساءلت لوموند في صفحتها الأولى بتاريخ 28 فيفري إن فرنسا أصبحت إسلاموفوبية؟ وأجابت في المقدمة عن تزايد العداء للمسلمين في مجتمع علماني حيث الإسلام أصبح مخيف وردود الفعل المعادية ظاهرة (وضع الفولار، المساجد، اللحم الحلال...)، ومتكررة، وبالنسبة للمتقنين ومنهم السياسي والخبير الإسلامي Olivier Roy اليوم يسود جو إسلاموفوبي بوضوح في فرنسا. وحسب آخر إحصاءات Cevi-pof الذي أجري بعد تفجيرات 7 جانفي فإن 56 بالمئة من الفرنسيين يعتبرون الإسلام تهديد للجمهورية.

ويعتبر تصريح الصحفي الفرنسي والكاتب المسرحي الساخر فيليب تيسون Philippe Tesson بأن "المسلمين، هم من يجلب الأوساخ لفرنسا" في (15 يناير 2015) صورة قريبة عن ظاهرة "شتم المسلمين، تحت بند (حرية التعبير)" في فرنسا، رغم أنه يصتف قانونيا في خانة الكراهية العنصرية، وهو يعكس الصورة المترسبة في المخيال الفرنسي منذ حادثة الهجوم المسلح على الصحيفة الفرنسية الساخرة شارلي إيبدو، ونحن نسجل النقلة النوعية للغربيين من الدفاع عن بند "حرية المعتقد" المثبت في نصوص الشريعة الدولية، إلى "محاكمة العقائد"، والتفتيش في ضمائر المسلمين (Racial Hatred /La Haine Raciale)، لتوريطهم حيال تهم التشدد والتعصب الديني ومحاسبتهم عليها مسبقا (د.عصام بن الشيخ، 2017).

وارتفعت وتيرة الأحداث والعنف بعد الهجوم على شارلي إيبدو، وسجلت سلسلة من الاعتداءات على المباني والمساجد (33 اعتداء على المساجد)، وتحولت إلى الأفراد والأشخاص، وبالخصوص النساء والأطفال، وانتقلت إلى الطلبة بالجامعة وغيرها، وقد سجل 133 عملا معاديا للإسلام بفرنسا خلال أسبوعين فقط مقارنة مع ما تم تسجيله في السنة الماضية 2014 بحسب المرصد التابع للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية (عمر الإدريسي الزاهري، 2015).

وهذا ما يفسر انخفاض هذه النسبة في لوفغارو التي نشرت بعض من هذه الأخبار في سياق تحميل المسلمين لكل أشكال العنف واعتبرت ما يتعرضون له من اعتداءات، كرد فعل على إرهابهم وعنفهم كما هو الحال مع أحداث شارلي ايبود والهجمات التي تزامنت معها. وصوّر "دليل بوبكر" الكابوس الذي يعيشه المسلمون في فرنسا بعد كل اعتداء إرهابي حيث إن جزءا من الرأي العام الفرنسي يبدأ في توجيه الاتهامات للإسلام والمسلمين، وبأن ما حدث هو عبارة عن جزء من الإسلام، ما شكل ضغطا كبيرا على المسلمين، واعتبر أن الاتهامات التي تعقب كل اعتداء إرهابي في فرنسا، ساهمت في تنامي الكراهية ضد الإسلام وصارت ملحوظة في الإعلام ولدى الأحزاب السياسية، التي تتهم المسلمين (الشروق أون لاين).

ولكن يدحض مثل هذا التبريرات مختلف التقارير التي تحدثت عن تنامي الكراهية والعنصرية اتجاه المسلمين قبل الأحداث بسنوات، وفي تقريره الشامل عن أوضاع المسلمين في أوروبا لعامي 2004-2005 خصص مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية فقرة أكد فيها على تزايد حدة ما يسمى ظاهرة الإسلاموفوبيا، والخلط المتعمد للربط بين الإسلام والإرهاب، وقد أسهم ذلك في تزايد مظاهر التضيق على المسلمين الأوربيين في حياتهم اليومية وفي مناسباتهم الدينية. ففي فرنسا مثلا ارتفعت أشكال العنصرية ضد المسلمين وشملت أغلب المدن الفرنسية، وبرزت بوضوح المشاعر العدوانية في وسائل الإعلام الفرنسية إزاء الجالية الإسلامية؛ حيث تعمدت بعض الصحف والقنوات التلفزيونية تقديم صورة الإسلام بشكل يشوبه مغالطات عديدة وصور مقلوبة وغير مطابقة لواقع الإسلام (علي عواد خضير ، 2011، 211-212).

وذكر عبد الله زكري رئيس المرصد الوطني الفرنسي لمكافحة العداة للإسلام أن الأعمال والتهديدات المعادية للمسلمين ازدادت على الأراضي الفرنسية عام 2011 بنسبة 34%. كما رصد المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية 158 حدثا معاديا للمسلمين عام 2014 مقابل 110 في نفس الفترة من عام 2013؛ حيث بلغت نسبة زيادة هذه الأحداث حوالي 12% كما انخفضت التهديدات بنسبة 49.9% عن عام 2013، ومازالت معاداة فرنسا للإسلام داخل فرنسا وخارجها مستمرة، ففي مدينة أورليان الفرنسية تم تخريب جمعية خاصة بالجنازات الإسلامية؛ حيث اكتشفت رسومات عنصرية في مدخل وداخل مقر الجمعية، أما في مدينة

روبية الفرنسية فقد أعلنت البلدية عن عزمها أخذ قرار بإغلاق مسجد بدعوى عدم امتثال المسجد لمعايير الأمن وبهذا لا يستطيع 800 مصلي بحي "ألما" الصلاة منذ ذلك الشهر لأجل غير مسمى، كما استهدف المسجد الكبير بمدينة "ستراسبورغ" الفرنسية بحريق متعمد، أتلّف الباب الأمامي للمسجد في ليلة السبت 8 نوفمبر الجاري.

وبحسب ما أوضح رئيس المرصد الوطني لمناهضة الإسلاموفوبيا تمثل هذه الأرقام فقط الشكاوى المقدمة في مراكز الشرطة ولكن لا يعكس الحقيقة؛ لأن هناك الكثير من المسلمين لا يقدمون شكاوى عندما يقعون ضحايا للأعمال المعادية للأجانب، مقتنعين بأن لن يكون هناك نتيجة، ويختص هذا الموقف بمناخ خاص؛ حيث تختلط بين ابتذال العبارات العنصرية ضد العرب والدعوات في بعض الخطب من السياسيين لمهاجمة المسلمين دون تمييز وعدم معالجة قضايا التمييز، والجهل بالأحداث التاريخية وعنف الأحداث (<http://islammemo.cc>).

إن مثل هذه الاحصاءات كافية للإثبات أن معاداة الإسلام وتزايد مظاهر الإسلاموفوبيا والاعتداءات ضدهم لا ترتبط فقط ببعض الأحداث المعزولة من قبل عدد لا يكاد يذكر مقارنة بالعدد الاجمالي للمسلمين في فرنسا، وأن رجال السياسة والإعلام والصحافة الفرنسية يتحملون جزء كبير من المسؤولية في ازدياد مظاهر العداء للإسلام والمسلمين. يقول الحقوقي عمر الإدريسي الزاهري: "نحن نرى كجالية وكحقوقيين أن أخطر الأسباب الفاعلة في إشعال الفتن، هي أفكار بعض المفكرين أو مهرجي الإذاعة والتلفزيون وبعض الصحف الذين يسعون إلى خلط المفاهيم...ومن هؤلاء بعض من يصفونهم بـ"الخبراء" في الإرهاب أو الهجرة، لكنهم يفتقدون لأي تحليل علمي دقيق أو مستوى علمي وأكاديمي، وكل ما لديهم حقد أعمى وكراهية... إلى جانب دور الصحف والمجلات ومنها "لوبوان" و"لوفغارو" المواليتين لليمين العنصري و"ماريان" و"ليبيراسيون" التابعة لليسار، ومجلة "فالور أكتيال" التي لم تتوقف أغلفتها عن التحريض المستفز ضد الإسلام... وقد أشارت ذات مرة أن أكثر الأعداد مبيعا لدى المجلة قبل أسبوع من حادثة باريس، كان العدد الذي يظهر امرأة ترتدي حجابا يحمل ألوان علم الجمهورية الفرنسية تحت عبارة "الخوف على فرنسا، ماذا لو كان وولبيك على حق"، مشيرة إلى كتاب وولبيك "الخضوع" كقصة الذي يتخوف فيه من تحول الجمهورية إلى يد رئيس مسلم منتخب في سنة ألفين وعشرين (عمر الإدريسي الزاهري، 2015).

➤ اختلفت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول، حيث احتلت فيه فئة الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب المرتبة الأولى في لوفيغارو بنسبة **45.88%**، وجاء في المرتبة نفسها فئة تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية في صحيفة لوموند بنسبة **18.01%**، وفي المرتبة الثانية في لوفيغارو جاءت فئة تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية **24.11%**، متبوعة بفئة التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا بنسبة **21.76%**، و في الأخير تصاعد الاعتداءات على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا بنسبة **08.25%**، وجاء في المركز الثاني في صحيفة لوموند التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا بنسبة **34.23%** تلاها تصاعد الاعتداءات على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا بنسبة **37.78%** ، ثم التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا بنسبة **34.23%** وفي الأخير الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب **09.98%**.

➤ اتفقت الدراسة الحالية مع ما توصلت إليه دراسة "منية العبيدي" بأن الخطاب الإعلامي الفرنسي قام بإسناد مجموعة عبارات جديدة ومتنوعة للتعبير عن الذات (الفرنسيون / فرنسا) أو الغير (منقذو العملية ومن يقفون وراءهم حسب رأيهم)، واتسمت هذه التعبيرات بالمقابلة بين الذات والغير، مقابلة يفهم منها أن هذا الغير غير مرغوب فيه، وبالتالي يُمثل وجوده في فرنسا خطرًا على الشعب وعلى الدولة ولذا يجب محاربتة بكل الوسائل، والحرب الفعلية تبدأ من وسائل الإعلام التي نادى بعضها بنفيهم خارج فرنسا وإخراجهم من صلب الأمة الفرنسية حتى وإن كانوا يتمتعون بالجنسية الفرنسية، وأيضا ما استخلصته الباحثة من خطاب "ميشال كولون" الذي تحدث صراحة بوجود العنصرية والاحتقار اتجاه المهاجرين، والخلط بين المهاجرين واللاجئين والمسلمين والإرهابيين، وأقر أيضا بنشر الخوف من الإسلام والمسلمين سواء أكانوا أفرادًا أم من قبل مؤسسات إعلامية مكتوبة أو مسموعة، وخاصة بعض القنوات التلفزيونية التي تسعى إلى نشر الإسلاموفوبيا.

- جدول رقم (17) يبين توزيع صورة المرأة في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	الموضوع
14.39	19	31.48	34	الإسلام يظلم للمرأة
56.82	75	48.14	52	تجنيد المسلمات للجهاد
28.79	38	20.38	22	الحجاب والنقاب
100	132	100	108	المجموع

تعكس الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: تجنيد المسلمات للجهاد **48.14%**، الإسلام يظلم للمرأة **31.48%** الحجاب والنقاب **20.38%**.
- صحيفة لوموند: تجنيد المسلمات للجهاد **56.82%** الحجاب والنقاب **28.79%**، الإسلام يظلم للمرأة **14.39%**.

يوضح تحليل بيانات الجدول، أن كل من لوموند ولوفيغارو قد خصصتا حيزا مهما من اهتماماتها لصورة المرأة المسلمة باعتبارها كانت ولازمت مكونا أساسيا من مكونات صورة الإسلام في الغرب، وأيضا في الإعلام والصحافة الفرنسية التي اتخذت دوما من وضع المرأة المسلمة والتشريعات الإسلامية في هذا الموضوع أداة للطعن في الإسلام، لكن اللافت في تغطية صحيفتي الدراسة هو إثارة قضية تعتبر جديدة مقارنة ببقية القضايا والتركيز عليها وهي قضية تجنيد المسلمات للجهاد بنسبة **48.14%** في لوفيغارو، و**56.82%** في لوموند.

ويمكن تفسير ذلك بسيطرة قضية الجهاد والإرهاب والإسلام في الساحة الإعلامية الفرنسية، والحديث عن خطورة الجهاديين خاصة المتوقع عودتهم من العراق وسوريا إلى فرنسا بمن فيهم نسائهم وأبنائهم حتى أولئك الذين لم يولدوا بعد، وهو ما بات يعرف في الإعلام الفرنسي بقضية الجهاديات، وتحدثت الصحيفتان عن الوتيرة المرتفعة لتجنيد وانخراط النساء المسلمات في الأعمال الجهادية في سوريا والعراق بشكل خاص وقد أثارنا هذه القضية بشكل مستقل، وأيضا في سياق الحديث عن دور زوجات الإخوة كواشي، وحياة بومدين زوجة

كوليالي في أنشطة أزواجهم الإرهابية، وأدور ومواقع زوجات الإرهابيين والمشتبه بهم في قضايا الإرهاب بشكل عام.

وربط بعض المحللين بين هذه القضية ومسألة تعدد الزوجات، وتصر الصحافة الغربية والفرنسية على الترويج لهذه الصورة على الرغم من وجود من ينفي هذه الادعاءات من الباحثين الغربيين، يقول الباحث في الشؤون الإسلامية "جون اسبيزتو: "إن بعض الناس يظن أن الإسلام ينفرد بين الأديان بتعدد الزوجات، لكن الواقع التاريخي أدعى إلى نفي هذا الوهم، وليس في العهد القديم أو الأناجيل ما يمنع تعدد الزوجات، فقد تزوج إبراهيم الخليل عليه السلام وغيره من عهد أنبياء العهد القديم بأكثر من زوجة، واستثنى الإنجيل حالة الأسقف الذي لا يصبر على الرهبانية فيكتفي بزوجة واحدة"، وذكر "وستر مارك" westermark وهو من الثقات في تاريخ الزواج أن الكنيسة ظلت تعترف بتعدد الزوجات حتى القرن السابع عشر، وإنما جاء المنع بعد خلاف الكنيسة مع ملوك أوروبا وكان الاكتفاء بزوجة واحدة من باب الاكتفاء بأقل الشرور لا من باب الحرص على ارضاء الزوجة الواحدة" (جون اسبيزتو وداليا مجاهد، 2008، 31).

ووصفت لوموند ولوفيغارو الجهاديين بالشهوانيين، ومتعددي الزوجات وبأنهم يجندون النساء باستغلالهن وإيهامهن بأنهن يجاهدن في سبيل الله، وتم التأكيد على ذلك من خلال الاستشهاد بما رصدته الجهات الأمنية الفرنسية أثناء تنصتها على ما يتبادلونه من كلام مع هذا الصنف من النساء لدفعهم لاعتناق الأيديولوجيا الجهادية عبر المسائل الجنسية، فيما يعد استعادة لواحدة من أسوء الصور النمطية عن الإسلام بوصفه دين شهواني وبصورة الرجل المسلم الذي يحيا للشهوة سواء في شؤون دينه أو دنياه، وصورة المرأة المسلمة باعتبارها مجرد أداة للمتعة بيد الرجل وآلة للإنجاب، حتى لو تعلق الأمر بالجهاد في سبيل الله ويبدو أن المقصود من هذه المضامين ما يعرف في الإعلام العربي بجهاد النكاح والذي روج له للأسف الشديد البعض من دعاة وعلماء مسلمين والإعلام العربي قبل الصحافة الغربية والفرنسية.

وكتبت sasha havlicek et farah pandith في لوفيغارو: "من دنفر إلى فيينا فرت الشابات اللاتي يطالبن بدعم تنظيم الدولة الإسلامية (IS) على Facebook و Twitter و Tumblr إلى سوريا للزواج من الجهاديين، والملقبين بـ "الخلفاء"، مضيفتان: "لقد نظرت المجتمعات الغربية

إلى النساء، والنساء المسلمات بشكل خاص كضحايا للإيديولوجية الأصولية لفترة طويلة جدًا، لكن الجميع يشعرون بالصدمة اليوم لاكتشاف أنهن يستطعن إيصال هذه الأيديولوجية مثلما يفعل الرجال. كمتحدثات يتم اتقائهن واختيارهن لتشجيع أولئك الذين لا يستطيعون الانخراط على أرض الواقع، والذين عليهم التسبب بأكبر قدر ممكن من الضرر في بلدنهم، كما هي حالة لواء الخنساء النسائي في الرقة، وكأمهات للجيل القادم من الجهاديين... نحن نتعامل مع نساء مستعدات لارتكاب أعمال إرهابية بعنف مثل نظرائهن الرجال (sasha havlicek et farah 2015, 27 janvier).

ومنذ صيف عام 2014، لم يمر أسبوع تقريبًا دون معرفة أن المرأة شاركت في عمل تطرف أو عمل إرهابي، وأن الجماعة الإسلامية بوكو حرام تستخدم الانتحاريات لإحداث الفوضى في نيجيريا. ولاحظ معهد الحوار الاستراتيجي (ISD) الذي يتتبع حسابات وسائل التواصل الاجتماعي للشابات اللاتي يعشن في الدولة الإسلامية (IS) ظهور ثقافة فرعية من النساء الجهاديات على الإنترنت: يردن أن يصبحن "califette" من شأنه أن يعطيهم السلطة، وكتب Matthieu Suc في لوموند: "يطلق عليهم عائشة، حياة أو إيمان. شاركوا في حياة منفذي عمليات القتل في "شارلي إبدو" وبورت دي فينسين وأعضاء آخرين في شبكتهم... مرة أخرى في رحلة هؤلاء نجد "مقاتلات عن الإسلام." (Matthieu Suc Femmes de djihadistes, le monde 19 janvier 201)

وهي الصورة نفسها التي تروج لها السلطات الفرنسية وفق ما جاء في كتاب صدر مؤخرًا بعنوان "عطر الجهاد"، للصحافيتين الفرنسيتين "سيلين مارتوليه" و"إديث بوفيه" ذكرتا فيه: "عندما بدأنا تحقيقنا قال لنا رجال شرطة: "ماذا تهتمن بمثل هؤلاء النساء؟ هن لسن سوى ألعاب جنسية"، وبعضهم أضاف: "هؤلاء البنات يعملن كعاهرات في ما وراء الحدود" (أي سوريا والعراق)، وأضافنا أن السلطات الفرنسية لم تكن تراهن على أكثر من ذلك، لكن العنصر الذي لفت انتباه وزارة الداخلية هو محاولة تفجير كنيسة "نوتر دام" بباريس في سبتمبر 2016 فالسلطات الفرنسية اكتشفت بعد التحقيقات أن هذا العمل الإرهابي كان مخططًا من قبل نساء. ومنذ ذلك التاريخ، توجهت أنظار السلطات الأمنية والقضائية إلى هؤلاء الشابات، فبعدما كانت تعتبرهن ضحايا لأزواجهن، أضحت تراهن نساء خطيرات يتقاسمن إيديولوجية أزواجهن ذاتها، وأن الإيديولوجية الإرهابية عند هؤلاء البنات لا تزال

حاضرة بشكل قوي أينما كانت أماكن تواجدهن في فرنسا أو خارجه... وحسب الاحصائيات بلغ عدد الجهاديات الفرنسيات في سوريا والعراق 300 في نوفمبر 2017 (سيغولين ألماندو، فرانس 24، 2018).

وفي الجانب الأكاديمي وتأكيدا على تصوير خطر الجهاديات الذي قد يضاهاه خطر الجهاديين وتأكيد استغلالهن، ترى "جيرالدين كاسوت" الباحثة في مرحلة الدكتوراه في جامعة "فريبورغ" (ألمانيا) ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس (EHESS)، والمختصة في جهاد النساء أن "المرأة هي "جهادي بين الجهاديين"؛ بمعنى أنها تؤيد أسس هذه الإيديولوجيا، لا شيء يفرق بين الرجل والمرأة في عقائدهما الأولية، لكن التعاليم مبنية على التكامل بين الجنسين، فلا يجاهد الرجال والنساء بنفس الطريقة، وغالبا ما ينسب التحاق المرأة بالجهاد إلى التلاعب بعقلها وأحاسيسها وليس إلى عقيدتها الخاصة، لكن الخطورة لا تقاس بعدم حملهن الكلاشينكوف، فالنساء قادرات على استخدام العنف إذا سمحت الإيديولوجيا به... إنها استراتيجية طويلة المدى على غرار مسألة الإنجاب، وهي ميزة الإيديولوجيات الشمولية: أن تنجب أطفالا يسمح بأن تطيل أمد الإيديولوجيا، فحسب كتاب "أبيض" دعائي صدر في 2016، توجد 31 ألف امرأة حامل داخل تنظيم "الدولة الإسلامية" والهدف المزعوم هو إنجاب أطفال أكثر تشددا من والديهم. فماذا سنصنع بهؤلاء الأطفال؟ يمكن أن نتصور أن الحرب انتهت، لكنها تستمر ببساطة مع ترتيبات مختلفة (آسيا حمزة، فرانس، 2018).

ولم يمنع تركيز لوموند ولوفيغارو على هذه القضية الاستمرار في التسويق للصورة المتوارثة عن الإسلام باعتباره دين يظلم المرأة خاصة في قضايا (خضوعها للرجل والتفرقة بينهما، تعدد الزوجات، العصمة والطلاق، الشهادة...)، حيث بلغت فئة الإسلام يظلم المرأة نسبة **31.48%** في لوفيغارو، و**14.39%** في لوموند، وهي الصورة ذاتها التي كرسها الإعلام الغربي والدراسات الاستشراقية والمناهج التعليمية، ومختلف الكتابات الغربية عن المرأة المسلمة، ويعتبر ادوارد سعيد أن حركة الاستشراق لعبت عاملا مهما في تشويه صورة الإسلام، وصورت الرجل الشرقي على أنه يستعبد المرأة وليس له هم إلا إشباع غريزته الجنسية، ولا أدلّ على ذلك من الرسومات التي تمّ تجسيدها على يد رسامين أوروبيين في

إسبانيا وفرنسا تحديداً حيث كانوا يرسمون رسومات تظهر المرأة المسلمة، مرتدية النقاب وهي تخفي وراءه خبايا أخرى غير الذي تظهره.

واستغلت وسائل الإعلام الغربية مثل هذه التصورات لتقوم بنشرها وتسويق أن المسلمين وتطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم يضعون المرأة في منزلة دون الرجل متحججين بتشريع تعدد الزوجات، وعصمة الطلاق بيد الرجل، وضرب الزوجات، ومنع التبرج والاختلاط، نصيبها في الميراث، وسفر المرأة بمحرم، مسألة الشهادة... إلخ وكلها مواضع تخضع لتفسيرات وتأويلات مغالطة، وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن ظاهرة ختان الأنثى التي كثيراً ما ربطت بالإسلام، لأنها شائعة في بعض البلدان الإسلامية، في حين أنه لا ذكر لها مطلقاً في القرآن، وهي عادة قديمة انتشرت في مصر منذ عهد الفراعنة (انجمار كارلسون، 2003، 27).

كما يتم الزعم بأن المرأة المسلمة مظلومة ومسلوبة الإرادة والحرية ومحرومة من أدنى الحقوق الإنسانية، وسبق أن لجأت وسائل الإعلام الفرنسية إلى كاتبة بنغالية وهي تسليمة نسرين التي تعرضت لمضايقات قضائية في بلدها البنجلاديش بسبب تشويه معاني نصوص قرآنية حتى أنها صرحت أنه باستثناء الآية الكريمة التي تحرم وئد البنات فإن باقي النصوص القرآنية تحط من كرامة المرأة (الأمين بامبا، 2006، 79)، وينتقد الباحث كارلسون تسويق هذه الأفكار على الرغم من أنه ليس في القرآن آية تطالب النساء بالصمت في حضور الجماعة مثلما هو وارد في الإنجيل، وأن القرآن احتوى على أفكار ثورية فيما يتعلق بأوضاع المرأة وحقوقها في ذلك العصر، (انجمار كارلسون، 2003، 27).

ويتجاهل الإعلام الغربي ما تعرضت له المرأة من اضطهاد في الغرب، ففي الوقت الذي كانت فيه المجتمعات الغربية بحاجة إلى مساهمة النساء الاقتصادية وفي حالة الإسلام فإن منزلة النساء مشرعة ولا يعود سبب ذلك إلى التهديد أو الضغط الذي تمارسه النساء على منظماتهن، بل بسبب مبدأ المساواة في العقيدة الإسلامية، وتشير الآيات القرآنية إلى أن الإسلام يستنكر المفاهيم كلها التي تعتبر النساء دون مستوى البشر ففي القرآن سورة كاملة مكرسة بالكامل للسيدة مريم، وعلاوة على ذلك هناك آيات قرآنية مخصصة لمسائل متعلقة بالنساء كأفراد وضمن العائلة وأعضاء في المجتمع أكثر من كل المسائل الاجتماعية الأخرى مجتمعة (جو كشنلو شتاينبرغ، 2005، 253).

كما أن تاريخ الإسلام حافل بالنساء ذوات الإنجازات العظيمة في ميادين الحياة كافة، بدءا بانتشار الإسلام في مراحلہ الأولى في القرن السابع، وساهمت نساء عالمات بشكل واسع في بناء الحضارة الإسلامية، وأحد الأمثلة البارزة السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي عليه الصلاة والسلام فقد كانت عالمة عظيمة ومفكرة أخبرنا النبي أنه علينا التعلم منها نصف ديننا، وكانت تعتبر مرشدا للقضاة المسلمين الأوائل وكانت السيدة سمية أول شهيدة في الإسلام... والشخص الأول الذي اهتدى إلى الإسلام كانت السيدة خديجة وهي ارسنقراطية وجميلة... وحتى الآن هناك العديد من النساء المسلمات الناجحات اللواتي ساهمن بشكل فاعل في مجتمعاتهن ولكن مع ذلك يبدو أن وسائل الإعلام انتقائية جدا حول ما يريدون التعرض له فما يظهر منه للمشاهدين هو الاستثناء لا القاعدة (المرجع نفسه، 254).

وطبعا أضحي من المستحيل على الصحافة الفرنسية والغربية الحديث عن الإسلام وعن المرأة المسلمة من دون إثارة قضية لباسها المتمثل في الحجاب والنقاب، وكتب andrée glucksman بحسه المعتدل المؤلف في الإكسبريس الصادرة يوم 17 أكتوبر 1994؛ في ذروة السجال حول الحجاب: «الحجاب عمل إرهابي. طالبات المدارس المحجبات في فرنسا يعترفن أن حجابهن هو حجاب دم» (رشيد شريت، 2015). وقد سبق أن صرح "الكسندر دوفال" أن فرنسا لم تنتبه إلى التحذير الذي أطلقته "حنيفة الشريفي" من أن المطالبة بلبس الحجاب هو سلوك اجتماعي مطابق للمجتمع السعودي وليس المجتمع الفرنسي الذي يقوم على المساواة، وتم استصدار قوانين تحرم هذه الرموز في أماكن ومؤسسات الدولة وتم بذلك حرمان العديد من الفتيات والنساء من العمل بالحجاب، أضف إلى ذلك محاولة استصدار قوانين جديدة تمنع المرأة من ارتداء الحجاب في بيتها وأثناء رعاية الأطفال الصغار... ناهيك عن محاولات منع النساء أمهات الأطفال المحجبات من مرافقة أطفالهن خلال النزاهات وأثناء ممارسة الرياضة (عمر الإدريسي الزاهري، 2014).

وتناولت لوموند ولوفبغارو هذه القضية بنسبة معتبرة قدرت بـ 20.38% في لوفبغارو و 28.79% في لوموند. حيث تحدثنا عن الحجاب وأضافنا إليه البرقع على أنه رمز خضوع النساء المسلمات في مناطق الضواحي، حيث لازلت المرأة ممنوعة من الخروج إلا بهذا الزي المخيف والسير خلف زوجها، وركزت صحيفة لوموند على هذه الأوصاف التي تكرر لعدم

المساواة بين الرجل والمرأة، وبلهجة استهزاء وازدراء، ووصفت البرقع بأنه شكل مثير للخوف ويشوه المنظر العام، وهي الصورة السائدة في المجتمع الفرنسي منذ أن أثيرت مسألة "الحجاب" أواخر الثمانينات، مستندة بتغطية إعلامية واسعة في الصحف والتلفاز رأت في حجاب المرأة المسلمة رمزا للظلم والتخلف والتفرقة بين الرجل والمرأة، والتعارض مع ثقافة وقيم المجتمع الفرنسي.

وكتب Fabrice Hadjadj هناك بالتأكيد تحرر للنساء يمكننا أن نفخر به ولكن عندما يؤدي هذا التحرر إلى نشاط منع الحمل والإجهاض، ويتم اعتبار الأمومة والأبوة من الآن فصاعدًا أعباء لا تطاق للأفراد الذين نسوا أنهم في المقام الأول أبناء وبنات، فإن هذا التحرر يمكن أن يفسح المجال بعد بضعة أجيال لهيمنة النساء اللواتي يرتدين البرقع، لأن النساء في التنانير المصغرة يتكاثرن بشكل أقل. " واعتبر أن البرقع الذي يجسد عادات بربرية سيؤدي إلى تحويل حضارة فرنسا والغرب إلى حضارة بلا أجيال بسبب تزايد معدلات الهجرة التي ستعوض انخفاض معدل المواليد الأوربي (Fabrice Hadjadj, février, 2015,p14).

وقد مرت قضية الحجاب بشوطين كبيرين وساخين الأول عام 1989، والثاني عام 2003 وذلك تزامنا مع مداولات تأسيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية 2003 هبت حملة إعلامية حول الحجاب الإسلامي من جديد، في هذا السياق شكل الرئيس الفرنسي لجنة "ستازي" وإلى جانبها تشكلت اللجنة البرلمانية برئاسة رئيس البرلمان "دوبري" ويوم 11 ديسمبر قدمت لجنة "ستازي" تقريرها للرئيس الذي صرح في تونس يوم الجمعة 6 ديسمبر بأن الحجاب يشكل عدوانا على العلمانية (www.islamtoday.net 2016).

وعادت قضية الحجاب إلى الواجهة في فرنسا على خلفية إصدار محكمة فرنسية قرارا مؤيدا لمرسوم أعلن عنه عمدة مدينة كان، دافيد ليزنار، يقضي بأن "دخول الشواطئ والسباحة ممنوعان على أي شخص لا يرتدي (ملابس سباحة) لا تحترم العادات المتبعة والعلمانية"، وقد أثار قرار منع ارتداء "البوركيني" في الشواطئ الكثير من الجدل في فرنسا، وبرز الحادث وكأنه مترابط مع أحداث "نيس" التي تبناها تنظيم داعش وقبلها أحداث باريس، وسلسلة أحداث أخرى عرفتتها فرنسا منها حادثة اغتيال صحفيي الجريدة الساخرة "شارلي إيبدو". وفي وقت برزت مساعي بعض السياسيين من اليمين المتطرف، ولكن أيضا من اليمين التقليدي لتوظيف

مثل هذه الأحداث سياسياً، والتلويح بمزيد من التضييق على الجاليات المسلمة والمهاجرة وإعادة طرح مسألة الهوية الفرنسية، والخصوصية العلمانية الواجب الاحتفاظ بها وصيانتها، وإن كان آخرها مقترح للوزير الأول مانويل فالس لمنع الخمار في الجامعات، فإن العديد من المنتخبين لاسيما المقربين من اليمين المتطرف، سعوا إلى إعادة إحياء تدابير ترمي في مجملها إلى تضييق هامش الحركة للجمعيات الإسلامية واعتماد إجراءات تخص منع المحجبات في الإدارات والمؤسسات، وقد توسعت التدابير ما بين 2012 و2014، على أساس حظر الحجاب في الأجهزة الحكومية وفي المدارس التي تديرها الدولة (<http://www.elkhabar.com>).

➤ اتفقت الصحيفتان في احتلال فئة تجنيد المسلمات للجهاد في المرتبة الأولى وذلك بنسبة **48.14%** في لوفيغارو، و**56.82%** في لوموند، واختلفتا في الترتيب الثاني والثالث الذي كان على التوالي لموضوع الإسلام يظلم المرأة بنسبة **31.48%**، الحجاب والنقاب بنسبة **20.38%** في لوفيغارو، والحجاب والنقاب بنسبة **28.79%**، وفي الأخير الإسلام يظلم للمرأة بنسبة **14.39%** في لوموند.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع ما توصلت إليه دراسة "حسن نيازي الصيفي" بتقديم النيوز ويك والفورن بوليسي الأمريكيتين صورة سلبية للمرأة المسلمة التي صورت على أنها مهمشة، داعرة راقصة، إرهابية، أمية، مضطهدة، مغيبة، مخفية عن العيون وأسيرة الرجل المسلم.

- جدول رقم (18) توزيع فئة المواضيع التربوية والتعليمية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة المواضيع
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
71.09	278	83.38	361	الإسلام والمدرسة الفرنسية
16.64	65	09.93	43	مناهج التعليم في الدول الإسلامية منبع للتطرف
12.27	48	06.69	29	تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام يسهم في التطرف
100	391	100	433	المجموع

تعكس أرقام الجدول أعلاه:

- صحيفة لوفيغارو: الإسلام والمدرسة الفرنسية **83.38%** مناهج التعليم في الدول الإسلامية منبع للتطرف **09.93%** تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام تسهم في التطرف **06.69%**.

- صحيفة لوموند: الإسلام والمدرسة الفرنسية **71.09%** مناهج التعليم في الدول الإسلامية منبع للتطرف **16.64%** تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام تسهم في التطرف **12.27%**

يبين تحليل بيانات الجدول أن موضوع الإسلام والمدرسة الفرنسية كان من بين أكثر المواضيع التي ركزت عليها كل من لوموند ولوفيغارو وذلك بنسبة **83.38%** في لوفيغارو، و **71.09%** في لوموند، وتعد هذه النسب معتبرة في بلد وتعد المدرسة الفرنسية بمختلف أطوارها من أفضل المدارس عالمياً، ولا ينظر إليها مجرد مؤسسة تعليمية بل هي الدعامه والركيزة الأساسية للائكية الجمهورية الفرنسية ولنشر قيمها ومبادئها والحفاظ عليها.

وترتكز مناهج التربية والتعليم الفرنسية على مبادئ العلمانية، حيث لا يتم تدريس الدين في المدارس الحكومية وذلك استناداً إلى قرار إلغاء مادة التربية الدينية في إطار تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة. كما أثارت الصحيفتان مسألة مناهج التعليم والمدارس الإسلامية ونشر التطرف وأعادتها إلى الواجهة، وذلك بنسبة **09.93%** في لوفيغارو، وبنسبة **16.64%** في لوموند، وهي القضية نفسها التي أثبتت في الإعلام الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من

سبتمبر، وتم على إثرها تقديم إملاءات وتوصيات صريحة للمملكة السعودية بتغيير وتعديل مناهجها الدراسية داخليا، وفي باقي الدول الإسلامية التي تمول فيها المملكة انشاء المدارس والجامعات، بحجة أنها تشجع على التطرف والإرهاب، وهي الحجة نفسها التي تروج لها لوموند ولوفياغرو بتوجيه أصابع الاتهام إلى المناهج التعليمية في الدول الإسلامية، مع مطالبات بتغيير وتعديل هذه المناهج، وعليه أمكن القول إن مضامين لوموند ولوفياغرو تدخل في سياق الحملة الغربية للحرب على المناهج التعليمية باعتبارها تدرس الأجيال ما يدفعهم للتطرف والإرهاب، وكره الغرب والحضارة الغربية.

ولا يخف على أحد أن المقصود بالتحديد ضرب المنظومة التعليمية في الدول العربية والإسلامية، إدراكا من الدول الغربية لأهمية الدور الذي تقوم به المناهج الدراسية في إنتاج الصورة الذهنية لدى الطلاب عن الذات وعن الآخر، انطلاقا من أهمية التعليم في حد ذاته مما يجعل الغرب في محاولة دائمة لفرض وصايته وسلطته على المناهج التعليمية في الدول الإسلامية والإشراف عليها بحجة محاربة ما قد تتضمنه من مواد تشجع على التطرف، وتعد هذه المضامين التي تروج لها اليوم لوموند ولوفياغرو، بمثابة استمرار لما دأب عليه الاستعمار الغربي في سعيه لعلمنة المناهج التعليمية باعتبارها من بين أهم أدوات والغزو الفكري والسيطرة على عقول الأجيال في المستقبل، فالمناهج الدراسية تعد بمثابة المصادر الأولى والأساسية التي تشكل مختلف المعارف والتصورات الذهنية التي تترسخ وتحفر في ذهن الفرد وهو لا يزال طفلا، وترافقه طيلة حياته، ولهذا يصعب في كثير من الأحيان تغيير ما اكتسبه الطفل والتلميذ في مختلف المراحل التعليمية ما يعطي للمناهج التعليمية أهمية كبيرة في تشكيل فكر وثقافة الأفراد والمجتمعات.

وكان للاستعمار الفرنسي تاريخ حافل في هذا الإطار، يقول المستشرق رودي بارت " ليست مهمتنا هي تنصير المسلمين، فهذا شرف ليسوا جديرين به، ولكن مهمتنا هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وفي ذلك نجحنا نجاحا باهرا بفضل مدارسنا التنصيرية"، وتحدث زويمر في مؤتمر المنصرين بالقدس قائلا: "إنكم أعدتكم نشئا لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم عن الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشأ الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهووات، وإذا جمع المال فللشهووات، وإن

تبدأ أسى المراكز للشهوات، ففى سبيل الشهوات وجود بكل شىء، إن مهمتكم تمت على أكمل وجه، وانتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضى عنكم الاستعمار" (الطيب بن براهيم، عرض سكينه بوشلوح، 2005).

ولم تكف لوموند ولوفىغارو باتهام المناهج التعليمية بل انتقلت بشكل أكثر تحديدا للترويج أن تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام يسهم فى التطرف، وذلك بنسبة 6.69% فى لوفىغارو، و12.27% فى لوموند، ويمكن تفسير ترويج هذا الخطاب فى سياق مساعى السلطات الفرنسية للتضييق المستمر على المسلمين فى العدد القليل من المدارس الإسلامية التى يسمح القانون الفرنسى بإنشائها كما هو الحال مع بقية الأديان، مع الاختلاف فقط فى ما تتعرض له المدارس الإسلامية من اتهامات بنشر التطرف بسبب التدريس باللغة العربية التى يبدو أنها لازلت تشكل إحدى عقد فرنسا مع الإسلام إلى جانب تعاليم الإسلام فى حد ذاته الذى تعمل جاهدة على محاربته بحجة حماية لائكية المدرسة والمناهج التعليمية.

وتجدر الإشارة هنا لازدواجية المعايير الحاضرة دوما فى التعاطى الفرنسى مع الإسلام إلى أن العلمانية الفرنسية متساهلة مع الكاثوليك واليهود وصارمة فى تزمّتها نحو المسلمين... وأن الدولة لم تسمح بإنشاء مدرسة إسلامية إلا بعد «مفاوضات مضنية استمرت ثمانى سنوات»، وعندما اقترح فرانسوا ميتران فى عام 1984 دمج المدارس فى نطاق نظام تعليمى علمانى موحد، هبّت تظاهرات عارمة باسم «حرية المدرسة» ولم يتطرق أحد يومها إلى الخطر الذى يهدّد العلمانية الغالية، والمساومة الكبرى للعلمانية الفرنسية جرت مع السلطات الدينية فى مقاطعة «ألزاس موزيل»، حيث لا يزال التعليم الدينى (للإهود والكاثوليك واللوثريين والكالفينيين) إلزامياً ولم توص لجنة ستاسى بإلغاء هذه المدارس أو هذا المنهاج الدينى (مستورى فتحي، 2015).

وتعزز مضامين لوموند ولوفىغارو فى هذا الإطار ما سبق ونشرته صحيفة "جورنال" الإيطالية فى تقرير تحدثت فيه عن اتهام وزارة التعليم الفرنسية للمؤسسات الإسلامية العاملة فى فرنسا بتطبيق استراتيجية "اللعب المزدوج" وبالذعاية لمخطط ضخم الهدف منه نشر الثقافة "المتشددة"، وزرع التعصب والتطرف فى عقول الأطفال الصغار، كما زجت الصحيفة باسم جماعة الإخوان المسلمين فى هذه القضية... وزعمت أن هذه المؤسسات تلقن دروسا

مغلوبة للصغار عن الثقافة الإسلامية وعبارات من قبيل "العرق اليهودي عرق ملعون" و"الإسلام مضطهد في فرنسا ويتآمر عليه اللوبي اليهودي"، و"نظرية داروين خاطئة"، و"حماس منظمة محترمة وتستحق التقدير".

وأصدر رئيس الوزراء الفرنسي "مانويل فالس" في هذا الشأن تحذيراً بخصوص "الخطر الكبير" الذي تسلك إلى المجتمع الفرنسي ويهدد أجيالها القادمة، ونقلت قوله بأن "الأقلية السلفية المتشددة" في فرنسا نجحت في قلب المعركة الإيديولوجية لصالحها ونشر ثقافة الإسلام في فرنسا، وأشارت إلى أن أستاذ الفلسفة من أصول جزائرية، سفيان الزيتوني، تقدم بشكوى، منذ تلك الحادثة، بشأن ما أسماه بـ"اللعب المزدوج" الذي تسعى من خلاله هذه الأقليات المتشددة لنشر ما وصفها بـ"الميكروبات الإرهابية المتعصبة" في فرنسا، ونقلت الصحيفة عن الزيتوني زعمه أن الإخوان المسلمين يديرون "العبة" عبر اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا (UOIF) بهدف تغيير النظام التعليمي "وزرع الحقد والكراهية في صفوف التلاميذ وذلك بهدف تنشئة أجيال جديدة من المقاتلين الإرهابيين"، ونقلت الصحيفة عن محمد لويزي (38 عاماً) عن كتابه "أسباب انسحابي من تنظيم الإخوان المسلمين"؛ ما قال إنه "مخطط" لم يتم التصريح به في فرنسا وأوروبا، ضمن استراتيجية تحمل اسم "تمكين"، ويقول إن الهدف يكمن في خلق فجوة بين الحكومة "السيئة" والشباب المسلم بطريقة تجعل هذا الأخير يفقد الثقة في النظام التعليمي الذي تنتهجه الحكومة الفرنسية (2016://beirutpress.net).

ومؤخراً اقترح تقرير معهد مونتاني محاربة تعليم اللغة العربية في المساجد والمدارس الإسلامية واستبدال ذلك بتعليمها في المدارس العمومية كخطوة أولى لمحاربة التطرف، والحيلولة دون تنامي الأفكار المتطرفة والجهادية، وفي تصريح لصحيفة "لوباريزيان" اعتبر معد التقرير، حكيم القروي، أن "تعليم اللغة العربية في المدارس سيؤدي إلى تقليل عدد التلاميذ الذين يدرسون هذه اللغة في المساجد والأماكن الدينية الأخرى"، وأضاف: "المعركة التي تدور حالياً هي معركة المعرفة، التلميذ في المدرسة بإمكانه أن يطور تفكيره ويضع الأحداث في إطار سياقها التاريخي خلافاً لما يمكن أن يستمع إليه في المساجد".

وبالإضافة إلى مهاجمة اللغة العربية، يهاجم التعليم الإسلامي لأبناء المسلمين بحجة عدم وجود منهاج علمي مطابق لمتطلبات المجتمع الفرنسي، وإنما وكل ما هناك جهود يبذلها

أفراد أو جمعيات كل حسب مستواه ووفق رؤيته للإسلام لا أكثر، مما يفتح الأبواب واسعة للتدخل الفرنسي في المناهج التعليمية في المدارس الإسلامية في فرنسا بحجة محاربة الفكر السلفية المتشددة وبحجة ملائمة هذه المناهج مع قيم وأساليب العيش في فرنسا، كما تعمل الحكومة الفرنسية على إطلاق قانون جديد يحتم على أصحاب المدارس الخاصة استخراج تصريح عند فتح مدرسة خاصة جديدة، يتم تجديده كل سنة في البداية، ثم كل خمس سنوات. وشملت التحركات الخروج في زيارات مفاجئة ومراقبة صارمة ومشددة بمشاركة مراقبين للغة العربية، وأشارت الصحيفة إلى أن عدد المدارس الخاصة التي تتمتع بإشراف من الدولة في فرنسا لا يتجاوز الستة، إلى جانب 50 مؤسسة غير متعاقدة مع وزارة التعليم وتمولها دول أجنبية، كقطر والإمارات العربية المتحدة وغيرها من دول الخليج. وتضم هذه المدارس قرابة 5 آلاف طالب وطالبة من فئات عمرية صغيرة، إلى جانب 35 ألفاً آخرين التحقوا بها، كما يتردد البعض منهم على المراكز الثقافية الإسلامية والمساجد الفرنسية بعد الانتهاء من الحصص المدرسية حيث يتعلمون اللغة العربية والقرآن والفكر الإسلامي، كما تقول الصحيفة (2016://beirutpress.net/ar).

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في احتلال الإسلام والمدرسة الفرنسية أعلى الترتيب وبنسبة كبيرة بلغت **83.38%** في لوفيغارو، و**71.09%** في لوموند تلاها في المركزين الثاني والثالث مناهج التعليم في الدول الإسلامية منبع للتطرف بنسبة **09.93%** في لوفيغارو، و**16.64%** في لوموند وفي الأخير تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام تسهم في التطرف بنسبة **06.69%** في لوفيغارو وبنسبة **12.27%** في لوموند.

- جدول (19) يبين توزيع فئة الاسلام والمدرسة الفرنسية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		المواضيع الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
69.43	193	55.95	202	الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية
18.34	51	23.28	84	المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي
12.23	34	20.77	75	التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصريون
100	278	100	361	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية 55.95% المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي 23.28% التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصريون 20.77%.

- صحيفة لوموند: الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية 69.43% المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي 18.34%، التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصريون 12.23%.

يبين تحليل بيانات الجدول أن الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية قد احتلت المرتبة الأولى بنسبة كبيرة بلغت 55.95% في لوفيغارو، و69.43% في لوموند. وكما سبق التوصل إليه مع العديد من المواضيع والقضايا التي أثارها لوموند ولوفيغارو عن الإسلام نجد لقضية الإسلام ولائكية المدرسة الفرنسية امتدادا في الثقافة والفكر الفرنسي، حيث تضرب فكرة الإصرار على خلو المدارس من الرموز الدينية في لب مفهوم المواطنة الفرنسية، ويأتي اتفاقا مع جذور أقدم للعلمانية الفرنسية، وفي عام 1937 أمر وزير التعليم آنذاك مديري المدارس بالإبقاء على كافة الرموز الدينية خارج مؤسسات التعليم، وفي ذلك

اليوم لم يثر هذا الأمر جدلاً، بل واجه معارضة واهنة وسط خضم مجتمع علماني دعم أمر الدولة بهذا الصدد، فقد ثارت المشاعر بشكل واضح منذ رفضت تلميذتان مسلمتان خلع الحجاب في مدرسة فرنسية قبل أكثر من عقد مضى، وقد تم استبعاد التلميذتين من الدراسة وأبلغتا أنهما تنتهكان حظرا على الرموز الدينية في المدارس الحكومية، ومنذ ذلك الوقت استمرت الحالة تلو الأخرى لتلميذات ترتدين الحجاب تثير جدلاً وانفعالا في فرنسا(أنري أستيه، بي بي سي نيوز أونلاين، 2003).

وكان من الصعوبة مزج الثقافة الإسلامية بالثقافة الفرنسية في إطار علماني واحد لاختلاف الخصائص والسمات ومنطلقات وأهداف كل ثقافة منهما؛ لذلك ثارت فرنسا عندما فوجئت بتزايد الزي الإسلامي على أرضها وفي العديد من المدارس الحكومية، وأن عدد الطالبات المتحجبات في مدرسة واحدة تعدى 2500 طالبة من بين 9 آلاف طالبة غير متحجة من مذاهب ومعتقدات أخرى(مجدي الداغر، 2009، 451).

وأمام هذا التحدي غير المسبوق بالنسبة لفرنسا، وجدت المؤسسة الفرنسية نفسها منقسمة، فالتقليديون داخلها شددوا على ضرورة تمسك الجمهورية بالمبادئ العلمانية الآن تماما كما كان في الماضي بوجه الملوك الذي حكموا بزعم الحق الإلهي في القرون السالفة. ويقولون إن الحجاب على الأخص لا يمكن القبول به في المدارس لأنه يمثل وسيلة دعاية لصورة غير متسامحة من الإسلام ورمزا لقمع النساء. غير أن أنصار الحداثة على الجانب الآخر قالوا إن فرض الحظر لن يكون من شأنه إلا تقوية المتشددين، وأشاروا إلى أن مبادئ العلمانية ليست منقوشة على حجر ويمكن أن تقبل باستثناءات وقد ساد الكثير من التخبط فيما يتعلق بأمر الحجاب في المدارس بين شد وجذب.

وبإثارة هذه القضية تواصل لوموند ولوفيغارو ما دأبت عليه الصحافة والحكومة الفرنسية من اختزال خطر الرموز الدينية في المدرسة الفرنسية في الحجاب الإسلامي، ففي عام 2004 قام البرلمان الفرنسي بالتصويت لقانون يمنع ارتداء أي رمز ديني بالمدارس الحكومية، إلا أنه على الرغم من عمومية القانون التي تشمل كافة الأديان، يتم ذكر الحجاب الإسلامي على وجه التحديد. يقول المفكر الفرنسي المعروف "ادجار موران" في هذا الصدد "إن الحجاب الإسلامي يطرح قضية تقليدية تماما، فقد تكونت المدرسة العلمانية ضد الكنيسة

الكاثوليكية التي كانت لها سلطة على التعليم، واليوم يحمل الفتيان والفتيات الصلبان في المدرسة ولا يطلب منهم نزعها، وإذا أراد يهودي أن يرتدي قبعة بيقها على رأسه، إن حرمان فتاة من المدرسة لأنها ترتدي حجاباً إنما يعني حرمانها من فرصة للدخول في الدنيا العلمانية (قيس جواد العزاوي، 2002).

وكتبت لوموند في افتتاحية 22 جانفي تحت عنوان "أقوال وأفعال" في سياق الجهود الواجب بذلها لمواجهة التهديد الارهابي كما لم تستتي جهود العائلة والمدرسة مضيفة: "يجب معالجة مجتمع أصبح غير قادر على منع التطرف الديني الإسلامي الذي ينتشر بين شباب متمرد على استبعاده، إلى غاية الغرق والوقوع في البربرية، وإلى جانب العائلة هذه الجهود تبدأ من المدرسة.

ودائماً وفي سياق التناغم بين مضامين لوموند ولوفيغارو، وسياسات الحكومة ومختلف تشكيلات الطبقة السياسية الفرنسية الراضية للباس الإسلامي باعتباره رمزا للتعصب والأصولية، وهي النظرة السائدة منذ الحقبة الاستعمارية التي ربطت ما بين التزمت والأصولية وحجاب المرأة المسلمة، ويرى أغلب النواب أن الحل الوحيد يكمن في فرض قانون يلزم بذلك، وحتى النواب الوسطيين مثل "جاك ميار" من اتحاد الحركة الشعبية الحاكم يمين الوسط، يعبرون عن أنفسهم بلغة يمكن أن ينظر إليه في مجتمعات أكثر تعددية ثقافية على أنها تنزع إلى التعصب، ويقول "ميار" "كثير من الفتيات المسلمات يقلن إنهن يرتدين الحجاب عن اقتناع شخصي". ولكنه يضيف "غير أنه في الواقع حينما تدقق النظر في الأمر تجد أنهن في بعض الحالات، أو في الواقع في أغلب الحالات، مدفوعات من جانب الأصوليين الدينيين وإذا أعطيت هؤلاء عقلة إصبع فسوف يلتهمون ذراعك حتى الكوع." ويتابع "وعلى ذلك علينا أن نكون حازمين وثابتين تماما - ونقول: هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور في فرنسا." (أنري أستيه، بي بي سي نيوز أونلاين).

ولم تكتف لوموند ولوفيغارو باتهام المدارس والمناهج والرموز الدينية الإسلامية بل تعدت مضامينها لتصوير المعلمين في مدارس الضواحي - حيث تقطن غالبية الجالية المسلمة - بأنهم يروجون للتطرف والطائفية في المدارس بنسبة بلغت **23.28%** في لوفيغارو، و **18.34%** في لوموند، ويمكن تفسير ذلك بإصرار وإلحاح لوموند ولوفيغارو على ترويح

صورة سلبية عن الإسلام حتى في الجانب التربوي والتعليمي، وعند من يقومون بدور تربوي وتعلمي، والتأكيد على ما جاء في جدول نشر الفكر الجهادي والمواضيع الاجتماعية من أن مناطق الضواحي حيث يقطن غالبية من المهاجرين المسلمين هي بمثابة بؤر فعلية لنشر الإرهاب والتطرف حتى داخل المؤسسات التربوية والتعليمية ومن قبل المعلمين.

وعلى طريقة استحداث إسلام فرنسي وحدثي وتقدمي وأئمة تقدميون ورؤساء مؤسسات إسلامية حدثيين يتم الحديث أيضا عن ضرورة الاستعانة بمعلمين تقدميين ممن لهم القابلية للحديث عن الإسلام على الطريقة الفرنسية، بديلا عن المعلمين ممن ينشرون الفكر المتطرف في الصف المدرسي وذلك لمجرد انتقادهم للنظرية الداروينية أو الاجهاض، والمثلية الجنسية، والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة... وغيرها من القضايا المناهضة لأبسط قواعد الشريعة الإسلامية والتي يسمح بالمقابل بتدريسها باعتبارها مظاهر للتقدم والمدنية الفرنسية.

ولم يسلم من اتهامات لوموند ولوفيغارو وفي إطار سعيها تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإطار التربوي والتعليمي حتى التلاميذ، حيث جاءت فئة التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصرين بنسبة 20.77% في لوفيغارو وبنسبة 12.23% في لوموند، وجاء إثارتهما لهذه المسألة على خلفية رفض مجموعة من التلاميذ في مدارس الضواحي الوقوف دقيقة صمت على أرواح حادثة "شارلي ابيدو" التي نظمت في كل مدارس البلاد، وجعلت منها قضية للتحليل والنقاش وأعطيت القضية أبعاد سياسية واجتماعية، وتم تفسير رفض هؤلاء التلاميذ بانتشار العنصرية والطائفية والتطرف في أوساطهم، متأثرين بطبيعة تنشئتهم في تلك المناطق من جهة وبفكر المعلمين من جهة أخرى، ووظفوها حجة للتأكيد على طائفية وانغلاق المسلمين وعدم قبولهم الاندماج.

وفي حوار مع المحللة النفسية والكاتبة Kristeva Julia والتي قدمتها صحيفة لوفيغارو على أنها أحد أكبر الشخصيات الفكرية الفرنسية والحاصلة على جائزة هولبورغ المعادلة لجائزة نوبل في العلوم الانسانية والاجتماعية، عبرت الأخيرة عن اندهاشها من عدم وقوف شباب للنشيد الوطني الفرنسي ولعدم احترامهم دقيقة الصمت على الهجمات الأخيرة في اليوم الموالي للأحداث، وهذا يعني حسبها أنهم لم يتم تعليمهم ولم يغرس فيهم قيم الجمهورية الثلاث

(حرية مساواة أخوة) التي بقيت حسبها مجرد شعار بسبب عدم تجسيدها من قبل المعلمين أنفسهم (Julia Kristeva: Le figaro, janvier ,2015,p).

ولا يعدو الأمر أن يكون تصرف وتعبير حر وعفوي لهؤلاء التلاميذ عن موقفهم ومشاعرهم، ويؤكد هذا من جديد ازدواجية معايير لوموند ولوفيغارو في التعامل مع قضايا تتعلق بالإسلام وبالمسلمين، فلو كان التصرف من تلاميذ فرنسيين اتجاه ضحايا مسلمين لا يعتبر ذلك حرية تعبير كما اعتبر التعدي على مقدسات الإسلام ورسومات شارلي ايبودو حرية تعبير، وعندما يتعلق الأمر بالإسلام والمسلمين تنتقل المعايير.

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول، وجاء في المركز الأول الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية بنسبة **55.95%** في لوفيغارو، و**69.43%** في لوموند، وفي المركز الثاني المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي بنسبة **23.28%** في لوفيغارو، و**18.34%** في لوموند، وفي الأخير التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصريون وذلك بنسبة **20.77%** في لوفيغارو، وبنسبة **12.23%** في لوموند.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع ما توصلت دراسة " محمد البشير بن طبة" بأن صحيفة لوموند، ومن خلال بعض أساليب التغطية تسعى إلى محاولة إرجاع أسباب ما سمته بالإرهاب الإسلامي إلى مصادر التنشئة الدينية (مدارس، مناهج دراسية، جامعات، مؤسسات وجمعيات وجماعات في العالم الإسلامي والعالم الغربي، التي تؤطر فهم الإسلام وحياة المسلمين وركزت الصحيفة في هذه فترة الدراسة، بصفة كبيرة جدا على المدارس الإسلامية في باكستان والمملكة العربية السعودية التي عدتها الصحيفة المصدر الأول للإرهاب في العالم، ثم المناهج الدراسية في العالم الإسلامي.

- جدول رقم (20) يبين توزيع فئة القوى الإسلامية الفاعلة في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le Figaro		الصحيفة القوى الفاعلة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
11.84	175	09.57	151	دول إسلامية
02.84	42	02.84	47	حكام الدول الإسلامية
12.51	185	12.13	198	القاعدة
22.67	335	22.22	367	تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)
22.81	329	21.51	343	الجماعة الإسلامية بوكو حرام
02.23	37	03.24	53	تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى
02.18	41	02.41	39	الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأربا
18.06	267	21.13	345	الإخوة كواشي
03.38	50	03.15	64	أبو بكر البغدادي (خليفة المسلمين)
01.48	17	01.80	25	الأئمة في فرنسا
100	1478	100	1632	المجموع

تبين معطيات الجدول أن:

- صحيفة لوفيغارو: تنظيم الدولة الإسلامية 22.22%، الإخوة كواشي 21.13%، الجماعة الإسلامية بوكو حرام 21.51%، القاعدة 12.13%، دول إسلامية 09.57%، أبو بكر البغدادي 03.15%، تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى 03.24%، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا 02.41%، حكام الدول الإسلامية 02.84%، الأئمة في فرنسا 01.80%.

- صحيفة لوموند: الجماعة الإسلامية بوكو حرام 22.81%، تنظيم الدولة الإسلامية 22.67%، الإخوة كواشي 18.06%، القاعدة 12.51%، دول إسلامية 11.84%، أبو بكر البغدادي 03.38%، حكام الدول الإسلامية 02.84%، تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى 02.23%، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا 02.18%، الأئمة في فرنسا 01.48%.

يبين تحليل بيانات الجدول الخاص بالقوى الإسلامية الفاعلة أن كل من لوموند ولوفيغارو قد عمدتا إلى آليات التبسيط والاختزال والتعميم؛ وذلك عن طريق انتقاء جزئيات شاذة في المشهد الإسلامي والتركيز عليها، ثم وصف الإسلام والمسلمين والتعريف بهم بناء على خصائص ومواصفات هذه الفئات الشاذة وتعميمها على أمة مليار وأكثر من نصف مليار مسلم ينتشرون عبر كل أصقاع المعمورة، وتمثلت هذه القوى الإسلامية خاصة في: (تنظيم الدولة الإسلامية، الإخوة كواشي، الجماعة الإسلامية بوكو حرام، القاعدة، أبو بكر البغدادي (خليفة المسلمين)، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأروبا.

ولوحظ أن لوموند ولوفيغارو توظفان مسمى تنظيم الدولة الإسلامية بدل داعش إلا في حالات قليلة جداً، وأيضا توظيفهما لتسميات (الجماعات الجهادية، الجماعات الإسلامية الإرهابية، والجماعات الإسلامية) للدلالة على معنى واحد ولتسمية للجماعات الإرهابية، منها جبهة النصرة، أحرار الشام في سوريا، أنصار الله في ليبيا... الحوثيون في اليمن... إلخ.

وجاء في إحدى افتتاحيات لوموند: "الحصيلة جد ثقيلة عشرون قتيل من قبل ثلاث إرهابيين، بلادنا لم تعرف هكذا تفجيرات قاتلة منذ حرب الجزائر...المعتدون الفرنسيون الثلاث ينتمون إلى منظمات جهادية، فالإخوة كواشي شركاء للقاعدة في اليمن واميدي كوليبالي ينتمي للدولة الإسلامية التي تتبنى القتل في سوريا والعراق."، وكتب صحفي لوموند Christophe Ayad في سياق انتقاده للسياسة الأمريكية في العراق: "في معسكر بوكا أحد السجون العسكرية الأمريكية الرئيسية خلال حرب العراق، ولدت المنظمة الجهادية لتنظيم الدولة الإسلامية، والتي تستمد قوتها اليوم من أكثر من 10 مليون نسمة معظمهم من العرب السنة ينتشرون على أراضي تمتد بين العراق وسوريا، إن داعش، الاسم المختصر لدولة العراق الإسلامية هو في الحقيقة الطفل المتوحش للقاعدة والكارثة التي سببها الغزو الأمريكي للعراق عام." ويصف من ينتمون إليها من إرهابيين بالجهاديين قائلا: "في شمال العراق الجهاديون يحرقون الكتب غير المطابقة للإسلام...من الصعب معرفة ما إذا كان مشروع داعش سيفشل كما توقع الدبلوماسي هوبرت فيدرين...هناك شيء واحد مؤكد وهو التطهير العرقي والديني في العراق وسوريا والذي بلغ ذروته من قبل الجهاديين في داعش (Christophe Ayad,2015, p29).

ومثل هذه المضامين توحى للقارئ وتذكره في كل مرة أن هذه التنظيمات وممارساتها الوحشية تمثل الإسلام مع أن عملية تشويه صورة الإسلام، أسبق بكثير من ظهور هذه التنظيمات والمنتمين إليها ولكن التسويق لها يزيد الصورة تشويها وسوء، يقول ابراهيم الجبين: " في هذا العصر الذي شهد صعود تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) بما يعنيه من دلالات اجتماعية وعقائدية وسيميائية، يواجه الإسلام في ظرف كهذا، فكرة أن صورة داعش قد أخذت تتفوق على صورة الإسلام، فالدين الذي حمله العرب والشعوب التي آمنت به طيلة أربعة عشر قرناً مضت، عرضة اليوم للظهور عارياً حين تتم مواجهته بالعنف الذي يستمده التنظيم من موروث يتبع له سمي إسلامياً (إبراهيم الجبين، 2017).

إن القصد من هذا التعميم والاختزال هو الاستمرار في ترسيخ صورة الإسلام وتتميطه باعتباره دين الإرهاب والوحشية، مع تجاهل عديد التقارير والانتقادات الموجهة للعديد من أجهزة استخبارات الدول الغربية بأنها هي من صنع هذه التنظيمات والشخصيات، وهي من وفرت لها المنصات الإعلامية التي جعلتها معروفة ومشهورة، وكثير من التحليلات تشير إلى أن هذه التنظيمات والشخصيات لم يكن لها وجود فعلي، بقدر ما كان لها صدى إعلامي، ويؤكد هذا الطرح استخدامها - وخاصة القاعدة وداعش- مختلف المنابر الإعلامية باحترافية عالية، ولا سيما عبر الشبكة للترويج لأعمالهم واستقطاب منتمين جدد.

وتجاهل الصحيفتان أن تكوين التنظيمات الإرهابية ليس خاصة إسلامية؛ فمجموعة المتطرفين اليهود في القرن الأول الميلادي، والذين يسمون بالسكارين، هم أول المجاميع الإرهابية التي شهدتها التاريخ، حيث ظهرت هذه الجماعة عام أربعة قبل الميلاد واستمرت لغاية عام ست وستون ميلادية، فالجماعات الإرهابية اليهودية هي أقدم الجماعات الإرهابية في العالم، وفي القرن الحادي عشر ظهرت في الشرق الأوسط جماعة الحشاشين الدينية التي ترجع إلى الإسماعيلية، ومورس الإرهاب بشكل واضح إبان الثورة الفرنسية إذ أصبح الإرهاب وسيلة حكم وركنا أساسيا من أركان النظام السياسي، وفي بداية القرن التاسع عشر كانت الولايات المتحدة مرتعا جديدا للإرهاب، فقد نشأت هناك عدة حركات عنصرية هدفها إرهاب الزنوج والملونين بصورة عامة، مثل أنشطة منظمة كوكلاس كلان الإرهابية ولم يختلف القرن العشرون عن سابقه بل كان القرن الأكثر إرهابا، ذلك أن القادة الديكتاتوريين قد

دأبوا على استخدام العنف والإرهاب لإخماد الحركات المناوئة لحكوماتهم وبخاصة هتلر في ألمانيا، موسوليني في إيطاليا وستالين في الاتحاد السوفييتي سابقا، وظهرت في الستينات العديد من المنظمات الإرهابية، مثل جماعة الأولية الحمراء في إيطاليا، والجيش الأحمر في ألمانيا الغربية (احسان محمد الحسن، 2008، 52-53). كما أن الاحصاءات تشير إلى أن عدد المنتمين لهذه التنظيمات ممن يسمون بالجهاديين هم من أصول غربية بالدرجة الأولى، وتأتي فرنسا على قائمة الدول الغربية في عدد الجهاديين والجهاديات المنتمين لداعش.

وعمدت لوموند ولوفيغارو أيضا لما يعرف في أدبيات صناعة الصور النمطية بألية الشخصنة، والتي تعني قيام وسائل الإعلام بجعل الأحداث نتاج أفراد أكثر منها نتاج مجتمعات ومؤسسات، ونقل الأحداث دون تقديم السياقات التي نتجت الأحداث من خلالها وفي سياقها، حيث تستغل وسائل الإعلام حاجة الناس إلى التصنيف، وعدم قدرتهم على استيعاب الأحداث والمشكلات العالمية والاجتماعية المعقدة، وعدم قدرتهم على البحث على المعلومات وتحليلها أو تفسيرها، فتعمل على التركيز على زوايا معينة من الأحداث أو شخصيات معينة تدخل في عملية التصنيف وتختزل الأحداث في شخصيات يتم التركيز عليها، وقدمت لوموند ولوفيغارو مجموعة من الإرهابيين وزعماء التنظيمات الإرهابية (الإخوة كواشي، أبو بكر البغدادي، أميدي كوليبالي، مع التذكير بمراح وجمال بغال، وأسامة بن لادن) بمثابة الشخصيات الإسلامية المحورية، ومعظمهم يتزعم أو يتبع تنظيمات إرهابية تمارس إرهابها باسم الإسلام والمفارقة في الأمر أن إرهابهم يمارس بحق المسلمين وفي الدول العربية والإسلامية.

ويمكن تفسير لجوء لوموند ولوفيغارو للشخصنة لأنه يسهل تشويه صورة الإسلام، وترسيخها وحفظها، واستدعائها من خلال التركيز على شخص أو عدد محدد من الأشخاص مقارنة بتشويه كل المسلمين، ويفرض عامل الوقت أيضا تجنب التحليلات اليومية العميقة للقضايا والمواضيع وسيكون من الأسهل والأقوى وأسرع تأثيرا للجوء لتبسيط واختزال الأحداث في أشخاص، كما أن التركيز على تشويه صورة زعماء هذه التنظيمات يساعد على استثارة مشاعر الحقد والكراهية لهذه الشخصيات، ومنها تنتقل المشاعر إلى الإسلام خاصة وأنه سبق الترويج والتأكيد على ربط الإسلام بالإرهاب وبهذه الشخصيات، هذا على الرغم من

ما هو معروف عن هذه الشخصيات وغيرها من المنتمين للتنظيمات الإرهابية من انصرافها عن نصررة الإسلام وقضاياها الجوهرية وأن الإسلام بريء منهم ومن أفعالهم.

يقول أوليفيه روا في هذا الإطار عن ابن لادن بأنه يخالف على عدة صعد تقاليد الدين الإسلامي فهو يعتمد أساليب جديد من أساليب الإرهاب العلماني والغربي... ويتميز كثير من الجيل الثاني لتنظيم القاعدة بعد سنة 1992 بانقطاعهم عن العالم الإسلامي الذي يزعمون أنهم يمثلونه؛ فقد غادروا جميعهم بلدانهم الأم ليحاربوا أو ليعيشوا في بلد آخر، كما قطعوا علاقاتهم بذويهم... ولا يمثل هؤلاء المناضلون الجدد أي جماعة دينية لأنهم يعيشون مهمشون بين أبناء دينهم ولا ينقلون أي ثقافة تقليدية فهم يجهلون ثقافتهم ويرفضونها بل يقاطعونها محليا ثم يؤسلمون فيفبركون دينا إسلاميا يلائمهم... كما أن هؤلاء الأصوليون الجدد لا يتبعون أي زعيم إسلامي بل يحيون في غالب الأحيان حياة تتعارض وتعاليم الدين هذا النمط من النقية يسود في أوساط السنة، كما أن ابن لادن لا يعبر عن أي تقليد مسلم ولا يعكس صراعات الشرق الأوسط فهو غائب عن فلسطين وتركيا وسوريا والعراق ولبنان، وعلى الرغم من أن تنظيم القاعدة مؤلف في معظمه من سعوديين وجزائريين ومصريين إلا أن الجيل الثاني باستثناء السعوديين دخل أفغانستان قادما من أوروبا وليس من بلدان الشرق الأوسط وباختصار يبدو أحيانا أن العنف الإسلامي في الدول المسلمة مستورد بمجمله من الغرب (أوليفيه روا، 2003، 24).

وبناء على ما سبق أمكن الجزم بغلبة الطابع السلبي للقوى الإسلامية الفاعلة التي انتقلتها وركزت عليها لوموند ولوفيغارو، وعلى الأدوار المنسوبة إليها؛ والتي تنطلق وتنتهي عند ممارسة مختلف أشكال العنف والإرهاب باسم الإسلام، دولا وأفرادا، وتنظيمات، فحتى بالنسبة للدول الإسلامية التي تكرر ذكرها لوحظ التركيز على تلك التي تعرف العديد من الصراعات خاصة كل من: مالي، النيجير، نيجيريا، الكاميرون، الصومال، ليبيا، سوريا، العراق، اليمن، ومن بعدهم تركيا قطر والسعودية بدرجة أقل باعتبارها داعمة لهذه الصراعات والحروب، في حين تم تغييب الدول الإسلامية المتطورة بمعايير الغرب (ماليزيا، اندونيسيا...).

➤ اتفقت الصحيفتان على اختزال القوى الفاعلة الإسلامية في: تنظيم الدولة الإسلامية الإخوة كواشي، الجماعة الإسلامية بوكو حرام، القاعدة، أبو بكر البغدادي تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا.

➤ وظفت الصحيفتان القوى الإسلامية الفاعلة لتقديم صورة سلبية عن الإسلام اعتماداً على آليات التبسيط والاختزال والشخصنة في مقابل تغييب واستبعاد الأطراف الفاعلة إيجابياً من داخل العالم الإسلامي أو خارجه وفي العلاقة مع فرنسا أو مع الغرب.

- جدول رقم (21) يبين توزيع فئة المصادر في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة المصادر
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
71.64	619	71.43	715	مصادر داخلية
28.35	245	28.57	286	مصادر خارجية
100	864	100	1001	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: مصادر داخلية 71.43% مصادر خارجية 28.57%.

- صحيفة لوموند: مصادر داخلية 71.64% مصادر خارجية 28.35%.

يوضح تحليل بيانات الجدول الخاص بالمصادر الصحفية أن لوموند ولوفيغارو قد اعتمدتا على مصادرهما الداخلية بالدرجة الأولى، وبفارق شاسع عن اعتمادهما على المصادر الخارجية حيث شكلت المصادر الداخلية المصدر الأساسي لموادها عن الإسلام.

ويمكن تفسير ذلك بالمسيرة العريقة والطويلة للصحيفتين في مجال العمل الصحفي، إلى جانب ما تمتلكانه من إمكانات مادية وموارد بشرية تؤهلها للاعتماد على مصادرهما الداخلية بالدرجة الأولى، كما أن الطابع الاستقلالي للصحيفتين يجعلهما تحرصان على الاعتماد على مصادرهما الداخلية من أجل تجنب أي نوع من الضغوط الخارجية، وبما يضمن التوافق بين مضامينها وسياستها التحريرية؛ ومن ثم التحكم في طبيعة المعلومات، واتجاه التغطية حيال موضوع الإسلام، والتحكم بالتالي في طبيعة الصورة التي ستتكون عنه ليس فقط فيهما بل في الإعلام الفرنسي والغربي، حيث أنهما تعدان بمثابة مركز تجميعي للمعلومات، ومصدراً إخبارياً للعديد من وسائل الإعلام داخل وخارج فرنسا، وهذا من شأنه أن يوسع من

مجال نشر مضامينها عن الإسلام وتأثيرها، نتيجة تأثير المصادر الإخبارية في الكتابة الصحفية وفي مضمونها.

➤ اتفقت الصحيفتان في الاعتماد على المصادر الداخلية بنسبة كبيرة جدا وصلت إلى **71.43%** في لوفيفارو و**71.64%** في لوموند، تلاها الاعتماد على المصادر الخارجية بنسبة أقل قدرت **28.57%** في لوفيفارو و**28.35%** في لوموند.

➤ اتفقت النتائج مع دراسة "حسن نيازي الصيفي" التي توصلت الدراسة إلى اعتماد نيوز ويك والفورن بوليسي على المحررين، وأوضحت النتائج اشتراك عدد كبير من المراسلين في كتابة بعض التقارير المطولة بمجلة النيوزويك، وارتفعت نسبة اعتماد المجلتين على المتخصصين ليصبحوا المصدر الثاني.

- جدول رقم (22) توزيع المصادر الداخلية في صحيفتي لوموند ولوفيفارو

Le monde		Le Figaro		الصحيفة المصادر
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
52.66	326	36.22	259	صحفيون ومحررون
34.24	212	48.95	350	مراسلون ومندوبون
13.08	81	14.82	106	مبعوث خاص
100	619	100	715	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول:

- صحيفة لوفيفارو: صحفيون ومحررون 36.22% مراسلون ومندوبون 48.95%، مبعوث خاص 14.82%.

- صحيفة لوموند: صحفيون ومحررون 52.66% مراسلون ومندوبون 34.24%، مبعوث خاص 13.08%.

يبين تحليل بيانات الجدول الخاص بالمصادر الداخلية أن كل من لوموند ولوفيفارو اعتمدتا بشكل كبير وبنسب متقاربة على الصحفيين والمحررين وذلك بنسبة 36.22% في

لوفيغارو، و**52.66%** في لوموند، متبوعة بالمراسلين والمندوبين بنسبة **48.95%** في لوفيغارو، و**34.24%** في لوموند.

ويمكن تفسير اعتماد لوموند ولوفيغارو على صحافييها ومحرييها بكونهما تنتميان لصحافة الرأي بالدرجة الأولى، ولسعيهما لتقديم وجهات نظر متعددة حول الإسلام والمسلمين وعلاقتهم بالأحداث، خاصة وأنهما تصدران يوميا، وعليهما تزويد القراء بالأخبار، وأيضا بالتحليلات والتعليقات، مستفيدة من طاقمها الذي يضم إلى جانب خيرة المراسلين والمندوبين نخبة من المحررين والصحفيين المعروفين بالإمكانات الكبيرة في التحليل والتعليق، وهذا من شأنه أن ينتج مضامين عن الإسلام في اتجاه أحادي يعبر عن اتجاهات المصادر الأساسية، خاصة وأن هذه الفئة تمتلك في المؤسسات الصحفية الكبرى صلاحيات ما يعرف بسلطة المحررين، والتي تخول لهم التدخل في انتقاء واختيار مصادر المعلومات، وحتى طبيعة المواضيع، وزوايا المعالجة والقوالب التحريرية لمعالجتها ولاسيما تلك التي يخصص لها مواد الرأي (الافتتاحية، التعليق، العمود، المقالات التحليلية)، وهي أكثر الأنواع الصحفية المؤثرة في اتجاهات القراء والتي تكتب أساسا بناء على قناعات وآراء كتابها حول الوقائع والأحداث.

وعليه فإن من يكتب عن الإسلام ويتحدث باسمه في صحيفتي الدراسة هم طاقمها التحريري بالدرجة الأولى، إلى جانب المراسلين والمندوبين الذين قدرت نسبة الاعتماد عليهم بـ **48.95%** في لوفيغارو، وبنسبة **34.24%** في لوموند، ويمكن تفسير هذا الاعتماد باعتبار المراسل والمندوب من أهم وأفضل المصادر الإخبارية لا سيما لليوميات، ونظرا لما يتمتع به مراسلي ومندوبي لوموند ولوفيغارو من كفاءة واحترافية وخبرة في التعامل مع الأحداث، ومتابعتها وتغطية مجرياتها، هذا إلى جانب حرصهما على إضفاء الصدق والواقعية في إعداد موادها حول الإسلام، وهذا ما يعكسه أيضا النسبة المعتبرة لاعتمادهما على المبعوث الخاص وذلك بنسبة **14.82%** في لوفيغارو، و**13.08%** في لوموند فوجود المراسل والمندوب والمبعوث الخاص في الميدان من شأنه أن يعطي مصداقية وواقعية أكبر للقصص وللتقارير، والربورتاجات والحوارات التي يقومون بإعدادها، كما أن التطورات المتسارعة للأحداث تتطلب مواكبتها بالتقارير والأخبار التي يقوم بها المراسل والمبعوث الخاص.

ولكن الإشكال الذي يطرح نفسه عادة عند الاعتماد على هذه المصادر بدرجة كبيرة هو ما يحملونه من أحكام جاهزة ومسبقة عن الإسلام وصورا نمطية سلبية لا تتعارض مع الثقافة السائدة عنه في المجتمع الفرنسي، ودون الخروج طبعاً عن السياسة التحريرية وأهداف الصحيفتين، كما أنهم قد يفتقرون للاطلاع الواسع والمعرفة اللازمة عن الإسلام، وفي ظل العمل تحت ضغط الوقت وتغطية مثل هذه الأحداث فلن يتوجه المراسل للاطلاع والقراءة عن الإسلام (عقيدة، تاريخ، واقع، حضارة،...) أين يمكن التمييز بين الإسلام كدين، وتصرفات بعض الفئات من المسلمين التي تسيئ للإسلام والمسلمين قبل غيرهم.

➤ اتفقت الصحيفتان في الاعتماد بدرجة كبيرة وبنسب متقاربة على الصحفيين والمحررين بنسبة **36.22%** في لوفيفارو، و**52.66%** في لوموند، ثم المراسلين والمندوبين بنسبة **48.95%** في لوفيفارو، و**34.24%** في لوموند، وفي الأخير المبعوث الخاص بنسبة **14.82%** في لوفيفارو وبنسبة **13.08%** في لوموند.

- جدول رقم (23) يبين فئة المصادر الخارجية في صحيفتي لوموند ولوفيفارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	المصدر
17.55	43	27.62	79	AFP
10.40	25	09.79	28	AP REUTERS
68.97	169	60.49	173	كتاب متعاونون
03.98	8	02.09	6	شبكة الإنترنت
100	245	100	286	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول أعلاه أن:

- صحيفة لوفيفارو: كتاب متعاونون **60.49%** ، AFP **27.62%** AP REUTERS **09.79%** شبكة الانترنت **02.09%**.

- صحيفة لوموند: كتاب متعاونون **68.97%**، AFP **17.55%** AP REUTERS **10.40%** شبكة الانترنت **03.98%**.

يبين تحليل بيانات الجدول أن فئة الكتاب المتعاونون تعد من أهم المصادر الخارجية لصحيفتي الدراسة، وذلك راجع لكونهما صحافة رأي ولحاجتهما الملحة لتقديم مضامين أكثر عمقا من حيث الشرح والتحليل في ظل تسارع وتطورات الأحداث وتحت ضغط الوقت؛ ما قد يشكل عائقا أمام محرريها فقط للإلمام بكافة التحليلات، كما أن الانتماء المؤسسي الأكاديمي لهؤلاء الكتاب من شأنه أن يوحى بتحري لوموند ولوفيغارو انتقاء مصادر تتحلى بالموضوعية والمصدقية فهم يشكلون نخبة المجتمع من أساتذة جامعيين فلاسفة، رجال سياسة وقانون، ومنهم يتبعون مراكز دراسات وبحث في مختلف مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية.

وهذا من شأنه أن يحصر تناول وتأطير الإسلام وفقا لانتماءات ونظرة هذه المصادر النخبوية وليس وفقا للواقع، وعليه أمكن القول أن الصحيفتان خرجتا من مجال الدعاية الرسمية - كما أظهرت نتائج في تحليل الجداول سابقة خاصة (7،8،9،12،15)- إلى ما يعرف مجال الدعاية النخبوية، ولوحظ انتقاء للشخصيات التي حاورتها لوموند ولوفيغارو، مع استبعاد وتغيب شبه تام للشخصيات من أهل الاختصاص من المسلمين والشخصيات الإسلامية، وحتى العدد القليل منهم الذين تمت محاورتهم وتقديمهم باعتبارهم خبراء في شؤون الإسلام تحدثوا بما بدا واضحا أنه يتماشى مع التوجه العام لصحيفتي الدراسة.

وسواء تعلق الأمر بالكتاب أو بالشخصيات التي تم محاورتها فمعظمهم تحدث عن الإسلام بكل سلبية، في هذا السياق يقول إدوارد سعيد: "إن الخبراء الأكاديميون المتخصصون بالدراسات الإسلامية يتعاملون مع الديانة الإسلامية وثقافتها المتعددة ضمن إطار ايديولوجي ملفق أو ثقافي محسوم مسبقا مليء بالتحامل والتعرض الدفاعيين بل أحيانا بالاشمئزاز والتقزز، فأصبح فهم الإسلام بسبب هذا الإطار الثقافي والحواري الضيق أمرا يصعب تحقيقه (إدوارد سعيد، 2011، 39-43).

كما يرى أوليفيه روا: "أن المحللين في إطار دراسة المجتمعات الإسلامية أو كل ما يحمل اسم الإسلام يميلون إلى اعتبار الإسلام دين يبرر بامتياز سلوك من يعتنقونه، ويردون موضوع المرأة والإرهاب واللاديموقراطية كلها إلى الديانة والثقافة الإسلاميتين؛ لذا فالكثيرون يخالون الإسلام نظاما منغلقا يمكن تفسيره فقط في صفحات تاريخه أو فيما يقوله أو حتى ما قد

يقوله القرآن أو في أحداث الشرق الأوسط كما تنسب إلى الإسلام أنشطة تحمل توقيع مسلمين (أولفيه روا، 2003، 12).

وتكمن خطورة ذلك في تبني القارئ العادي لكل ما يقدمونه من آراء وتحليلات باعتبارهم قادة للرأي، خاصة وأن هذا الصنف من الكتاب يتميز بالقدرة على التأثير والإقناع، وتشكيل معارف القراء واتجاهاتهم وبناء تصوراتهم عن مختلف الموضوعات والقضايا.

ولا يمكن إغفال دور العامل الاقتصادي والمنفعة التجارية المتبادلة بين الصحف ومصادرهما من الكتاب المتعاونين، ففي مثل هذه الحالات تستثمر الصحف في شهرة واحترافية هذه الفئة من الكتاب بما يحقق لها ارتفاع في مستوى المبيعات، وبالمقابل يستفيد الكتاب من الاستهلاك السريع لأفكارهم، وفي الوقت نفسه الترويج للكتب والمؤلفات التي تحمل في طياتها هذه الآراء والأفكار، ومكمن الخطورة هنا في تمرير أفكار هؤلاء الكتاب على طريقة البيع السريع للأفكار والمعلومات سيجعلها أسرع وأكثر تأثيراً، وطالما تعتمد لوموند ولوفيغارو على هذه المصادر يمكن القول إنها تتبنى وتروج لوجهات نظرهم، في مقابل تغييب وجهات النظر المغايرة، مما يعني غياب معايير الحياد والموضوعية عندما يتعلق الأمر بالإسلام، وايصال وجهة نظر واحدة ومحددة من شأنها أن تكون صورة الإسلام في حدود وجهات النظر والآراء المقدمة، كما يمكن أن يتدخل هنا دور العلاقات الشخصية وعلاقات المصالح في اختيار التعاون مع شخصيات معينة دون غيرها من المثقفين والمفكرين الفرنسيين الذين لهم آراء متوازنة وحيادية حيال الإسلام.

وجاء اعتماد لوموند ولوفيغارو على AFP في المرتبة الثانية بنسبة معتبرة قدرت ب **27.62%** في لوفيغارو وبنسبة **17.55%** في لوموند، ويمكن تفسير ذلك بعدم انفصال مضامينهما عن توجهات الحكومة الفرنسية والموقف الرسمي للجمهورية، وسجل الاعتماد عليها خاصة في الأخبار القصيرة والحكومية والاشتراك معها في إعداد بعض التقارير، وأيضاً في استقاء الصور التي كان معظمها بتوقيع AFP، وأيضاً اعتمداً في ذلك على AP و REUTERS في الأخبار الدولية وفي بعض التقارير والروبورتاجات التي أعدها المراسلون والمبعوثون في الخارج وفي استقاء الصور أيضاً، وذلك بنسبة **09.79%** في لوفيغارو، و **10.40%** في لوموند، وفي آخر الترتيب شبكة الإنترنت **02.09%** في لوفيغارو وبنسبة

03.98 % في لوموند، وبالنسبة للنسبة للمتدنية والتي لا تكاد تذكر في اعتمادهما على الانترنت فيمكن عزوها لوزن وطبيعة الصحيفتين التي جعلها في غنى تام عن اعتماد مواد الانترنت التي تفتقد في أغلب الأحيان للدقة والمصداقية.

➤ اتفقت الصحيفتان في ترتيب درجة الاعتماد على المصادر الخارجية، وتصدر الترتيب في لوموند ولوفيغارو كتاب متعاونون بنسبة 60.49% في لوفيغارو، و68.97% في لوموند، تلاها AFP بنسبة 27.62% في لوفيغارو، و17.55% في لوموند، متبوعة ب AP REUTERS بنسبة 09.79% في لوفيغارو، و10.40% في لوموند، وفي آخر الترتيب شبكة الإنترنت بنسبة 02.09% في لوفيغارو و03.98% في لوموند.

➤ اتفقت نتائج الجدول مع اعتبار نظرية الإطار الإعلامي اختيار المصادر الصحفية وانتقائها بدقة آلية من آليات التأطير فالأسلوب الذي تتبعه المصادر المنتقاة في تقديم المعلومات، وطبيعة المعلومات وما تحاط به من تحليلات وتفسيرات من قبل هذه المصادر، لها دور أساسي في تأطير المضامين الصحفية وفي تحديد زوايا المعالجة وفق قناعات وأفكار وقيم المصادر التي تعتمد عليها، كما أن انتقاء مصادر معينة دون غيرها يرتبط في أغلب الأحيان بالأحكام الفردية أو بالعوامل المؤسسية والتنظيمية.

- جدول رقم (24) يبين توزيع فئة الاتجاه في صحيفتي لوموند ولوفيجارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة الاتجاه
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
04.68	114	02.10	78	إيجابي
87.64	2130	95.06	3522	سلبي
07.69	187	02.83	105	محايد
100	2431	100	3705	المجموع

تبين الأرقام الواردة في الجدول أن:

- صحيفة لوفيجارو: بلغت نسبة الاتجاه السلبي 95.06%، تلاها الاتجاه المحايد بنسبة 02.83%، وفي آخر الترتيب وبنسب لا تكاد تذكر الاتجاه الإيجابي بنسبة 02.10%.

- صحيفة لوموند: الاتجاه السلبي 87.64%، الاتجاه المحايد بنسبة 07.69%، وفي آخر الترتيب الاتجاه الإيجابي بنسبة 04.68%.

يبين تحليل بيانات الجدول أن الاتجاه السلبي في مضامين لوموند ولوفيجارو نحو الإسلام قد ساد بدرجة كبيرة، متبوعا بفارق كبير بالاتجاه المحايد، وبنسبة لا تكاد تذكر جاء الاتجاه الإيجابي.

ويمكن تفسير درجة تحامل لوموند ولوفيجارو على الإسلام بقوة وقع الأحداث في حد ذاتها، خاصة وأنها كانت موجهة ضد صحافيين وزملاء في المهنة، فجاءت كتاباتهم كرد فعل سريع انفعالي خارج عن السيطرة أكثر منه تغطية صحفية موضوعية، ويبرز ذلك من خلال طبيعة الألفاظ والمعاني والعبارات التي تضمنت العديد من الأوصاف السلبية من قبيل وصف الإسلام بالبربرية والمسلمين بمحبي الموت، وعديمي الإنسانية، المجانين والأغبياء والأعداء وغيرها من الصفات، مما أدى إلى غلبة العواطف السلبية على تحري المعايير المهنية.

ويتعمد الصحافيون انتقاء مثل هذه الكلمات والألفاظ للتعبير عن مشاعرهم ومواقفهم واتجاهاتهم المفترقة للموضوعية، وهو ما يوجد عادة في تغطية الإعلام الغربي بشكل عام

للإسلام والمسلمين وليس فقط الصحافة الفرنسية، يقول "إدوارد سعيد" في إطار تحليله لتغطية الإعلام الأمريكي والأوروبي للإسلام: "نحن لا نعيش في عالم الطبيعة العفوية، والأشياء من قبيل الصحف والأنباء والآراء، لا تحدث بشكل طبيعي من تلقاء ذاتها، بل هي تصنع نتيجة إرادة إنسانية ونتيجة للتاريخ والظروف الاجتماعية ومؤسسات المجتمع وأعراف مهنة الإنسان... إن الواقع يقول كما أوضح المفكر "هربرت غانز" في كتابه الهام: (تحديد ماهية الأخبار) أن الصحفيين ووكالات الأنباء وشبكات الأخبار التلفزيونية والإذاعية، تقوم عن وعي بتقرير ما يجب نقله ووصفه وكيفية نقله وما شابه ذلك (إدوارد سعيد، 2011، 91).

وقد جاءت اتجاهات الصحافيين أكثر سلبية وتحيزا وتحاملا في الافتتاحيات، والمقالات التحليلية والأعمدة، والحوارات، ولوحظ استمرار هذا التحامل والانفعال والسلبية في معظم المواد والأعداد التي خضعت للتحليل؛ أي حتى بعد مرور أسابيع على الأحداث بما قد يدل على خضوع مضامين لوموند ولوفيجارو لتأثير الأحكام الجاهزة والصور النمطية السائدة، وليس مجرد التأثير الآني بوقوع الأحداث.

كما يمكن عزو طغيان التغطية السلبية إلى تهميش الإسلام في المشهد السياسي والإعلامي الفرنسي بشكل عام، وجعله محط اهتمام وتركيز فقط خلال الأحداث الطارئة، وبشكل خاص الأعمال الإرهابية؛ وعليه يسهل على الصحفيين تأطير الإسلام وفق ما يضعونه من زوايا محددة انطلاقا من القوالب والأحكام الجاهزة والصور السائدة، وتحت تأثير هذه الأحداث، يتشكل درجة من التحيز سواء بشكل مقصود أو غير مقصود بحيث لا تعتمد وسائل الإعلام على الحقائق والمعطيات الفعلية بل تقوم بتأويلها وتوظيفها لتشكيل الصورة التي تريد تشكيلها عن الإسلام؛ حيث إن الفرد في هذه الحالة يرى الحقيقة وفق أهوائه واتجاهاته، دون التدقيق فيها أو التأكد من صحتها، وبعيدا عن التزام معايير الحياد والموضوعية، في هذا الإطار يقول الكاتب الصحفي الفرنسي الشهير "إريك لوررولو" إننا معشر الصحفيين متحيزون بطريقة أو بأخرى، من يمكن أن يكون موضوعيا أكثر من المصور، ومع ذلك فإن نوع العدسة التي يستعمل والزوايا التي يلتقط منها الصورة التي يريد، تؤثر في الصورة التي يمكن أن تخرج عن مصور آخر يمتاز بالموضوعية وعدم التحيز كالمصور الأول، نحن لسنا أولاد

الأنابيب والمختبرات، نحن بشر لكل منا ثقافته وخلفيته وجذوره، لكل منا فلسفته في الحياة وتجاربه وأيضاً حساسيته الخاصة (حسن عزوزي، 2012، 350).

كما أن الصحفي كأى إنسان يتأثر بذاتيته وبالاحس العام، وبمعايير وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه، و هم محكومون بدورهم بالأطر التي تنظم أنساقهم المعرفية والضغوط المهنية التي يعملون في ظلها مثل: ضغوط السيطرة والملكية والتمويل، والتي تحدد السياسة التحريرية، بالإضافة إلى ضغوط المساحة وسرعة العمل الإعلامي، والمشكلة التي تحدث في عمل التحرير اليومي تتعلق بعملية الإدراك الانتقائي التي تقود إلى أطر بديلة تصطبغ بالأيديولوجية عن وعي أو عدم وعي بذلك، والتي تعكس بالطبع المصالح القوية للمجتمع الذي يخدمه الإعلام ويوافق هذه الصورة التي هي ليست مجرد صورة فقط ولكن أيضاً مجموعة مشاعر وأحاسيس عن الصورة. وسيكون من قبيل المجازفة تقديم صورة إيجابية عن الإسلام، أو حتى محايدة في ظل الغليان والغضب الجماهيري من الأحداث ومنفذيها باسم الإسلام حتى بالنسبة لصحيفة لوموند اليسارية المعتدلة.

كما يمكن إرجاع ذلك إلى ضغوط العوامل السياسية والمالية التي يندر أن تعمل أية وسيلة إعلامية بعيدة عنها مهما كانت درجة استقلاليتها، في ظل القاعدة المتداولة في الحياة السياسية الفرنسية، أن لكل حزب سياسي وشخصية سياسية هامة صحيفة يراقبها، والتي من خلالها يمكن له التعبير عن آرائه، وفي ظل خضوع معظم الصحف الفرنسية بما فيها لوموند ولوفيغارو تحت سيطرة التجمعات الصحفية يمتلك معظمها مجموعة من رجال الأعمال والصناعيين أمثال "سارج داسو" المالك لصحيفة لوفيغارو، و"أرنو لجردر"، "فرانسوا بينو"، "فنسان بولوجي"، وتمتلك مجموعة "هاشيت" التي تمتلك نسبة 34% من أسهم المطبعة الحديثة لمجموعة "لوموند".

وبالنسبة للاتجاه المحايد والايجابي فقد اقتصر على مضامين بعض القصص الإنسانية لمعاناة المهاجرين في صحيفة لوموند ومعاناة الروهينغيا والمسلمين الايغور في إقليم تشينغ يانغ، وفي تناول المواضيع ذات الطابع الاقتصادي.

وطالما أن التعرف على اتجاه مضامين لوموند ولوفيغارو نحو الإسلام يعد من أهم المؤشرات الدالة على طبيعة صورة الإسلام في مكوناتها الوجداني، يمكن الجزم أن الصحيفتان قدمتا صورة سلبية عن الإسلام في بعدها الوجداني، ويبرز ذلك من خلال طبيعة المضامين التي جاءت مثقلة بالانفعالات والمشاعر السلبية اتجاه الإسلام وحتى المسلمين.

➤ اتفقت الصحيفتان في طغيان الاتجاه السلبي في تغطيتهما لموضوع الإسلام بنسب تقريبا مطلقة بلغت **95.06%** في لوفيغارو، و **87.64%** في لوموند، تلاها الاتجاه المحايد بنسبة **02.83%** في لوفيغارو، وبنسبة **07.69%** في لوموند، وفي آخر الترتيب وبنسب لا تكاد تذكر الاتجاه الإيجابي بنسبة **02.10%** في لوفيغارو، وبنسبة **04.68%** في لوموند.

➤ اتفقت نتائج الجدول مع نتائج دراسة "محمد البشير بن طبة" من أن صحيفة لوموند تنتهج اتجاها ثابتا سالبا في الغالب عند تغطية مضامين وأخبار الإسلام والمسلمين في فرنسا أو خارجها، وهذا التوجه يزداد حدة ويتناقص من دون أن ينعدم كلما تداعت في السياق مشكلة أو برز متغير داخلي أو خارجي له علاقة بالإسلام والمسلمين، ومع دراسة "حسين ناصيف يازجي" التي أثبتت غلبة المعالجة السلبية والمتحيزة على طبيعة المضامين المثارة عن الإسلام والمسلمين في الصحافة الأمريكية.

➤ اتفقت نتائج الجدول مع ما نظرية الإطار الإعلامي من تأثير مجموعة من العوامل على بناء الإطار الإعلامي، وهي تلك المرتبطة بالصحفي، والتأثيرات المركزية التي تتضمن الأيديولوجية، الأنظمة السياسية والاعلامية السائدة، والاتجاهات، والمعايير المهنية، والقيم السائدة، وطبيعة الأحداث وهي الأمور التي تنعكس في النهاية على الطريقة التي يصيغ بها الصحفي التغطية الخبرية وعلى اتجاه مضامينها، وعليه يمكن القول أن الإطار الإعلامي هو نتاج السياسات والممارسات الإعلامية الموجودة، وثقافة القائم بالاتصال، ونوع ومصادر الأخبار، والاتجاهات الأيديولوجية والثقافية الشائعة، ودرجة الحرية السياسية الحاكمة، وطبيعة الأحداث وحجمها وارتباطها بالجمهور.

- جدول رقم (25) يبين توزيع النوع الصحفي في صحيفتي لوموند ولوفيفارو:

Le monde		Le Figaro		النوع الصحفي
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
46.99	406	47.15	533	أنواع إخبارية
14.93	129	15.98	160	أنواع استقصائية
38.07	329	36.86	308	أنواع الرأي
100	864	100	1001	المجموع

تبين معطيات الجدول أن:

- صحيفة لوفيفارو: أنواع الرأي 36.86%، أنواع إخبارية 47.15%، أنواع استقصائية 15.98%
صحيفة لوموند: أنواع الرأي 38.07%، أنواع إخبارية 46.99%، أنواع استقصائية 14.93%.

يبين تحليل بيانات الجدول أن كل من لوموند ولوفيفارو قد وظفتا مواد صحفية متنوعة ومتعددة على مستوى التصنيف الرئيسي، وعدة أشكال ضمن النوع الواحد، وقدمتا بذلك تغطية شاملة عن الإسلام متنوعة بين إخبارية، تفسيرية وتحليلية، ومن المعروف عن صحيفة لوموند تميزها منذ بداية إصدارها بالتركيز على الآراء والتحليلات السياسية، ولكن هذا لا يأتي على حساب تسجيل الأحداث، وتزويد القراء بالأخبار الواضحة والمكثفة من كل أنحاء العالم.

ويمكن تفسير ذلك- كما سبق الإشارة إليه- بكون لوموند ولوفيفارو من صحافة الرأي ذات الذوق العالي، وأيضاً بطبيعة جمهورهما النخبوي في الداخل والخارج (صناع القرار، الطبقة المثقفة، نخبة المجتمع، قراء بمستوى فكري عالي...); بما يفرض عليهما الاعتماد على كل الأنواع الصحفية في صياغة مضامينها لجمهور عال الذوق ومتنوع داخليا وخارجيا، إلى جانب خبرة وتمرس صحافييها ومراسيلها في مجال الكتابة الصحفية، كما أنهما تعدان مصدرا إخباريا مهما وأساسيا للعديد من وسائل الإعلام المحلية والدولية، ما يجعلها تحرص على تسجيل الأحداث، وتحليلها، وتفسيرها وتوثيقها في الوقت نفسه، كما أن بعض الاتجاهات الحديثة للتغطية الصحفية باتت تشجع على المزج بين الإخبار والشرح والتفسير والتحليل من

خلال توظيف الأنواع الاستقصائية والإخبارية إلى جانب المعالجة الفكرية المعمقة التي تعين على فهم واستيعاب المعلومات التي تحيط بالأحداث والموضوعات.

وقد انعكس تنوع وتعدد الأنواع الصحفية في لوموند ولوفيغارو بدوره على أطر وزوايا المعالجة، حيث بدا واضحا سعيهما لتشكيل صورة شاملة ومتكاملة عن الإسلام في مختلف أبعادها، ولكن وفق ما تنتقيانه من مواضيع وقضايا باستغلال مختلف فنون التحرير الصحفي، ويلاحظ نجاحهما في التوظيف المناسب والاحترافي للأنواع الصحفية نظرا لخبرة صحافييها والمستوى الفكري للكتاب؛ مما يساعد على تمرير الاتجاهات والصورة المنشود تسويقها عن الإسلام بسلاسة، لا سيما وأن الأنواع الصحفية تعد بمثابة العمود الفقري لمهنة الصحافة وأساس نجاح وتفوق أي وسيلة إعلامية يتوقف على مدى إلمام صحافييها بنظرية الأنواع الصحفية من جهة ودرجة احترافيتهم في توظيف قالب الصحفي المناسب للحدث المناسب من جهة أخرى.

وقد سجلت نسب متقاربة في توظيف لوموند ولوفيغارو لأنواع الرأي (افتتاحيات، أعمدة، حوارات، مقالات تحليلية)، والأنواع الإخبارية (قصص وتقارير إخبارية)، ويعود هذا بالأساس إلى صدورهما يوميا، وطبيعي جدا أن تركزا في بلورة مادتهما الإعلامية على الأنواع الإخبارية، لاسيما أمام ضغط الوقت وتسارع الأحداث والتطورات التي تستلزم الرصد والملاحقة المستمرة، واعتمدت كل منهما في إعداد هذه المواد على صحافييها وشبكة مراسليها داخل وخارج فرنسا.

ويعود توظيف مواد الرأي بنسبة معتبرة أيضا كون لوموند ولوفيغارو من صحف الرأي، والطبيعة الجادة والنخبوية لهما، وأيضا استجابة لحاجات جمهورهما ذي الطابع النخبوي الذي لا يكتفي بمجرد الحصول على المعلومات، ووصف الأحداث التي يمكن له الحصول عليها من وسائل إعلامية أخرى، بل ينتظر من هذه الصحف الشرح والتفسير والتحليلات المعمقة، وهنا ينبغي التنبيه إلى أن تأثير الوسيلة الإعلامية في جمهورها وبالتالي في صورهم النمطية، يرتبط ارتباطا وثيقا بصورة الوسيلة نفسها في أذهان جمهورها فمتى كانت صورة الوسيلة سيئة في أذهان جمهورها فإن تأثيرها يتلاشى أو يقل على عكس الوسيلة

التي تتمتع بصورة جيدة في أذهان جماهيرها فإن ذلك يكسبها مصداقية تؤدي إلى التأثير المستهدف كما هو الحال مع صحيفتي الدراسة.

ومما يزيد من درجة تأثير هذه المواد، ما هو متعارف عليه من أن أنواع الرأي لا توكل عادة إلا لأكثر الصحفيين تمرسا وخبرة واحترافية، مما يزيد من القوة التأثيرية لمواقفهم وآرائهم ووجهات نظرهم عن الإسلام وطبيعة الصورة التي يشكلونها عنه، لاسيما المقالات التحليلية والمقال الافتتاحي الذي يوجه عادة لأذهان القراء الأكثر وعيا.

كما أن الشهرة والوزن الفكري والثقافي لكتاب مواد الرأي من داخل وخارج لوموند ولوفيغارو من شأنه أن يسهم في الحفاظ على سمعتهما ورواجهما، ويعطي قوة تأثيرية للمضامين التي يقومون بكتابتها ويعبرون فيها عن آراءهم وقناعاتهم الذاتية وتحليلاتهم التي جاءت في معظمها متحيزة ومتحاملة، بما ستؤثر على درجة حيادية وموضوعية أو حتى مصداقية الكتاب كما سبق التوصل إليه في الجداول: (21)، (22)، (24)، وبما سيكون له قوة تأثيريه أكبر على القراء داخليا وخارجيا، لا سيما وأن هذه الأنواع لا تسعى فقط للإخبار وتقديم الأفكار والآراء، ولكن تهدف بالأساس إلى التأثير في أفكار المتلقين وتوجهاتهم ومواقفهم.

وسجل الاعتماد على الأنواع الاستقصائية بنسب معتبرة قدرت بـ **15.98%** في لوفيغارو، و **14.93%** في لوموند، حيث لم يحل دورية صدورهما يوميا والعمل تحت ضغط الوقت، من تخصيص حيز معتبر من تغطيتها للأنواع الاستقصائية، ممثلة بشكل خاص في التحقيقات التي تم إعداد معظمها من قبل المراسلين والمبعوثين الخاصين إلى مواقع الأحداث، وتم التركيز على تغطية الأحداث المرتبطة بما وصفته وقررت الصحفتان بمحاربة الجهاديين والتنظيمات الإسلامية الإرهابية في سوريا، العراق، اليمن ومنطقة الساحل، إلى جانب حوارات مع مسؤولين وشخصيات فاعلة في الأحداث لتدلي بدورها في مختلف الشؤون المتعلقة بالإسلام والمسلمين، ويمكن عزو ذلك إلى حرص لوفيغارو ولوموند على إبراز تحليلها معايير الموضوعية، والدقة والحياد والمصداقية والواقعية، من خلال توظيف الأنواع الاستقصائية التي تتيح شرحا وتفسيرا أعمق للمواضيع، حيث جاءت مدعمة بالصور من مواقع الأحداث، وبالأرقام والإحصاءات والاقتباسات من تصريحات وبيانات المسؤولين والمعنيين بالأحداث،

إلى جانب الصور والخرائط والأشكال البيانية التي من شأنها أن تدعم مواقف واتجاهات الصحيفتين حيال الموضوعات التي تقوم بتغطيتها من خلال وضع الجمهور في الجو العام للحدث وكأنه يعايشه.

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات الجدول الخاص في درجة توظيف الأنواع الصحفية فكل منهما وظفت الأنواع الإخبارية وأنواع الرأي والأنواع الاستقصائية.

- جدول رقم (26) يبين توزيع موقع النشر في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة موقع النشر
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
11.34	98	17.18	172	الصفحة الأولى
85.18	736	74.92	750	الصفحات الداخلية
03.47	30	07.89	79	الصفحة الأخيرة
100	864	100	1001	المجموع

تعكس الأرقام الواردة في الجدول أن:

- صحيفة لوفيغارو: الصفحات الداخلية 74.92، الصفحة الأولى 17.18%، الصفحة الأخيرة 07.89%.

- صحيفة لوموند: الصفحات الداخلية 85.18%، الصفحة الأولى 11.34%، الصفحة الأخيرة 03.47%.

يبين تحليل بيانات الجدول أن كل من لوموند ولوفيغارو، خصصتا أكثر من موقع لنشر مادتها الخاصة بالإسلام، وبمرتبة متقدمة جاء النشر في الصفحات الداخلية، مع ملاحظة أن معظم المواد تم نشرها أعلى الصفحة إلى اليسار، متبوعا بالصفحة الأولى، فالصفحة الأخيرة.

وبدل هذا مجددا على الأهمية التي أولتها كل من لوموند ولوفيغارو لموضوع الدراسة، فمن المتعارف عليه أن لكان النشر في الصحيفة دلالة قوية على درجة الاهتمام، والموقف والاتجاه حيال أي موضوع. وتعد هذه نتيجة منطقية بالنظر لعدد المواضيع وحجم المساحة التي خصصتها كل من الصحيفتين لموضوع الإسلام، ما يؤشر على مستوى الاهتمام وموقفهما

من الإسلام الذي بقي حاضرا في الصفحات الأولى التي تعد بمثابة الواجهة التي تنفرد بعرض أهم المواضيع المنشورة، وفي معظم الأعداد التي تم تحليلها خلال العينة الزمنية للدراسة.

➤ اتفقت لوموند ولوفيجارو في نشر مواضيع الإسلام في الصفحات الداخلية بالدرجة الأولى بنسبة بنسبة **74.92%** في لوفيجارو، و **85.18%** في لوموند، تلاها الصفحة الأولى بنسبة **17.18%** في لوفيجارو وبنسبة **11.34%** في لوموند، وفي الأخير الصفحة الأخيرة بنسبة **07.89%** في لوفيجارو وبنسبة **03.47%** في لوموند.

➤ اتفقت الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة "محمد البشير بن طبة" فيما يتعلق بفئة "مكان النشر" من أن غالب المعالجات لموضوعات الاسلام والمسلمين في لوموند، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وردت في الصفحات الداخلية.

- جدول رقم (27) يبين توزيع وسائل إبراز المضامين في صحيفتي لوموند ولوفيجارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة وسائل الإبراز
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
78.10	1318	69.03	1409	العناوين
17.63	296	27.30	557	الصور
04.27	72	03.67	75	الخرائط والأشكال التوضيحية
100	1686	100	2041	المجموع

تبين الأرقام في الجدول أعلاه أن:

- صحيفة لوفيجارو: العناوين **69.03%**، الصور **27.30%**، الخرائط والأشكال التوضيحية **03.67%**.

- صحيفة لوموند: العناوين **78.10%**، الصور **17.63%**، الخرائط والأشكال التوضيحية **04.27%**.

بين تحليل بيانات الجدول حرص لوموند ولوفيجارو على إبراز موضوع الإسلام، وذلك من خلال توظيف العناوين، الصور، إلى جانب الخرائط والأشكال التوضيحية،

واهتمامها بالجانب الإخراجي بشكل عام بما يدل على اهتمامها بإبراز المضامين التي تقدمها عن الإسلام، وتمييزها عن بقية المواضيع بما يشكل عامل جذب أكبر للاطلاع عليها، مع تسهيل قراءتها، كما يخدم الاهتمام بالجانب الجمالي الصحيفة في حد ذاتها، فكيفية تبويب وترتيب وإخراج المضامين، واختيار وتوظيف وسائل إبراز المضامين، يعد عاملاً هاماً لرواج ولنجاح أي صحيفة لا يقل عن أهمية المضمون في حد ذاته.

➤ اتفقت كل من لوموند ولفيغارو في ترتيب فئات الجدول، حيث جاء في المرتبة الأولى توظيف العناوين ونسبة كبيرة بلغت **69.03%**، ونسبة **78.10%** في لوموند، متبوعة في المرتبة الثانية بدرجة أقل الصور، وقدرت نسبتها **27.30%** لوفيغارو و **17.63%** في لوموند، ليأتي في آخر الترتيب توظيف الخرائط والأشكال التوضيحية بنسبة **03.67%** في لوفيغارو، ونسبة في لوموند **04.27%**.

➤ تقاطعت نتائج الجدول مع توصلت إليه دراسة "محمد الشرفاوي" إلى اعتماد الصحافة الأمريكية، على وسائل الإبراز المصاحبة للموضوعات المثارة عن الإسلام و المسلمين، وجاءت العناوين في المقدمة، ثم الصور الشخصية والموضوعية وتلاها على التوالي الرسوم التعبيرية، الخرائط الجداول الرسوم البيانية.

- جدول رقم (28) يبين توزيع العناوين في صحيفتي لوموند ولفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة العناوين
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
00.53	7	00.78	11	مانشيت
67.29	887	70.26	990	عنوان رئيسي
32.16	424	28.95	408	عنوان فرعي
100	1318	100	1409	المجموع

توضح الأرقام الواردة في الجدول أن:

- صحيفة لوفيغارو: العناوين الرئيسية **70.26%**، العناوين الفرعية **28.95%**، المانشيت **00.78%**.

صحيفة لوموند: العناوين الرئيسية 67.29%، العناوين الفرعية 32.16%، المانشيت 00.53%.

يشير تحليل بيانات الجدول أن لوموند ولوفيغارو قد أولتا أهمية بموضوع الإسلام والذي أبرزته حتى بالمانشيت كعنصر تيبوغرافي أساسي من عناصر الصفحة الأولى يوظف عادة لإبراز الموضوع الأكثر أهمية في العدد، وخاصة في أعداد الأسبوع الأول خلال العينة الزمنية للدراسة.

ويمكن القول أن توظيف لوموند ولوفيغارو للعناوين الرئيسية والفرعية بدرجة كبيرة مع معظم موادها عن الإسلام يعكس مدى اهتمامها بموضوع الإسلام وإبرازه، سعياً منها لجذب القراء إلى مواضيعها حول الإسلام، وذلك ما يمكن الوقوف عليه من نسبة العناوين التي تم توظيفها والتي جاءت معبرة عن اتجاهات وشخصية كل من لوموند ولوفيغارو، لكن هذا لم يمنع من توظيف العناوين التحريضية في بعض المواد مستغلة ما للعنوان الصحفي من أهمية، ووظائف شكلية ومضمونية، وتعبيرية وإخبارية لا تقل أهمية عن ما في جسم فقرات المادة الصحفية، فالعناوين إلى جانب دورها في الترتيب والتبويب الجيد للمادة الصحفية، يعد درجة توظيفها مؤشر مهم لمعرفة حجم الاهتمام بالموضوع محل النشر، والتي تكتسب بدورها أهميتها من خلال الوظائف التي تؤديها من قبيل الجذب، وإثارة الانتباه، وتلخيص الأنباء والموضوعات، إلى جانب أهميتها التيبوغرافية التي تساعد في ترتيب المواضيع حسب أولوياتها وأهميتها التحريرية.

➤ اتفقت كل من لوموند ولوفيغارو في توظيف العناوين الرئيسية في المركز الأول بنسبة **75.58%** في لوفيغارو، **77.12%** في لوموند، متبوعة بالعناوين الفرعية في المركز الثاني بنسبة **23.44%** في لوفيغارو وبنسبة **22.31%** في لوموند، وفي الأخير المانشيت **00.98%** في لوفيغارو وبنسبة **00.77%** في لوموند.

- جدول رقم 29 يبين توزيع نوع الصور في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		نوع الصور	الصحيفة
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار		
79.72	236	66.59	373	صور موضوعية	
20.27	60	33.41	184	صور شخصية	
100	296	100	557	المجموع	

تشير بيانات الجدول أعلاه أن:

- صحيفة لوفيغارو: نسبة الصور الموضوعية 66.59%، الصور الشخصية 33.41%.

- صحيفة لوموند: نسبة الصور الموضوعية 79.72%، الصور الشخصية 20.27%.

بتحليل بيانات الجدول، وكما ورد في تحليل بيانات الجداول: (2)، (26)، (27)، (28)، يتأكد حرص كل من لوموند ولوفيغارو على إبراز موضوع الإسلام والقضايا المتعلقة به، وإعطائه أهمية كبيرة؛ فدرجة توظيف الصور يعد مؤشرا واضحا على أهمية المحتوى الذي أرفقت به، ووظفت الصحيفتان الصور بأحجام وألوان متعددة، وتنوعت مواقع نشرها بين الصفحة الأولى ومختلف الصفحات الداخلية والصفحة الأخيرة، ويمكن تفسير ذلك بحرصهما على استغلال التأثيرات النفسية والاجتماعية للصورة الصحفية التي تختزل الأحداث والمواضيع والأشخاص في زاوية محددة.

كما أن الصورة الصحفية تعد من بين أهم أدوات التعبير التي يوظفها الصحافيون لتدعيم المادة التحريرية، أو للتعبير عما لا تعبر عنه المادة التحريرية والاستفادة من وظائفها المضمونية في دعم الحقيقة والتعبير عن الآراء والأفكار التي تدل عليها؛ وذلك يعود لما تتضمنه الصورة من دلالات قوية ومؤثرة ذهنيا ووجدانيا باعتبارها لغة بصرية عالمية يفهمها الجميع بغض النظر عن عدم فهم الكلمة المكتوبة، إلى جانب الاستفادة من الوظيفة الإبداعية والجمالية للصورة الصحفية.

ووظفت لوموند ولوفيغارو الصور بشكل متوازن ويمكن تفسير ذلك وكما سبق الإشارة إليه باعتبارهما (صحافة رأي، جادة، وذوق العالي)، ما يجعلهما من بين الصحف المحافظة إخراجاً وتحريراً، والتي تعتمد على المادة التحريرية أكثر من الصور، سواء من حيث العدد أو الحجم، ولاسيما صحيفة لوموند المعروف عنها منذ بداية صدورها عدم الإكثار من نشر الصور قناعة من مؤسسيها بأهمية وتأثير المادة المكتوبة أكثر من الصورة، يقول نبيل راغب بأن لوموند استنتت سنة فريدة من نوعها بين كل صحف العالم، وهي رفضها لنشر الصور التي تجد فيها إهدار لمساحات يمكن أن تستغل في نشر مقالات وآراء تنير للناس معالم الحياة، وهذه السنة لم تأت من فراغ بل كانت نتيجة لسبب تاريخي طريف، وهو أن لوموند بدأت مسيرتها بالعمل على مطابع صحيفة *le temps* القديمة التي ورثتها عنها، ولم تكن قادرة على مواكبة التطورات التكنولوجية لطبع الصور وعندما حازت شهرتها واحترام القراء بدون صور اعتبرت هذا من تقاليد العريقة التي ميزتها عن الصحف الأخرى (نبيل راغب، 1999، 40).

وغلب توظيف الصور الموضوعية التي تجسد عادة موضوعاً ما وتعبر عنه وقت حدوثه أو بعده، وتتوقف القارئ مع لحظة وقوعه وتعلمه بوقوع هذا الحدث، خاصة وأن أهمية هذا النوع من الصور تزداد عند تغطية الأحداث المثيرة، نظراً لما تبرزه من تفاصيل عديدة حول الموضوعات التي تصاحبها، وهذا ما قد يفسر اعتماد لوموند ولوفيغارو على هذا النوع من الصور بشكل أكبر، وأرقت هذه الصور بالمواضيع السياسية والاجتماعية، التربوية والتعليمية، الأمنية في المواد الإخبارية والاستقصائية.

وبالنسبة للصور الشخصية والتي تلتقط عادة لتمثل شخصية قد تكون هي محور الموضوع أو فاعلة فيه، أو تم إجراء حوار معها للإدلاء بآراء أو معلومات حول موضوع ما، فقد تم توظيفها مع المقابلات، والحوارات الصحفية، إلى جانب صور الضحايا، صور المراسلين والصحفيين معدي التقارير، والكتاب المتعاونين في صحيفة لوفيغارو، وقد لوحظ فيما يتعلق بتوظيف الصور الشخصية قيام لوموند ولوفيغارو بنشر صور من تصفهم بالإرهابيين (الإخوة كواشي، أميدي كوليبالي، جمال بغال، حياة بومدين...)، وهذا يناقض تماماً الزعم بأن الإعلام الفرنسي لا يريد أن يعطي أهمية للإرهابيين، وذلك من خلال عدم نشر

صورهم في الصحافة، وعدم عرضها في القنوات التلفزيونية لأن ذلك من شأنه أن يمجدهم ويعلي من شأنهم... وذلك ضمن فلسفة "مقاومة استراتيجية الكراهية" (شاكر نوري، 2018).

ما يدل على سعي لوموند ولوفيغارو لتكريس الصور النمطية السائدة عن المسلم الإرهابي خاصة من خلال توظيف الصور بما يخدم أهدافها وتوجهاتها، فالصورة الصحفية موضوعية كانت أو شخصية لا يخرج مضمونها عن الأطر السياسية، والدينية، والأيدولوجية والاجتماعية، والثقافية السائدة، فالصور التي تكونها هذه الوسائل تكون مشوهة ومحرفة ومضللة وسلبية، خصوصا إذا تعلق الأمر بالأفراد والمواضيع أو المجتمعات الأخرى، ويتم إخضاع عملية انتقاء وتوظيف الصور لمجموعة السياسات التي تتفق مع أهدافها.

➤ اتفقت لوموند ولوفيغارو في توظيف الصور الموضوعية في المرتبة الأولى، وذلك بنسبة **66.59%** في لوفيغارو، و **79.72%** في لوموند، تلاها في المرتبة الثانية توظيف الصور الشخصية وذلك بنسبة **33.41%**، في لوفيغارو و **20.27%** في لوموند.

➤ اتسقت نتائج الجدول مع أدوات التأطير حيث وظفت الصحيفتان وسائل الإبراز المرفقة: الصور، العناوين (رئيسية وفرعية)، الخرائط والأشكال التوضيحية كأدوات لتأطير مضامينها عن الإسلام وذلك لإبراز صورة محددة عنه من خلال عناصر الإبراز المستخدمة. جدول إبراز المضامين: أدوات وآليات الإطار الإعلامي يقصد بأدوات وآليات الإطار الموقع الذي تحتله القصة الإخبارية في الصحيفة.

- جدول رقم (30) يبين توزيع الأساليب الإقناعية في صحيفتي لوموند ولوفيغارو

Le monde		Le figaro		الصحيفة الأساليب الإقناعية
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
72.41	2034	68.01	2167	استمالات عقلية
27.58	775	31.98	1019	استمالات عاطفية
100	2809	100	3186	المجموع

تعكس معطيات الجدول:

- صحيفة لوفيغارو: الاستمالات العقلية **68.01%**، الاستمالات العاطفية نسبة **31.98%**.
- صحيفة لوموند: الاستمالات العقلية **72.41%**، والاستمالات العاطفية نسبة **27.58%**.

يشير تحليل بيانات الجدول أن توظيف الاستمالات العقلية قد طغى على توظيف الاستمالات العاطفية في الصحيفتين، وذلك نظرا لطابعهما الجاد وانتمائهما إلى صحافة الرأي ذات الذوق العالي، كما أنهما تخاطبان جمهورا نخبويًا (رجال السياسة، صناع القرار، مثقفون، أكاديميون) وخاصة صحيفة لوموند، حيث تفرض طبيعة هذا الجمهور العمل على محاولة إقناعه والتأثير عليه أكثر بالأساليب العقلية أكثر من العاطفة، كما يمكن تفسير ذلك بكونهما من الصحف المستقلة التي تسعى لتحرير المصداقية والحياد والموضوعية في مضامينها بشكل عام، على الرغم من التحفظات المسجلة في مضامينها حول الإسلام.

ومن أهم الأساليب العقلية التي وظفتها لوموند ولوفيغارو (الأرقام، الإحصاءات، الاقتباسات، سبور الآراء..)، وكانت مؤسسة "ايبسوس سوبرا ستيريا"، قد قامت أسبوعين بعد الأحداث بإجراء سبر آراء حول نظرة الفرنسيين للإسلام والإجراءات الواجب اتخاذها لمواجهة التطرف الديني، خصيصا لصالح محطة "أوربا1" و"لوموند" التي قامت هذه بنشر نتائجه في عددها الصادر بتاريخ 28 جانفي 2015، وسجل توظيف الاستمالات العقلية بدرجة أكبر في المواد الإخبارية والاستقصائية.

وبالنسبة لتوظيف لوموند ولوفيغارو الاستمالات العاطفية، فقد كان بهدف دعم الحجج والبراهين العقلية، لاستمالة القراء لمواقفهما، ولجعل المضمون أكثر تأثيرا بمخاطبة الجانب الانفعالي إلى جانب مخاطبة العقل، حيث لم يمنع الطابع الجاد للصحيفتين، وما تزعمانه من الالتزام بمعايير الحياد والموضوعية من توظيف هذا النوع من الاستمالات بنسبة معتبرة، إدراكا من القائمين على الصحيفتين لتأثير الجانب الانفعالي في التصورات التي تريدان تشكيلها عن الإسلام، فكما هو معروف على الرغم من التأثير اللحظي والسريع للاستمالات العاطفية، إلا أن ذلك لا يبلغ قوتها التأثيرية ولمدة قد تطول ويصعب تغييرها، وسجل توظيف هذه الاستمالات بنسبة كبيرة في مواد الرأي.

ومن بين الاستمالات العاطفية التي وظفتها الصحيفتان نجد الأساليب البلاغية، والتي لها عادة دور كبير في الإقناع، وذلك بالاعتماد على الكلمات والألفاظ ومعانيها المجازية ودلالاتها؛ فالتعبيرات المجازية المؤثرة والمشحونة بالعواطف والانفعالات لها وقع قوي على العقول والنفوس والجانب الوجداني للقارئ، ونبه (جوليان هكسلي) لدور الكلمات والمصطلحات في تشكيل التفكير والسلوك حين قال: "لا تعبر الكلمات التي يستعملها الناس عن أفكارهم فقط، بل تشكلها أيضاً، والكلمة أقوى عقار استخدمته البشرية في التاريخ على الإطلاق، ووسائل الإعلام تقدم للمتلقين عالماً معيناً مصنوعاً من الكلمات وبراهين على عادات المتلقين في الاعتقاد أنه حيث توجد الكلمات هناك وقائع تقابلها (سلافة الزعبي، 2006، 51).

وخاصة مع العمل على تكرار توظيفها داخل النص الواحد، وفي نصوص متعددة، ووظفتا خاصة الاستعارة، والتشبيه والاستفهام التهمي أحياناً والاستنكاري أحياناً أخرى، وخاصة في صياغة العناوين من قبيل ما جاء في لوفيغارو من عناوين في الصفحة الأولى: (الجرائم البربرية، الإرهاب الإسلامي، جريمة ضد الإنسانية، الإرهاب يتحدى أوروبا، أوروبا تتحدى الإرهاب الإسلامي، أوروبا في مواجهة العدوى الإسلامية..)، كما وصفت الصحيفتان الأحداث بالمجزرة، الحرب، والمذبحة، والعملية الوحشية، الهجمات الدموية، الهجمات الإرهابية، الهجمات الجهادية الهجمات الإسلامية، الأعمال البربرية... ووصف من قاموا بها بمجانين الله، الإرهابيون، القتلة، البربريون.

وإلى جانب العناوين تم توظيف مثل هذه الكلمات والعبارات المجازية في الفقرات التقديمية، وكتبت صحيفة لوفيغارو في افتتاحية 16 février, 2015 تحت عنوان "سرطان الإسلام الراديكالي": " بعد شهر من أحداث باريس، المأساة تتكرر من جديد؛ السرطان الإسلامي ينتشر في كل أوروبا أكثر من ذلك في كل أنحاء العالم... القتل باسم الإسلاموية في كل مكان على الكرة الأرضية، وفي كل مكان في الغرب حرية التعبير والقيم اليهودمسيحية والنظام الديمقراطي عرضة للقتل... ولا بد من الاتحاد لمحاربة الفاشية الإسلامية."، وفي عدد 3 فيفري 2015 في تقرير عن وثائقي سيعرض على france5 كتبت الصحيفة " أن الهجمات ضد شارلي إيبدو كشفت لفرنسا عن انتشار سم قاتل في المجتمع، حيث الشباب يتطرف أكثر بتوظيف الإسلام في خطابات الإرهابيين."

وفي عمود لصحيفة لوموند كتب Gerard courtois: " بعد ثلاث أيام من الدم والدموع، بعد عشرات الساعات التي قتل فيها ثلاث اراهبيون وبدم بارد وباسم جهاد قاتل أهلك صحفيي شارلي ايبودو...أعدمو الشرطة، وقتلوا الزبائن اليهود في ايبار كاشي...الملايين احتشدوا في العاصمة وفي كل أنحاء البلاد لقول لا للبربرية."(Gerard courtois 13janvier 2015 .p2)، وجاء في احدى افتتاحيتها أن فرنسا قد مرت للتو بمحنة قاسية جنونية قاتلة كابوس لثلاثة أيام بدأ يوم7جانفي مع قتل صحافيين ورسامين وشرطي في شارلي ايبودو، وتبعها قتل شرطية بمونروج، واكتملت الجمعة مع أخذ اثنين من الرهائن في وقت واحد وقتل أربعة أشخاص في سوبر ماركت كاشي...وفي حوار أجرته لوفيغارو مع الباحث والمحلل jean pierre le goff، وفي سؤال له عن المظاهرة التاريخية ضد الإرهاب، أجاب بأن حالة الغضب والاتحاد التي عمت البلاد ضد بربرية الإرهاب الإسلامي تتلج الصدر، هي مشاعر وطنية قوية على الارتباط بقيم الجمهورية الفرنسية والأوروبية وتلك الأمريكية والسائدة لدى الشعوب الديمقراطية، مضيفاً أن الإرهاب الإسلامي مصحوب بخطابات الكراهية ضد الغرب اليهود والصليبيين في مجتمعاتنا الديمقراطية والمدنية(Le figaro,12 janvier, 2015.p18).

ووصف "Yves de kerdrel" الصحافي في لوموند، في سياق تعليقه على الإجراءات القضائية المتخذة في مواجهة الإرهاب الجهادي أن مناخ الصدمة الذي تعرفه البلاد بعد أيام من الجنون الإرهابي ثلاث مرات في العاصمة. ووصف الهجمات بالبربرية، ووصف الإخوة كواشي وكوليبالي بالإسلاميين المتعصبين، وختم مقاله بالتساؤل كيف لم يكتشفوا أن البربرية الإسلامية تصاحبهم في حياتهم اليومية."(Yves de kerdrel,le monde,2015 p17).

وبناء على ما سبق يمكن القول أن لوموند ولوفيغارو قد استغلنا الأحداث المأساوية كما هو الحال مع مختلف وسائل الاعلام، حين تستغل هذا النوع من الأحداث لتشكيل صور معينة، بحيث تقوم بنشر معلومات ووقائع صحيحة، ولكن يتم تطعيمها بكم كبير من الشحنات العاطفية التي يكون لها تأثير على القارئ قد يتعدى تأثير المعلومة في حد ذاتها، خاصة وأن المعلومات والمعارف قد تتعرض للنسيان مع مرور الوقت، على عكس الأحاسيس والمشاعر والانفعالات الوجدانية التي تتميز بقابلية الرسوخ، والاستعادة السريعة والتأثير المستمر في اتجاهات الأفراد، ومن ثم في سلوكياتهم، فالهدف من الإقناع عادة لا يتوقف عند مجرد التأثير بل يتعداه إلى جعل المتلقي يقبل رأي معين أو فكرة معينة قد يتبعها القيام بسلوك ما، وذلك تحت تأثير

العاطفة التي تعد محركاً أساسياً لسلوك الإنسان مما قد يدفع إلى القيام بسلوكيات عدائية تحت تأثير مضامينها التي أسهمت في إنتاج وإعادة إنتاج صورة نمطية سلبية عن الإسلام، وتوظيف كل الأساليب لتحقيق ذلك. حيث تبين الدراسات أن سلوك الإنسان وتصرفاته (أقواله وأفعاله وكل ما يصدر عنه)، مرهون دائماً بالصورة العقلية المخترنة في الإطار المرجعي عن مختلف الأشياء والأحداث، وتحصل الاستجابة لرسالة من الرسائل نتيجة للتفاعل الذي يحدث بين رموز تلك الرسالة (بعد قبولها ومرورها في مصفاة الإطار المرجعي، واجتيازها ودخولها إلى دائرة نظام المخزون المعرفي وبين الصورة العقلية المتكونة لها عن الخبرات السابقة) (حميدة مهدي سميسم، 2009).

➤ انفتحت لوموند ولوفيغارو في توظيف الاستمالات العقلية بنسبة كبيرة بلغت **68.01%** في لوفيغارو، وبنسبة **72.41%**، وفي المرتبة الثانية جاء توظيف الاستمالات العاطفية بنسبة **31.98%** في لوفيغارو، ونسبة **27.59%** في لوموند.

➤ وظفت كل من لوموند ولوفيغارو أدوات اللغة، كأدوات وآليات لتأطير مضامينها عن الإسلام، وشملت خاصة الكلمات والعبارات المؤثرة، بالإضافة لآليات التصوير المجازي، فقد حدد كل من Gamson&Lasch العديد من أدوات التشكيل العاطفية، و العقلانية التي يمكنها أن تعمل معا أو بصورة منفردة من أجل العمل على إيجاد أطر التشكيل، وتتمثل الأدوات العاطفية في الاستعارات، العبارات الجذابة، الأمثلة، الوصف والصور المرئية، الصور البلاغية وهي عبارة عن أداة لغوية يتم من خلالها تمثيل الكل في أحد أجزائه.

➤ تقاطعت الدراسة مع توصلت إليه دراسة "محمد البشير بن طبة" من أن لوموند " عند تغطية موضوعات الإسلام والمسلمين، تركز بدرجة أولى في مصادرها على "التصريحات المباشرة" كما تستخدم " أسلوب " الإحصاءات والأرقام " زيادة على " المصادر والمراجع العلمية أكثر من اعتمادها على الاستمالات العاطفية.

نتائج الدراسة

بعد التحليل الكمي والكيفي المقارن، وفي ضوء تساؤلات الدراسة، أهدافها وافترضاات نظرية الأطر الإعلامية تمثلت أهم نتائج الدراسة في فيما يلي:

1- تمثلت المصادر المشكلة لصورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية عبر مختلف مراحل تشكيلها(المرحلة القرن أوسطية، مرحلة عصر التنوير، والمرحلة الراهنة) في: الكتابات البيزنطية واللاهوتية المسيحية، الدراسات الاستشراقية(كلاسيكية وجديدة)، المناهج التعليمية والإعلام الغربي والفرنسي. وأسهمت كل من العوامل: الدينية، التاريخية، الحضارية، الجيوسياسية، الاجتماعية والديمغرافية والإعلامية في تشكيل هذه الصورة بما يكشف أن صورة الإسلام كما قدمتها لوموند ولوفيغارو بعد أحداث شارلي إيبدو ما هي إلا إعادة إنتاج لصور نمطية سابقة، ومجرد حلقة ممتدة في مراحل تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام منذ المرحلة القرن أوسطية مرورا بتصورات الحقبة الاستشراقية والاستعمارية، وصولا إلى ما يروج له الفكر والإعلام الغربي والفرنسي، والثقافة السائدة عن الإسلام في المجتمع الفرنسي.

وتشابهت كل من لوموند ولوفيغارو في تقديم صورة سلبية عن الإسلام وذلك على الرغم من أن خطيهما الافتتاحي وسياسة تحريرهما متباينة بين اليمين واليسار، واختلفتا في حالات قليلة في ترتيب بعض الفئات وليس في طبيعة الصورة.

2- شكلت كل من لوموند ولوفيغارو صورة سلبية عن الإسلام في بعدها المعرفي وتبين ذلك من خلال:

✓ طبيعة المواضيع والقضايا المثارة عن الإسلام

- احتلت كل من المواضيع الأمنية والقانونية، المواضيع السياسية والإيديولوجية، والمواضيع الاجتماعية المراتب الثلاث الأولى في اهتمامات وتركيز لوموند ولوفيغارو متبوعة بالمواضيع الدينية، ثم المواضيع التربوية والتعليمية، تلتها المواضيع الثقافية والحضارية، وفي آخر الترتيب جاءت المواضيع الاقتصادية.

نتائج الدراسة

- فيما يتعلق بالمواضيع الدينية تشابهت لوموند ولوفيغارو في التركيز على الخلط بين الإرهاب والجهاد حيث حازت هذه الفئة على أعلى نسبة؛ وبفارق كبير عن بقية المواضيع بنسبة **44.14%** في لوفيغارو وبنسبة **42.88%** في لوموند، واختلفتا في ترتيب المركز الثاني الذي عاد لفئة أركان الإسلام في لوفيغارو بنسبة **13.18%**، في حين جاء في المركز نفسه في لوموند الصراعات السنوية الشيعية بنسبة **15.53%**، ويليهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بنسبة **11.59%**، وفي المرتبة نفسها في صحيفة لوفيغارو جاءت فئة الصراعات السنوية الشيعية بنسبة **11.51%**، وتشابهت الصحيفتان مجددا في ترتيب فئة الله ورسوله وذلك بنسبة **8.53%** في لوموند، وبنسبة **8.99%** في لوفيغارو، وجاء في لوموند في آخر الترتيب الخلط بين العروبة والإسلام بنسبة **6.78%** تلاها فئة الخلافة الإسلامية بنسبة **4.59%**. وفي لوفيغارو الخلافة الإسلامية بنسبة **6.55%**، وفي الأخير الخلط بين العروبة والإسلام بنسبة **5.64%**.

- بالنسبة لموضوع أركان الإسلام، تشابهت لوموند ولوفيغارو في تخصيص حيز كبير لفريضة الصلاة، وبلغ مستوى التركيز عليها **92.35%** في لوفيغارو، و **78.26%** في لوموند واختلفتا في ترتيب المركزين الثاني والثالث، وكان في لوفيغارو على التوالي لفريضة الحج بنسبة **7.65%** ونسبة صفرية لفريضة الصوم والزكاة، وجاءت فريضة الصوم في المرتبة الثانية في لوموند بنسبة **8.69%**، تلاها فريضة الحج والزكاة بنسبة **6.52%** لكل منهما.

- فيما يتعلق بالمواضيع الثقافية والحضارية، اختلفت الصحيفتان في ترتيب الفئة التي احتلت المركز الأول حيث حازتها الإسلام العدو بنسبة بلغت **30.17%** في لوفيغارو، وجاء في المركز الأول في صحيفة لوموند الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية وذلك بنسبة **34.22%**، واتفقت الصحيفتان في ترتيب المركزين الثاني والثالث اللذين كانا على التوالي لفئتي الإسلام يكرس صراع الحضارات بنسبة **26.03%** في لوفيغارو، وبنسبة **29.96%** في لوموند، متبوعا بالحرب الصليبية الجديدة بنسبة **22.73%** في لوفيغارو، و **19.86%**، في لوموند واختلفتا في ترتيب الفئة الأخيرة، التي كانت ل الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية في صحيفة لوفيغارو بنسبة **21.07%** في حين جاء في آخر ترتيب صحيفة لوموند الإسلام العدو بنسبة **15.96%**.

نتائج الدراسة

- فيما يتعلق بالمواضيع السياسية والايديولوجية اتفقت الصحيفتان في التركيز على موضوع الإسلام والإرهاب بنسبة **44.26%** في لوفيغارو، وفي لوموند بنسبة **35.09%** تلاها الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية بنسبة **23.05%** في لوفيغارو، وفي لوموند بنسبة **26.36%**، واختلفتا في الترتيب الثالث والرابع الذي عاد على التوالي في صحيفة لوفيغارو لفئة الإسلام ومعاداة السامية بنسبة **05.43%**، ثم الإسلام والصراعات السياسية الداخلية بنسبة **05.40%**، وجاءت الفئة نفسها في الترتيب الرابع في صحيفة لوموند بنسبة **07.30%** وفي الأخير الإسلام ومعاداة السامية بنسبة **06.18%**.

- بالنسبة لفئة الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية، اتفقت الصحيفتان على اعتبار الإسلام مناقض للائكية الجمهورية بنسبة **42.22%** في لوفيغارو، وبنسبة **40.76%** في لوموند، ثم اعتبار الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات بنسبة **36.89%** في لوفيغارو وبنسبة **35.76%** في لوموند، وفي الأخير فئة الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة بنسبة **20.89%** في لوفيغارو وبنسبة **23.48%** في لوموند.

- جاء موضوع فرنسا تحت التهديد الإرهابي في صدارة القضايا التي برزت في المضامين المتعلقة بالإسلام والإرهاب في كل من لوموند ولوفيغارو، وذلك بنسبة **39.58%** في لوفيغارو، و**31.52%** في لوموند، تلاها الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط بنسبة **31.03%** في لوفيغارو، و**34.39%** في لوموند واختلفتا في ترتيب الفئتين الأخيرتين كالتالي: نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام بنسبة **16.89%** متبوعة بالتذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا بنسبة **12.50%** في لوفيغارو، وفي لوموند التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا بنسبة **17.91%**، وفي الأخير نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام بنسبة **16.18%**.

- تشابهت لوموند ولوفيغارو في ترتيب قضايا الإسلام السياسي، حيث احتلت المرتبة الأولى فئة الخلط بين الإسلام والإسلاموية والأصولية، بنسبة جد عالية بلغت **50.23%** في لوفيغارو، وبنسبة أيضا تعتبر كبيرة وصلت إلى **44.95%** في لوموند، متبوعة في المرتبة الثانية بفئة التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي بنسبة وصلت

نتائج الدراسة

إلى 31.59% في لوفيغارو وبنسبة 32.79% في لوموند، وبنسبة 18.18% جاء في المركز الثالث فئة الإسلام الوهابي في لوفيغارو وبنسبة 22.26% في لوموند.

- بالنسبة للمواضيع الاقتصادية تشابهت لوموند ولوفيغارو في ترتيب المرتبة الأولى التي عادت إلى فئة النفط ودوره الاستراتيجي بنسبة 51.88% في لوفيغارو، وبنسبة 69.71% في لوموند، واختلفتا في ترتيب الفئتين الأخيرتين وعادت إلى المسلمين عبئ على الاقتصاد الفرنسي بنسبة 35.00%، ثم التنمية في الدول الإسلامية بنسبة 13.12% في لوفيغارو، وعادت في لوموند إلى التنمية في الدول الإسلامية بنسبة 23.25% وفي الأخير المسلمين عبئ على الاقتصاد الفرنسي 07.04%.

- تشابهت لوموند ولوفيغارو في مستوى الاهتمام بالمواضيع الأمنية والقانونية؛ حيث جاء في صدارة الترتيب فئة فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي بنسبة وصلت إلى 48.63% في لوفيغارو، وبنسبة عالية بلغت 52.97% في لوموند، متبوعة بفئة تعبئة القوات الأمنية والعسكرية في مواجهة التهديد الإرهابي بنسبة بلغت 35.78% في لوفيغارو، وبنسبة 32.13% في لوموند، واختلفتا في ترتيب الفئتين الأخيرتين التين كانتا في لوفيغارو على التوالي: الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة بنسبة 07.75%، والتنظيمات الإرهابية تتلقى الدعم والتمويل من دول الخليج بنسبة 07.84% وفي لوموند جاءت فئة التنظيمات الإرهابية تتلقى الدعم والتمويل من دول الخليج بنسبة 08.33% متبوعة بالجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة 06.57%.

- بالنسبة لفئة انتشار الفكر الجهادي عبر مختلف الفضاءات تشابهت الصحيفتان في اعتبار مناطق الضواحي أكثر الفضاءات نشرًا للفكر الجهادي، حيث جاءت في المركز الأول وبنسب عالية بلغت 33.39% في لوفيغارو وبنسبة 34.66% في لوموند، متبوعة بالسجون بنسبة 27.07% في لوفيغارو وبنسبة 24.14% في لوموند، ثم الفضاء الافتراضي بنسبة 23.15% في لوفيغارو وبنسبة 29.03% في لوموند متبوعة بالمساجد وقاعات الصلاة بنسبة 12.05% في لوفيغارو وبنسبة 10.77% في لوموند، وفي آخر الترتيب وسائل الإعلام الدعوية بنسبة 04.34% في لوفيغارو وبنسبة 01.40% في لوموند.

نتائج الدراسة

- تشابهت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات المواضيع الاجتماعية، حيث جاء في صدارة الترتيب فئة مأسسة الإسلام بنسبة **33.64%** في لوفيغارو، وبنسبة **32.93%** في لوموند، واختلفتا في ترتيب بقية الفئات حيث عادت على التوالي إلى فئة المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج **22.84%**، الإسلام فوبيا بنسبة **26.62%**، صورة المرأة بنسبة **16.90%** في لوفيغارو، وفي لوموند صورة المرأة بنسبة **27.32%** الإسلام فوبيا بنسبة **22.98%** وفي آخر الترتيب المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج **16.77%**.

- فيما يتعلق بموضوع مأسسة الإسلام اتفقت لوموند ولوفيغارو في احتلال فئة استحداث إسلام فرنسا صدارة الترتيب بنسبة **36.74%** في لوفيغارو وبنسبة **32.07%** في لوموند متبوعة مهنة الإمامة وإدارة المساجد بنسبة **28.38%** في لوفيغارو وبنسبة **27.67%** في لوموند ثم دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام بنسبة **26.51%** في لوفيغارو، وبنسبة **24.54%** في لوموند وفي الأخير المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام بنسبة **08.37%** في لوفيغارو، وبنسبة **15.72%** في لوموند.

- اختلفت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات موضوع الإسلام فوبيا، وجاء في صدارة الترتيب فئة الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب في لوفيغارو بنسبة **45.88%**، وجاء في المرتبة نفسها في لوموند فئة الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا بنسبة **37.78%** وبالنسبة للمرتبة الثانية في لوفيغارو جاءت فئة تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية بنسبة **24.11%**، وفي لوموند فئة التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا بنسبة **34.23%**، وفي المرتبة الثالثة في لوفيغارو جاءت فئة التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا بنسبة **21.76%**، متبوعة في الأخير بفئة تصاعد الاعتداءات على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا بنسبة **08.25%**، وفي لوموند تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية بنسبة **18.01%**، وفي آخر الترتيب فئة الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب بنسبة **09.98%**.

- بالنسبة لموضوع المرأة المسلمة اتفقت كل من لوموند ولوفيغارو في احتلال فئة تجنيد المسلمات للجهاد صدارة الترتيب وذلك بنسبة **48.14%**، في لوفيغارو وبنسبة **56.82%** في لوموند، واختلفتا في الترتيب الثاني والثالث الذي كان على التوالي لموضوع الإسلام يظلم

نتائج الدراسة

للمرأة بنسبة **31.48%**، الحجاب والنقاب بنسبة **20.38%** في لوفيغارو، والحجاب والنقاب بنسبة **28.79%**، الإسلام يظلم للمرأة بنسبة **14.39%** في لوموند.

- بالنسبة للمواضيع التربوية والتعليمية، اتفقت لوموند ولوفيغارو في احتلال موضوع الإسلام والمدرسة الفرنسية أعلى الترتيب وبنسبة كبيرة بلغت **83.38%** في لوفيغارو، و **71.09%** في لوموند، تلاها في المركزين الثاني والثالث مناهج التعليم في الدول الإسلامية منبع للتطرف بنسبة **09.93%** في لوفيغارو و **16.64%** في لوموند، تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام يسهم في التطرف بنسبة **06.69%** في لوفيغارو، و **12.27%** في لوموند.

- اتفقت لوموند ولوفيغارو في ترتيب فئات موضوع الإسلام والمدرسة الفرنسية حيث جاء في صدارة الترتيب الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية بنسبة **55.95%** في لوفيغارو، وفي لوموند بنسبة **69.43%**، وفي المركز الثاني المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي بنسبة **23.28%** في لوفيغارو ونسبة **18.34%** في لوموند، وفي الأخير التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصر يرون بنسبة **20.77%** في لوفيغارو، وفي لوموند **12.23%**.

✓ القوى الإسلامية الفاعلة:

- تشابهت لوموند ولوفيغارو في اختزال القوى الإسلامية الفاعلة في: تنظيم الدولة الإسلامية، الإخوة كواشي، الجماعة الإسلامية بوكو حرام، القاعدة، دول إسلامية أبو بكر البغدادي، تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا، حكام الدول الإسلامية الأئمة في فرنسا مع تقديم صورة سلبية عنهم وعن الأدوار المنسوبة إليهم. وجاءت النسبة كالتالي: **صحيفة لوفيغارو: تنظيم الدولة الإسلامية 22.22%** الإخوة كواشي **21.13%** الجماعة الإسلامية بوكو حرام **21.51%**، القاعدة **12.13%**، دول إسلامية **09.57%** أبو بكر البغدادي **03.15%**، تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى **03.24%**، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا **02.41%**، حكام الدول الإسلامية **02.84%**، الأئمة في فرنسا **01.80%**. **صحيفة لوموند: الجماعة الإسلامية بوكو حرام 22.81%**، تنظيم الدولة الإسلامية **22.67%** الإخوة كواشي **18.06%**، القاعدة **12.51%**، دول إسلامية **11.84%**، أبو

نتائج الدراسة

بكر البغدادي **03.38%**، حكام الدول الإسلامية **02.84%**، تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى **02.23%**، الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأروبا **02.18%**، الأئمة في فرنسا **01.48%**

✓ طبيعة المصادر:

- أظهرت النتائج أن كل من لوموند ولوفيغارو، اعتمدت على المصادر الداخلية والخارجية، واتفقتا في الاعتماد على المصادر الداخلية بالدرجة الأولى كمصادر أساسية وبفارق كبير عن الاعتماد على المصادر الخارجية، بنسبة عالية بلغت **71.43%** في لوفيغارو وبنسبة **71.64%** في لوموند، ثم بنسبة أقل المصادر خارجية قدرت بـ **28.57%** في لوفيغارو، و**28.35%** في لوموند.

- بالنسبة للمصادر الداخلية بينت نتائج الدراسة أن كل من لوموند ولوفيغارو اعتمدتا بشكل كبير وبنسب متقاربة على الصحفيين والمحررين بنسبة **36,22%** في لوفيغارو وبنسبة **52.66%** في لوموند، متنوعة بالمراسلين والمندوبين بنسبة **48.95%** في لوفيغارو، وبنسبة **34.24%** في لوموند، وبنسبة معتبرة وفي الأخير اعتمدتا على المبعوث الخاص بنسبة **14.82%** ، في لوفيغارو وبنسبة **13.08%** في لوموند.

- جاء في صدارة ترتيب المصادر الخارجية في كل لوموند ولوفيغارو كتاب متعاونون بنسبة **60.49%** في لوفيغارو و بنسبة **68.97%** في لوموند ، تلاها الاعتماد على **AFP** بنسبة **27.62%** في لوفيغارو، وبنسبة **17.55%** في لوموند متنوعة بـ **AP REUTERS** بنسبة **09.79%** في لوفيغارو، وبنسبة **10.40%** في لوموند، وبنسبة ضئيلة في آخر الترتيب شبكة الإنترنت **02.09%** في لوفيغارو وبنسبة **03.98%** في لوموند.

✓ الأنواع الصحفية:

- اتفقت الصحيفتان في توظيف أنواع الرأي والأنواع الإخبارية بنسب جد متقاربة، وفي المرتبتين الأولى والثانية، حيث جاء في صدارة الترتيب في لوفيغارو الأنواع الإخبارية بنسبة **47.15%** تلاها أنواع الرأي بنسبة **36.86%**، وفي لوموند جاءت الأنواع الإخبارية

نتائج الدراسة

في صدارة الترتيب بنسبة **46.99%** تلاها أنواع الرأي بنسبة **38.07%**، وفي الأخير الأنواع الاستقصائية بنسبة **15.98%**، وبنسبة **14.93%** في لوموند.

✓ أدوات الأطر الاخبارية التي وظفتها لوموند ولوفيغارو

- خصصت كل من لوموند ولوفيغارو مساحة كبيرة لتغطية موضوع الإسلام.

- خصصت الصحيفتان أهم المواقع لنشر موادها عن الإسلام، واتفقتا في نشر مواضيع الإسلام في الصفحات الداخلية بالدرجة الأولى بنسبة **74.92%** في لوفيغارو، و **85.18%** في لوموند، تلاها الصفحة الأولى بنسبة **17.18%** في لوفيغارو وبنسبة **11.34%** في لوموند، وفي الأخير الصفحة الأخيرة بنسبة **07.89%** في لوفيغارو وبنسبة **03.47%** في لوموند.

- بالنسبة لوسائل إبراز المضامين وظفت كل من لوموند ولوفيغارو الصور والعناوين والخرائط والأشكال التوضيحية من أجل إبراز المضامين عن الإسلام، واتفقتا في احتلال العناوين صدارة الترتيب، وذلك بنسبة **69.03%** في لوفيغارو وبنسبة **78.10%** في لوموند، متبوعة بالصور بنسبة **27.30%** في لوفيغارو، وبنسبة **17.63%** في لوموند، وفي الأخير توظيف الخرائط والأشكال التوضيحية بنسبة **03.67%** في لوفيغارو و **04.27%** في لوموند.

- تشابهت لوموند ولوفيغارو في توظيف العناوين الرئيسية في مرتبة متقدمة بنسبة **70.26%** في لوفيغارو وبنسبة **67.29%** في لوموند، تلاها العناوين الفرعية بنسبة **28.95%** في لوفيغارو وبنسبة **32.16%** في لوموند، وتوظيف المانشيت في الأخير بنسبة **00.78%** في لوفيغارو وبنسبة **00.53%** في لوموند.

- اتفقت لوموند ولوفيغارو على في توظيف الصور الموضوعية في المرتبة الأولى وذلك بنسبة **66.59%** في لوفيغارو وبنسبة **79.72%** في لوموند، تلاها في المرتبة الثانية توظيف الصور الشخصية وذلك بنسبة **33.41%** في لوفيغارو، وبنسبة **20.27%** في لوموند.

- فيما يتعلق بالأساليب الإقناعية أظهرت النتائج أن كل من لوموند ولوفيغارو وظفت الاستمالات العقلية والاستمالات العاطفية وطغى توظيفهما الاستمالات العقلية، بنسبة بلغت **68.01%** في لوفيغارو، وبنسبة **72.41%** في لوموند، تلاها توظيف الاستمالات العاطفية بدرجة أقل بنسبة **31.98%** في لوفيغارو وبنسبة **27.58%** في لوموند.

نتائج الدراسة

3- قدمت كل من لوموند ولوفيغارو صورة سلبية عن الإسلام في مكوها الوجداني، حيث طغى الاتجاه السلبي في معالجهما للمواضيع والقضايا المثارة عن الإسلام بنسبة بلغت 95.06% في لوفيغارو، و 87.64% في لوموند، تلاها الاتجاه المحايد بنسبة 02.83% في لوفيغارو، وبنسبة 07.69% في لوموند، وفي آخر الترتيب وبنسب لا تكاد تذكر الاتجاه الإيجابي بنسبة 02.10% في لوفيغارو، وبنسبة 04.68% في لوموند، مع ملاحظة أن اتجاهات لوفيغارو كانت أكثر سلبية وتحاملا.

4- قدمت كل من لوموند ولوفيغارو صورة سلبية عن الإسلام في مكوها السلوكي وفي ظل صورته السلبية معرفيا ووجدانيا، وتمثلت مجمل الإجراءات وردود الأفعال على المستويين الرسمي والشعبي في:

- إطلاق حملة أنا شارلي وكلنا شارلي، في إشارة أن كل أطراف الشعب الفرنسي متضامنة مع الضحايا ضد الإرهاب، وبالأحرى ضد الإسلام، وتصنيف من هو ليس شارلي في خانة المسلم الإرهابي.

- دعوة الرئيس الفرنسي لتنظيم مسيرة باريس ضد الإرهاب، ودعي إليها مختلف زعماء وقادة العالم في هبة عالمية ضد الإرهاب الإسلامي ولاقت تغطية إعلامية كبيرة..

- أعلنت فرنسا كسابقتها الولايات المتحدة، الحرب على الإرهاب، بتدخل مباشر في الساحل الإفريقي والمشاركة في التحالف الدولي لمحاربة داعش في سوريا والعراق، ولاقت هذه الإجراءات دعما ومساندة من قبل لوموند ولوفيغارو.

- المطالبة بوضع حد للاسلاموية أو الإسلام السياسي بكل حركاته بعد اتهامه بنشر التطرف والراديكالية.

- إعلان حالة الطوارئ وتعبئة وتعزيز المواجهة الأمنية والعسكرية ضد الإرهاب الجهادي(الإسلامي).

نتائج الدراسة

- المطالبة بالحد من حقوق وحرريات المسلمين وتشديد إجراءات التفتيش والرقابة عبر كل المنافذ، ووصل الأمر للمطالبة بإعادة النظر في تأشيرة شنغن أو حتى إلغائها وطرده المهاجرين والحد من تدفقهم.

- المطالبة بإعادة تقييم شامل للإسلام في فرنسا والإسراع باستبداله بإسلام فرنسا.

- الدعوة لمواجهة التهديد الإسلامي للثقافة الفرنسية وقيم الجمهورية، ووضع حد لانتشار مظاهر التدين الإسلامي في الفضاء العمومي.

- الدعوة لفتح نقاش عام حول تفشي مظاهر التطرف والعنصرية من قبل المسلمين في المدرسة الفرنسية.

- الدعوة لوقف المد الإسلامي ومحاولات أسلمة فرنسا.

- تصاعد حدة الإسلام فوبيا بمختلف أشكالها.

- النتائج في ضوء النظرية:

- وظفت كل من لوموند ولوفيغارو في معالجتها الصحفية للإسلام بعد أحداث شارلي آليات الانتقاء والتركيز والإبراز لكل ما هو سلبي، في مقابل الإغفال والتجاهل والاستبعاد لما هو إيجابي، وذلك على مستوى طبيعة المواضيع والقضايا المثارة، وزوايا المعالجة.

- لم تخرج مضامين لوموند ولوفيغارو عن الإسلام عن أطر الصورة السائدة عنه في الفكر والثقافة الفرنسية، كما بدا واضحا تأثرها ب:

- أطر الصحفيين الذين يبقون جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع الذي ينشؤون ويعملون فيه.

- الأطر المهنية، والسياسية لصحيفتي الدراسة، مع الإشارة أنه سجلت العديد من الانزلاقات للصحيفتين وخروجهما عن قيم وأخلاقيات العمل الصحفي، ولا سيما صحيفة لوفيغارو.

- إطار الحكومة الفرنسية فقد تناغمت مضامين لوموند ولوفيغارو - رغم خطهما الافتتاحي المستقل والمتباين- مع توجهات الحكومة الفرنسية واتضح ذلك من خلال تخصيصهما

نتائج الدراسة

لمساحات واسعة لنشر وشرح وتحليل وتفسير مواقفها وبياناتها، وتصريحات كبار السياسيين، والمسؤولين، وأكثر من ذلك دعوتها لاتخاذ إجراءات لم تخرج عن الإطار الذي تراه الحكومة الفرنسية.

- أطر النخبة المهيمنة.

- ضغوط اللوبيات وجماعات الضغط (اللوبي الصهيوني، رجال الأعمال..).

- بين تحليل القوى الإسلامية الفاعلة أن لوموند ولوفيغارو اختزلتا الإسلام في عدد من التنظيمات الإرهابية وزعمائها وقادتها، والتي نسب إليها تمثيل الإسلام في أكثر صوره دموية وإرهابا ووحشية.

- وظفت لوموند ولوفيغارو مختلف أدوات وآليات التأطير بهدف إبراز مضامينها عن الإسلام وتمثلت في: (الصور موضوعية وشخصية، الخرائط والأشكال التوضيحية، العناوين منها الرئيسية، المانشيت، والفرعية)، إلى جانب اعتماد أسلوب التصريح تارة والتلميح تارة أخرى من خلال: الألفاظ ودلالاتها، والمصطلحات والمفاهيم والمعاني، والتعبيرات المجازية التي وظفتها بشكل خاص في صياغة العناوين، وفي بعض الفقرات التقديمية وداخل النص ومن خلال توظيف الأساليب الإقناعية العقلية منها والعاطفية وتعدد وتنوع سياقات توظيفها.

الخطوة

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة في محاولة للتعرف على صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية بعد أحداث شارلي ايبندو ممثلة في صحيفتي لوموند ولوفيغارو، وأوجه التشابه والاختلاف بينهما في تقديم هذه الصورة، من خلال التعرف على مكوناتها المعرفية الوجدانية والسلوكية.

وأظهرت الدراسة أن الصحافة الفرنسية، ومن خلال صحيفتي لوموند ولوفيغارو عينة الدراسة قد أولت اهتماما كبيرا بموضوع الإسلام بعد أحداث شارلي ايبندو، ورغم الاختلاف في الخط الافتتاحي والسياسة التحريرية بين لوموند يسارية التوجه، ولوفيغارو يمينية التوجه، فقد اتفقتا بشكل عام في تشكيل صورة سلبية عن الإسلام شكلا ومضمونا وفي جوانبها المعرفية، الوجدانية والسلوكية.

ولم تخرج صورة الإسلام كما قدمتها لوموند ولوفيغارو عن طبيعة الصورة التي تشكلت عنه في الفكر والثقافة الفرنسية بفعل العديد من العوامل، وعبر مراحل زمنية موزعة في التاريخ، تعود إلى بدايات الدعوة الإسلامية، وتمتد حتى الوقت الراهن؛ فجاءت انعكاسا لما حوته الكتابات البيزنطية واللاهوتية، الدراسات الاستشراقية ومناهج التعليم، وما يعرف بدراسات الاستشراق الجديد، والاعلام الغربي والإعلام الفرنسي، وجاءت هذه الصورة سلبية تبسيطية، تعميمية سطحية، واختزالية، أطرت الإسلام في مجموعة من الأطر لم تخرج عن الثقافة السائدة في المجتمع الفرنسي، أطر النخبة المهيمنة، إطار الحكومة الفرنسية، أيديولوجية الصحافيين وطبعا توجهات لوموند ولوفيغارو وخطهما الافتتاحي.

توصيات الدراسة:

- القيام بدراسات ميدانية للوقوف على طبيعة صورة الإسلام لدى الجمهور الفرنسي من قراء الصحيفتين.

- القيام بدراسات تحليلية تقتصر على بعض الأنواع الصحفية التي تناولت الإسلام في الصحافة الفرنسية خاصة في مواد الرأي.

- القيام بدراسة صورة الإسلام في صحف ووسائل إعلام فرنسية أخرى، ومتابعة ما نشرته لوموند ولوفيغارو، ما بعد 2015 فمن بعد أحداث شارلي ابيدو إلى غاية كتابة هذه الأسطر لا تتوقف النقاشات الإعلامية والسياسية عن الإسلام والمسلمين في فرنسا.

- القيام بدراسات حول مواضيع أو قضية محددة مثل(الجهاد، الإسلام فوبيا، المرأة...) في الإعلام والصحافة الفرنسية.

- القيام بدراسات حول آليات وسبل تحسين صورة الإسلام فرنسا وفي الغرب بشكل عام التي تضم أكبر جالية مسلمة ويحتل الإسلام فيها المرتبة الثانية وهو مرشح ليحتل المرتبة الأولى.

قائمة المراجع

الكتب:

- إبراهيم عبده: دراسات في الصحافة الأوروبية تاريخ وفن، ط1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1951.
- أديب خضور: صورة العرب في الإعلام الغربي، ط1، المكتبة الإعلامية دمشق، 2002.
- أيمن منصور ندا: الصورة الذهنية والإعلامية عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، ط1، المدينة برس، القاهرة، 2004.
- أوليفيه روا: عولمة الإسلام، ت. لارا معروف، ط1، دار الساقى، بيروت، 2003.
- إدوارد سعيد: تغطية الإسلام، ت. محمد كرزون، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع دمشق، 2011.
- إحسان محمد الحسن: علم اجتماع العنف والارهاب، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان 2008.
- انجلمار كارلسون: الإسلام وأوروبا تعيش أم مجابهة؟، ت. سمير بوتاني، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2003.
- باسم خفاجي: الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام، ط1، مجلة البيان، 2006.
- بسام مشاقبة: مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، ط1، دار أسامة، عمان، 2010.
- 10 تيسير أبو عرجة: الإعلام العربي وسائله، رسائله وقضاياها، ط1، دار مجدلاوي، عمان 2010.
- جو كينشلو شيرلي شتاينبرغ: التربية الخاطئة للغرب كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، ت. حسن بستاني، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 2005.
- جون اسبيزتو وداليا مجاهد: من يتحدث باسم الإسلام، ت. د. عزت شعلان، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2008.
- حسن عزوزي: الإسلام والغرب قراءات معاصرة، ط1، مطبعة أميمة، فاس، 2012.
- حسن مكاوي وليلى السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة: ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998.

- خير ميلاد أبو بكر ومصطفى حميد الطائي: **مناهج البحث العلمي وتطبيقاته في الإعلام والعلوم السياسية**، ط1، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007.
- رجب البنا: **المنصفون للإسلام في الغرب**، د.ط. دار المعارف، القاهرة، 2005.
- رسول محمد رسول: **الغرب والإسلام قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.
- رشدي أحمد طعيمة: **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية**، دار الفكر العربي، القاهرة 2004.
- روجر ويمر وجوزيف دومينيك: **مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي**، ت. صالح أبو أصبع فاروق منصور، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013.
- ريتشارد بن لويس دانهيو وروبرت تورب: **تحليل مضمون الإعلام**، ت. محمد ناجي الجوهري، ط1، قدسية للنشر، إربد، 1992.
- سامي مسلم: **صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 بيروت، 1985.
- سعيد اللاوندي: **الإسلاموفوبيا لماذا يخاف الغرب من الإسلام**، ط، دار النهضة للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 2006.
- سلافة فاروق الزغبى: **صورة العرب في الإعلام الأمريكي**، ط1، دار ورد للنشر والتوزيع عمان، 2006.
- سليمان سالم صالح: **وسائل الإعلام وإدارة الصراع العالمي**، ط1، مكتبة الفلاح 2011.
- سليمان سالم صالح: **وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية**، ط1، مكتبة الفلاح 2005.
- سمير محمد حسين: **تحليل المضمون**، ط1، القاهرة، 1983.
- السيد أحمد فرج: **العولمة والإسلام والعرب**، ط1، دار الوفاء، القاهرة، 2004.
- السيد أحمد مصطفى عمر: **البحث الإعلامي مفهومه- إجراءاته ومناهجه**، ط3، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2008.
- السيد ولد أباه : **عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 الاشكالات الفكرية والاستراتيجية**، ط1، الدار العربية للعلوم ، بيروت، 2004.

- شريف درويش اللبان وهشام عطية عبد المقصود: مقدمة في مناهج البحث الإعلامي، ط1، الدار العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2008.
- شعيب الغباشي: بحوث الصحافة الالكترونية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2010.
- عادل الجبوري: الإسلام والغرب قراءات معاصرة، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 2003.
- عادل صادق محمد: الصحافة وإدارة الأزمات مدخل نظري تطبيقي، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
- عامر قنديلجي وإيمان السامرائي: البحث العلمي الكمي والنوعي، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- عبد العالي رزاق: التقارير الإعلامية، ط 1، دار الصباح الجديد، 2008.
- عبد القادر طاش: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط2، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1993.
- عبد الكريم علي الدبيسي: دراسات اعلامية في تحليل المضمون، ط1، دار المسيرة، عمان، 2017.
- عبد الله كنعان: الخطاب العربي المضمون والأسلوب، سلسلة الحوارات العربية منتدى الفكر العربي، عمان، 2003.
- عبد المجيد الصغير: مظاهر الاستقزاز الأخلاقي المحرض على التطرف، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2004.
- عزة علي عزت: صورة العرب في الغرب ملامحها وأساليب تغييرها، ط1، جامعة المنيا، مصر، 1997.
- علي خليل شقرة: الإعلام والصورة النمطية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ، 2015.
- فضيل دليو: عناصر منهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة 3 ، 2015.

- مارلين نصر: صورة العرب والإسلام في الكتب الفرنسية المدرسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.
- مجدي الداغر: الصحافة العربية وقضايا الأقليات والجاليات الإسلامية في العالم، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر، 2009.
- محمد أحمد القفاص: رسالة إلى الشعوب الغربية، 2011.
- محمد بشاري: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2004.
- محمد حسام الدين اسماعيل: العولمة وصورة الإسلام في الإعلام الدولي، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2014.
- محمد نور الدين أفاية، الإسلام والغرب، الأنا والآخر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت، 2009.
- محمد عبد الحميد: تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ط2 عالم الكتب، القاهرة، 2006.
- محمد علي عمر الفراء: الإسلام والغرب، مواجهة...أم حوار، ط1، دار مجدلاوي عمان، 2002.
- محمود عزة اللحام، مروى عصام صلاح: الاتجاهات الإعلامية الحديثة في الصحافة الدولية، ط1، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- محمود علي البغدادي: الإرهاب والإسلام الثاني، ط1، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2003.
- محي الدين عبد الحلیم: الإعلام عن الإسلام في غير ديار الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
- مصطفى الدباغ: عقدة الخوف من الإسلام، د.ط ، دار الفرقان، عمان، 1998.
- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية ، ت. بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر. 2004.
- موفق صادق العطار: العم سام والإسلام مجابهة أم احتواء، ط1، دار الأوائل دمشق 2008.

المصادر والمراجع

- مي العبد الله سنو ومحمد الخولي: الإعلام والقضايا العربية بعد 11 ايلول، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.
- المبروك الشيباني المنصور: صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الاستشراق إلى الاسلاموفوبيا، ط1، مركز نماء، بيروت، 2014.
- المحجوب بن سعيد: الإسلام والإعلاموفوبيا، دار الفكر، دمشق، 2010.
- نبيل راغب: العمل الصحفي المقروء، المسموع والمرئي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لبنان، 1999.
- هيثم مناع: الإسلام وأوروبا، الصورة النمطية للذات والحق في الاختلاف، دار عشتروت لخدمات الطباعة والنشر، 2008.
- ياس خضير البياتي: الاتصال الدولي والعربي مجتمع المعلومات ومجتمع الورق، ط1 دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
- حي العريضي: من يحكم أمريكا فعلا السيطرة الخفية لليهود دراسة في الإعلام الغربي والأمريكي، ط1، دار الرشيد، بيروت، 1999.
- يوسف محي الدين أبو هلاله، الإعلام الغربي المعاصر واثره في الأمة الإسلامية، ط1، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، 1987.

المعاجم والقواميس

- ابن منظور: لسان العرب، 1977.
- جبران مسعود: المعجم الرائد، ط7، دار العلم للملايين، 1992.
- كرم شلبي: معجم المصطلحات الإعلامية، ط2، دار الجيل، بيروت، 1994.
- المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، 2004.
- المنجد، دار الشروق، بيروت، 1997.
- منير البعلبكي: المورد، ط7، دار العلم للملايين، 1983.

الرسائل والأطروحات

- شمس العالم بن يار محمد، الاستشراق والمستشرقون، رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية المرحلة العالية/السنة الأولى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بكراتشي، باكستان، 1433هـ -2012م.
- طه عبد العاطي مصطفى نجم: الأطر الإخبارية للمقاومة الإسلامية اللبنانية في الصحافة العربية- دراسة تحليلية لعينة من صحيفتي الوطن السعودية وتشرين السورية خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان- يوليو أغسطس 2006.
- محمد البشير بن طبة: اتجاهات الصحافة الفرنسية نحو الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(2001) بالولايات المتحدة الأمريكية- دراسة تحليلية لصحيفة Le Monde الفرنسية غداة الأحداث(2001) وبعد ثماني سنوات من الأحداث-أطروحة دكتوراه في الإعلام، جامعة الجزائر، 2014.

المجلات:

- إرادة زيدان الجبوري: مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، مجلة الباحث الإعلامي- العدد9-10، أيلول 2010.
- بدرالدين هوشاتي: صورة الإسلام والمسلمين في المتخيل الأوروبي في القرون الوسطى، قسم الدراسات الدينية، <http://www.mominoun.com>، يناير، 2017.
- حميدة مهدي سميسم: الصورة الذهنية والصورة النمطية للاتصال بنية الصورة وسياسة الاتصال دراسة في إشكالية البنية الاتصالية للاستهلاك والثقافة العربية، مجلة الباحث الإعلامي العدد 6-7، جوان، 2009.
- عواد علي خضير: دمج المسلمين في المجتمعات الأوروبية بين رؤيتين، مجلة التفاهم، المعهد الملكي، tafahom.mara.gov.om، 2011.
- محمد أحمد الصغير علي عيد: الصورة النمطية للعرب وتشويه التاريخ الإسلامي في السينما العالمية، دورية نماء، العدد 2، 2017.

- محمود حمدي زقزوق: في مواجهة الاستشراق، مجلة المسلم المعاصر العدد 65-66 الجمعة 01 كانون 2/يناير 1993.

- معتز الخطيب: ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد السابع عشر، 2008.

- محمد سعدون المطوري: الغرب لله...الشرق للشيطان! في تصورات بعض المستشرقين، مجلة دراسات استشراقية، العدد 7 السنة الثالثة، ربيع 2016م / 1437هـ.

مقالات ودراسات على شبكة الإنترنت:

- أحمد ادريس، الإسلام في منظور الغرب من حرب الاستشراق إلى حرب الإعلام، دير الزور، العدد، 2، 3236، <http://furat.alwehda.gov.sy>، 06/05/2016.

- أحمد الموصللي: العالم الإسلامي والعالم الغربي: الصّور النمطية الدينية، منشورات مجلة الجيش، العدد 43، <https://www.lebarmy.gov.lb>، 2003.

- أنور محمود الزناتي، معجم افتراءات الغرب على الإسلام، investigate-islam.com، 02-08-2012، 84. أوس داوود يعقوب: قراءة في كتاب - كراهية الإسلام- كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين، <http://www.jadaliyya.com>، 2017.

- آصف بيات: الاستشراق الجديد، ت. يسرى مرعي، www.noonpost.org، 02. 2016.

- إدريس الكنهوري: الإسلام الفرنسي المتخيل، <http://almes-center.com/>، يوليو ، 2012.

- بول شاوول: الصحافة الفرنسية بين «الخضوع» و « الشيزوفرانيا » ، www.center-lerc، 14 شباط 2016 - 6:55.

- تييري ميسان: وسائل الإعلام تخضع لرقابة الدولة- أسطورة حرية الصحافة في فرنسا ، <http://www.voltairenet.org>، 2004.

- جون ر. بوين: ت. عمرو خيرى: لهذه الأسباب أصبحت فرنسا هدفا للجهاديين، تاريخ فرنسا الطويل والمعقد مع العالم الإسلامي، مجلة تايم ترجمة-Project Qira2at، 2015.

- حكمت البخاتي: الصراع مع الإسلام والمعرفة الحديثة، <http://shrsc.com>، 16.05 ، 2017.

- حيدر محمد الكعبي: حادثة "شارلي ابيدو" ما وراء الكواليس، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2015.
- خلود العيدان ومنيرة الدهش: صورة المسلمين والعرب في العالم ، www.islamtoday ، 2015.
- داني البيولازي: الإسلام والجدل العام في أوروبا، ت. نصر عبد الرحمن، Allegra ، Laboratory2014.
- راغب السرجاني: نظرة الغرب إلى الإسلام و المسلمين، <http://islamstory.com>، 17/02/2014-03:20.
- رامتان عوايطية: ما معنى أن يكون لفرنسا إسلام خاص بها ؟- <https://www.mc-doualiya.com> (2018/02/13).
- رامي أبو شهاب: كراهية الإسلام لفخري صالح...تمثيل استشراقي معاصر محاولة لتفسير صعود اليمين في الغرب، <http://ahwalelbelad.com>، 2017.
- ربعة العربي: الصورة النمطية للمرأة المسلمة في الغرب، الحوار المتمدن-العدد: 3425، <http://www.ahewar.org>، 2011.
- رشيد شريت، الإعلام الغربي والإسلام مخيف، <http://www.maghress.com>، 2015.
- رضوان السيد: الصراع على الإسلام: من الاستشراق والرحلات إلى أنثروبولوجيا المحترفين والمحليين، <http://www.aranthropos.com>.
- زبير سلطان قدوري: الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول 2001، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- زينب عبد العزيز: الديني والسياسي في التعامل الغربي مع القرآن، رؤية شاملة <https://saaid.net/daeyat/>، 2010-06-08، 19.32.
- زهير الخويلدي: من المتسبب في تشويه صورة الإسلام في العالم ، <http://www.almothaqaf.com>، 2015.
- سيد عيسى محمد، الحرب الإعلامية الغربية الأمريكية على الإسلام، [11/10/200](http://www.almothaqaf.com).
- سيد حمدي: لوموند تهزم لوفيغارو في معركة الصحافة المجانية، <https://www.aljazeera.net>، 24/8/2006.

- الصادق رابح: تجليات خطاب الكراهية في الوسائط الإعلامية الفرنسية بحث في المصادر، 2009.
- الطيب ولد العروسي: كتاب لمفكر فرنسي يثير جدلا في قضية صحيفة "شارلي"، <http://www.atheer.om>
- الطيب بن إبراهيم عرض/سكينة بوشلوح: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، <http://www.aljazeera.net>، 15.2.2005.
- عبد الله الدماغ، صورة الشرق الإسلامي في الخطاب الغربي، <http://delta-n.org>، العدد الرابع - صيف 2015 - الخميس 02 / تموز / يوليو / 2015.
- عبد الله الشارف: الإسلامولوجيا الفرنسية، صورة من الاستشراق الجديد، http://www.charef.net/2014/12/1_12
- عصام بن الشيخ: بناءات ومقاصد الخطاب الغربي المعادي للإسلام قديما وحديثا، الحوار المتمدن-العدد: 5431، 2017 / 2 / 13 - 19:41.
- عصام الزيات، مسلمو فرنسا حيث لم يعد الحياد مجديا، <https://ida2at.com>، 2017.
- علي ميناوي: الإسلام "غير الحقيقي" والتكفير المضاد، ت. عمرو خيرى تحرير منصور الناصر، <https://qira2at.com>، يناير 19، 2015.
- عمر الإدريسي الزاهري: الصحافة الفرنسية لعبت دورا مخزيا في التحريض المستفز ضد الإسلام، <http://www.anfaspress.com>، لاثنين 2 فبراير 2015، 12:29.
- عمر كاش: **Stereotypes Between East and West**، <https://acc.teachmideast.org>، 2005.
- قيس جواد العزاوي: صورة الإسلام في الغرب : نموذج فرنسا، مؤتمر "كلمة سواء" السنوي، <http://www.imamsadr.net>، 2002.
- محمد فاروق النبهان: العوامل المؤثرة في تكوين صورة الإسلام في الغرب، <http://alkeltawia.com>، 27/12/2013.
- محمد قطيش، عرض موجز لتاريخ الصراع بين الشرق والغرب طيلة 25 قرناً ، <https://fakkerfree.wordpress.com>، 30/11/2013.

- محمد رضوان: أوهام الغرب عن الإسلام، بحث في جذور معاداة الثقافة الإسلامية في الغرب، <http://nama-center.com>، 2013.
- محمد يسري إبراهيم: صورة الإسلام في الفكر الغربي بين القديم والحديث، <http://www.alukah.net>، 2014، 2014/8/17 ميلادي - 1435/10/20 هجري.
- مستورى فتحي: هل يمكن للإسلام في فرنسا أن يكون علمانياً؟ التعددية والبراجماتية في دولة علمانية. ترجمة: محمود حسني، <https://qira2at.com>، / 2015/01/15.
- ممدوح الشيخ: من يصنع عداء الغرب للإسلام، <http://www.taghribnews.com>، / 10/ تشرين الأول 2010 ساعة 16:00.
- نسرين حسونة، نظريات الإعلام والاتصال، <https://www.alukah.net>، 2015/ 2/10 م- 1436/4/20 هجري.
- نصر الدين بن غنيسة: صناعة الخوف من الإسلام في الإعلام الفرنسي، <http://www.philadelphia.edu.jo>، 2006-04-30.
- نصر حامد أبو زيد: النقد والنقض في حرب الكراهية بين الإسلام والغرب، الحوار المتمدن العدد 34، 2002-01-13 08:51.

مقالات صحفية

- أحمد عيساوي: هل ينجح ماكرون في هيكلة الإسلام في فرنسا، <http://daraj.com>، 2018-02-21.
- أسعد أبو خليل: الإسلام والتوحش معالم من معارك الغرب الدعائية archive.almanar.com، 2015.
- أسعد أبو خليل: الحرب الغربية ضد الإسلام والمسلمين، من شارل ديغول إلى دونالد ترامب <http://www.al-akhbar.com>، 2015.
- إبراهيم نافع: جنون الخطر الأخضر وحملة تشويه الإسلام، سبتمبر 2004، رجب 1425.
- آسيا حمزة: هل دور النساء في الحركات الجهادية أقل أهمية من الرجال؟ آخر تحديث: 2018/01/22.

- توفيق رباحي: طارق رمضان يخسر لعبته مع الفرنسيين، القدس العربي، Feb 20, 2018).
- حميد زناز: فرنسيون مسلمون أم إسلاميون متفرنسون، <https://alarab.co.uk>، الأربعاء 06/09/2017.
- حمزة عتبي: اهتمام فرنسا بالساحل الإفريقي حرب على الإرهاب أم تكثيف لوجودها الاقتصادي والعسكري <https://arabic.cnn.com>، 26 يناير / كانون الثاني 2016.
- حمد جاسم محمد: المقاربة الإقليمية الجديدة لفرنسا "العودة لإفريقيا" عن طريق مكافحة الإرهاب <https://annabaa.org>، السبت 29 تشرين الثاني 2015.
- سيغولين ألماندو: عطر الجهاد" يجر فرنسيات إلى خدمة تنظيم "الدولة الإسلامية"، فرانس 24، 2018/04/07.
- الصحبي العلاني: الإسلام في فرنسا: من "الفوبيا" إلى "الذهان"، تشخيص حالة مستعصية، <https://www.alaraby.co.uk>، 2017.
- ميشال أبو نجم: ماكرون يريد إعادة تنظيم «الإسلام الفرنسي»، <https://aawsat.com/>، 13 فبراير 2018 م رقم العدد، (14322).
- المصطفى مراد: لوفيغارو.. لصحيفة الفرنسية التي تعتبر من أقدم جرائد العالم، <https://www.maghress.com>، 2011-08-10.

مقالات من صحيفتي الدراسة

- Ali Malek,: «Comment l'islam est perverti par des fidèles» **Le Monde** ,N° 21787, le 03 février 2015.
- Cécile Chambraud: «Il faut adapter l'islam à la mentalité française» **Le Monde** ,N° 21796, le 13 février 2015.
- Christophe Ayad: «Daech, l'enfant monstrueux de Ben Laden et de Bush Jr» **Le Monde** ,N° 21792, le 9-8 février 2015.
- Fabrice Hadjadj: «le djihadisme un mouvement post-lumières » **Le figaro** ,N° 21931, le 11 février 2015

- Gérard Courtois: «Inquiète, la France de l'après-Charlie est tentée par le repli
Selon une étude du Cevipof, une majorité de sondés pense que l'islam est une
« menace ».» Le Monde ,N° 21809, le 28 février 2015.
- Ghaleb Bencheikh: «« Il n'appartient pas à l'Etat d'organiser le culte
musulman» Le Monde ,N° 21808, le 27 février 2015.
- Ghaleb Bencheikh: «« Il n'appartient pas à l'Etat d'organiser le culte
musulman» Le figaro,N° 21808 , le 27 février 2015.
- Guillaume Larrivé: «Le désarmement pénal de Mme Taubira affaiblit la
France face au terrorisme» Le figaro,N° 21931, le 11 février 2015.
- Jacques Folloro: «Chère liberté surveillée » Le Monde ,N° 21808, le 27
février 2015.
- Jean-Philippe Rémy: «L'Etat islamique signe par le sang sa présence en
Libye » Le Monde ,N° 21799, le 17février 2015.
- Julia Kristeva: «Il faut lutter contre le gangstéro-intégrisme» Le figaro ,N°
le 30 janvier 2015.
- Jacques Folloro: «Chère liberté surveillée » Le figaro,N° 21808, le 27
février 2015.
- Jean-Philippe Rémy: «L'Etat islamique signe par le sang sa présence en
Libye » Le figaro,N° 21799, le17 février 2015.
- Michka Assayas: «Quand une mafia invoque Dieu pour justifier ses
crimes» Le figaro,N° 21804, le 22-23 février 2015.
- Matthieu Suc: «Amedy Coulibaly, de la délinquance au terrorisme» Le
Monde ,N° le 11 janvier 2015.
- Matthieu Suc: «Femmes de djihadistes» Le Monde ,N° 20 janvier 2015.
- Matthieu Suc: «Amedy Coulibaly, de la délinquance au terrorisme» Le
Monde ,N° le 11 janvier 2015.
- Michka Assayas: «Quand une mafia invoque Dieu pour justifier ses crimes»
Le Monde ,N° 21804, le 23-22février 2015.

- Robert Badinter : «Ne tolérons plus l'antisémitisme» Le Monde ,N° 21797, le 14 février 2015.
- Robert Badinter : «Ne tolérons plus l'antisémitisme» Le figaro,N° 21797, le 14 février 2015.
- sasha havlicek et farah pandith: « Comment nos filles deviennent des califettes» Le Monde ,N° le 27 janvier 2015.

مواقع إلكترونية:

- <http://www.dostor.org>130
- <http://www.al-sharq.com>131
- <http://arabi21.com/story>
- <http://www.alwasatnews.com>
- <http://articles.islamweb.net>
- <http://www.arabworldbooks.co>
- <http://almes-center.com/>
- <http://www.alalam.ir/news>
- <https://ar.islamway.net>
- <http://www.almaany.com>
- <https://alsabahpress.wordpress.com>
- <http://www.bbc.com>
- <http://mohe-casm.edu.eg/>
- <https://www.france24.com>

الملاحق

ملحق رقم (1): استمارة تحليل المحتوى:

- بيانات خاصة بصحيفتي الدراسة:

- اسم الصحيفة:

- تاريخ الصدور:

- رقم العدد:

- فئات التحليل

فئات المضمون (ما ذا قيل)؟

• فئة طبيعة الموضوع:

المواضيع الدينية:

- الله ورسوله

- القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

- الصراعات السنية الشيعية

- أركان الإسلام وعناصرها:

✓ الصلاة

✓ الزكاة

✓ الصيام

✓ الحج

- الخلافة الإسلامية

- الخلط بين العروبة والإسلام

- الخلط بين الجهاد والإرهاب

المواضيع الثقافية والحضارية:

- الإسلام العدو

- الإسلام يكرس صراع الحضارات

- الحرب الصليبية الجديدة

- الإسلام تهديد للثقافة الفرنسية

المواضيع السياسية والايديولوجية:

- الإسلام وقيم الجمهورية الفرنسية وعناصرها:

✓ الإسلام مناقض للائكية الجمهورية

✓ الإسلام يناقض الديمقراطية والحريات

✓ الإسلام دين رجعي يناقض الحداثة

- الإسلام والإرهاب وعناصرها:

✓ فرنسا تحت التهديد الإرهابي

✓ نسب الهجمات الوحشية والبربرية للإسلام

✓ التذكير بأعمال إرهابية ارتكبتها مسلمون داخل وخارج فرنسا

✓ الحرب الفرنسية ضد الإرهاب الجهادي في الساحل والشرق الأوسط

- الإسلام السياسي وعناصرها:

✓ التنظيمات السلفية وتنظيم الإخوان منبع الإسلام الراديكالي

✓ الإسلام الوهابي

✓ الخلط بين الإسلام والإسلاموية، والأصولية

- الإسلام ومعاداة السامية

- الإسلام والصراعات السياسية الداخلية

المواضيع الاقتصادية:

- النفط ودوره الاستراتيجي

- التنمية في الدول الإسلامية

- المسلمون عبئ على الاقتصاد الفرنسي

المواضيع الأمنية والقانونية:

- تعزيز المواجهة الأمنية والقانونية في مواجهة التهديد الإرهابي

- فضاءات تواجد المسلمين مجال لنشر الفكر الجهادي وعناصرها:

✓ المساجد وقاعات الصلاة

- ✓ السجون
- ✓ وسائل الإعلام الدعوية
- ✓ الفضاء الافتراضي
- ✓ مناطق الضواحي
- الجماعات الجهادية والإرهابية تعمل مع شبكات الجريمة
- التنظيمات الإرهابية تتلقى التمويل من دول الخليج

المواضيع الاجتماعية والديمغرافية:

- مأسسة الإسلام وعناصرها:
- ✓ دور البلدان الأصلية في إدارة شؤون الإسلام
- ✓ مهنة الإمامة وإدارة المساجد
- ✓ المؤسسات الإسلامية في فرنسا وتمثيل الإسلام
- ✓ إسلام فرنسا
- المسلمون طائفة غير قابلة للاندماج
- الإسلاموفوبيا وعناصرها:
- ✓ الربط بين الهجرة والإسلام والإرهاب
- ✓ تصاعد خطابات الكراهية والعنصرية
- ✓ التخويف من المد الإسلامي وأسلمة فرنسا
- ✓ الاعتداء على المسلمين ومقدساتهم بدنيا ومعنويا
- صورة المرأة وعناصرها:
- ✓ الإسلام يظلم للمرأة
- ✓ تجنيد المسلمات للجهاد
- ✓ الحجاب والنقاب

المواضيع التربوية والتعليمية:

- الإسلام والمدرسة الفرنسية وعناصرها:
- ✓ الرموز الدينية الإسلامية تهديد لعلمانية المدرسة الفرنسية
- ✓ المعلمون المسلمون يروجون التطرف والطائفية في مدارس الضواحي

الملاحق

- ✓ التلاميذ المسلمون في مدارس الضواحي عنصرين
- ✓ مناهج التعليم والمدارس في الدول الإسلامية منبع للتطرف
- ✓ تدريس اللغة العربية وتعاليم الإسلام تسهم في التطرف

● فئة القوى الإسلامية الفاعلة: واشتملت على:

- دول إسلامية
- حكام الدول الإسلامية
- القاعدة
- تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)
- الجماعة الإسلامية بوكو حرام
- تنظيمات إسلامية إرهابية أخرى
- الخلايا والشبكات الجهادية في فرنسا وأوروبا
- الإخوة كواشي
- أبو بكر البغدادي (زعيم الخلافة الإسلامية)
- الأئمة في فرنسا

● فئة المصدر: وتشمل:

- مصادر داخلية: وعناصرها:
 - ✓ صحفيون ومحررون
 - ✓ مراسلون ومندوبون
 - ✓ مبعوث خاص
- ✓ مصادر خارجية وعناصرها:
 - ✓ AFP
 - ✓ REUTERS AP
 - ✓ كتاب متعاونون
 - ✓ شبكة الانترنت

● فئة الاتجاه: وتنقسم إلى ثلاث فئات:

- إيجابي

- سلبي

- محايد

- فئات الشكل (كيف قيل؟):

• فئة المساحة

• فئة النوع الصحفي: وتشمل

- أنواع إخبارية

- أنواع استقصائية

- أنواع الرأي

• فئة موقع النشر: وتشمل

- الصفحة الأولى

- الصفحات الداخلية

- الصفحة الأخيرة

• فئة وسائل ابراز المضامين: وتضمنت الفئات التالية:

- العناوين وعناصرها:

✓ مانشيت

✓ عنوان رئيسي

✓ عنوان فرعي

- الصور: وعناصرها:

✓ شخصية

✓ موضوعية

- الخرائط والأشكال التوضيحية

• فئة الأساليب الاقناعية: وشملت

- الاستمالات العقلية

- الاستمالات العاطفية

Le Monde

vendredi 11 janvier 2015 - 75 ans - N° 10 276 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr

Publié par L'Institut National de la Presse

LE 11-SEPTEMBRE FRANÇAIS

ENQUÊTE
LA TRAQUE
DES DEUX FRÈRES
DJHADISTES

EMOTION
DEUIL NATIONAL ET
RASSEMBLEMENTS
SPONTANÉS

CARICATURES
L'HOMMAGE
DES DESSINATEURS
DU MONDE ENTIER

DÉBATS
BHL, VILLEPIN :
RÉSISTER À L'ESPRIT
DE GUERRE

RÉCIT
« ILS ONT TUÉ
"CHARLIE HEBDO" »

Plusieurs personnes
ont participé à des
manifestations à
Toulon, mercredi.
Mise à disposition
par L'Institut

LE REGARD DE PLANTU

ÉDITORIAL III

LIBRES,
DEBOUT,
ENSEMBLE

MARTIN MALIN

E meurtres, violences, mais aussi civisme et dévouement : les morts peinent à empêcher l'angoisse de l'incertitude de l'avenir en France, au lendemain de l'attaque terroriste perpétrée contre Charlie Hebdo.

Un choc qui nous entraîne, sans précaution guère, à entraîner le 11 septembre 2001 par la grande majorité.

Un choc qui, en plein XXIe siècle, nous rappelle, sans que nous nous en rendions compte, que nous sommes toujours et nous serons toujours ensemble.

Un choc qui, en plein XXIe siècle, nous rappelle, sans que nous nous en rendions compte, que nous sommes toujours et nous serons toujours ensemble.

© 2015 L'Institut National de la Presse. Tous droits réservés. Toute réimpression ou utilisation non autorisée sans la permission écrite de l'Institut est formellement interdite. Toute réimpression ou utilisation non autorisée sans la permission écrite de l'Institut est formellement interdite.

Le Monde

C'ÉTAIT LE 11 JANVIER



Les événements de ce jour ont été couverts par nos journalistes et nos correspondants. Retrouvez les faits et gestes de nos reporters sur le terrain.

LES ÉVÉNEMENTS
Le 11 janvier 2015, à 8h30, un attentat a frappé la ville de Paris. Des attentats ont également eu lieu à Saint-Denis, à Vincennes et à Nanterre. Les auteurs de ces attentats ont été identifiés et sont des membres du groupe État islamique.



LES RÉACTIONS
Les réactions ont été immédiates. Le président de la République, François Hollande, a tenu une conférence de presse à 10h30. Il a condamné ces attentats et a promis de faire justice.

mobeco
SALDES
Système de chauffage
POMPE À CHALEUR
MURALE - CONDENS

CHÂTELAIN - SAUVY - RELAY
CONSTRUCITEURS S.A.R.L.

01 42 08 73 00



2C mercredi 14 janvier 2015 LE FIGARO - 1€ 20 907 - www.lefigaro.fr - France métropolitaine uniquement - Titulaire de droits réservés dans les départements 03 75 77 79 91 92 93 94 95

lefigaro.fr

LE FIGARO

Sans la liberté de Mânce, il n'est point d'éloge flatteur - Braconnier



Dernière édition

AIR FRANCE
LA COMPAGNIE PRÉPARE
UN NOUVEAU PLAN
DE DÉPARTS MASSIF PAGE 21

FINKIELKRAUT
« CHOISIR LE PARTI
DU SURSAUT »
PAGE 18

Valls : « La France est en guerre contre l'islamisme radical »

Mardi, devant une Assemblée nationale qui l'a ovationné, le premier ministre a salué la mémoire des victimes des attentats et annoncé des mesures pour répondre à la nouvelle menace terroriste.

Un moment historique d'unité nationale dans les traves de l'Assemblée. Mardi après-midi, la traditionnelle séance de questions au

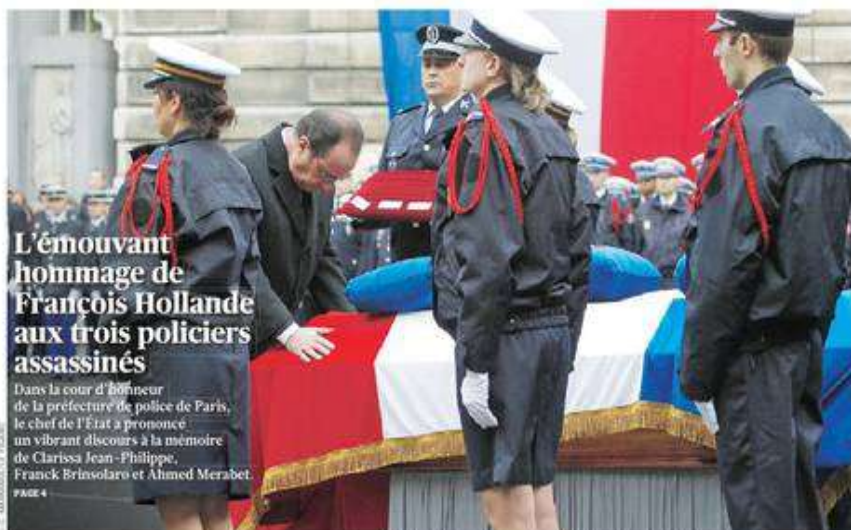
gouvernement a été transformée en hommage solennel aux 17 victimes des attentats terroristes qui ont endeuillé la France.

Après une minute de silence, les députés ont chanté *La Marseillaise*, pour la première fois depuis le 11 novembre 2011. Très longuement ova-

tionné par tous les bancs de l'Hémicycle, le premier ministre, Manuel Valls, a annoncé « des mesures exceptionnelles » face à la menace

terroriste et affirmé que la France « est en guerre contre le terrorisme, le djihadisme et l'islamisme radical. La France n'est pas en guerre contre une

religion. Elle protégera, comme elle l'a toujours fait, tous ses concitoyens : ceux qui croient comme ceux qui ne croient pas. »



L'émouvant hommage de François Hollande aux trois policiers assassinés

Dans la cour d'honneur de la préfecture de police de Paris, le chef de l'État a prononcé un vibrant discours à la mémoire de Clarissa Jean-Philippe, Franck Brinsolaro et Ahmed Merabet.

- **LES NOUVEAUX DÉFIS DE FRANÇOIS HOLLANDE**
Pour le chef de l'État, les événements tragiques qui ont frappé la France sont un tournant. Son sans-faute depuis les attentats le replace au centre du jeu. PAGE 7
- **LE PLAN DE BATAILLE DE MANUEL VALLS**
Le premier ministre a annoncé une série de mesures en matière de sécurité et de lutte contre le terrorisme. PAGE 6
- **LE POINT SUR L'ENQUÊTE**
Les enquêteurs tentent de mettre au jour les ramifications internationales des trois terroristes. PAGES 8 ET 10
- **« CHARLIE HEBDO » : 3 MILLIONS D'EXEMPLAIRES**
Le nouveau numéro du journal satirique sort en kiosque ce mercredi. PAGES 6 ET 7
- **PORTAIT DU MENTOR DES FRÈRES KOUACHI**
Farid Benyettou, prédicateur du djihad devenu infirmier. PAGE 16

SCOPE

Spécial musique classique à Paris

FIGARO OUI FIGARO NON

Réponses à la question de mardi :
La France doit-elle adopter une législation d'exception pour lutter contre le terrorisme ?

OUI 83,6% NON 16,2%

TOTAL DE VOTANTS : 46 888

Votez aujourd'hui sur lefigaro.fr
Les mesures annoncées par Valls pour combattre le terrorisme vous paraissent-elles suffisantes ?

LAUREN MAISON
MATHIEU LAROCHE / ANTONIO OLIVERA

ÉDITORIAL par Yves Thériault ytheriault@lefigaro.fr

Union sacrée

Nul ne sait ce qu'il restera de ces heures exceptionnelles qui suivent la tragédie que vient de vivre notre pays. De cette communion pour défendre la liberté, de cette union, splendide et spontanée, pour affirmer ce que nous sommes, une nation debout.

C'est comme si un « besoin de France » s'ex-primait soudain. Et l'un de ses traductions les plus symboliques est sans doute cet acclama-tion répétée, destinée aux forces de l'ordre républicain, pilier de notre démocratie. Dim-anché, derrière les drapeaux tricolores et les refrains entonnés de *La Marseillaise*, un certain état d'esprit semblait avoir disparu. Ce mélange d'inconscience et de démagogie hérité de 1968 et entretenu par une large partie de la gauche. Ce temps-là est-il révoqué ?

Le président de la République a su, hier, trou-ver les mots pour rendre un vibrant hommage aux trois policiers tombés sous les balles des terroristes islamistes. Le ton était juste, le ver-be, grave. Après lui, le premier ministre a pro-noncé, à l'Assemblée nationale, l'un de ces discours qui font aimer la politique, quand le lyrisme n'empêche pas le réalisme, lorsque l'émotion se met au service de la raison. L'exercice fut salué par des tonnerres d'ap-plaudissements à droite comme à gauche. Ce spectacle d'union sacrée était impressionnant. Solennellement, pendant quarante minutes, la vérité a été dite et l'ennemi, nommé : « Oui, la France est en guerre contre le terroris-me, le djihadisme et l'islamisme radical. » Ce diagnostic responsable sera-t-il suivi d'un dispositif à la hau-teur de l'enjeu ?

Des mesures ex-ceptionnelles ont été promises, es-quissées, énoncées par Manuel Valls. Notamment pour un meilleur contrôle des réseaux sociaux, une plus grande efficacité des services de renseignements et un régime carcéral davantage adapté aux pêcheurs de l'obscurantisme.

Un plan ambitieux qui, en période de disette budgétaire, impose des choix. Un plan, aus-si, qui porte en lui les germes de la division à gauche. Souhaitons que la belle unité affi-chée hier dans l'Hémicycle ne soit pas sans lendemain. ■

**Vous avez aimé nos expériences ?
Vous allez adorer le livre !**

A Paris en 2004 ouvrait un restaurant pas comme les autres... 10 ans au cœur de la différence.



DANS LE NOIR ?
Pour voir les autres !

Préface
Jean-Paul Delavoy
Président du Conseil
Économique et Social

CRANZ LE NOIR ? Vous n'avez pas encore vécu cette expérience humaine et sensorielle unique ? W'attendez plus ! Réservez à l'instant en ligne : www.dansle noir.com ou par téléphone 01 42 77 38 94

RESTAURANT - BAR - BOULANGERIE

Dans le Noir ? Ethic Investment - ENTREPRISE CITOYENNE DE JANVIER 2014






www.dansle noir.com ou www.ethic-investment.fr et www.citoyennedansle noir.com

lefigaro.fr

LE FIGARO

« Sans la liberté de blâmer, il n'est point d'éloge flatteur » - Beaumarchais



MICROSOFT
WINDOWS 10, INTERNET EXPLORER :
LA GRANDE OFFENSIVE
DU GEANT AMERICAIN **PAGE 31**

ALZHEIMER
LE TRAITEMENT PROMETTEUR
DÉCOUVERT PAR
UNE ÉQUIPE FRANÇAISE **PAGE 9**



MAROC
Crise diplomatique
avec Paris **PAGE 8**

RALLYE
Retrouvailles
Loeb-Ogier
à Monte-Carlo **PAGE 10**

ÉCONOMIE
En 30 ans,
les dépenses
des Français
ont radicalement
changé **PAGE 20**

**MARCHÉ
DE L'ART**
Sur la piste
des trafiquants
PAGE 26

CHAMPS LIBRES
• Les chroniques
d'Éric Zemmour
et de
Charles Jaigu
• Les entretiens
avec Christophe
Guilvy
et François
Saint-Bonnet
• La chronique
de Luc Ferry
• L'analyse
de Laure
Mandeville
PAGES 32 à 35

**FIGARO OUI
FIGARO NON**

**Réponses à la question
de mercredi :**
Faut-il interdire
le retour en France
de Français partis faire
le djihad en Syrie ?

OUI 96% NON 4%

TOTAL DE VOTANTS : 74 156

**Votez aujourd'hui
sur lefigaro.fr**
Êtes-vous favorable
à un service civique
obligatoire ?

PC 9800 107034
CLARE THOMAS/CAF



Terrorisme: la police renforcée, la justice à la traîne

Deux semaines après les attentats, le premier ministre a annoncé un vaste plan qui renforce les moyens matériels et humains des forces de l'ordre. Mais aucun changement de la politique pénale n'est envisagé.

La France doit-elle revoir sa politique vis-à-vis de la Syrie ?

La politique française en Syrie, basée sur le nécessaire départ de Bachar el-Assad et un soutien à l'opposition dite modérée, a montré ses limites : les djihadistes de l'État islamique ont pris racine sur le chaos qui déstabilise le pays

Sarkozy presse le gouvernement d'agir plus vite et plus fort

Invité du JT de France 2, Nicolas Sarkozy a demandé au gouvernement d'aller plus vite et plus loin dans la lutte contre le terrorisme. Il a notamment proposé de rétablir les heures supplémentaires dans la police et les services

→ DES CENTAINES D'HOMMES EN RENFORT SUR LE TERRAIN
→ LES ARMÉES PARVIENNENT À SAUVER 7 500 POSTES
→ LA DÉFENSE À LA RECHERCHE DE 2,6 MILLIARDS D'EUROS
→ JUSTICE : DES MOYENS FINANCIERS ET HUMAINS MAIS UNE POLITIQUE PÉNALE INCHANGÉE
→ MANUEL VALLS EST QUASI ASSURÉ DE RESTER À MATIGNON JUSQU'EN 2017
PAGES 2 À 5 ET L'ÉDITORIAL

ÉDITORIAL par Paul-Henri de Lambert phclambert@lefigaro.fr

Un seul bout de la chaîne

« Il faut terroriser les terroristes », disait jadis Charles Péguy, sous les cils évidemment - moqueurs de la gauche. Les années ont passé et voilà les socialistes contraints eux aussi aux déclarations martiales et aux mesures draconiennes. S'agissant des déclarations martiales, Manuel Valls a rempli son rôle et on ne peut que s'en réjouir. Dans les heures difficiles, le pays a besoin d'entendre chez ses dirigeants des mots tranchés et de sentir chez eux une volonté inflexible. Quant aux mesures draconiennes, celles que le premier ministre a présentées mercredi ne sauraient être critiquées. Des moyens supplémentaires pour les policiers, une future loi sur le remaniement, la réduction du nombre des suppressions de postes prévues à la Défense : tout cela va évidemment dans le bon sens. Malgré tout, un doute demeure. Pour que l'arsenal antiterroriste soit complet et inspire une totale confiance, il lui faudrait un volet pénal, étrangement absent des annonces faites hier. Chacun sait - on en a eu tragiquement confirmation le 7 janvier - que les apprentis djihadistes se recrutent d'abord chez les délinquants multirécidivistes, ceux-là

mêmes à qui profite la récente loi de Christine Taubira, entamée déclarée de la prison. Manuel Valls ne souhaite pas occire la loi Taubira - qu'il avait critiquée - pour des raisons politiques qui n'échappent à personne. Rien, donc, sur l'exécution effective des peines prononcées, rien non plus sur ce récent et invraisemblable décret qui aligne le régime des réductions de peine des multirécidivistes sur celui des non-récidivistes. La loi Taubira instaure une forme de « désarmement pénal » et rien n'est malheureusement fait pour y remédier. Si le premier ministre se donne les moyens policiers de combattre le terrorisme, il n'est donc s'en donner tous les moyens judiciaires, dans le souci de respecter, encore et toujours, des équilibres internes à sa majorité. Bref, il ne tient pas les deux bouts de la chaîne. N'aurait-il pas dit pourtant qu'il a « situation exceptionnelle » devant répondre « des mesures exceptionnelles » ? Et faut-il en conclure que désarmer Christine Taubira serait au-delà de l'exceptionnel ? ■

Elite
LES LITS ELITE,
LA TRADITION
SUISSE DU
BIEN DORMIR
DEPUIS 1895

Dormez mieux,
Dormez Elite.

ELITE GALLERY PARIS
2, Rue Catinat
75007 Paris
www.elitebeds.fr

LE FIGARO

REPORTAGE ISRAËL : MONTRER DES PERILS SUR LE PLATEAU DU Golan

JEAN-PIERRE CHEVENEMENT « ÉVITONS L'ÉCLATEMENT SAUVAGE DE LA ZONE ESTRO »

- LEGISLATIVE Doubs : nouvelle majorité à l'Assemblée pour le PS
- LIBYENNE Le général Gaddafi au pouvoir
- AFGHANISTAN L'appel à l'abandon des armes par les talibans
- HISTOIRE La famille Bernheim au service de la France
- AGRICULTURE Le plan de soutien à la filière porcine
- MONDIAUX MANDALAI La coopération internationale pour la lutte contre le sida
- CONJECTURE Les États-Unis redéfinissent leurs intérêts en Irak

Comment lutter contre l'islamisme en prison ?

Mais que 20 nouveaux détenus djihadistes rejoignent chaque mois les prisons françaises, l'Administration pénitentiaire envisage d'étendre son dispositif de regroupement des islamistes radicaux, actuellement resté à Fresnes.

Les islamistes radicaux prisonniers en France sont environ 100. Ils sont regroupés dans une dizaine de centres de détention, dont le plus important est celui de Fresnes. L'Administration pénitentiaire envisage d'étendre son dispositif de regroupement des islamistes radicaux, actuellement resté à Fresnes.

LES ÉLÉMENTS DE LA POLITIQUE INTERNATIONALE



La musique classique veut rajeunir son public

Le directeur général de l'Opéra de Paris, Jean-Louis Thuillier, annonce un plan de rajeunissement du public de la musique classique.

Aides au logement : le gouvernement face à la galopie

Les aides au logement sont en forte baisse. Le gouvernement envisage de nouvelles mesures pour soutenir le secteur.

LES ÉLÉMENTS DE LA POLITIQUE INTERNATIONALE

LES ÉLÉMENTS DE LA POLITIQUE INTERNATIONALE

LES ÉLÉMENTS DE LA POLITIQUE INTERNATIONALE

EDITORIAL

Penser avant de dépenser

Le budget de la France pour 2011 est de 300 milliards d'euros. C'est un chiffre record. Mais est-ce un chiffre à célébrer ?

Il est important de réfléchir à l'impact de ce budget sur l'économie et sur la vie des Français. Les dépenses doivent être justifiées et efficaces.

À BAS ! L'IGNORANCE !

1 KILO de CULTURE GÉNÉRALE

LE FIGARO

« Sans la liberté de l'islam, il n'est point d'Europe future » - Braumachals



REPORTAGE
LONDRES,
CAPITALE MONDIALE
DU FOOTBALL PAGE 13

CINÉMA
« AMERICAN SNIPER »
LA GUERRE D'IRAK DANS LE VISEUR
DE CLINT EASTWOOD PAGES 26 ET 27

LOI MACRON
Le gouvernement compte ses soutiens PAGE 3

SARRE-UNION
Valls et Hollande rassurent les Juifs de France PAGE 7

LA CASTELLANE
La police sur la trace des auteurs de la fusillade PAGE 8

SKI Jean-Baptiste Grange
la reconquête surprise PAGE 10

GRÈCE
Athènes claie la porte de l'Eurogroupe PAGE 18

CHAMPS LIBRES
Les banques sont-elles trop grosses ?
Fin de vie : la tribune de Véronique Besse
Grèce : la tribune de Sylvie Goulard
« Le grand retour de l'axe franco-allemand » : la chronique de Renaud Girard
Libye : l'analyse de Thierry Oberlé PAGE 24 & 25

Massacre de 21 chrétiens en Libye : quelle riposte ?



L'Égypte a décrété un deuil national après l'assassinat des otages coptes. Elle appelle la communauté internationale à une intervention armée contre l'État islamique implanté sur le sol libyen.

→ L'ETI A PRIS PIED DANS LA GUERRE CIVILE LIBYENNE
→ PARIS ET LE CAIRE SIGNENT LE CONTRAT DU RAFALE
→ L'ÉTAT ISLAMIQUE ENTRAÎNE L'OCCIDENT DANS UNE LOGIQUE DE GUERRE
PAGES 2 À 4, 15, 28 ET L'EDITORIAL
Des coptes rendent hommage aux 21 victimes lundi, dans le village d'al-Awar, en Égypte.

Quatre mois pour sauver les régimes de retraites complémentaires

Syndicats et patronat se retrouvent à partir de ce mardi pour élaborer, d'ici à juin, un plan de sauvetage des régimes des retraites complémentaires. Agirc (cadres) et Apeco (jeunes salariés). Selon la Cour des comptes, si rien ne change, l'Agirc risque de se retrouver en faillite en 2018. PAGE 12



Copenhague: la dérive ordinaire d'Omar el-Hussein, le tueur islamiste

Né au Danemark de parents immigrés palestiniens, l'auteur présumé des attentats terroristes était un jeune homme de 22 ans décrit comme « un loup solitaire » s'étant radicalisé en prison. Depuis son crime, les habitants de son quartier sont muets dans le silence. PAGE 6

EDITORIAL par Philippe Gélle pgelle@lefigaro.fr

La barbarie à nos portes

Dans la longue liste des ennemis désignés par l'internationalisme islamiste, il faut bien constater que les chrétiens et les juifs tiennent le haut de l'affiche. Les vingt et un coptes d'Égypte qui viennent d'être assassinés en Libye par des affiliés du califat irako-syrien ont été martyrisés en raison de leur seule religion. Les attaques contre les synagogues ou les écoles juives en Europe sont marquées de la même haine. Certes, les fous de Dieu raisonnent large quand il s'agit d'invoquer des raisons de tuer, et leurs coreligionnaires sont leur premier contingent de victimes. Mais il y a une nuance de taille : cet islam dévoyé cherche à assujettir les musulmans, alors qu'il veut éliminer tous les autres. Le pilote jordanien brûlé vil dans une cage à eu droit à un « raffinement » spécial en tant que complice d'une coalition dominée par les « croisés ». La notion déplaisante de « choc des civilisations », rejetée par ceux qui croient au triomphe des valeurs humanistes, est inscrite dans le logiciel des théoriciens de l'État islamique. Ses manifestations violentes s'évaluent inévitablement, du Moyen-Orient à l'Afri-

que et au cœur de nos villes. On peut ergoter sur la terminologie de « guerre totale » : l'encerclement et l'infiltration des djihadistes nous imposent une mobilisation totale. En Libye, une filiale locale a déjà intégré tous les codes de l'EI : invasions contre l'Occident (le « pays de la Croix » s'arrête-t-il aux frontières de Rome ?), mise en scène macabre avec tuniques orange et sabre d'égoïsteur, vidéo de propagande obscène. La barbarie a pris racine sur l'autre rive de la Méditerranée, à moins de 500 km de l'Italie. On aimerait pouvoir l'ignorer, mais cela stopperait-il l'infection ? Irak, Ukraine, Centrafrique, Soudan, la France n'en peut plus de courir d'une crise sécuritaire à l'autre. Nous ne sommes pas innocents du chaos libyen, mais c'est à la communauté internationale tout entière de répondre au massacre des chrétiens. L'Égypte a pris les devants ; l'Europe, les pays arabes et les États-Unis doivent lui prêter main forte. Ce n'est pas comme si le monde avait le choix. ■

FIGAROPLUS
Spécial Salon de l'Agriculture : le monde rural à l'ère high-tech **CARTE SPÉCIALE**
FIGARO OUI FIGARO NON
Réponses à la question de lundi : Benjamin Netanyahu a-t-il raison d'appeler les Juifs d'Europe à émigrer en Israël ?
OUI 46% NON 54%
TOTAL DE VOTANTS : 59 829
Votez aujourd'hui sur lefigaro.fr
Faut-il intervenir militairement en Libye contre les islamistes ?

A. WAGLE/SIPA/REUTERS
PHOTO: HEDD/REUTERS
MICHAEL PROBERT/AP







« Dans une classe chez moi,
91% d'enfants musulmans,
évidemment que c'est un problème »
Robert Ménard, le 05/09/2016 sur LCI

CONDAMNATION
25/04/2017
pour « incitation à la haine et
la discrimination »



« Ce n'est pas un
délit de prôner le
djihad. »

Bernard CAZENEUVE,
Ministre de l'Intérieur
[RTL, 5 août 2014]



« Vous avez des
enseignants qui, dans
certains quartiers de la
République, se trouvent
face à des élèves qui
demandent à des
femmes de ne pas se
maquiller pendant le
ramadan ».

Emmanuel Macron, le 11 décembre sur TF1

Ensemble nous sommes plus forts.

Détestent les occidentaux, les chrétiens,
les juifs, les polythéistes, les athées,
les homosexuels, les femmes émancipées,
la nudité, la sexualité, "la sorcellerie" (?!),
les chiens, le porc, l'alcool, la musique,
la liberté d'expression, la démocratie,
ta civilisation, tes traditions, ton pays
et toi



**Se plaignent
de l'islamophobie**



(ملحق رقم 3): دراسة المعهد الدولي للعلاقات الدولية حول الجهاديين الفرنسيين

137 nuances de terrorisme

Les djihadistes de France face à la justice

Extraits de l'étude de l'Institut français des relations internationales (Ifri) à retrouver dans son intégralité dès le 10 avril 2018 sur www.ifri.org

La France est le pays occidental le plus touché par le phénomène du djihad en Syrie. Environ 1 300 Français ont effectivement séjourné en zones syro-irakienne et des centaines d'autres ont été arrêtés avant de réussir à atteindre leur destination. À la fin du mois de février 2018, on comptait 323 "revenants" dont 68 mineurs.

L'étude de l'Ifri, réalisée à partir de sources judiciaires originales, analyse les profils et les parcours de 137 individus condamnés en France dans des affaires de djihadisme de 2004 à la fin 2017. Il en ressort que ces individus se distinguent par un niveau d'éducation et une intégration professionnelle plus faibles, un degré de pauvreté plus important, un engagement dans la criminalité plus élevé et un rapport plus étroit au Maghreb et à l'Afrique subsaharienne que la moyenne de la population française.

Au-delà des chiffres, une analyse qualitative permet de mieux comprendre les processus de radicalisation et de basculement dans le terrorisme. Les rôles joués par les dynamiques de groupe, Internet ou encore la prison sont par exemple détaillés.

Cette étude permet également de mettre en lumière la manière dont le phénomène djihadiste pèse sur les administrations judiciaire et pénitentiaire. La question de la récidive est spécifiquement évoquée, notamment à travers les cas d'individus condamnés pour des faits de terrorisme qui, après avoir purgé leur peine, ont perpétré des attentats sur le sol français. Cette question est d'autant plus brûlante qu'une soixantaine de personnes condamnées pour des actes de terrorisme devraient être libérées dans les deux prochaines années.

Analyse quantitative des jugements de terroristes

Sexe et âge

L'échantillon qui a servi de base à l'étude de l'Ifri est composé de 131 hommes et seulement six femmes. La proportion très réduite de femmes ne reflète pas le faible engagement de ces dernières dans le djihadisme. On estime en effet qu'environ un tiers des ressortissants français partis en Syrie étaient de sexe féminin.

Le fait que la répartition par genre soit si déséquilibrée dans notre échantillon s'explique plutôt par la tendance qui a longtemps prévalu au sein de l'administration judiciaire de ne pas poursuivre les femmes impliquées dans les filières djihadistes. Les femmes étaient en effet souvent considérées comme des victimes, entraînées par des maris radicalisés. Or, comme nous le verrons plus loin, il arrive que des femmes jouent au contraire un rôle moteur dans la radicalisation de leurs conjoints.

La pratique judiciaire a évolué depuis environ deux ans, en raison notamment de la tentative d'attentat perpétrée par un groupe de femmes en 2016 à proximité de la cathédrale Notre-Dame à Paris. Depuis lors, les femmes – notamment celles qui reviennent de Syrie – sont davantage considérées comme de possibles terroristes que comme des victimes. Elles font désormais l'objet de poursuites aussi systématiques que les hommes. Toutefois, ce changement de pratique est trop récent pour être visible dans notre étude.

Pour ce qui est de l'âge moyen de notre échantillon au moment des faits, il s'établit à 26 ans. On entend souvent dire que l'âge moyen des djihadistes tend à baisser. Dans notre échantillon, les djihadistes condamnés en 2017 sont effectivement plus jeunes (24 ans en moyenne) que ceux condamnés les années précédentes mais la baisse n'est pas spectaculaire. La moyenne d'âge aurait été plus basse si nous avions intégré des mineurs dans notre étude. Toutefois, nous avons décidé de ne pas le faire, notamment parce que des travaux ont déjà été consacrés spécifiquement aux mineurs radicalisés.

Lieu de résidence

La carte qui se trouve ci-dessous indique le lieu de résidence de 121 des 137 djihadistes de notre échantillon. On constate une forte décentralisation, certaines zones étant tout de même plus touchées que d'autres. La dispersion géographique s'explique au moins partiellement par la diffusion importante de la propagande djihadiste sur Internet.

Quant à la constitution de "hubs" de terrorisme, elle peut se comprendre par la présence de recruteurs dans certaines villes et par les dynamiques de groupe qui favorisent l'engagement de plusieurs personnes d'un même quartier. Les adresses des 121 djihadistes ont été recoupées avec la carte des quartiers prioritaires de la politique de la ville. Il s'avère que 49 (soit 40 %) de ces individus sont originaires d'un quartier prioritaire.

Le fait qu'une proportion si importante des personnes étudiées provienne de quartiers prioritaires montre que nombre d'individus condamnés pour des actes de terrorisme sont issus de milieux défavorisés. Leur capital culturel est aussi particulièrement faible.

Niveau d'études et intégration sur le marché de l'emploi

Des données ont pu être collectées sur le niveau d'études de 68 personnes condamnées pour terrorisme. 32 n'ont aucun diplôme et ont quitté précocement le système scolaire, 6 ont un certificat d'aptitude professionnelle (CAP), 6 ont un brevet d'études professionnelles (BEP), 16 ont obtenu le baccalauréat (6 baccalauréats généraux, 4 baccalauréats professionnels, 3 baccalauréats technologiques et 3 baccalauréats indéterminés), 3 ont un brevet de technicien supérieur (BTS), 1 a un diplôme universitaire de technologie (DUT), 2 ont une licence, 1 est ingénieur et 1 est docteur en physique des particules. Le graphique suivant présente ces résultats en pourcentages.

Cet échantillon est significativement moins éduqué que le reste des jeunes Français. Pour comparaison, d'après l'Institut national de la statistique et des études économiques (INSEE), 13 % des Français âgés de 25 à 34 ans n'ont aucun diplôme ou seulement le brevet des collèges. Le pourcentage des bacheliers chez les jeunes se situe aux alentours de 80 % et plus de 40 % des Français âgés de 25 à 29 ans se déclarent diplômés de l'enseignement supérieur.

Avec un niveau d'éducation si faible, il n'est guère surprenant que les djihadistes de notre échantillon aient eu du mal à s'insérer sur le marché de l'emploi. Des informations ont été obtenues sur le parcours professionnel de 124 personnes condamnées pour des faits de terrorisme. Les situations de chômage et d'emplois précaires sont majoritaires, comme le montre le graphique suivant.

Les revenus officiels de ces individus étaient en conséquence faibles, la moyenne se situant aux alentours de 1 000 euros. Un seul djihadiste avait des revenus très élevés qu'il tirait du trafic de stupéfiants. La pauvreté dont il est question ici est relative. Les jugements énumèrent parfois les biens saisis lors des perquisitions et l'on s'aperçoit que malgré des revenus modestes, les prévenus possèdent souvent des smartphones, tablettes, ordinateurs et consoles de jeux vidéo. Ces saisies montrent d'une part des habitudes de consommation que l'on retrouve chez la plupart des jeunes du même âge et, d'autre part, elles indiquent que certains individus ont des revenus dissimulés, parfois tirés d'activités illicites.

Criminalité

Des données ont pu être obtenues sur les antécédents judiciaires de 126 personnes. Il s'avère que 50 d'entre elles avaient fait l'objet d'au moins une condamnation, 15 n'avaient jamais été condamnées mais avaient été signalées aux services de police et 61 avaient un casier judiciaire vierge. Les causes de condamnations les plus fréquentes sont les violences, les vols ou escroqueries, le trafic de stupéfiants et les délits routiers.

Des données ont été obtenues sur les peines infligées à 96 individus. Seuls 22 ont été condamnés à des peines de prison ferme dont 4 ont cumulé des peines équivalant à plus de 2 ans de prison. Il ne nous a pas été possible de savoir combien de personnes, parmi ces 22, ont fait l'objet de mesures alternatives à la prison. Quoiqu'il en soit, il apparaît que sur la totalité de notre échantillon, le milieu carcéral n'est pas le lieu principal de radicalisation. En revanche, les cas les plus durs (Chérif K., Larossi A., Salim B., Sabri E., etc.) étaient passés par la prison.

Financement de l'action djihadiste

Des données ont pu être collectées sur les modes de financement de 59 condamnés. Les quatre modes de financement identifiés sont, par ordre décroissant d'importance : le soutien par le groupe djihadiste ou par des sympathisants, l'utilisation d'économies personnelles, le recours à des moyens criminels (vols, escroqueries, trafics) et les dons de la famille (sans nécessairement que la famille adhère à la cause). Dans tous les cas, les sommes en question sont modestes : de quelques centaines à quelques milliers d'euros. Nous avons affaire ici à un djihadisme *low cost*, qui ne nécessite pas la mise en place de circuits financiers complexes.

Nationalité et religion

Sur notre échantillon de 137 personnes, des données concernant la nationalité de 130 individus ont été obtenues. Sur ces 130, on compte 90 Français, 29 binationaux (14 Franco-marocains, 10 Franco-algériens et 5 Franco-tunisiens), 11 étrangers (3 Marocains, 3 Algériens, 3 Tunisiens, 1 Indien et 1 Pakistanais). Le graphique suivant représente la répartition de l'échantillon par nationalité en valeur relative.

Ces statistiques confirment une tendance observée dans d'autres pays d'Europe depuis les attentats de Londres en 2005 : le terrorisme qui touche la France est essentiellement domestique (*homegrown terrorism*). Les individus condamnés sont en grande majorité nés en France et ont grandi dans ce pays. Les jugements permettent d'avoir des précisions sur l'origine des parents de 125 prévenus ou accusés. 74 ont des parents originaires du Maghreb, 22 de France, 12 d'Afrique subsaharienne, 7 d'Asie et 1 de Haïti. 9 individus sont issus d'un couple mixte (8 France/Maghreb, 1 France/Afrique subsaharienne). En valeur relative, cela donne :

Le facteur migratoire joue donc un rôle important dans le phénomène djihadiste. On retrouve là une des thèses développées par Tobie Nathan dans son ouvrage *Les âmes errantes*. En termes de religion, des informations ont pu être recueillies sur 136 prévenus ou accusés. On compte 101 musulmans de naissance (74 %) et 35 convertis à l'islam (26 %). La proportion de convertis est significativement inférieure à celle évoquée dans d'autres travaux de recherche. Parmi les convertis, on trouve surtout des chrétiens et des athées mais aussi deux bouddhistes et un juif. Peu de renseignements sont disponibles sur le degré de pratique religieuse des familles des prévenus ou accusés mais il semblerait que les familles non pratiquantes ou traditionalistes dominent.

Pour conclure cette partie quantitative, il apparaît que les djihadistes de notre échantillon se distinguent de la moyenne de la population française par un niveau d'éducation et une intégration professionnelle plus faibles, un degré de pauvreté plus important, un engagement dans la criminalité plus élevé et un rapport plus étroit au Maghreb et à l'Afrique subsaharienne.

Au-delà des statistiques, que disent les jugements de terroristes ?

Les jugements collectés recèlent des faits notables, des citations et des anecdotes qu'un traitement statistique ne permet pas de refléter. Ces éléments peuvent être classés en quatre catégories : les parcours biographiques, les aspects relatifs aux processus de radicalisation, les points liés aux procès et, enfin, les liens transgénérationnels.

Parcours biographiques (quelques exemples)

Trois aspects ayant trait aux parcours de vie des terroristes étudiés méritent particulièrement d'être notés.

Le premier concerne l'enfance de ces individus. Comme nous n'avons pas eu accès aux enquêtes de personnalité des 137 terroristes, nous n'avons pas pu avoir une idée précise des problèmes rencontrés par ces derniers dans leur enfance et leur adolescence.

Dans un certain nombre de cas, néanmoins, des bribes d'informations étaient disponibles et laissaient apparaître des situations très compliquées. Voici plusieurs exemples :

- Paul M. a un père polygame. Sa mère est décédée quand il avait une dizaine d'années. Il a été élevé par sa grande sœur et considère ses neveux comme ses petits frères.
- Nicolas M. a été adopté à l'âge de 4 ans. Ses parents adoptifs se sont séparés quand il avait une douzaine d'années. Délinquant précoce, il a été placé en centre éducatif renforcé dès l'âge de 13 ans.*

- Jamel B. décrit son père comme un « caïd » qui a passé de nombreuses années en prison. Il a été placé dans différents foyers.
- Mohamed G. avait un père violent, alcoolique et drogué qui a abandonné la famille avant la naissance d'une petite sœur.
- Youssef E. était fréquemment séparé de sa mère, hospitalisée pour des troubles psychiatriques.
- Sydney D. n'a pas connu son père. Sa mère, toxicomane, est décédée quand il avait une douzaine d'années. Il a été placé dans des foyers et des familles d'accueil.
- Gaëtan V. avait un père alcoolique et violent. Ses parents se sont séparés quand il avait une quinzaine d'années. Son père, devenu sans domicile fixe, a fini par mourir d'hypothermie.
- Jonathan D. a été très perturbé par les suicides de son père et de son grand-père.
- Ibrahim O. n'a pas connu son père. Sa mère a eu sept enfants avec des pères différents. Elle a été condamnée à de la prison avec sursis pour des faits de maltraitance.
- Samir A. avait un père violent. À l'âge de 20 ans, il a perdu son frère jumeau dans un accident de la circulation. Évidemment, des événements tragiques survenus dans l'enfance ou l'adolescence ne peuvent suffire à expliquer la radicalisation et doivent encore moins l'excuser. Cependant, les cas de personnes radicalisées présentant des fragilités liées à des situations traumatiques vécues pendant leurs jeunes années semblent être suffisamment nombreux pour justifier un effort de sensibilisation important des services en charge de la protection de l'enfance. Le deuxième aspect biographique ayant retenu notre attention touche à la pratique religieuse. Nombre d'auteurs ont noté le faible niveau de connaissances religieuses des jeunes s'engageant dans le djihadisme.

Ainsi, le sociologue Farhad Khosrokhavar écrit : *"Ce n'est pas une connaissance préalable profonde de l'islam qui induit la radicalisation religieuse dans les banlieues, mais bien au contraire une inculture profonde qui provoque un effet de crédulité accentuée, une forme de naïveté résultant de la méconnaissance voire de l'ignorance de l'islam qui joue en faveur de l'extrémisme religieux."*

Les jugements analysés semblent confirmer ce constat. Ainsi, l'avocat d'un jeune parti en Syrie décrit son client et son acolyte comme des *"benêts qui n'y connaissent rien en matière d'islam"*. Dans la même affaire, un prévenu déclare que la première chose qu'il a faite à son retour en France *"a été d'éclater une bouteille de vodka et de fumer du shit"*. Quant à l'expert psychiatre, il note que Mehdi E. n'avait *"aucune idée d'investissement ni religieux ni politique ; il était dans une sorte de recherche du bonheur sans contrainte"* (dossier n° 16/02080, Cour d'appel de Paris, 13 septembre 2016).

Deux nuances doivent néanmoins être apportées. D'une part, on observe une différence de générations. Pour les groupes ayant fait l'objet de condamnations dans la première décennie des années 2000, il est parfois possible d'identifier des membres ayant vécu pendant une période prolongée dans un pays musulman avec pour objectifs d'étudier le Coran et, pour les non-arabophones, d'apprendre l'arabe. Le cas le plus emblématique, bien connu des spécialistes, est celui de Thomas B. qui a suivi des cours pendant deux ans à Médine en Arabie Saoudite. Dans notre échantillon, d'autres destinations apparaissent comme l'Égypte, le Yémen et la Mauritanie.

D'autre part, dans les groupes plus récents, il arrive qu'un individu se distingue par ses connaissances religieuses et soit en conséquence particulièrement respecté par les autres membres. Par exemple, dans une affaire jugée en 2014 impliquant une dizaine de personnes – pour la plupart âgées d'une vingtaine d'années au moment des faits – un individu appelé *"cheikh Ahmed"* est considéré comme le référent religieux du groupe. Il est plus âgé que les autres (environ 50 ans) et pratique la *roqiya*, c'est-à-dire l'exorcisme islamique. Il a ainsi traité l'un des membres du groupe qui souffrait de forts maux de ventre. Le jugement précise : *"Weirdal S. avait pris sa guérison pour un signe divin, déclarant depuis préférer mourir en martyr que comme un con"* (jugement n°10147039015, 16e chambre du Tribunal de Grande Instance de Paris, 10 mars 2014). Notons que la notion de *"signes divins"* est répandue

parmi les jeunes radicalisés. Les audiences ont parfois une dimension mystique ou eschatologique quand les prévenus ou leurs proches se mettent à évoquer les djinns, les démons ou les signes de la fin des temps.

Croire en l'existence de forces occultes ou de phénomènes paranormaux ne fait pas nécessairement d'un individu un fou. Le troisième aspect biographique touche précisément aux antécédents psychiatriques. Toutes les personnes figurant dans notre échantillon ont été jugées pénalement responsables par les experts psychiatres ou psychologues. Dans un seul cas – celui d'un ancien militaire devenu djihadiste – deux experts arrivent à des conclusions divergentes. Le premier note que l'individu a un tel "sentiment passionné d'être persécuté" que cela constitue une cause d'atténuation de la responsabilité pénale. Le second relève des "traits psychopathiques (impulsivité, instabilité, intolérance aux frustrations, labilité de l'humeur)" mais conclut à l'absence d'anomalie mentale ou psychique. L'individu en question a été condamné à 5 ans de prison et a récemment été libéré après avoir purgé sa peine. Dans d'autres cas, les experts peuvent estimer que les prévenus sont "immatures", "névrotiques", "paranoïaques", "narcissiques" ou encore "dépressifs". Ils ne souffrent pas pour autant d'une maladie mentale qui justifierait de ne pas les juger. On notera enfin que peu d'individus de notre échantillon sont morts sur une terre de djihad. Parmi ceux-là, au moins deux avaient des tendances suicidaires bien avant de quitter la France.

Les aspects biographiques ne suffisent pas à expliquer l'évolution d'individus vers le djihadisme. Parmi les éléments qualitatifs qui ressortent des jugements, certains permettent d'éclairer les processus de radicalisation.

Les processus de radicalisation

La durée

Le premier point qui frappe au sujet des processus de radicalisation est leur durée.

Contrairement à ce que l'on entend souvent, la radicalisation relève davantage du cheminement relativement long – entre plusieurs mois et quelques années – que du basculement instantané.

Les données sur la durée du processus de radicalisation ont été obtenues pour un échantillon restreint de 39 individus.

Seule une mère de famille – d'ailleurs contredite par son fils, Florian L. – décrit le "changement radical" de son enfant qui "du jour au lendemain", "s'était laissé pousser la barbe, s'était fait circoncire, ne mangeait plus que des produits halal, avait revêtu une djellaba et pris le nom d'Abdelhakim".

Nous avons également assisté à un procès – qui ne figure pas dans notre échantillon car nous n'avons pas pu obtenir le jugement – dont l'un des protagonistes, Aymeric L., s'était converti à l'islam et avait préparé son départ pour la Syrie en un mois. Dans ce cas inhabituel, le prévenu a semble-t-il agi de la sorte pour séduire une jeune femme – qu'il a ultérieurement épousée. Il a également affirmé avoir été très impressionné par la vidéo de propagande « 19 HH » réalisée par le recruteur Omar Omsen.

Le deuxième point à relever au sujet des processus de radicalisation est justement lié à Internet.

Le rôle d'Internet

Il ressort généralement des jugements analysés qu'Internet seul ne suffit pas à la radicalisation.

De façon schématique, le web intervient de quatre manières différentes selon les affaires étudiées.

Premièrement, des groupes préconstitués dans la "vraie vie" se nourrissent de textes, d'anashids et de vidéos trouvés sur Internet.

On constate à cet égard que le site Ansar al-Haqq, fermé en 2015, a longtemps servi de "djihadothèque" de référence dans la sphère francophone.

Capture d'écran du site Ansar al-Haqq

Deuxièmement, des personnes qui ne se connaissaient pas auparavant peuvent se rencontrer sur Internet.

Il peut s'agir d'individus habitant à des endroits distants de plusieurs centaines de kilomètres. Dans ce cas de figure, l'association de malfaiteurs à des fins de terrorisme n'aurait sans doute pas pu se constituer à l'ère pré-Internet.

Page Facebook de propagande djihadiste (supprimée en 2015)

Dans une affaire étudiée par l'Ifri, un individu – Sahd R. – consultait quotidiennement des contenus djihadistes sur Facebook. Il s'est servi de ce réseau social pour recruter d'autres membres du groupe. Le jugement précise que Sahd R. a aussi tenté – sans succès – de convaincre deux mineurs de passer à l'acte. Ces jeunes de 16 ans avaient été "harponnés" sur Facebook puis Sahd R. s'était rendu à Caen et à Monaco pour essayer de les convaincre de visu.

Troisièmement, une fois les individus radicalisés et le groupe constitué, Internet sert de moyen de communication. Dans les jugements étudiés, on constate une grande hétérogénéité en matière de sécurité informatique. Certains prévenus semblent n'avoir aucune conscience de la traçabilité de leurs échanges, qu'ils soient téléphoniques ou numériques. Dans une décision de justice de septembre 2017, on lit ainsi que Djéson B., revenant de Syrie, a envoyé le message suivant à une jeune femme :

Jugement n°12355060014, Tribunal de Grande Instance de Paris, 22 septembre 2017.

D'autres prévenus prennent au contraire des précautions importantes pour laisser le moins de traces possible sur Internet. Parmi les techniques repérées pour passer inaperçu, on notera l'utilisation d'applications chiffrées ou de logiciels de chiffrement, l'emploi de logiciels permettant de masquer l'adresse IP, la création de boîtes de messagerie électronique anonymes où les messages peuvent être laissés dans la rubrique « brouillons » ou encore la fragmentation des échanges en jonglant entre plusieurs supports (Paltalk, Tinchat, Gajim, Jabber, Pidgin, etc.).

Extrait du magazine de Daech *Dar al-Islam* (n°10, 2016)

Dans notre échantillon, deux groupes se servaient du logiciel TeamViewer, fréquemment employé par les sociétés de maintenance informatique pour intervenir à distance sur les ordinateurs de leurs clients. Les membres des groupes en question pouvaient ainsi s'échanger des messages en accédant directement à leurs logiciels de traitement de texte.

Quatrièmement, Internet peut servir à préparer une action, que ce soit un départ vers une terre de djihad ou une opération terroriste sur le territoire national.

Par exemple, dans un jugement de novembre 2014, on apprend que sur une période de trois mois, les recherches sur Google et YouTube de l'un des prévenus comprenaient "367 requêtes relatives à Al Qaïda ou AQMI", "209 requêtes relatives au djihad, aux moujahidin et aux martyrs", "870 requêtes relatives à la préparation d'une bombe ou d'un attentat", "449 requêtes relatives à l'entraînement militaire ou physique", etc. L'individu concerné avait tapé des mots-clés comme "jihad mort", "paradis islam", "opération martyr", "tutoriel détonateur téléphone", "réaction chimique poudre noire" ou encore "bouteille de gaz explosion". Il s'était en outre rendu à 21 reprises sur le compte Facebook du président de la République et s'était renseigné plus spécifiquement sur ses prochains déplacements (jugement n° 12333060007, Tribunal de Grande Instance de Paris, 13 novembre 2014).

Extrait du magazine de Daech *Dar al-Islam* (n°6, 2015)

L'effet de groupe

Le troisième point à noter au sujet des processus de radicalisation relève de l'effet de groupe.

Dans l'échantillon analysé par l'Ifri n'apparaît aucun "loup solitaire". Cette notion est d'ailleurs de plus en plus contestée. Plusieurs experts vont jusqu'à affirmer que le concept même devrait être écarté car, très souvent, les individus présentés comme des "loups solitaires" sont en réalité bien ancrés dans une mouvance radicale et peuvent avoir des complices. Dans les jugements que nous avons étudiés, nombre de prévenus ou d'accusés se connaissaient de longue date. Certains étaient dans la même classe au collège ou jouaient au football dans le même club. D'autres étaient voisins, comme Larossi A. et Charaf Din A., qui habitaient dans le même immeuble aux Mureaux.

La dynamique de groupe opère parfois au sein d'une même famille. Notre échantillon compte ainsi plusieurs fratries de djihadistes.

En mars 2016, par exemple, trois hommes et une femme originaires de Trappes et Plaisir dans les Yvelines ont été jugés pour avoir tenté de rejoindre la Syrie. Les frères de deux des trois hommes combattaient déjà pour des groupes djihadistes, l'un d'entre eux étant même apparu dans une vidéo de Daech. La femme avait rencontré l'un des protagonistes fin 2013 et l'avait épousé religieusement en janvier 2014. De leur union était né un enfant en novembre 2014. Moins de deux mois plus tard, la jeune mère de famille avait acheté une Renault Scénic. Toute la famille avait pris place à bord du véhicule en direction des territoires contrôlés par l'État islamique. Leur voyage avait pris fin en Turquie après un accident de la circulation (jugement n°15033000932, Tribunal de Grande Instance de Paris, 23 mars 2016).

Dans cette affaire, la femme a été poursuivie mais dans d'autres cas, des femmes ayant pourtant joué un rôle notable ont été exemptées de poursuites. Par exemple, dans un jugement de décembre 2016, il apparaît clairement que l'épouse religieuse d'un des prévenus est à l'origine de son départ pour le Moyen-Orient (jugement n° 13179000916, Tribunal de Grande Instance de Paris, 14 décembre 2016). Devant les enquêteurs, la femme – qui, elle, est restée en France – évoque tout d'abord un but humanitaire puis finit par admettre les motifs djihadistes du voyage de son conjoint. Elle va même plus loin en se disant fière d'avoir réussi à le convaincre de partir. Arrivé en Turquie, l'époux hésite à aller plus loin. Sa conjointe cherche alors à le dissuader de revenir, estimant que renoncer à participer au djihad serait « un grave péché ». Le mari, qui a finalement fait demi-tour avant d'arriver en Syrie, a été condamné à 3 ans de prison dont la moitié avec sursis. L'épouse, elle, n'a pas été poursuivie.

Les données sur la situation matrimoniale ont été obtenues pour 114 djihadistes. La majorité vit en couple.

Les procès, la prison et la question de la récidive

Avant 2014 (date du premier attentat commis en Europe par un "revenant" de Syrie), les peines infligées aux djihadistes étaient bien plus clémentes qu'aujourd'hui.

Pour certains délits ou crimes à caractère terroriste, les sanctions prévues dans le Code pénal ont été alourdies. Les pratiques des juges ont également évolué dans le sens d'un durcissement. Dans notre échantillon, la peine moyenne de prison ferme est passée de quatre ans en 2014 (17 personnes concernées), à quatre ans et demi en 2015 (15 personnes), six ans et demi en 2016 (34 personnes) et dix ans en 2017 (30 personnes).

Ce graphique montre la tendance à l'alourdissement des peines. Le pic de 2007 n'est pas significatif car il ne concerne que deux individus.

Il arrive de plus en plus souvent que les personnes ayant rejoint une organisation djihadiste en Syrie soient poursuivies non pas pour AMT correctionnelle mais pour AMT criminelle. Elles sont alors jugées par une cour d'assises spécialement composée de magistrats professionnels. Au cours de l'année 2016, le procureur de Paris, François Molins, a annoncé une « stratégie de criminalisation des procédures ». Cela signifie concrètement que les individus poursuivis ne risquent plus dix ans de prison mais 30 ans pour les participants et la perpétuité pour les leaders.

Photographie prise au Palais de Justice de Paris

En pratique, la criminalisation n'est pas systématique. Elle dépend des actes que les djihadistes sont soupçonnés d'avoir commis. Nous avons ainsi pu assister en 2017, à quelques semaines d'intervalle, à deux procès de "revenants". Dans un cas, les djihadistes étaient poursuivis pour AMT correctionnelle et ont été condamnés à des peines oscillant entre huit et dix années de prison ; dans l'autre, ils étaient poursuivis pour AMT criminelle et ont été condamnés à des peines allant de 14 à 20 ans de réclusion.

Quelles lignes de défense utilisées par les djihadistes ?

Les peines étant devenues beaucoup plus sévères qu'auparavant, les djihadistes ont adapté leurs lignes de défense et cherchent bien souvent à minimiser leur rôle.

La thématique de la *taqiya* – terme arabe qui désigne une forme de dissimulation – revient souvent dans les audiences.

Nous avons ainsi entendu un avocat se plaindre du fait que son client serait "perdant à tous les coups" : s'il avouait des actes répréhensibles, il serait condamné lourdement et s'il niait ces actes, il serait accusé de pratiquer la *taqiya*.

Il apparaît nettement dans notre échantillon que la ligne de défense privilégiée des prévenus ou accusés renvoie à l'action humanitaire.

Elle consiste à expliquer que les personnes poursuivies ne sont pas parties en Syrie pour combattre mais pour aider les populations attaquées par l'armée de Bachar el-Assad. Quand des éléments matériels tendent à prouver qu'ils ont bien participé à des combats, certains individus cherchent à se justifier tout en maintenant l'argument humanitaire. Par exemple, un individu ayant acquis une kalachnikov expliquait qu'il avait acheté cette arme pour se défendre au cas où il ferait l'objet d'une tentative d'enlèvement. Autre illustration, un homme ayant été blessé et étant rentré en France pour se faire soigner a admis qu'il s'était trouvé sur une zone de combats mais a affirmé qu'il était brancardier.

Une autre ligne de défense utilisée vise à démontrer que les prévenus ne sont pas partis faire le djihad mais simplement *lahijra*.

Autrement dit, l'objectif du départ ne serait pas de prendre les armes, mais simplement d'aller vivre sur une terre d'islam. Cet argument est notamment utilisé par les personnes parties avec toute leur famille, y compris des enfants en bas âge. Il va généralement de pair avec des considérations sur l'impossibilité de vivre pleinement en France tant que musulman et avec un rejet plus ou moins explicite de la laïcité et de la démocratie.

Les liens transgénérationnels

La question des liens transgénérationnels se pose aujourd'hui avec une acuité particulière compte tenu du fait que les djihadistes français ont eu une importante progéniture.

Le chiffre généralement avancé est de 450 enfants – ayant au moins un parent français – présents en Syrie ou en Irak, dont la moitié seraient nés sur place. Ces enfants ont eu une éducation radicale, beaucoup d'entre eux ont vu des atrocités et certains ont même commis des crimes.

Il est évidemment difficile de savoir comment ces centaines d'enfants vont évoluer mais il est à craindre qu'au moins certains d'entre eux suivent la voie tracée par leurs parents. La menace djihadiste devra assurément être gérée sur le long terme.

En conclusion

Si l'on fait l'effort de bien vouloir regarder la forêt plutôt que l'arbre qui la cache, des tendances lourdes peuvent être observées.

Ainsi, un jeune né en France dans une famille d'origine immigrée, qui a grandi dans un quartier défavorisé, a échoué à l'école, n'a pas réussi à s'insérer sur le marché du travail et a sombré dans la délinquance, a bien plus de chances de rejoindre un groupe djihadiste que le reste de la population. Ceci est d'autant plus vrai que la propagande de Daech cible des individus de ce type, en développant une rhétorique sur les discriminations, les humiliations, les injustices et les vertus rédemptrices du djihad.

Bien sûr, rien n'est automatique : l'immense majorité des jeunes correspondant à ce profil ne deviennent pas djihadistes et on ne peut pas expliquer l'engagement dans la voie du terrorisme en se concentrant sur les seuls critères sociaux. Cependant, la récurrence de certaines caractéristiques est suffisamment forte pour que des actions ciblées de prévention de la radicalisation soient conduites. Par exemple, compte tenu du nombre de chômeurs et d'intérimaires dans notre échantillon, on peut penser que Pôle emploi et les entreprises d'intérim peuvent avoir un rôle particulier à jouer en matière de détection de la radicalisation.

Si l'on couple cette donnée avec la carte de France des quartiers les plus touchés par les filières djihadistes, les efforts de prévention pourraient être accentués sur certaines zones. En outre, un travail de ciblage pourrait être effectué sur Internet et en particulier sur les réseaux sociaux, à partir des préférences et des relations des individus impliqués dans des affaires de terrorisme. Un ciblage suffisamment fin devrait permettre de préserver l'équilibre entre sécurité et respect des libertés individuelles, et de ne pas verser dans un système de surveillance de masse.

En termes de politique publique, plusieurs leçons peuvent être tirées de l'étude de l'Ifri.

Leçons à tirer en termes de politique publique

Tout d'abord, les caractéristiques sociales identifiées précédemment montrent que la lutte contre le terrorisme et la radicalisation n'est pas qu'une affaire de répression.

Les mesures qui permettent de réduire l'échec scolaire, de favoriser l'insertion professionnelle ou encore de lutter contre la délinquance peuvent permettre de réduire le vivier de recrutement des organisations djihadistes.

Cependant, la répression et le recours à des mesures coercitives sont nécessaires, notamment pour détruire les sanctuaires terroristes situés à proximité du territoire national.

Les jugements analysés s'étalant sur plus de dix ans, il est clairement apparu que le développement d'un sanctuaire facilement accessible aux portes de l'Europe a constitué un tournant. Avant le déclenchement du conflit syrien, les candidats au djihad avaient du mal à se rendre sur des zones de guerre éloignées et difficiles d'accès comme l'Afghanistan ou le Yémen.

Ensuite, les jugements contiennent des informations et des anecdotes qui pourraient être utilisées en matière de contre-discours.

Jusqu'à la bataille de Mossoul, la propagande djihadiste présentait le califat établi par Daech comme un territoire idyllique. Beaucoup de jeunes qui sont partis en Syrie ont cru aux récits utopiques des propagandistes de l'État islamique et ont été déçus une fois arrivés sur place.

Un des prévenus d'une filière strasbourgeoise explique par exemple avoir été battu et humilié par des membres de Daech pour avoir refusé de participer aux entraînements. On l'aurait forcé à manger des excréments et il aurait été abusé sexuellement. Dans d'autres affaires, les candidats au djihad n'ont pas supporté les conditions sanitaires et sont tombés malades.

Enfin, cette étude montre que le djihadisme met le système judiciaire et carcéral sous pression.

Dans le débat public, les prisons sont souvent présentées comme des incubateurs de terroristes et la problématique est posée de la sorte : faut-il laisser les djihadistes avec les autres détenus ou les regrouper entre eux ?

Les expérimentations conduites à l'étranger et en France montrent que chacune des solutions a des inconvénients : la première risque d'engendrer une contamination idéologique chez les détenus "classiques" ; la seconde peut permettre à des terroristes de planifier des attaques pendant leur incarcération.

Dans les deux prochaines années, une soixantaine de personnes actuellement détenues pour des faits de terrorisme devraient être libérées et, pour ce qui est de notre échantillon, un pic de libérations devrait intervenir en 2022.

Si ces personnes ressortent de prison aussi radicalisées – voire davantage – que lorsqu'elles y sont entrées, nous pouvons nous préparer à des jours difficiles.

Ce graphique indique le nombre de personnes de notre échantillon (axe des ordonnées) qui devraient être libérées à une date donnée (axe des abscisses)

Crédits

Extraits de l'étude de l'Ifri "137 nuances de terrorisme. Les djihadistes de France face à la justice" à paraître le 10 avril 2018.

Auteur de l'étude : Marc Hecker

ملحق رقم (4) بيان معاداة السامية الجديدة

<http://www.leparisien.fr/societe/manifeste-contre-le-nouvel-antisemitisme> 21 avril

Le Parisien-Aujourd'hui en France Dimanche », réunit plus de 250 signataires. Parmi eux, un ancien président de la République, trois anciens Premiers ministres, des élus, des intellectuels, des artistes...

Dans un livre à paraître mercredi chez Albin Michel*, quinze intellectuels prennent la plume pour dénoncer le poison de l'antisémitisme. L'ouvrage, préfacé par la philosophe Elisabeth de Fontenay, est écrit avec l'énergie de la colère. Une colère qui prend aujourd'hui la forme d'un manifeste qu'« Aujourd'hui en France Dimanche » a décidé de publier. Elle grandit depuis la mort de Sarah Halimi, Parisienne de 65 ans défenestrée après avoir été rouée de coups le 4 avril 2017. La justice a mis plus de dix mois à reconnaître la circonstance aggravante de l'antisémitisme. Le 23 mars, moins d'un an plus tard, dans le même arrondissement, au cœur de la capitale, l'assassinat de Mireille Knoll, 85 ans, ravivait l'émotion et l'indignation nées de l'affaire Halimi. L'enquête est en cours.

Plus de 250 signataires ont répondu à l'appel rédigé par un collectif, dont Philippe Val, l'ancien directeur de « Charlie Hebdo ». Parmi eux, l'ancien président de la République Nicolas Sarkozy, trois anciens Premiers ministres, l'ex-maire de Paris Bertrand Delanoë, des élus de tous bords, des représentants des différentes religions, des intellectuels, des artistes...

« Cette terreur se répand »

« L'antisémitisme n'est pas l'affaire des Juifs, c'est l'affaire de tous. Les Français, dont on a mesuré la maturité démocratique après chaque attentat islamiste, vivent un paradoxe tragique. Leur pays est devenu le théâtre d'un antisémitisme meurtrier. Cette terreur se répand, provoquant à la fois la condamnation populaire et un silence médiatique que la récente marche blanche a contribué à rompre.

Lorsqu'un Premier ministre à la tribune de l'Assemblée nationale déclare, sous les applaudissements de tout le pays, que *la France sans les Juifs, ce n'est plus la France*, il ne s'agit pas d'une belle phrase consolatrice mais d'un avertissement solennel : notre histoire européenne, et singulièrement française, pour des raisons géographiques, religieuses, philosophiques, juridiques, est profondément liée à des cultures diverses parmi lesquelles la pensée juive est déterminante. Dans notre histoire récente, onze Juifs viennent d'être assassinés - et certains torturés - parce que Juifs, par des islamistes radicaux.

« Une épuration ethnique à bas bruit »

Pourtant, la dénonciation de *l'islamophobie* - qui n'est pas le racisme anti-Arabe à combattre - dissimule les chiffres du ministère de l'Intérieur : les Français juifs ont 25 fois plus de risques d'être agressés que leurs concitoyens musulmans. 10 % des citoyens juifs d'Ile-de-France - c'est-à-dire environ 50 000 personnes - ont récemment été contraints de déménager parce qu'ils n'étaient plus en sécurité dans certaines cités et parce que leurs enfants ne pouvaient plus fréquenter l'école de la République. Il s'agit d'une épuration ethnique à bas bruit au pays d'Émile Zola et de Clemenceau.

Pourquoi ce silence ? Parce que la radicalisation islamiste - et l'antisémitisme qu'il véhicule - est considérée exclusivement par une partie des élites françaises comme l'expression d'une révolte sociale, alors que le même phénomène s'observe dans des sociétés aussi différentes que le Danemark, l'Afghanistan, le Mali ou l'Allemagne... Parce qu'au vieil antisémitisme de l'extrême droite, s'ajoute l'antisémitisme d'une partie de la gauche radicale qui a trouvé dans l'antisionisme l'alibi pour transformer les bourreaux des Juifs en victimes de la société. Parce que la bassesse électorale calcule que le *vote musulman* est dix fois supérieur au *vote juif*.

« Nous attendons de l'islam de France qu'il ouvre la voie »

Or à la marche blanche pour Mireille Knoll, il y avait des imams conscients que l'antisémitisme musulman est la plus grande menace qui pèse sur l'islam du XXIème siècle et sur le monde de paix et de liberté dans lequel ils ont choisi de vivre. Ils sont, pour la plupart, sous protection policière, ce qui en dit long sur la terreur que font régner les islamistes sur les musulmans de France.

En conséquence, nous demandons que les versets du Coran appelant au meurtre et au châtement des juifs, des chrétiens et des incroyants soient frappés d'obsolescence par les autorités théologiques, comme le furent les incohérences de la Bible et l'antisémite catholique aboli par Vatican II, afin qu'aucun croyant ne puisse s'appuyer sur un texte sacré pour commettre un crime.

Nous attendons de l'islam de France qu'il ouvre la voie. Nous demandons que la lutte contre cette faillite démocratique qu'est l'antisémitisme devienne cause nationale avant qu'il ne soit trop tard. Avant que la France ne soit plus la France. »

La liste des signataires

Eliette ABECASSIS ; Richard ABITBOL ; Ruth ABOULKHEIR ; André ABOULKHEIR ; Laure ADLER ; Paul AIDANE ; Waleed AL-HUSSEINI ; Mohamed ALI KACIM ; Michèle ANAHORY ; François ARDEVEN ; Pierre ARDITI ; Janine ATLOUNIAN ; Muriel ATTAL ; Charles AZNAVOUR ; Elisabeth BADINTER ; Patrick BANTMAN ; Laurence BANTMAN ; Adrien BARROT ; Stéphane BARSACQ ; Maurice BARTELEMY ; Stéphane BEAUDET ; Patrick BEAUDOUIN ; Annette BECKER ; Florence BEN SADOON ; Georges BENSOUSSAN ; Gérard BENSUSSAN ; Alain BENTOLLA ; André BERCOFF ; Aurore BERGE ; François BERLEAND ; Françoise BERNARD ; Florence BERTHOUD ; Naem BESTANDJI ; Muriel BEYER ; Jean BIRENBAUM ; Claude BIRMAN ; Joelle BLUMBERG ; Marion BLUMEN ; Lise BOËLL ; Jeannette BOUGRAB ; Céline BOULAY-ESPERONNIER ; Michel BOULEAU ; Laurent BOUVET ; Lise BOUVET ; Fatima BOYER ; Anne BRANDY ; Caroline BRAY-GOYON ; Zabou BREITMAN ; Claire BRIERE-BLANCHET ; Jean-Paul BRIGHELLI ; Pascal BRUCKNER ; Laura BRUHL ; Daniel BRUN ; Carla BRUNI ; François CAHEN ; Séverine CAMUS ; Jean-Claude CASANOVA ; Bernard CAZENEUVE ; Hassen CHALGHOUMI ; Catherine CHALIER ; Elsa CHAUDUN ; Evelyne CHAUVET ; Ilana CICUREL ; Eric CIOTTI ; Gilles CLAVREUL ; Brigitte-Fanny COHEN ; Marc COHEN ; Jonathan COHEN ; Danielle COHEN-LEVINAS ; Antoine COMPAGNON ; Jacqueline COSTA-LASCOUX ; Brice COUTURIER ; Fabrice D'ALMEIDA ; Eliane DAGANE ; Gérard DARMON ; Marielle DAVID ; William DE CARVALHO ; Elisabeth DE FONTENAY ; Xavier DE GAULLE ; Bernard DE LA VILLARDIERE ; Bertrand DELANOË ; Richard DELL'AGNOLA ; Chantal DELSOL ; Gérard DEPARDIEU ; Guillaume DERVIEUX ; Patrick DESBOIS PERE ; Alexandre DEVECCHIO ; Bouna DIAKHABY ; Marie-Laure DIMON ; Joseph DORE MGR ; Daniel DRAÏ ; Michel DRUCKER ; Richard DUCOUSSET ; Stéphane DUGOWSON ; Martine DUGOWSON ; Frédéric DUMOULIN ; David DUQUESNE ; Frédéric ENCEL ; Raphaël ENTHOVEN ; Francis ESMENARD ; Christian ESTROSI ; Elise FAGJELES ; Roger FAJNZYLBERG ; Luc FERRY ; Alain FINKIELKRAUT ; Pascal FIORETTO ; Marc-Olivier FOGIEL ; Renée FREGOSI ; Michel GAD WOLKOWICZ ; Aliou GASSAMAL ; Lucile GELLMAN ; Jasmine GETZ ; Sammy GHOZLAN ; Jean GLAVANY ; Bernard GOLSE ; Roland GORI ; Marine GOZLAN ; Olivia GREGOIRE ; Mohamed GUERROUMI ; Ghislaine GUERRY ; Olivier GUEZ ; Lydia GUIROUS ; Talila GUTEVILLE ; Patrick GUYOMARD ; Noémie HALIOUA ; Françoise HARDY ; Frédéric HAZIZA ; Jean-Luc HEES ; Serge HEFEZ ; François HEILBRONN ; Marie IBN ARABI-BLONDEL ; Aliza JOBES ; Arthur JOFFE ; Michel JONASZ ; Christine JORDIS ; Dany JUCAUD ; Liliane KANDEL KARIM ; David KHAYAT ; Catherine KINTZLER ; Alain KLEINMANN ; Marc KNOBEL ; Haïm KORSIA ; Julia KRISTEVA ; Rivon KRYGIER ; Estelle KULICH ; Philippe LABRO ; Alexandra LAIGNEL-LAVASTINE ; Lilianne LAMANTOWICZ ; Jack LANG ; Joseph LAROCHE ; Damien LE GUAY ; Daniel LECONTE ; Barbara LEFEBVRE ; Yoann LEMAIRE ; Pierre LESCURE ; Bernard-Henri LEVY ; Maurice LEVY ;

Stéphane LEVY ; Michèle LEVY-SOUSSAN ; Marceline LORIDAN-IVENS ; Christine LOTERMAN ; Patrick LOTERMAN ; Enrico MACIAS ; Richard MALKA ; Wladi MAMANE ; Yves MAMOU ; Juliette MEADEL ; Sylvie MEHAUDEL ; Yael MELLUL ; Françoise-Anne MENAGER ; Daniel MESGUICH ; Richard METZ ; Habib MEYER ; Radu MIHAILEANU ; Yann MOIX ; Antoine MOLLERON ; Thibault MOREAU ; Jean-Jacques MOSCOVITZ ; Slim MOUSSA ; Laurent MUNNICH ; Lionel NACCACHE ; Marc NACHT ; Aldo NAOURI ; Xavier NIEL ; Sophie NIZARD ; Anne-Sophie NOGARET ; Karina OBADIA ; Jean-Pierre OBIN ; Edith OCHS ; Christine ORBAN ; Olivier ORBAN ; Marc-Alain OUAKNIN ; Yann PADOVA ; Brigitte PASZT ; Dominique PERBEN ; André PERRIN ; Serge PERROT ; Laurence PICARD ; Céline PINA ; François PINAULT ; Jean-Robert PITTE ; Nidra POLLER ; Richard PRASQUIER ; Michael PRAZAN ; Nadège PULJAK ; Jean-François RABAIN ; Marianne RABAIN-LEBOVICI ; Ruben RABINOVITCH ; Jean-Pierre RAFFARIN ; Christiane RANCE ; Jean-Jacques RASSIAL ; Renaud RENAUD ; Jean-Louis REPELSKI ; Solange REPLESKI ; Ivan RIOUFOL ; Jacob ROGOZINSKI ; Olivier ROLIN ; Marie-Hélène ROUTISSEAU ; Catherine ROZENBERG ; Philippe RUSZNIEWSKI ; Boualem SANSAL ; Georges-Elia SARFAT ; Nicolas SARKOZY ; Josiane SBERRO ; Jean-Paul SCARPITTA ; Eric-Emmanuel SCHMITT ; Dominique SCHNAPPER ; André SENIK ; Joann SFAR ; Vadim SHER ; Stéphane SIMON ; Patricia SITRUK ; Jean-François SOLAL ; Paule STEINER ; Jean-Benjamin STORA ; Francis SZPINER ; Anne SZULMAJSTER ; Pierre-André TAGUIEFF ; Maud TANACHNIK ; Jacques TARNERO ; Michel TAUBER ; Daniel TECHNIO ; Julien TROKINER ; Cosimo TRONO ; Monette VACQUIN ; Henri VACQUIN ; Philippe VAL ; Caroline VALENTIN ; Manuel VALLS ; Sibyle VEIL ; Jacques VENDROUX ; Natacha VITRAT ; Sabrina VOLCOT-FREEMAN ; Régine WAINTRATER ; Laurent WAUQUIEZ ; Aude WEILL-RAYNAL ; Simone WIENER ; Annette WIEVIORKA ; Jean-Pierre WINTER ; Jacques WROBEL ; André ZAGURY ; Alain ZAKSAS ; Paul ZAWADZKI ; Marc ZERBIB ; Céline ZINS ; Jean-Claude ZYLBERSTEIN

ملخصات الدراسات

ملخص الدراسة باللغة العربية

تناولت الدراسة "صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية بعد أحداث تشارلي إيبدو- في صحيفتي : LE FIGARO - LE MONDE"، وذلك انطلاقاً من طرح التساؤل الرئيسي التالي:

- ما صورة الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيجارو؟ وما أوجه التشابه والاختلاف بينهما في تكوين هذه الصورة؟

وطرحت الدراسة التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما هي أهم المصادر والعوامل التي شكلت صورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية عبر مختلف المراحل الزمنية؟
2. ما المكون المعرفي لصورة الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيجارو؟
3. ما المكون الوجداني لصورة الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيجارو؟
4. ما المكون السلوكي لصورة الإسلام في صحيفتي لوموند ولوفيجارو؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، تم توظيف كل من منهج المسح الإعلامي، المنهج المقارن ومنهج تحليل المضمون. واعتمدت الدراسة على استمارة تحليل المحتوى الذي تناول الإسلام في الصحيفتين خلال الفترة الممتدة من 8 جانفي 2015 إلى غاية 8 مارس 2015.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- تمثلت المصادر المشكلة لصورة الإسلام في الفكر والثقافة الفرنسية في: الكتابات البيزنطية، واللاهوتية المسيحية، والدراسات الاستثنائية، والمناهج التعليمية، والإعلام الغربي والفرنسي وأسهمت كل من العوامل: التاريخية، الدينية الحضارية، الجيوسياسية والديمغرافية والإعلامية في تشكيل هذه الصورة.

- اتفقت الصحيفتان في تقديم صورة سلبية عن الإسلام، وقدمتا صورة الإسلام في بعدها المعرفي من خلال التركيز على المواضيع الأمنية والقانونية، السياسية والإيديولوجية،

والمواضيع الاجتماعية التي احتلت المراتب الثلاث الأولى في اهتماماتهما، وفي آخر الترتيب جاءت المواضيع الاقتصادية.

- شكلت الصحيفتان صورة سلبية عن الإسلام في بعدها الوجداني، حيث طغى في مضامينهما، الاتجاه السلبي، تلاه الاتجاه المحايد، وبنسبة لا تكاد تذكر الاتجاه الإيجابي، مع ملاحظة أن مضامين لوفيغارو كانت أكثر سلبية وتحاملا.

- انعكست صورة الإسلام السلبية في بعدها المعرفي والوجداني، على صورته في بعدها السلوكي، وذلك في مختلف الإجراءات وردود الأفعال الشعبية والرسمية اتجاه الإسلام والمسلمين في فرنسا، والتي تقدمها على المستوى الشعبي تصاعد حدة الإسلام فوبيا وخاصة تصاعد منحنى الاعتداءات ضد المسلمين ومقدساتهم معنويا وبدنيا، وعلى المستوى الرسمي إعلان فرنسا الحرب الشاملة داخليا وخارجيا على ما أسمته بالإرهاب الجهادي، والمطالبة بإعادة تقييم شامل للإسلام، والإسراع باستبداله بإسلام فرنسا.

- اعتمدت افتراضات نظرية الأطر الإعلامية في تغطية الصحيفتين للإسلام، على آليات الانتقاء والإبراز والتركيز على الجوانب السلبية، مقابل حذف وتجاهل واستبعاد الجوانب الإيجابية. مكونة بذلك صورة اختزالية تبسيطية وتعميمية اختزلت الإسلام في: الإرهاب الذي تم تقديمه مرادفا للجهاد، حركات الإسلام السياسي التي تم تقديمها كمصدر لانتشار التطرف الإسلامي الإسلام العدو الذي يهدد الحضارة والقيم الغربية، والمناقض لقيم الجمهورية الفرنسية ولائكتها.

Résumé de l'étude

La présente étude, qui traite de "L'image de l'islam dans la presse française suite aux événements de Charlie Hebdo" dans Le Monde et Le Figaro, soulève la question principale suivante:

- Quelle est l'image de l'Islam dans les deux journaux? Et quelles sont les similitudes et les différences entre eux dans la présentation de cette image?

Et les questions secondaires suivantes :

1- Quels sont les sources et les facteurs les plus importants qui ont façonné l'image de l'islam dans la pensée et la culture françaises au fil du temps?

2. Quelle est la composante cognitive de l'image de l'Islam dans Le Monde et Le Figaro?

3. Quelle est la composante émotionnelle de l'image de l'islam dans Le Monde et Le Figaro?

4. Quelle est la composante comportementale de l'image de l'islam dans Le Monde et Le Figaro?

Pour répondre à ces questions, plusieurs méthodes ont été utilisées : la comparative, la méthode d'enquête et l'analyse de contenu des deux journaux durant la période allant du 8 janvier 2015 au 8 mars 2015.

Les principaux résultats de l'étude ont été les suivants:

- Les sources utilisées pour façonner l'image de l'islam dans la pensée et la culture françaises étaient byzantines, théologiques chrétiennes, orientalistes, éducatives, occidentales et françaises. Les facteurs historiques, religieux, culturels, géopolitiques, démographiques et médiatiques ont contribué à la formation de cette image.

- Le Monde et Le Figaro ont présenté la même image négative concernant l'islam, reflétant ainsi l'image de l'islam dans sa dimension cognitive en se focalisant sur les thèmes suivants : sécuritaire- législatif, politico- idéologique et sociétal.

- Le Monde et Le Figaro ont créé une image négative de l'Islam dans sa dimension affective, dominée par la tendance négative suivie par la tendance neutre et par la tendance positive négligeable, notant que le contenu de Le Figaro était plus négatif et préjudiciable.

- L'image de l'Islam dans sa dimension cognitive et émotionnelle s'est reflétée dans les diverses mesures officielles et réactions populaires à l'égard de l'Islam et des musulmans en France, qui sont présentées au niveau local par l'escalade de l'islamophobie et en particulier celle des attaques contre les musulmans et leurs sanctuaires, tant moralement que physiquement, et au niveau officiel, la France a déclaré une guerre globale, à l'intérieur et à l'extérieur, contre ce qu'elle a appelé le terrorisme djihadiste, exigeant une réévaluation complète de l'islam et l'accélération de son remplacement par « un Islam de France ».

- Les hypothèses de la théorie du cadrage d'information adopté par les deux journaux sur l'Islam étaient basées sur des mécanismes de sélection, en soulignant et en se focalisant sur les aspects négatifs, par opposition à la suppression, l'ignorance et l'exclusion des aspects positifs. En créant ainsi une image simpliste et généraliste de l'Islam qui a été réduit aux: terrorisme présenté comme synonyme de djihad, l'islam politique présenté comme une source de propagation de l'extrémisme islamique, l'islam considéré comme l'ennemi qui menace la civilisation et les valeurs occidentales et contredit les valeurs de la république française et la laïcité...

Abstract

The present study, which deals with "The image of Islam in the French press following the events of Charlie Hebdo" in Le Monde and Le Figaro, raises the following main question:

- What is the image of Islam in the two newspapers? And what are the similarities and differences between them in the presentation of this image?,

And the following secondary questions:

1- What are the most important sources and factors that have shaped the image of Islam in French thought and culture over time?

2. What is the cognitive component of the image of Islam in Le Monde and Le Figaro?

3. What is the emotional component of the image of Islam in Le Monde and Le Figaro?

4. What is the behavioral component of the image of Islam in Le Monde and Le Figaro?

To answer these questions, several methods were used: the comparative, the survey method and the content analysis of the two newspapers during the period from January 8, 2015 to March 8, 2015.

The main results of the study were as follows:

- The sources used to shape the image of Islam in French thought and culture were Byzantine, Christian theological, Orientalist, educational, Western and French, historical, religious, cultural, geopolitical, demographic and media factors contributed to the formation of this image.

- Le Monde and Le Figaro presented the same negative image concerning Islam, reflecting the image of Islam in its cognitive dimension by focusing on the following themes: security-legislative, politico-ideological and societal.

- Le Monde and Le Figaro created a negative image of Islam in its affective dimension, dominated by the negative trend followed by the neutral trend and the negligible positive trend, noting that the content of Le Figaro was more negative and prejudicial.

- The image of Islam in its cognitive and emotional dimension has been reflected in the various official measures and popular reactions to Islam and Muslims in France, which are presented at the local level by climbing Islamophobia and in particular attacks against Muslims and their sanctuaries, both morally and physically, and at the official level, France has declared a global war, both internally and externally, against what it called the jihadist terrorism, demanding a complete reassessment of Islam and the acceleration of its replacement by "an Islam of France".

- The assumptions of the information framing theory adopted by the two newspapers on Islam were based on selection mechanisms, emphasizing and focusing on the negative aspects, as opposed to suppression, ignorance and exclusion of positive aspects. By thus creating a simplistic and generalist image of Islam that has been reduced to: terrorism presented as synonymous with jihad, political Islam presented as a source of propagation of Islamic extremism, Islam considered as the enemy that threatens civilization and Western values and contradicts the values of the French Republic and secularism .